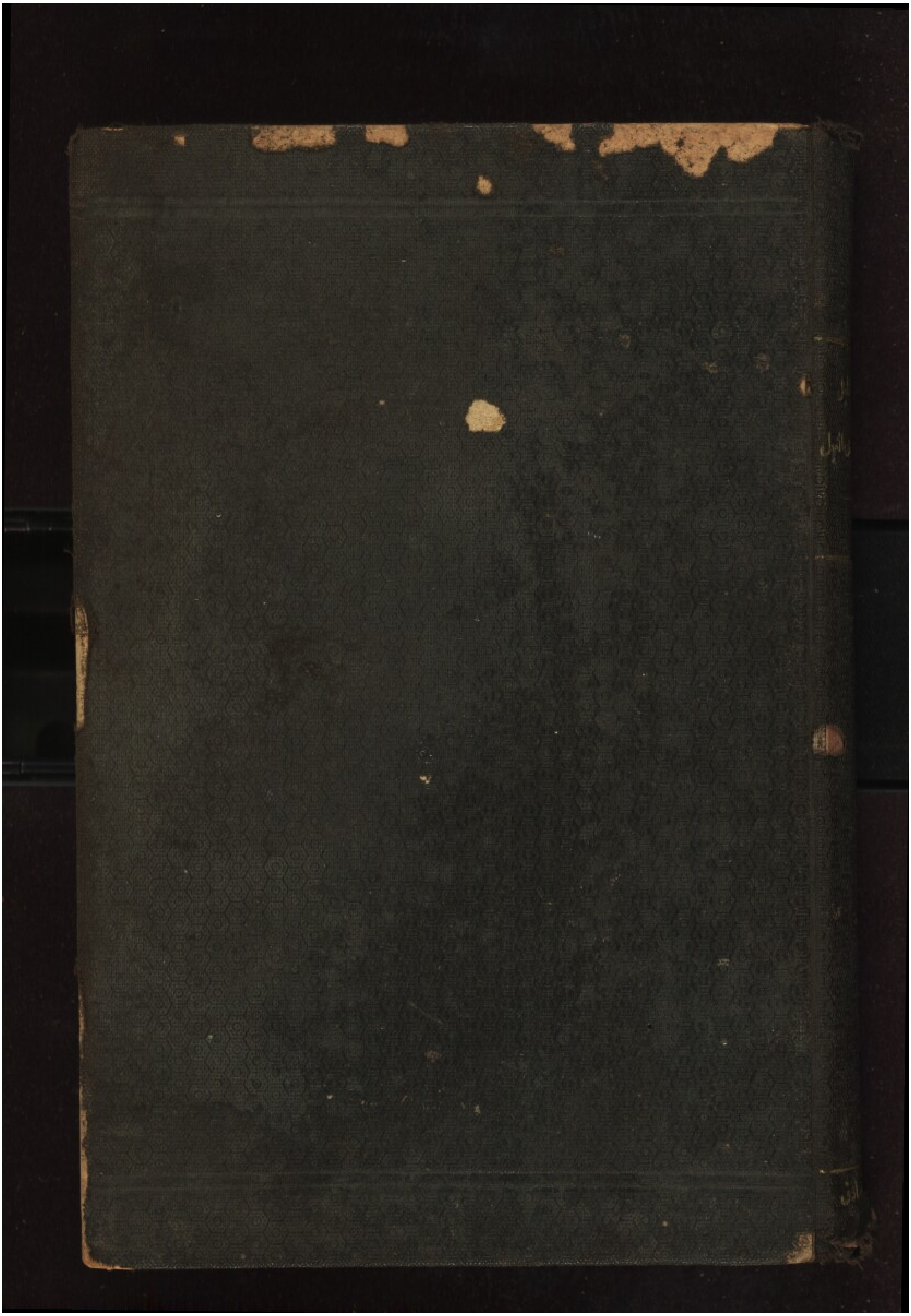
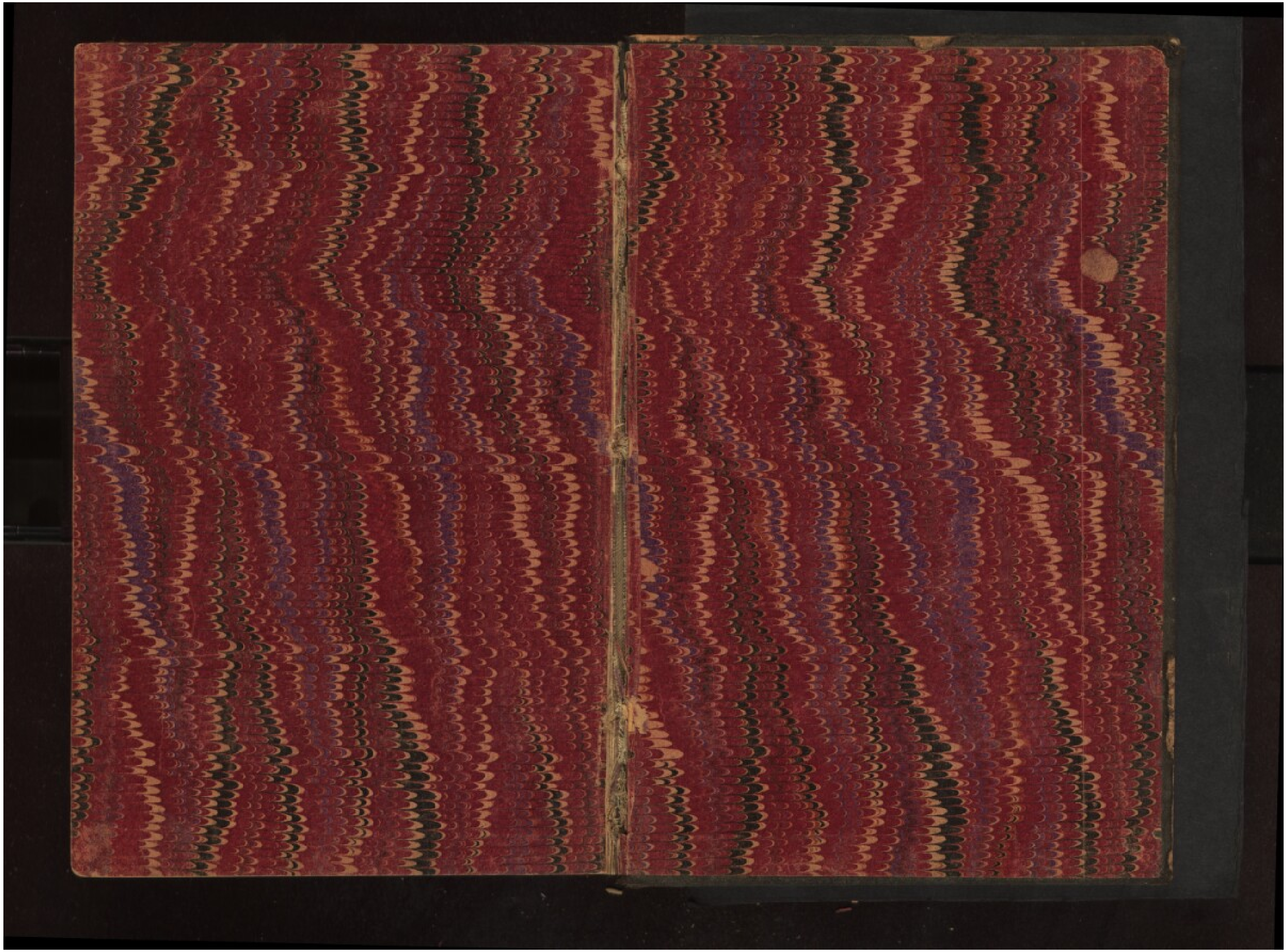
Reference	12977
Title	The Grand Monuments of the Ancients in the Nile Valley
Date(s)	1893/1894 (CE, Gregorian)
Written in	Arabic in Arabic
Extent and Format	196 items
Holding Institution	Qatar National Library Heritage Collection
Copyright for document	Creative Commons Attribution Licence

About this record

Kitāb al-athar al-jalīl li-qudamā’ Wādī al-Nīl (The grand monuments of the ancients in the Nile Valley) is a history of ancient Egyptian civilization by Ahmad Najib, an official of the Egyptian antiquities service under the direction of Jacques de Morgan (1857−1924). Najib published the work as a textbook on orders from education minister Ya’qub Artin (1842−1919) and claimed that it was the first effort by an Egyptian to instruct his countrymen on the historical wonders of their country. The book begins with general remarks on the Nile and a sketch of the beliefs of its early inhabitants. The remainder of the work is organized around the author’s rihalat ‘ilmiyah (scientific expeditions) to ancient sites made in the 1880s and early 1890s. In some respects, the work resembles the travel guides of Karl Baedeker (1801−59), for example in the notation of distances between sites and the descriptions of the current condition of ancient traces. Accompanying the text are photographic plates, lists of kings, and hieroglyphic tables. Although the book is not footnoted or supplied with a bibliography, the author frequently quotes his sources and predecessors, ancient and contemporary, and often cites the French archeologist Gaston Maspero (1846−1916). The book’s descriptions are often personal and its style varies between the strictly narrative and flights of rhymed prose. There is a table of contents and an index of proper names. Presented here is the first edition issued by al-Matba‘ah al-Kubra al-Amiriyah in Cairo in 1893 or 1894, which must have been rushed into print very soon after Najib’s survey of antiquities in Daqhaliyah Province in Lower Egypt in 1893. A second edition or printing issued by the same press appeared in 1895.





١٠٠٠ ١٣

٤/١٠/١٢

كتاب

الاثر الجليل لقدماء وادى النيل

تأليف

حضرة احمد افندى نجيب

مفتش وأمين عموم الآثار المصرية

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١١

هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله أسنى المحامد وشكره أسمى المقاصد واسمه فاتحة كل مقال وثناؤه مقدمة كل أمر ذى بال سبحانه جل شأنه وتقدس سلطانه أنزل صحف الآثار مسفرة عن أخبار الاخيار فدلتنا آثار صنعته على ما ثر قدرته وأبانتنا براهين حكمته بثبوت وحدانيته تعالى الله ما له ولد ولا يجمعه عدد ولا يخصصه الزمان ولا يشمله المكان ولا تحيط به الظنون ولا تراه العيون ولا تدركه الافهام ولا تصوره الاوهام ولا تغيره الاحوال ولا تمثله الاشكال ونصلى ونسلم على جوهرة نور الانبياء وواسطة عقد الاصفياء محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطاهرين صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين ما تعاقب الملوان وأضاء النيران ثم نرفع لك ياذا الجلال أكف الضراعة والابتهال متوسلين اليك بحرمة نبيك المصطفى وحبيبك المرتضى أن تديم لنا ملك عزيز مصرنا ومليك عصرنا رب المحامد والمآثر من عقدت على محبته الخناصر ذو القدر العالى والكوكب المتلالى رب المعالى دوحة المجد وحليف السعد نادرة الدهر وتاج عز الفخر صاحب الهمة التى لا تجارى والحسنات التى لا توارى المحفوظ بالسبع المثانى أفندينا ﴿ عباس حلمى الثانى ﴾ دامت أيامه وارتفعت أعلامه ولا زال الدهر يخدمه والسعادة تلازمه وأيده اللهم برجال دولته الكرام ووزرائه الفخام ما ابتسم الرياض للغيث المدرار وخطب الهزار على منابر الاشجار آمين

(وبعد) فيقول راجي عفو ربه المجيب المفتقر اليه تعالى احمد نجيب مفتش وأمين الآثار بعموم هذه الديار اليكم يا أولي الابصار عجالة جادت بها يد الاقدار وغزالة قيدتها حبالة الافكار بل غادة هيفاء ودوحة فيحاء أغصانها أفنان وثمارها ألوان ضمنتها لطائف الاخبار ومحاسن الآثار وجعلتها منفعة عامة للخاصة والعامة وسميتها (الاثر الجليل لقدماء وادي النيل) فهي خدمة وطنية شريفه وفكرة علمية لطيفه لم يسبقني لها من أبناء جلدتي مصنف ولم يوم اليها بالتأليف مؤلف ولم يرشدني مرشد الى هذا الطريق ولم يدلني اليه صديق أو رفيق بل مجرد اشارة صدرت الي من حضرة العالم المحقق والنحرير المدقق المسيو (دي مرجان) مدير عموم الآثار المصرية الآن فقابلت أمره بالطاعة وبذلت في مرضاه كل الاستطاعة وعزمت على السير ولم أزجر الطير وقلت وبالله التوفيق والهداية لاقوم طريق ثم أخذت في التأليف وأشغالي تنازعني وأسفاري تمانعني والغربة تثني عزمي والمشقة تثلم حد جزمي حتى جاءت بحمد الله كدرة أخرجت من الصدف أو بدر تم تجرد عن الكلف ثم عرضتها على صاحب الهمة واللطائف سعادة يعقوب باشا أرتين وكيل المعارف فوقعت لديه موقع القبول والاستحسان وأمرني بتدريسها لكل من يريد من الشبان سيما أبناء مدرسة دار العلوم وتلامذة المدارس العليا على العموم وها هي كعروس تجلى وأبناؤها تتلى والامل ممن يلاقيها ويمعن النظر فيها أن يعفو عما كبى به الجواد في ميدان الاجتهاد ويحمله على التأويل أو يصفح الصفح الجميل لان أول ناس كان أول الناس واليك يا ذا الكرامات ما قاله صاحب المقامات

سامح أخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما أو قسط

وليس لي غير أن أقول العذر عند الكرام مقبول

المقدمة

ان من البواعث التي حركت همتي وأيقظت عواطف حبتي الى تأليف هذه العجالة المختصرة والسلوك في بعض ضروبها المبتكرة هو أني لما تعينت في مصلحة حفظ الآثار التاريخية بعموم الديار المصرية توجهت نحو الصعيد لاداء وظيفتي والقيام باعباء مأموريتي وجبت جميع الاطلال بالسهولة والجبال وقاسيت الاخطار لالتقاط الاخبار ألفيت بعض الجهلة والرعاع السفلة تعدوا على الآثار بالتخريب والدمار لا يمنعهم مانع ولا يدفعهم عنها دافع ولا يقبلون النصيحة ولا يخشون عار الفضيحة وقد بلغوا في ذلك الهمة ولم يرقبوا فيها الا ولا ذمة ونبشوا الاموات ونثروا العظم الرفات وهدموا العمارات الشامخة وأتلفوا مبانيها الباذخة ونزعوا الفصوص وباعوها وشوهوا النقوش ولم يراعوها ومدوا أيديهم الى الخاتات الملوكية فصارت أصحابها مجهولة بالكلية كأنها لم تكن من بقايا أجدادهم أو بنيت في غير بلادهم فبحثت عن الاسباب ودخلت البيت من الباب ولما اقتفيت الاثر واستطلعت الخبر علمت أن هؤلاء القوم كأنهم في سنة من النوم لا يفرقون بين الغث القبيح والثمين المليح ولا يعرفون فائدة العلوم ولا منفعة العموم وزعموا أن جميع ما بقي من تلك الازمان رجس من عمل الشيطان وقالوا اما فائدتها وقد بادت أربابها وذهبت أصحابها وتجردت عن الزينة والنقوش وصارت مأوى للوحوش وعريت عن الفوائد وسكنتها الاوابد وجهل الناس قدرها وأساسها قد وهى أوليس الانتفاع بأنقاضها أنفع ومحو آثار الشرك أسمى وأرفع أما هذه النصب والاوثان فقد أحدث بينها الظربان وبال على وجهها الثعلبان وقد أجمعت الآراء على نبذها بالعراء ومالها عندنا من الاكرام الا استئصالها والسلام فقل ما تشاء والحق معنا بلا امتراء فأجبتهم ان هؤلاء المباني التي جهلتم مقدارها وأعفوتم آثارها وجعلتم وجودها عبثا واتخذتم طيب شميمها خبثا وتحالفتم مع الدهر عليها وفوقتم سهام الشر اليها وأزلقوها من أوج الفخار الى حضيض الدمار ليست الا زينة عصركم وبهجة مصركم وحلية واديكم وفخر ناديكم وآثار أجدادكم وأخبار بلادكم وعلوم الاوائل العذبة المناهل وتاريخ من سلف وحجة من عرف اذا سئل أجاب وأبدى العجب العجاب فهي حسنة من حسنات الدهر ومأثرة من مآثر ذلك العصر

أهل فى غير وادى النيل تجدون تلك التماثيل أم جادت بالاجانب بمثل تلك المساطب وهل بنى بنو سام غير هذه الاهرام أم هل شادت لهم الاوائل مايضارع تلك الهياكل وهل سمحت لهم الاوقات بجاؤا بمثل المسلات أم هل يعهد فى سائر البلاد مايضاهى هؤلاء العماد وهل قامت البراهين على أصح من أخبار المصريين وهل لدى من سوانا آثار تسفر له عن حقيقة تلك الاعصار وعلى كل فما الحكم على من نبش القبور وباع جثث الاناث والذكور وأتى البيوت من غير أبوابها وأخذ متاع أصحابها أو نشر الموتى فوق التراب وجعلها طعمة للوحوش والكلاب وعرض نفسه للنكال ومات مدفونا تحت الرمال وأتلف بهجة المناظر وخالف الاوامر وتعدى على حقوق الحكومة وهى لديه ثابتة معلومة وسعى فى التدمير والخراب وباع زينة وطنه الى الاغراب ورضى منهم بالثمن القليل وجعل صحيح الاخبار قابلا للتأويل أما تعلمون أنها اشتملت على معارف وعلوم ما بين منطوق ومفهوم وأن أصحابها كانوا غرة فى جبهة الدهر ودرة فى اكليل الفخر وهم الذين دوخوا البلاد وقهروا العباد وجابوا الآفاق وشدوا من عدوهم الوثاق وانها لتاريخ مصر أعظم مصباح ولولاها لكان هشيما تذروه الرياح وانها لمخبرة بالمصير وما اليه نصير وان من أهلها من ذكر فى القرآن على لسان سيد ولد عدنان ففى رؤيتها خير الخبر وتصديق الاثر وان الصحابة وهم أعلام الهدى وحجة كل من اهتدى لم يتعرضوا لدمار هؤلاء الاصنام ولم يقولوا بالحلال أو الحرام ثم جاء من بعدهم السلف الصالح من العلما ولم يحكموا فيها بشىء تما وكانوا بها يتذكرون فى المآب وفيما فعلته تلك الاحقاب ثم يبتهلون بالتوبه ويخلصون اليه الاوبه ومازالت تتلقفها أيدى القرون الى أن باءت بكم بصفقة المغبون أنبؤنى بالله أما بقى عندكم من الباقيات الصالحات غير نبش الاموات واتلاف العمارات وبيع الانتيكات وموالاة الاسفار لتعفية الآثار وطمس معالم الاخبار وتكسير الاحجار وتشويه محاسن الديار مهلا يا أيها الوطنيون ثم مهلا ولا تجعلونا للملامة أهلا فان عيون الاجانب ترمقنا من كل جانب وألسنة الاقلام تسلقنا بغليظ الكلام وتنسبنا الى فعل الرذائل وتجردنا عن الفضائل فقد قالوا انتهبنا آثارنا وأبلينا محاسن ديارنا وأعرينا بلادنا من بقايا أجدادنا فان جدتم ماجرى وقلتم هذا حديث يفترى أقيموا لنا البرهان ودونكم والميدان

وكأنى بعدو جاهل أو حسود متغافل يخشن لى فى الكلام ويلسعنى بحمة الملام ويقعد لى بالمرصاد ويتغافل عن المراد ويقول مافائدة تنافى ذكر كيت وكيت ومالنا وهذا التبكيت ألم يأن لك أن تقلع عن هذا الحديث وتستبدل ذكر القديم بالحديث فانى أراك تأسف على الاحجار وأصحابها من الكفرة الفجار الذين هم صالوا النار أهل حفظها يتعلق بالدين أم يحفظ لنا حسن اليقين أم اتلافها يورث سوء الخاتمة أولا تقوم لمن يزدرى بها قائمة تلك أمة قد مضت وأيامها انقضت فأرك لنا سيرة هؤلاء القوم وأخبرنا بافعال أهل اليوم ومادرى أن فى المحافظة عليها فائدة كلية وخدمة شرفية وطنية وان أخبار مصر القديمة تتعلق بها أعالى الهمم من أهالى جميع الامم فان علماء كتب الاسفار يختلفون اليها بالاسفار لتحقيق أخبار الآثار وآثار الاخبار فضلا عن أن أكابر الدول ورؤساء الملل يقطعون اليها المراحل الطويلة ويبذلون لمشاهدتها الاموال الجزيلة ويتنافسون فى احراز تلك الفصوص ومعرفة معانى النصوص ويعلمون تواريخ مصر لاطفالهم ويدرسون قلمها القديم لبعض شبانهم ورجالهم مع أنه منا غير بعيد وأقرب الينا من حبل الوريد فنحن بذلك أحق وأحرى وصاحب الدار يلزم أن يكون باحوالها أدرى وما علينا الآن ننهض لمعرفتها نهضة الشهم ونضرب لنا فيها بسهم لعلنا نشارك أهل المغرب ونكون فى هذا العصر كعنقاء مغرب ونعرف المزية ونقوم بحق الوطنية وربما أصبح بذلك خامل الذكر نبيها وكان عند الله وجيها وها أنا باذل لكم جهدى وسأقص عليكم من أخبارها ما يجدى وعليه الاعتماد والهداية الى سبيل الرشاد انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير

الدرس الاول

(ملحوظات عامة على النيل ومصر وأصل سكانها)

ياخليلي ذكراني بسعدى * واسعداني بذكر سكان ربعي
فانني أن أرى الديار بعيني * فلعلي أرى الديار بسمعي

اعلم أن مصر وادغريب الآثار عجيب الاخبار يحده شمالا البحر الابيض المتوسط وجنوبا بلاد السودان وشرقا جبال العرب وغربا جبال برقة أو لبيا اللذان يكونان متقاربين جدا من اسوان واسنا حتى يكادا أن يتماسا ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدا الى الشمال انفرجا عن بعضهما الى أن يحاذيا القاهرة فيتجه أحدهما الى الشمال الشرقي حتى ينتهي بهضبات الشام وجبال لبنان ويتجه الآخر الى الشمال الغربي حتى ينتهي بجبال المغرب والنيل ينساب بينهما وينشعب باسافل الارض فيروي جميع مصر ويصب في البحر الابيض المتوسط

وهو يتكون من فرعين عظيمين أحدهما البحر الابيض وهو أطولهما فيأتي من الامطار الدورية المنهمرة على الجبال الشامخة المحيطة بوسط أفريقيا من الجنوب والشرق فتنبع مياهه على هيئة سيول متدفقة تجتمع مع بعضها في بطن الوادي وتصير بحيرات متسلسلة متواصلة يعلو بعضها بعضا ثم يتجه الى الشمال وتمده الانهار بمياهها من اليمين والشمال ومتى جاوز هذا الاقليم مر بوسط تلك الفدافد والبيداء واخترق كثيرا من الاحراش والغابات وقطع البطحاء والمستنقعات ثم يخرج منها ويميل قليلا الى الشرق كأنه يقصد البحر الاحمر فتصده الجبال والصخور ويستقيم ثانيا حتى يجتمع بالفرع الثاني وهو البحر الازرق عند قرية أم درمان بالقرب من الخرطوم ثم يتجه الى الشمال فيلتقي مع نهر تكازا أو اتبرا بالقرب من قرية الدامر وهذان النهران يأتيان من بلاد الحبشة فيصير بهما نهرا عظيما ممتلئا طاميا بالامواج والى هنا يسمى بالنيل الاعلى ثم ينعطف الى الغرب وينصدم في سهول البادية الكبرى ويميل الى الجنوب ثم الى الشمال ويعوج في سيره تارة الى الشرق وأخرى الى الغرب ويمر بجملة جنادل تعرف بالشلالات وآخرها شلال اسوان والى هنا يسمى بالنيل الاوسط ثم يمر بارض مصر ويتفرع عند القناطر الخيرية الى فرعين عظيمين أحدهما يتجه الى الشمال الشرقي ويصب في البحر الابيض المتوسط بالقرب من ثغر دمياط

ويسمى فرع دمياط والثاني يتجه الى الشمال الغربي ويصب في البحر الابيض المتوسط ايضا بالقرب من ثغر رشيد ويسمى فرع رشيد

وكان له فيما سلف سبعة أفرع وسبعة مصبات وهي

أولا الفرع البوسطي ويعرف الآن بترعة أبو منجا وكان يصب في البحر بالقرب من قرية الطينة أو الفرما ومكانه ظاهر الى الآن

ثانيها الفرع الطانيتيكي ويعرف الآن ببحر مويس

ثالثها الفرع المنديسي ويعرف الآن ببحر أشموم الرمان ويصب في بحيرة المنزله

رابعها الفرع الفاطميتي وهو المعروف الآن بفرع دمياط

خامسها فرع السبنيتي ويعرف الآن بترعة مليج

سادسها الفرع البلبيتيني وكان جزء من فرع رشيد يخرج من الفرع الكانوبي الآتي ذكره بالقرب من بلدة الرحمانية بمديرية البحيرة ويصب في البحر الابيض المتوسط

سابعها الفرع الكانوبي ويسمى أيضا الهرقليوتيكي أو النقراتيكي وهو عبارة عن فرع رشيد ومبدؤه رأس مثلث الدلتا أو روضة البحرين فكان يجري حتى يحاذي بلدة الرحمانية ويتفرع الى فرعين أحدهما الفرع البلبيتيني وقد مر ذكره والثاني يتجه الى الشمال الغربي حتى يدنو من جبال لبيا ويصب في البحر الابيض المتوسط وبعض مجراه يعرف الآن باسم ترعة المحمودية وأما باقيه فقد ردم وصار أرضا زراعية

ولهذا النيل المبارك في كل سنة منظران متنوعان جدا أحدهما زمن التحريق فتراه في ذلك الوقت وقد انحصر بين ساحليه وقل جريانه وتغير ماؤه وتعرج في سيره ورسب طميه وراق من الاكدار وظهرت به جزائر خلاء تشوهها حرارة الشمس مرارا بحمرتها أما الصعيد وما أدراك ما الصعيد فينضب ماؤه ويصير أرضا جرزا وصعيدا أقفر وتبش الترع وتشتد به حرارة القيظ ويجف العود الاخضر وتعصف الرياح الغربية الهابة من الصحراء وتعرف بريح السموم أو الخماسين فيقتم الغبار ويعلق التراب بورق الاشجار ووجوه المارة ويبقى الامر على ذلك والناس تشرب من الآبار والسواقي حتى يسعفها النيل بفيضه العميم أو تهب ريح الشمال فتطفئ لظى ذلك الجحيم

ثانيهما زمن الزيادة أو الفيض ويبتدئ بتغير لون الماء الى الخضرة فتصير غروبة كابية اللون مائلة الى الملوحة مغثية مضرة بالصحة بعدما كانت بالامس صافية لذيذة سائغة

للشاربين وسبب ذلك أن مياه الفيض تطرد أمامها مياه المستنقعات الراكدة المتخلفة من العام الماضي في جنوب بلاد السودان بعدما أذابت فيها الاعشاب والغثاء وبعض عظام الحيوانات فتؤثر على الصحة وتحدث ألما شديدا في المثانة ولا يمكن الانسان أن يتخلص من هذا الضرر الا بغليها أو ترشيحها ثم يأخذ النيل بعد ثلاثة أو أربعة أيام في الزيادة والحمرة وكلما زاد ماؤه زادت حمرته حتى يتخيل للرائي أنه بحر من دم كدر مركز بالطمي فعند ذلك يحمد ترويقه وفي ذلك الوقت يكون منظره أبهج المناظر وأشرح للخواطر ثم يجمع جيوشه على السواحل لا يمنعها عنها مانع ولا يدفعها دافع فتسحلها سحلا وتزحف جنوده الميمونة الطلعة على تلك الاراضي القحلة فتلقمها بالخيرات والبركات وتبيد منها الوحشة والحزن فتسمع الادوى ووقع الجروف وهدير القناطر وعجيج الامواج وتصفيق المياه ونعير السدود وتغريد الطيور مبشرة بقدوم الهناء وهمس حركات الاسماك الفضية اللون وصرير الحشرات والزواحف وكأن الحياة دبت ثانية في كل ذي روح فتنشط الناس وتدرج السوائم وتدب الدواب وتأخذ الحكومة في التدبير لصد صولته ورد جماحه وادخاله تحت عادل قانونها فيدوم على ذلك برهة وكأن أيامه من حسنها أعراس ثم يرجع القهقرى رويدا رويدا ويغادر الارض بعدما ترك عليها من فيض احسانه طبقة لطيفة من الطمي المخصب لها ويلازم ساحليه فتلبس الارض حلتها السندسية ذات النفحة المسكية المطرزة بالازهار ومزرورة بالازرار وغير ذلك مما هو معلوم لدينا ومشهور أمره الينا ومما ينسب للمرحوم رفاعه بك شعر

كلفت بوصل النيل مصر فأتعبت * من يانع الاثمار كل ربيع
لو واصل النيل الصحارى أنجبت * لكنها ألفت وصال الريع

وبالجملة والتفصيل لولا هذا النيل وماؤه الفياض لكانت أرض مصر سبخا عقيما لا تصلح للزرع ولا للسكن وعلى ذلك اتفق علماء الآثار الباحثون عن أحوال مصر وتواريخها أن هذا الوادي كان في مبدأ أمره خليجا يغمره ماء البحر الملح فتسلطت عليه عوامل النيل ورفعت من قدره ما انخفض وطمته بطميها السنوي شيئا فشيئا حتى صار أرضا زراعية طيبة مباركة وقال هيرودوت المؤرخ اليوناني الشهير ان مصر هدية من النيل عندما أخبرته الكهنة أنه في مدة استيلاء الملك منا على منصة الحكم بديار مصر كانت أمواج البحر الملح

تضرب في صخور الجبل الشرقي والغربي حيث اهرام الجيزة الآن وأن باقي الوادي كان مستنقعا وأراضي مستبحرة مضرة بالصحة

وقد ظهر الآن بالحساب ان النيل يزيد في عرض أرض الدلتا أو روضة البحرين في كل سنة مترا واحدا حتى بلغ الآن ثلاثة وعشرين ألف كيلومتر مربع حدث من الطمي الذي جلبه النيل معه حبة حبة من أقاصي بلاد السودان ووسط أفريقيا فينتج من ذلك أنه لابد أن يكون مكث سبعمائة وأربعين قرنا أو أربعة وسبعين ألف سنة حتى بلغ هذا المقدار

ولما كانت هذه المدة بعيدة جدا عن التصور العقلي قال بعض المؤرخين ان مياه النيل كانت فيما سلف أغزر ماء وأكدر منها الآن وان أرض مصر تم تكوينها في مدة أقل بكثير من المدة المذكورة وان ما قالته كهنة مصر الى هيرودوت المؤرخ صحيح لا مراء فيه ولا فرية لانهم أعلم باخبار أرضهم ممن سواهم

وقال بعضهم ان أرض الدلتا تم تكوينها وصارت أرضا صالحة للزراعة قبل حكم منا بمدة طويلة ولا عبرة بما قالته الكهنة لذلك المؤرخ لان ذلك دعوى من غير دليل ومن أين أتى لهم انها كانت لا تصلح للزرع والسكن قبل استيلاء هذا الملك وعلى كل حال كان الواجب عليهم أن يقولوا ان النيل يزيد كل سنة في أرض مصر والناس سكنتها بالتدريج

أما أصل المصريين فقد وقع فيه اختلاف كبير أيضا فزعم قدماء المؤرخين من الافرنك أن سكان هذا الوادي أتوا اليه من أفريقيا من شاطئ النيل الاوسط أي من بلاد اتيوبيا فزحفوا اليه شيئا فشيئا تابعين مجرى هذا النهر الى أن وصلوا البحر الابيض المتوسط ثم انتشروا في جميع بقاعه وجزم أهل اتيوبيا أن مصر هي أحد نزلائهم ومستعمراتهم كما أن أرضها من أرضهم نقلها النيل بشدة جريانه وفيضه السنوي وسكانها قبيلة منهم واحتجوا بشدة المشابهة الكائنة بين العوائد والاخلاق والقوانين التي كانت عند كلتيهما وقالوا انهم تعلموا الكتابة منا كما علمناهم كيفية تحنيط الاموات التي كانت مستعملة عندنا وان كهنتهم تعلمت العلوم وحفظ الاسرار من كهنتنا حتى ان ملابس ملوكهم ورتب تيجانهم هي عين ملابس ملوكنا وبالجملة فهم أولادنا فضلا عن انهم تلاميذنا ثم نابذونا في الحرف والصنائع وحاربونا بما تعلموه منا شعر

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي * فلما قال قافية هجاني

وما زالت هذه الروايات متداولة بين المؤرخين حتى ظهر الآن بطلان هذه الدعوى وعكس الموضوع لانه ظهر للباحثين أن في مدة العائلة الثانية عشرة هاجر قوم من مصر الى بلاد اتيوبيا وعمروها فصارت تابعة لمصر وأن التمدن المصري صعد من الشمال الى الجنوب بدل أن ينحدر مع النيل من الجنوب الى الشمال سيما وقد نصت التوراة أن مصرايم بن حام سكن بأولاده مصر ومن تأمل في التماثيل القديمة المصرية المحفوظة بدار التحف علم يقينا أن هذه الامة من الجنس الابيض القوقازي القاطن بآسيا وأوربا لا من جنس الزنوج وان لتركيب لغتهم مشابهة قوية بتركيب لغة أهل آسيا وان كثيرا من أصل لغتهم مشتق من اللغة العبرانية الارامية كان الضمائر المتصلة والمنفصلة في كلتا اللغتين أصلهما واحد وخلاصة القول أن أصل المصريين من الجنس السامي أتوا الى هذا الوادي من برزخ السويس ورعوا وجدوا به طائفة من الزنوج فرت أمامهم صوب الجنوب ومن البديهي أن النيل كان في تلك الحقبة العصرية يمد ويجزر ويغير مجراه كل سنة بدون أن يروي شيأ من أرضه

وكان بعض الوجه البحري مغمورا بمياه البحر الملح يتخلله جزائر تنبت البردي والاخوان والقصب الفارسي فضرورة المعيشة أحوجت هؤلاء النازلين الى ضبط مياهه بحفر الترع والخلجان واقامة الجسور وحرث الارض وزرعها وبتمادي الازمان صاروا قبائل وعشائر كثيرة لكل واحدة منها رئيس وربما مكثوا على ذلك نحو الثلاثة آلاف سنة أو أكثر فتكونت منهم ايالات أو ممالك صغيرة لكل واحدة منها قوانين وديانة ومعبودات خاصة ثم انحازت تلك الممالك الى بعضها فتكون منها مملكتان كبيرتان احداهما بالصعيد والاخرى بالبحيرة ولما قامت الدولة الفرعونية الاولى وضمتهما الى بعضهما بقيت تلك الايالات الصغيرة ممتازة عن بعضها عبارة عن مديريات أو أقسام لكل واحدة مدن وقرى وأراض وجملة مراكز خاصة بها أما عاصمة كل قسم فكانت مركزا للعبادة الخاصة به وللاحكام الملكية والحربية التي يباشرها الحاكم الوارث له المعتمد من لدن الملك وكان أهالي كل قسم تدفع من نفس نتاج الارض خراجا سنويا الى الملك كما أنهم كانوا خاضعين لمزاولة أشغال المصالح العامة بدون أجر ولا مقابل أما عدد المديريات أو الاقسام فكان يختلف باختلاف الاحكام والازمان فكان ستة وثلاثين أيام ديودور الصقلي المؤرخ وكان أيام غيره أربعة وأربعين نصفها بالصعيد ونصفها بالبحيرة والله أعلم

الدرس الثاني

(في فضائل مصر ونيلها المبارك)

لا يخفى على ضمائر أولي البصائر أن لمصر فضائل كثيرة أعظمها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة بالايماء منها قوله تعالى (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) ومنها (أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) ومنها (فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) وغير ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع من القرآن وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة وقال عبد الله بن عمر من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها ومن فضائلها أنه ولد بها من الانبياء موسى وهرون ويوشع عليهم السلام ودخلها من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن ويعقوب ويوسف والاسباط وعيسى بن مريم عليهم السلام وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في أمر موسى وهرون عليهما السلام قال تعالى (قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) ولم يقولوا (حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين) ولفظ المدائن مما يدل على عمارة أرض مصر في تلك الايام

ومن فضائلها أن محصولات أرضها تمير كثيرا من الممالك الاجنبية فثغر السويس والقصير يحمل منهما الى الحرمين واليمن وعمان وثغر دمياط الى بلاد الروم والشام وآسيا الصغرى وثغر الاسكندرية الى بلاد المغرب والافرنج أما الصعيد فيحمل منه الى الواحات والنوبة والسودان وغير ذلك ويوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورميس أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى وبها مقاطع الرخام والمرمر وحجر السماق الاخضر والجرانيت الاحمر والزمرد

والعقيق وبعض المعادن القابلة للتطريق والمياه المعدنية والعيون الكبريتية وقالوا انه كان يرى فى بئر اسوان قرص الشمس وهى فى أول برج السرطان فنتج عن ذلك مسئلة علمية ونظرية فلكية وكان منها أول من وضع علم الجغرافيه والاحرف الهجائية

ومنها أنها بقيت على حالها العجيب وبختها الغريب نحو السبعة آلاف سنة وهى حافظة لرتبتها العلياء ولها اليد البيضاء صاحبة المآثر والتأثير الظاهر فتارة تراها كأنها جدة الامم وأخرى كأنها أميرة سادت بقوة السيف والقلم شهرتها أكبر من أن تذكر وفى معيار العلوم لها الحظ الاوفر والبرهان على ذلك أن الحكيم سولون مشرع بلاد اسبارطه اليونانية لما أراد أن يتلمذ بمدرسة عين شمس أى المطريه قال له أحد كهنتها صا الحجر بعدما اختبره بالامتحان وسبره فى ميدان العرفان (لم نر فيكم شيخا فى العلوم والآداب وجميعكم أطفال يامعشر الاغراب) ومع ذلك كانت شوكتها قوية وهيبتها مرعية نافذة الاحكام وجارها لايضام بدليل ما ترى على بعض آثارها من صورة الملك طوطوميس والملك أمونوفيس ورمسيس الاكبر المعروف باسم (سيزوستريس) كل واحد منهم جار خلف عربته الملوكية رؤساء الامم الاجنبية وهم مكبلون فى حديدهم ومغبرون فى صعيدهم وكذا فى مدة الحروب الصليبية أعنى فى آخر الدولة الايوبية كان بها اسلويس ملك الفرنسيس مأسورا بمدينة المنصورة يتجرع كأس الهوان فى دار ابن لقمان

ومنها أنها كانت ولم تزل موردا عذبا لاولى المآرب من المشارق والمغارب وموطنا للعلماء وملجأ للحكماء فكانت هى ربة السيادة المطلقة ولم يكن لسواها اسم يذكر ولا خبر يؤثر ولا قلم يكتب ولا بليغ يخطب ولا قانون يجمع ولا أحكام تسمع ولا الفة مدنية ولا محبة وطنية وما اقتبس الناس معارفهم الا من نور مصباحها وسناء صباحها كيف لا وفضلها ثابت فى القرآن الحكيم فى قوله تعالى (اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) فنيلها نيل المرام وبرها بر الانام وابليزها أبريز وموطنها عزيز ومازالت تتداولها الايام وتقلبها السنون والاعوام حتى حكمتها بطالسة اليونان وأينع دوح مجدها بثمر العرفان فهرع اليها كل فاضل جليل ومن له فى العلوم باع طويل فصارت دار كتبها بمدينة الاسكندرية كعبة تزورها علماء الدول كما كانت عاصمتها مركزا لتجارة جميع الملل

ثم انحط بعد ذلك قدرها وكذب فجرها باستيلاء من جردها عن مزاياها وبذل عنها قيمة لا ترضاها ولكن بمجرد ما أفل منها بدر التأليف والصناعة أشرقت فيها شموس الفلاحة والزراعة فكان يخرج من أرضها محاصيل مالها مثيل حتى كان اسمها فى ديوان رومة شونة الغلال ومصدر الاموال ثم لم يمض عليها برهة زمنية الا وامتازت بالقوة العقلية فنالت بقوة الاقلام ما لم تنله بالاسلحة والاعلام أوليست مذاهبها الفلسفية التى ظهرت بمدينة الاسكندرية فى تلك الاحقاب القديمة والاعصر الوخيمة أمدت أفكار علماء القسطنطينية وأرشدتهم الى المباحثات العلمية والمجادلات الدينية وأنتجت اختلاف المذاهب وتشعب المشاعب حتى أفضى ذلك الى المشاجرة وعقد مجالس المناظرة وانحطاط قدر الامبراطرة وقيام الشقاق على قدم وساق وانتهى الامر بالتدوين والتأليف والترجمة والتصنيف وتلقفتها أيدى الامم من عرب وعجم فكانت كتب ذلك الزمان هى السبب لما وصل اليه الافرنج الآن من درجة الكمال وحسن الاحوال ومن ذا الذى ينكر قدرها أو يغمس برها وقد قامت فى مدة دولة العرب لاجتناء يانع الرطب وغيرها بحنطب الحطب فجددت دوارس الفنون وأحرزت درها المكنون

ومنها أن أهلها البنو العريكة دمثاء الاخلاق يبعدون عن الفتن والشقاق موصوفون بموالاة الجميل واكرام النزيل فهم أسرع الى الخيرات وعمل المبرات وأسهل للتعليم والتعلم وأقرب للحضارة والتقدم وأطوع لاولى الامر منهم حتى ان قدماءهم عبدوا ملوكهم كعبادتهم الثور ونقلوهم من طور البشرية الى أشرف طور قد وقاهم الله شر الجوع والبرد بما خص أرضهم من الخصوبة ودرجة الحرارة المطلوبة فان هاتين الغائلتين يجلبان أحيانا الفتن ويسببان العداوة والمحن فهى أمراض حقيقية فى جسم الحضارة والمدنية ثم ان حلاوة مائها ولطافة هوائها وصحو سمائها واعتدال اقليمها واعتلال نسيمها التى بلغت حد الكمال وضربت بها الامثال تجلب اليها دائما طمع الاجانب من كل ناحية وجانب فيأتون اليها ويتخذونها سكنا أو يدعونها وطنا ومنها توسط بقعتها ما بين قارة أوروبا وآسيا وافريقا واحاطتها ببحرين عظيمين وهما البحر الابيض المتوسط من جهة الشمال والبحر الاحمر أو بحر القلزم من جهة الشرق حتى صارت بذلك مركزا للتجارة العامة ومطمح نظر الخاصة والعامة ومحط الرحال ما بين وفود ورحال فلذا كان لا يكاد

يحدث أمر ذو بال الا ولمصر فيه يد بضرورة الاحوال فهى تمتاز بهذه الخاصية كما تمتاز تاريخها عن تواريخ الممالك الاجنبية

ومنها أن القــدرة الالهية التى أحرمتها من الامطار والغيث المدرار عوضتها عنــه بعادل سلطان نيلها العميم الذى هو لها أعظم صديق وحميم

أما النيل فماذا نقول فيه وهو سلطان الانهار وحياة هذه الديار وروح جثمانها وانسان عين احسانها اذ لولا وجوده لما كان لها وجود ولولا جوده لما اخضر لها عود ولولا فضل الله عليها بهــذا النهر الميمون لكانت مجردة عن جميع ما كان ومايكون ملحقــة بالقاع كما جاورها من البقاع لانها محاطة من الشرق بصحارى آسيا المقفرة ومن الجنوب بعتامير أفريقا المنفرة ومن الغرب ببرارى برقة الموحشة وسباسبها المدهشة فالنيل كله منافع فى المزارع والصــنائع مزاياه لاتحصى ولاتحصر وهو جنات مصر نهرها الكوثر ومن عجائب أمره أنه يأتيها فى أيام معــدوده وأوقات محــدوده فيتحفها بخيراته ويحفها ببركاته ويمهها بوابل مسراته ثم يعود الى ما كان مع التؤدة والاطمئنان فهو جواد ودود وهى منه جنة ولود خــلافا لباقى الاقطار التى فيها فيضــان الانهار مصيبة عامة وداهية طامة وقد أكثر الشعراء من أوصافه ومحاسن ألطافه منها قول بعضهم

كأن النيل ذو عقــــل ولب * لما يبــدو لخبر النــاس منه
فيأتى حين حاجتهم اليــــه * ويمضى حين يستغنون عنه

وما أحسن قول أبى الحسن المعروف بابن الوزير

أرى أبدا كثــيرا من قليـــل * وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فــكل خليج ماء * بمصــــر مسبب لخليج مال
زيادة أصـــبع فى كل يوم * زيادة أذرع فى حسن حال

وقد امتاز عن غيره من باقى الانهار بجملة مزايا

منها انه أطول أنهار الدنيا القديمة وطوله يبلغ ٥٫٩٤٠ كيلومتر ومساحة حوضه[1] يبلغ ٢٫٨١٠٫٣٠٠ كيــلومتر مربع (وأما أكبر أنهار الدنيا الجــديدة أى أمريكا فهو نهر

(١) حوض النهر هو أرض ينابيعه التى يتكون منها ويقال لها فرش مجاريه أيضا

(مسيسيبي مسورى) وطوله يبلغ ٦٥٣٠ كيلومتر ومساحة حوضه تبلغ ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع) ومنها أنه من أعذب الانهار وأخفها ماء ومنها أنه يمر عن منطقتين من الكرة الارضية وهما المنطقة المحترقة والمعتدلة الشمــالية ويجرى بوسط منطقتين نباتيتين وهما منطقة الموز ومنطقة الاشجار الخــالدة الخضرة[1] ويقطع خطين متوازيين من العرض الشمــالى وهما خط الاســتواء وخط مدار السرطان ويسقى أرض أمتــين متباينتــين وهما أصحاب الظلين وأصحاب الظل المختلف[2] ويجرى بوسط أمتين احداهما تحصد مع ان الاخرى تزرع[3] ويقطع أرض أهل ديانتين مختلفتــين وهما الدين المسيحى والدين الاسلامى[4] ويسقى أمتين من النــاس متباينتين فى اللون وهما الجنس الاسود والجنس الابيض أو القوقازى

وينحصر من الجنوب والشمــال بين مثلثين متقابلين بالرؤس وهما مثلث أرض سنار من الجنوب ومثلث روضــة البحرين من الشمــال ويتكون من فرعين عظيمين وهما البحر الابيض الآتى من وسط أفريقيا والبحر الازرق الآتى من بلاد الحبشه ويتفرع الى فرعين عظيمين وهما الفرع الشرقى أو فرع دمياط والفرع الغربى أو فرع رشيد ويهب عليه فى وقت واحد ريحان مختلفا الاتجاه وهما الريح الاســتوائى أى الهابّ من الشرق الى الغرب فى المنطقة المحترقة والهابّ من الشمــال الى الجنوب فى المنطقة المعتــدلة الشمــالية وله فى كل سنة لونان متباينان وهما اللون الاحمر وقت الزيادة واللون الاسمر وقت التحريق وغير ذلك ممــا يطول ذكره وتقصر القائل

(١) تنقسم الكرة الارضية الى خمس مناطق نباتية وهى منطقة الموز والخبز الثمرى ومنطقــة الاشجار الخالدة الخضرة شمالا ومثلها جنوبا ومنطقة الحلب شمالا ومثلها جنوبا وهذه المناطق غير متوازية مع بعضها

(٢) أصحاب الظلين هم سكان خط الاســتواء لانهم يرون ظلهم جهة الجنوب اذا كانت الشمس فى مدار السرطان ويرونه جهة الشمال متى كانت فى مدار الجدى أما أصحاب الظل المختلف فهم سكان المنطقة المعتدلة الشمــالية والجنوبيــة لانهم يرون ظلهم فى الشتاء أطول منه فى الصيف

(٣) فصل الحصاد فى خط الاســتواء هو فصل الزرع عندنا لان النيل ينقطع جريانه عندهم قبلنا بنحو ٤ أشهر

(٤) سكان الحبشة ومصر

فرح الانام بنيلهم * اذ صار أحمر كالشقيق
وتبركوا بشروقه * فكأنه وادى العقيق

ولما عرف قدماء المصريين جميع مزاياه وحققوا حسن صدقه ونواياه جعلوا له الخزانات فى بعض الجهات واهتموا بشأنه وبالغوا فى مدحه حتى نظموه فى سلك آلهتهم وذكروه فى خرافاتهم وعملوا له المهرجان وقدموا له القربان وكانوا يصورونه على الآثار فى صورة ملك متوج بالازهار يعرف باسم (حابى) أى النيل السعيد صاحب الفعل السديد وقد ظهر بالحساب الآن ان النيل يقذف فى البحر الملح كل سنة مائة وعشرين بليون متر مكعب من الماء الممزوج بالطمى منها تسعون بليونا فى ثلاثة أشهر الفيض والثلاثون الباقية يقذفها فى التسعة أشهر الباقية من السنة (البليون ألف مليون والمليون ألف ألف) ومن تأمل فى أرض مصر التى كانت فيما سلف صالحة للزراعة وهى الآن عقيمة وليس لها قيمة علم أن أرضها وسكانها كانت أكبر وأكثر منها الآن بجملة مرات والله أعلم

الدرس الثالث

(ملحوظات عامة على تاريخ مصر القديم والحديث)

لما كان الغرض من هذا الدرس هو الالماع بذكر بعض ملحوظات اجمالية لتاريخ مصر العام وجب علينا أن نبين الاسانيد والمواد التى اعتمد عليها المؤرخون لاحياء تاريخ الدولة الفرعونية المصرية وهذه الاسانيد هى

(المادة الاولى)

هى نفس الآثار القديمة الموجودة الى الآن بأطلال المدن المندرسة مثل المعابد والهياكل والمنازل والاهرام والمسلات والمساطب والتماثيل والاصنام والاحجار والتقييدات المسطورة عليها بالقلم البربائى والورق البردى وغير ذلك وجميعها اسند قوى ليس فيه مطعن ولا مغمز بل حجة يركن اليها ويعول فى الصحة عليها لان أصحابها كتبوها بأيديهم مدة حياتهم ونصبوها على ملاء الاشهاد لتخليد ذكرهم على ممر الدهور وكر العصور فهى جمادات ناطقة بالاخبار الصادقة وصحف السالفين ونبأ الاولين

(المادة الثانية)

تاريخ القسيس مانيطون المصرى الذى ألفه باللغة اليونانية سنة ٢٥٠ قبل الميلاد مدة حكم الملك بطليموس الثانى المدعو فيلودلفيس أى محب أخيه وكان جمعه باذن هذا الملك من الدفاتر الرسمية المحفوظة بالمعابد المصرية والتحريرات السلطانية والقيودات العلمية غير أن هذا الكتاب النفيس اغتالته الغوائل وصالت عليه يد الدهر الصائل ولم يبق منه الا بعض وريقات وصلت الينا فى ضمن كتب مؤرخى اليونان بعد ما حرفتها أقلام النسخ وألبستها أشنع ثياب التحريف والمسخ وهى على ما صارت اليه من سوء الحال ودرجة الاختلال لم تزل يعتمد عليها ويرجع فى حل المشكلات اليها لان هذا الكاهن المصرى لم يقتصر فضل معرفته على الاحتياط باسرار دينه بل كان له دراية تامة بأحوال باقى الامم من يونان وعجم فلو كان هذا الكتاب بقى لدينا لكان كنزا لا يفنى وثقة به عن غيره يستغنى

(المادة الثالثة)

كتاب المؤرخ ديودور الصقلى وهو سائح يونانى وفد الى مصر قبل ميلاد المسيح بنحو ثمان سنين وعقد فيه بابا مخصوصا تكلم فيه على تاريخ مصر القديم الا أنه غير شاف للمراد

(المادة الرابعة)

كتاب استرابون اليونانى وهو أحد علماء الجغرافيا وتكلم فيه على جغرافية مصر الخطيطية القديمة وذكر أماكنها وبلادها الشهيرة

(المادة الخامسة)

كتاب المؤرخ بلوتاركة الذى تكلم فيه على ديانة المصريين ومعبوداتهم وهو باللغة اليونانية أيضا

(المادة السادسة)

جدول ورقة تورينو وسيأتى الكلام عليها أما تاريخ مصر القديم فيبتدئ باستيلاء (منا) أو مصرايم رأس الدولة الفرعونية على منصة الحكم وينتهى بصدور أوامر الملك (تيودوسيس) أحد امبراطرة رومة الشرقية بالتصريح على الديانة الوثنية أعنى سنة ٣٨١ بعد ظهور المسيح عليه السلام

وينقسم تاريخها الدينى الى ثلاثة أدوار كلية

أولها دور الجاهلية أو الصابئة وقدره ٥٣٨٥ سنة ومبدؤه قيام الدولة الملوكية الاولى سنة ٥٠٠٤ قبل الميلاد وغايته صدور أوامر الملك تيودوز أو تيودوسيس بالتصريح على الديانة الوثنية سنة ٣٨١ بعد الميلاد وفى جميع هذه المدة الطويلة كان المصريون يستعملون فى كتابتهم القلم البربائى أو الهيروجليفى بكل أنواعه

ثانيها الدور المسيحى ومدته ٢٥٩ سنة ومبدؤه سنة ٣٨١ وغايته الفتح الاسلامى سنة ١٨ من الهجرة أعنى سنة ٦٣٨ بعد المسيح وفى جميع هذه المدة كان القلم القبطى هو المتداول بها بعدما اشتق من القلم اليونانى

ثالثها الدور الاسلامى ومدته ١٢٥٥ سنة ومبدؤه سنة ٦٣٨ بعد الميلاد ونحن الآن فى آخر سنة ١٨٩٣ والخط المتداول فى جميع هذه المدة هو الخط العربى بكل أنواعه

أما مدة الجاهلية أو الصابئة فتنقسم الى أربعة وثلاثين عائلة أو دولة ملوكية يتكون منها أربع طبقات أصلية بالنسبة لقوة مصر أو اضمحلالها

(الطبقة الاولى) مدتها ١٩٤٠ سنة وتبتدئ بحكم الملك (منا) أو (مصرايم) سنة ٥٠٠٤ قبل الميلاد وتنتهى بانقراض العائلة العاشرة التى كانت قبل ميلاد ابراهيم الخليل عليه السلام أما ماقبل ذلك فلا يعلم منه شئ ألبتة كما أن تاريخ هذه المدة مظلم جدا ولا يعلم منه الا بعض روايات قليلة رواها لنا المؤرخ هيرودوت اليونانى نقلا عن كهنة مصر أو بعض اكتشافات يسيرة برزت من كساء الظلام عن مدة زمن الاهرام الذى هو عبارة عن العائلة الرابعة والخامسة وجزء من السادسة فقط وفى هذا العصر ارتقى فن الخط وعمل التماثيل الى رتبة سامية جدا بدليل ماوجد من النقوش البربائية والصور الفريدة فى بابها المحفوظة الآن بدار التحف المصرية أما علم الهندسة واحكام البناء فقد بلغا الى الدرجة القصوى لان المتأمل فى هيئة هؤلاء الاهرام التى صبرت على كيد الزمان يعلم أنها أغرب من كل شئ بعد قدرة الله عز وجل وسيأتى الكلام عليها فيما يأتى ان شاء الله تعالى أما العائلة السابعة ومابعدها الى نهاية العاشرة فتاريخها مبهم بل ضال فى غياهب الاحقاب ومتوار بالحجاب ولا يعلم منه شئ تما وكأن الديار خلت من أهلها ومن نظر الى الآثار القليلة الباقية من العائلة الثانية والثالثة التى وجدت حديثا رأى عليها من الغلظ والخشونة مايدله على أن مصر كانت فى حالة البداوة أو الطفولية وأن هذا العهد هو زمن التفريخ الذى لابد لكل دولة أن تمر به قبل بلوغها الى درجة الرفاهية

(الطبقة الثانية) مدتها ١٣٦١ سنة وتبتدئ بقيام العائلة الحادية عشرة وتنتهى بانقراض العائلة السابعة عشرة وفى مدتها ولد الخليل ابراهيم عليه السلام ببلاد (أور) أو (أورفا) أى الرها وجاء الى مصر يوسف ويعقوب والاسباط غير أن تاريخ هذه الطبقة معمى أيضا ولا يعلم منه الا العائلة الثانية عشرة التى فيها هبت مصر من نومتها الطويلة واستيقظت من غفلتها الوبيلة أو نشطت من عقال وانطلقت من سلاسل وأغلال

فتغيرت بظهورها طريقــة الكتابة وشعائر الدين والالقاب الرسميــة للملوك والسلاطين وأسست بالصعيد مدينة طيبا واتخذتها مقر دولتها وقاعدة سلطنتها وشيدت العمارات ونصبت المسلات وعملت الخزانات النيلية فتقدمت الفلاحة المصرية ويرى لهــذه العائلة بعض مبانى جهة السودان والشلال الثانى بيد أن هذه المدة لم تكن الا كطيف سرى فى سنة الكرى حيث هوى بدر مجدها وأفل كوكب سعدها وهجم عليها العمالقة هجوم السيل وأذاقوها من العــذاب أشد الويل وجاسوا خلال الديار وهى بين ذلك تستجير ولا تجار ومكثت خمسمائة واحدى عشرة سنة وهى تقاسى الذل والمسكنة ثم خرجوا منها بعد المحاربات الشديدة والمطاردات العديدة

(الطبقة الثالثة) مدتها ١٣٧١ سنة وتبتدئ بظهور العائلة الثامنة عشرة وتنتهى بانقضاء دولة الفراعنــة المصرية المتممة للثلاثين أعنى بانهزام الملك نقطنبو الثانى واستيلاء العجم عليها ثانى مرة وفى مبدأ هــذه الطبقة ظهرت مصر بأقوى مظهر وبرزت بأبهج منظر ونبغ فيها كبار الملوك الفاتحين فأخذوا يوالون الحروب فى الشمال والجنوب حتى استولوا على الحجاز واليمن والشام وبلاد العراق وجميع بلاد النوبة والسودان وملؤا حافتى النيل بعماراتهم كما أرهبوا مشارق الارض ومغاربها بقوة بأسهم وغزواتهم ودانت لهم البلاد وحكموا العبــاد وفتحوا طرق التجارة وأعادوا لمصر رونق المدنية والحضارة وبذلوا فى ذلك أقصى هممهم وطاروا فى سماء التقدم بكل أجنحتهم وفى هذه المدة ولد موسى وهارون وخرج بنو اسرائيــل وغرق فرعون ثم بعــد ذلك تداولت أيامها وانخفضت أعلامها وانحط قدرها واحتجب بدرها وارتبكت الاحوال فى الاوحال وتغــير حلو الماضى بمر الحال واختلفت الامور ولبس تاج الملك الكاهن حرحور فانقسمت مصر الى قسمين واشتعلت نار الحرب بين الحزبين وانهزمت القسس وقصــدت الســودان وخلت منهم الاوطان ثم استفحل الشقاق بعد حكم الملك شيشاق وأغارت العبيد على أرض الصــعيد وجاء الاشوريون أو السريان وقاتلوا أمة الســودان ومكث الحرب عامين واستولوا على مدينة طيبا مرتين وأسلموها الى السلب والنهب وأوقعوا بها الويل والكرب وبعــد ذلك انقسمت مصر الى ايالات صغيرة وتداولتها الملوك الكثيرة ومازالت تتجرع غصص الايام حتى وقعت فى قبضة الاعجام وسقوا أهلها كأس الحمام

فانظر الى الحال كيف انقلب والى المغلوب كيف غلب وأين ذهبت تلك الفتوحات هيهات هيهات لتلك الاوقات أين زمن الجزية التى كانت مصر تكلفهم بها مع الاحتقار وتنابذهم الالقاب مع الذل والصغار فتدعوهم بالاسافل وتسميهم برعاع القبائل ومازالت مصر تعانى الهوان الى أن استولى عليها اليونان

(الطبقة الرابعة) أو الاخيرة وتسمى بالدور الاسفل ومدتها ٧١٣ سنة وأولها اسكندر المقدونى وآخرها صدور أوامر الامبراطور تيودوز الاكبر سنة ٣٨١ بعد الميلاد وهذه الطبقة تنقسم الى دولتين احداهما دولة اليونان وثانيهما دولة الرومان

أما دولة اليونان أو البطالسة فقــد ارتقت مصر فى أول حكمها الى درجة عظيمة بما جلبه بطليموس الاول والثانى من الكتب والعلماء غير أن مصر نزلت بعد هــذين الملكين عن مرتبتها التى كانت لها مدة التحوتمسيين والرمسيسين وبرزت فى منظر آخر حقير ووجه صغير وصار تاريخها يردف بعد تاريخ اليونان كالذيل المسحوب وحوادثها السياسية كانت عبارة عن مخاصمات نسوانية لاغراض شهوانية غير أنها تركت ما تزجيله من المبانى والعمارات

أما دولة رومة فاقتصرت مصر فى أيامهــا على مزاولة الفلاحة وانكفت عن التــداخل فى السياسة الخارجية وكانت كل نصراتها فى الحروب تعود بالفخر على مملكة رومة ولم يعد عليها من تبعها الا أدنى فائدة الا ارشادها فى آخر أيامها الى دين عيسى بن مريم عليه السلام ومن ذا الذى يجهل ما حصــل من التعذيب لمن تنصر حينما دعى القديس مارى مرقص أهل مصر لاتباع هذا الدين والى هنا انقضى زمن الجاهلية والعبادة الوثنية

أما الدور المسيحى أو زمن النصرانيــة الذى مدته ٢٥٩ سنة كما تقدم فكان فيه لعلماء الاسكندرية مزيد الشهرة وبعد الصيت حتى صار لهم على مملكة رومة الشرقية السلطة الروحانية حيث ظهرت أنوار شموسهم الساطعة ولمعت بروق علومهم اللامعة فافترق أهل مصر الى حزبين أحدهما تدين بالدين المسيحى بعــدما شابه بعقائده الوثنية القــديمة فحكم عليه بالهرطقة فى جمعية القسس التى انعقــدت فى مدينة كلسدوان (وهى مدينة قاضى كوى الآن) على بوغاز القسطنطينية أما الفرقة الثانيــة وهى الملكية فاتبعت مذهب اليونان ولا يخفى ما ترتب على ذلك من الخصومات الشديدة والمناحنات العنيدة

والمجادلات العديدة وقيام القيامات فى الازقة والحارات وكثرة اشتعال النيران الحسية والمعنوية فى كثير من الجهات وظهور مناسر اللصوص المستعدة وكانت الاسكندرية مشحونة بالمشاجرات بين اليهود والنصارى أو بين النصارى مع بعضهم لاجل مسئلة دينية فهمها كل قوم على حسب اجتهادهم وأولها كل جماعة على مقتضى اجتهادهم وفى ذلك الوقت داس العرب بلاد الشام وقصد المغاربة ديار مصر فدفعهم نائب القيصر عنها بالجنود الرومانية ولكن صاروا يتوعدونها بالقدوم ويتهددونها بالهجوم ولعل هذا الانحطاط سهل لدين الاسلام سبيل النجاح

أما دور الاسلام الذى مبدؤه سنة ٦٣٨ بعد المسيح فينقسم الى جملة دول اسلامية وهى دولة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ثم دولة بنى أميـــة ودولة بنى العباس ودولة أحمد بن طولون والدولة الاخشيدية والفاطمية والدولة الايوبية أو الكردية ودولة المماليك ودولة آل عثمان وهى الحاكمة الآن خلد الله ملكها ما تعاقب الملوان

وفى هذه المدة الطويلة كم تقلب عليها عمال وتغيرت فيها أحوال وحكمها سلاطين أجانب من المشارق والمغارب وتنازعتها عوامل الخفض والرفع وتجاذبتها أيادى الوصل والقطع وكم من مقسط امام رفع لذروة مجدها الاعلام وكم من عامل جار وسلطان كساها ثوب عار ومازالت صاعدة نازلة ونجومها طالعة آفلة حتى أتاح الله لها من أبعد عنها كوارث الكواسر وأنشأ فيها محاسن المفاخر درة جيد الزمان محمد الاسم على الشان عليه سحائب الرحمة والرضوان فاستولى عليها وأهلها نحو المليونين ونصف وكسر وأطيانها تقرب من هذا القدر والباقى فساد وبور مجرد عن الترع والجسور ولو كان دام حكم ابراهيم بك ومراد بك نحو العشرة أعوام لقلنا على مصر وأهلها السلام راجع أيام المماليك وغيرها وبناء جامع السلطان قلاوون وغير ذلك فى المقريزى وراجع الجبرتى والخطط الجديدة تأليف المرحوم على باشا مبارك ان شئت واعلم القارئ أن مصر لم يقم لها تخت أهلى من بعد انهزام نقطنبو الثانى سنة ٣٤٠ قبل الميلاد لغاية الآن

الدرس الرابـــع

(فى تخت مصر أيام كل دولة ومدة حكمها الى الآن)

اصطلح المؤرخون على أن جميع الملوك الذين تناوبوا الجلوس على منصة الحكم بمصر من ابتداء استيلاء الملك (منا) أو مصرايم على زمام الملك ينقسمون الى عدة أحزاب أو طوائف تسمى بالعائلات أو الدول الملوكية فان كانت الدولة وطنية سميت باسم المدينة التى اتخذتها قاعدة لها وان كانت أجنبية سميت باسم جنسها فلذا يقال العائلة المنفيسية نسبة الى مدينة منفيس والعائلة الصاوية نسبة الى مدينة صا الحجر والعائلة أو الدولة الفارسية نسبة الى بلاد فارس أو العجم وهكذا وبلغ عدد جميع العائلات لغاية الآن خمسة وأربعين عائلة منها أربعة وثلاثون جاهلية أو وثنية وواحدة مسيحية وعشرة اسلاميـــة

ولما كان قدماء المصريين لم يتخذوا مدة ثابتة لمبدأ تاريخ أيامهم بل أرخوا بموت أو باستيلاء كل ملك قبض على زمام الملك سيما وحوادث زمن الجاهلية غير معلومة لنا جميعها جرينا على ما قرره المؤرخ مانيطون المصرى فى جدول تاريخه ولو أن به بعض فروقات قليلة مغايرة لنص الآثار وهاك بيان أسماء العائلات على الترتيب

	(أسماء العـــــائلات)	مدة الحكم	قبل الميلاد
		سنة	من سنة
١	العائلة الاولى منفيسية وأصلها من مدينة طان ولعل مكانها قريب من العرابة أو الخرابات المدفونة وجعلها بعضهم قرية المشايخ بأولاد يحيى بقرب بندر جرجا وفى أيام هذه الدولة تحول مجرى النيل وانقسم ملك مصر الى أربعة وأربعين مديرية ولا يعلم لها بعد ذلك شئ من التـــاريخ	٢٥٣	٥٠٠٤
٢	العائلة الثانية منفيســية أيضا ولا يعلم لها شئ ولم يعثر لها على آثار الا القليل جدا	٣٠٢	٤٧٥١

(تابع العائلات)

	(أسماء العائلات)	مدة الحكم	قبل الميلاد
		سنة	من سنة
٣	العائلة الثالثة منفيسية أيضا ولا يعلم لها شئ غير أبى الهول الذى بالجيزة وذكر بعضهم أنه ينسب اليها الهرم المدرج الذى بالجبل الغربى بجوار سقارة وقيل انه من عمل العائلة الثانية	٢١٤	٤٤٤٩
٤	العائلة الرابعة منفيسية أيضا وفى مدتها بنيت اهرام الجيزة الثلاثة المشهورة وتحسنت الصناعة وتقدمت الهندسة	٢٨٤	٤٢٣٥
٥	العائلة الخامسة منفيسية أيضا وفيها بنيت مساطب سقارة العظيمة كمسطبة تى ومرى رع وغير ذلك	٢٤٨	٣٩٥١
٦	العائلة السادسة الفنتينية (نسبة الجزيرة الفنتينة المعروفة بجزيرة اصوان أو البربه) ولها بعض آثار بقرية زاوية الميتين وقصر الصياد وقرية الكاب وجميعها بالصعيد	٢٠٣	٣٧٠٣
٧	العائلة السابعة منفيسية أيضا	٧٠ يوما	
٨	العائلة الثامنة منفيسية أيضا	١٤٢	٣٥٠٠
٩	العائلة التاسعة اهناسية	١٠٩	٣٣٥٨
١٠	العائلة العاشرة اهناسية أيضا .... لا يعلم لهؤلاء العائلات الاربع شئ قط من التاريخ حتى ظن بعضهم أن مصر كانت محكومة فى هذه المدة بدولة أجنبية	١٨٥	٣٢٤٩
١١	العائلة الحادية عشرة ينسب لها مقابر ذراع أبى النجا التى بقرية القرنة ولا يعلم من أخبارها الا القليل		
١٢	العائلة الثانية عشرة طيبية ينسب اليها مقابر بنى حسن اللطيفة ومسلة فرعون الموجودة الآن بالمطرية ومسلة أخرى بالفيوم ولها بعض تماثيل بالكرنك وهى التى أسست مدينة طيبة ووضعت	٢١٣	٣٠٦٤

(تابع العائلات)

	(أسماء العائلات)	مدة الحكم	قبل الميلاد
		سنة	من سنة
	مقياس النيل بوادى حلفة ويرى اسم بعض ملوكها على أحجار بجهة الشلال الثانى وهذه العائلة والتى قبلها ليس لهما فاصل يعين مدة حكم كل واحدة منهما على حدتها		
١٣	العائلة الثالثة عشرة طيبية أيضا ولا يعلم لها شئ من الآثار	٤٥٣	٢٨٥١
١٤	العائلة الرابعة عشرة طيبية أيضا وتاريخها مجهول مثل التى قبلها .	١٨٤	٢٣٩٨
١٥	العائلة الخامسة عشرة طيبية أيضا وفيها أغارت العمالقة على مصر ومكثوا مدة العائلة السادسة عشرة والسابعة عشرة وكان تختهم مدينة تنيس وتعرف باسم صان بمديرية الشرقية وفى ذلك الوقت انقسم ملك مصر الى قسمين أحدهما بيد الوطنيين والثانى بيد العمالقة وكانت مدة هذا الاشتراك نحو خمسمائة واحدى عشرة سنة	٥١١	٢٢١٤
١٦	العائلة السادسة عشرة طيبية وتنيسية معا		
١٧	العائلة السابعة عشرة شرح ماقبله		
١٨	العائلة الثامنة عشرة طيبية فقط وهى التى أخرجت العمالقة أو أمة الهكسوس من الديار المصرية ثم ظهرت باعظم مظهر ونبغ منها كبار الملوك الفاتحين ولها اليد الطولى فى بناء الآثار العديدة منها تحسين مدينة طيبة وبناء أو ترميم جملة معابد بها ومما ينسب اليها عمل مقابر العصاصيف وبناء مدينة (أبو) والدير البحرى وصنمى ممنون المعروفين باسم شامة وطامه وكانا أعجوبتين فى تلك الاعصار القديمة	٢٤١	١٧٠٣

(تابع العائلات)

	(أسماء العائلات)	مدة الحكم سنة	قبل الميلاد من سنة
١٩	العائلة التاسعة عشرة طيبية أيضا ولها ما للثالثة من الفخار وشدة البأس كما اشتهرت بالعمارات والمبانى حتى لايكاد يرى بمصر مكان أثرى الاولها به عمل منها معبد الاقصر ومعبد الكرنك والقرنة والعرابة المدفونة والسودان وآسيا الغربية وبلاد الشام والحجاز وغير ذلك مما لايحصى ولايحصر وفى أيامها خرج بنو اسرائيل من مصر على أشهر الاقوال	١٧٤	١٤٦٢
٢٠	العائلة المتممة للعشرين طيبية أيضا ولها بعض مآثر حسناء منها ماهو بمدينة طيبه وماهو بمدينة أبو وغير ذلك وفى مدتها دخل الفنيقيون أو الكنعانيون أرض مصر وفيها ابتدأ اضمحلال دولة الفراعنة ونازعت الكهنة الملوك فى تاج الملك	١٧٨	١٢٨٨
٢١	العائلة الحادية والعشرون طيبية وتنيسية معا لان الملك كان منقسما الى قسمين أحدهما بيد الكهنة بالصعيد والآخر بالبحيرة وقد عاشت وماتت هذه الدولة ولم تفعل شيأ مما يدل على فخر أيامها لانها كانت مختلفة الكلمة ولها نسب بناء معبد تنيس	١٣٠	١١١٠
٢٢	العائلة الثانية والعشرون بوبسطيه (نسبة الى تل بسطه بجوار الزقازيق باقليم الشرقية) وكانت أيامها فتنا ومحنا ولها مآثر قليلة وفى مدتها سار فرعون شيشاق الى بيت المقدس وغلب رحبعام ابن سيدنا سليمان عليه السلام واستولى على القدس الشريف وأخذ منه الدروع السليمانية والاوانى المقدسة وكراجعا	١٧٠	٩٨٠

(تابع العائلات)

	(أسماء العائلات)	مدة الحكم سنة	قبل الميلاد من سنة
٢٣	العائلة الثالثة والعشرون تنيسية وكانت أيامها زمن مشاغبات داخلية ومزقت الديار المصرية كل ممزق لتعدد أرباب الحل والعقد فكان يحكمها عشرة من ملوك الطوائف وأغلبهم من المشواشيين الذين اغتصبوا الملك بطريق التعدى أمام طبقات مصر ومضافاتها فجميعها رفعت لواء العصيان	٨٩	٨١٠
٢٤	العائلة الرابعة والعشرون صاوية (نسبة الى مدينة صا الحجر) ولايعلم لها أمر ولانهى لانها عبارة عن ملك واحد فقط	٦	٧٢١
٢٥	العائلة الخامسة والعشرون اتيوبيه ولها مبان قليلة منها حائط بالكرنك ومعبد صغير به	٥٠	٧١٥
٢٦	العائلة السادسة والعشرون صاوية وفى أيامها اهتمت بتحسين الوجه البحرى وتوحدت الكلمة وانتظم حال الحكومة ودخل اليونان حتى كانت عساكر مصر مركبة من يونانيين ووطنيين وفى مبدأ حكمها رحل كثير من عساكرها الى بلاد السودان وقطنوا بها لما رأوا مزاحمة اليونان لهم فى المراتب	١٣٨	٦٦٥
٢٧	العائلة السابعة والعشرون فارسية ولها بعض نقوشات بوادى الحمامات بقرب قنا وعلى أسوار مدينة أبو بالصعيد غير أنها دمرت كثيرا من آثار مصر وفتحت قبور الموتى ونبشت الاموات	١٢١	٥٢٧
٢٨	العائلة الثامنة والعشرون صاوية وكانت فى اضطراب من تهديد الاعجام لها وهى عبارة عن ملك واحد فقط	٧	٤٠٦

(تابـــع العــــــائلات)

	(أسماء العـــــائلات)	مدة الحكم سنة	قبل الميلاد من سنة
٢٩	العائلة التاسعة والعشرون اشمونية ويقال لها منديسية وقضت زمانها فى التجهيزات الحربية لمصادمة الاعجام الذين كانوا يرعبونها بارسال الجنود الكثيرة	٢١	٣٩٩
٣٠	العائلة المتممة للثلاثين سمنودية وهى آخر دولة الفراعنة لان من بعد فرار آخر ملوكها الى بلاد النوبة لم يعد لمصر تختها الاهلى الى الآن وكانت جميع مدة هذه العائلة كالتى قبلها	٣٨	٣٧٨
٣١	العائلة الحادية والثلاثون فارسية ولم تفعل شيأ سوى الدمار وباستيلائها انتهت الدولة الفرعونية كما أسلفنا	٨	٣٤٠
٣٢	العائلة الثانية والثلاثون مقدونية (نسبة الى مدينة مقدونية) وفى أيامها بنيت مدينة الاسكندرية وصارت تختا لمصر ولهذه الدولة بعض عمارات بجزيرة الفنتينة (جزيرة البربه أو جزيرة اسوان)	٢٧	٣٣٢
٣٣	العائلة الثالثة والثلاثون يونانية وتعرف بدولة البطالسة وتختها الاسكندرية أيضا ولها أعمال كثيرة بارض مصر منها ما هو بجزيرة البربه وما هو بمدينة طيبة ودير المدينة ومدينة (أبو) وادفو وكوم امبو والكاب وبندره وغير ذلك	٢٧٥	٣٠٥
			بعد الميلاد من سنة
٣٤	العائلة الرابعة والثلاثون رومانية وقاعدة مصر الاسكندرية أيضا ولها بعض تحسينات بالمعابد والعمارات المصرية القديمة وكثير من النقوش والنصوص البربائية منها ما هو بجزيرة اسوان واسنا وكوم امبو ومنها ما هو بمعبد بندره الصغير وكان القيصر دسيوس الرومانى هو آخر من أجرى تحسينات بالمبانى المصرية وذلك سنة ٢٤٩ بعد المسيح وبقيت مصر تحت أيدى قياصرة رومه الى أن استولى	٤١١	٣٠ لغاية ٣٨١

(تابـــع العــــــائلات)

	(أسماء العـــــائلات)	مدة الحكم سنة	بعد الميلاد من سنة
	القيصر تيودوز أو تيودوسيس الاكبر على مملكة رومة الشرقية وتختها مدينة القسطنطينية وذلك سنة ٣٧٩ بعد المسيح وفى سنة ٣٨١ صدرت أوامره بالتصريح على الديانة الوثنية حتى قيل انهم كسروا فى يوم واحد بمصر أكثر من أربعين ألف صنم وهذا هو آخر زمن الجاهلية		
٣٥	الدولة العيسوية وتخت مصر الاسكندرية وأولها صدور أوامر هذا القيصر وآخرها الفتح الاسلامى سنة ١٨ بعد الهجرة أو سنة ٦٣٨ بعد المسيح وفى أيامها افترقت النصارى الى جملة مذاهب وقد تقدم ذكر ذلك	٢٥٧	٣٨١
٣٦	دولة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وفى مدتهم بنيت مدينة الفسطاط (مصر القديمة) وصارت تختا لمصر وحفر خليج من النيل الى البحر الاحمر أو بحر القلزم لسهولة المواصلة وجلب الميرة من والى بلاد العرب وانسحبت عساكر هرقل قيصر رومة الشرقية وخرجوا من مدينة الاسكندرية وكان خروج بلا رجعة	٢٣	٦٣٨
٣٧	الدولة الاموية وتخت مصر الفسطاط وفى أيامها وضع عبد العزيز ابن مروان مقياسا للنيل بحلوان وكان صغيرا ووضع اسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وكان كبيرا وفيها هدم الجزء الاعلى من منارة الاسكندرية بناء على مكيدة فعلها ملك الروم للوليد بن عبد الملك بن مروان وفيها أيضا كان ابتداء ضرب النقود الاسلامية	٨٩	٦٦١

(تابـــع العــــــائلات)

	(أسماء العـــــــائلات)	مدة الحكم سنة	بعد الميلاد من سنة
٣٨	الدولة العباسية الاولى وتخت مصر الفسطاط أيضا وفى أيامها بنيت العسكر (ومكانها الآن الكيمان التى خلف جامع احمد بن طولون) فصارت مدينة عظيمة وفتح الهرم الكبير الذى بالجيزة على يد المأمون ابن هرون الرشيد بعدما صرف عليه مبالغ جسيمة واتسع نطاق المعارف وظهرت الدولة الطولونية	١١٨	٧٥٠
٣٩	الدولة الطولونية وتخت مصر القطائع التى بناها ابن طولون وكانت تمتد من المقام الزينبى الى مقام زين العابدين الى الجامع الطولونى الى المنشية الى أسفل القلعة وبانقضاء هذه الدولة ابتدأ خرابها	٣٧	٨٦٨
٤٠	الدولة العباسية الثانية وتخت مصر الفسطاط وكانت جميع أيامها زمن فتن ومحن ولم يعد على مصر منها أدنى فائدة	٢٨	٩٠٥
٤١	الدولة الاخشيدية وتخت مصر الفسطاط ولم تفعل شيأ يستحق الذكر	٣٤	٩٣٣
٤٢	الدولة الفاطمية وتخت مصر القاهرة وفى أيامها بنيت القاهرة والجامع الازهر والجامع الحاكى وفيها خربت الفسطاط الخراب الاول فى زمن المحنة أيام المستنصر بالله حتى أكل الناس بعضهم وفيها أيضا كان ابتداء قيام الحروب الصليبية لاخذ بيت المقدس الشريف وفى آخرها أحرقت الفسطاط وتم خرابها	٢٠٥	٩٦٧
٤٣	الدولة الايوبية الكردية وتخت مصر القاهرة أيضا وفيها بنيت قلعة الجبل وسور القاهرة الباقية آثاره الى الآن وحفر بئر الحلزون وهدمت جملة اهرام كانت بالجيزة على يد بهاء الدين قراقوش وبنيت مدينة المنصورة وفيها أيضا وقع بمصر القحط الذى لم يعهد مثله حتى أكل الناس أولادهم ونبشوا المقابر وأكلوا رمم الموتى وفيها أخذ	٧٨	١١٧٢

(تابـــع العـــــائلات)

	(أسماء العـــــائلات)	مدة الحكم سنة	بعد الميلاد من سنة
	الافرنج مدينة دمياط وأسر ملك الفرنسيس وعقل بدار ابن لقمان ولها جملة مآثر حسناء		
٤٤	دولة المماليك وتخت مصر القاهرة وهى تنقسم الى مماليك تركمانية والى مماليك شراكسة وفيها بنيت أغلب مساجد القاهرة وقد اشتهر بعض ملوكها بالظلم وأخذ أموال الناس بالباطل وانتهت بقتل الغورى وتغلب السلطان سليم على مصر راجع الخطط التوفيقية جزء سابع صحيفة ١٥ ومابعدها	٢٦٧	١٢٥٠
٤٥	الدولة العلية وهى الحاكمة الآن وتخت مصر القاهرة وفيها دخلت الفرنسيس واستولت عليها نحو الثلاثة أعوام ثم صارت مصر ولاية ممتازة وراثية للعائلة المحمدية العلوية وفى أيامها دخلت الانكليز بمساعدة أو باغراء الالفى واستولوا على ثغر رشيد وطردوا منه ثم كانت الفتنة العرابية ودخول الانكليز المرة الثانية والله الموفق للصواب	٣٧٦	١٥١٧

(٥)

الدرس الخامس

(فى أهم آثار مصر الوسطى والصعيد)

ينحصر أهم آثار مصر الوسطى فى أربع مواضع وهى مدينتان ومقبرتان أما المدينتان فهما عين شمس بقرب المطرية ومنفيس أو ميت رهينه والمقبرتان هما اهرام الجيزة ومقابر سقاره

أما عين شمس واسمها القديم (أن) فكانت مدينة قديمة جدا مقدسة عندهم لانها كانت مرصدة على معبودهم (رع) أى الشمس وكان بها مدرسة كلية جامعة ولشهرتها سعى اليها كل من سولون مشرع اليونان وأفلاطون الحكيم وفيثاغورس لتلقى العلوم بها وفى مدة رمسيس الثالث (أحد ملوك العائلة العشرين) بلغ عدد طلبة العلم بأحدها كلها اثنى عشر ألف طالب ويرى بها الآن مايعرف باسم مسلة فرعون وهى أقدم المسلات المصرية لانها من عمل أوزرتسن (من العائلة الثانية عشرة) وعليها اسمه وطولها ٢٠ مترا و ٢٧ سنتيا وقد رأى عبد اللطيف البغدادى فى سياحته بمصر سنة ١١٩٠ ميلاديه جملة آثار بالمطريه منها مسلتان متوجتان بتاجين من نحاس كالقمع ترشحا وسالا على بسيطهما وقال محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه (وفى رابع شهر رمضان سنة ٦٥٦ هجريه وقعت احدى مسلتى فرعون التى بارض المطرية فوجدوا داخلها مائتى قنطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار)(1) وفى سنة ١٨٥٨ مسيحيه ظهر بها أحجار كان أعدها طوطوميس الثالث (أحد ملوك العائلة الثامنة عشرة) لتوسيع أحدهيا كلها وقال استرابون الجغرافى ان ابتداء خراب هذه المدينة كان على يد قمبيز ملك العجم أما الآن فلم ير بها غير سور المعبد والمسلة السالفة الذكر وسبب خرابها بهذه الحالة هو عين سبب خراب مدينة (أبو) ومدينة (دندره) (والعرابه المدفونه) وغيرها وهو دخول الديانة المسيحية التى هدمت الآثار الجليلة أو جعلتها مساكن أما الاطلال التى حول المسلة فهى آثار المدينة القبطية لا آثار عين شمس الحقيقية وقال المقريزى قال جامع السيرة الطولونية كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كذان أبيض محكم الصنعة

(1) هذه عبارة فيها نظر لان معاملتهم كانت بالعروض وقلدات الذهب لا بالعملة المضروبة

يتخيل من استعرضه أنه ناطق فوصف لاحمد بن طولون فاشتاق الى تأمله فنهاه ندوسة عنه وقال مارآه وال قط الاعزل فركب اليه وكان هذا فى سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطاعين وأمرهم باجتثاثه من الارض ولم يترك منه شيأ ثم قال لندوسة تارته بالندوسة من صرف منا صاحبه فقال أنت أيها الامير اه

أما مدينة منفيس المعروفة الآن باسم ميت رهينة فهى أكبر المدن القديمة وربما وجد بها بقايا من بناء العائلة الاولى والثانية والثالثة لانها أقدم العواصم المصرية ومن انشاء الملك (منا) أول فراعنة مصر وذكر استرابون أن مدينة منفيس تمتد الى سهول جبال ليبيا وذكر عبد اللطيف البغدادى أن طولها نصف يوم وعرضها كذلك غير أن عمليات الحفر التى أجرتها الحكومة المصرية فى تلك الجهة لم تحقق جميع هذه الاقوال والظاهر أنها كانت مستطيلة جدا بحيث تصل الى مدينة الجيزة شمالا وقرية الشمباب جنوبا والدليل على ذلك أنه يوجد الآن بارض المزارع أحجار قديمة وجدر مدفونه تحت أرض المزارع وأغلبها بقرية ميت رهينه التى كان بها معبد فتاح المعروف عند اليونان باسم فلكان أو إله النار وينسب الى هذه المدينة كثير من الاهرام كهرم أبى صير واهرام سقاره ودهشور وفى مدة العائلة الرابعة والخامسة والسادسة اتسع نطاق عمارتها ثم أهمل شأنها بالكلية مدة العائلة الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ثم استولى عليها العمالقة فوقعت فى الاضمحلال الى أن تمكن ملوك العائلة الثامنة عشرة من طردهم فعاد اليها مجدها الاول ثم دارت عليها الدوائر ثانيا بتغلب الاشوريين والزنوج والعجم عليها وكان بها بعض محاسن من رونقها القديم مدة حكم اليونان وأخبر استرابون الجغرافى أنه لما زارها وجدها عبارة عن أنقاض مكومة وأطلال متهدمة

واليك طرفا مما رواه عبد اللطيف البغدادى فى كتاب الافادة والاعتبار صحيفة ٢٩ ومن ذلك الآثار التى بمصر القديمة وهى منف التى كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر ملوكها فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وافساد أبنيتها وتشويه صورها مضافا ذلك الى مافعلته فيها مدة أربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها من العجائب مايفوت فهم المتأمل ويحصر دونه البليغ اللسن وكلما زدته تأملا زادك عجبا وكلما زدته نظرا زادك طربا ومهما استنبطت

منه معنى أنبأك بما هو أغرب ومهما استأثرت منه علما دلك على أن وراءه ما هو أعظم فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسعة أذرع ارتفاعا فى ثمانية طولا فى سبعة عرضا الى أن قال وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلى مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوانات على اختلاف من النصبات والهيآت فمن بين قائم وماشى وماد رجليه وصافهما ومشمر للخدمة وحامل آلات ينبى ظاهر الامر أنه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة وأعمال شريفة وهيآت فاضلة واشارات الى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثا ولم يستفرغ فى صنعتها الوسع لمجرد الزينة وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمق طمعا فى المطالب فتغير وضعه واختلف مركز ثقله وثقل بعضه على بعض فتصدع صدوعا لطيفة الى أن قال وحجارة الهدم متواصلة فى جميع أقطار هذا الخراب وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر فى ارتفاع أصبعين وفيه صدء النحاس وزنجرته فعلمت أن ذلك قيود الحجارة ورباطات بينها ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الاندال المحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا كثيرا من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد فى استخلاصها وأبانوا عن تمكن فى اللؤم وتوغل فى الخساسة الى أن قال واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر القوم فى اعتقادهم فى الاوائل بان أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أو انه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم الى أن قال وأما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فأمر يفوق الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها واحكام هيآتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب فى الحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيفا وثلاثين ذراعا وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليه من الدهان الاحمر ما لم يزده تقادم الايام الا جدة وقال ولقد شاهدت كبيرا منها وقد نحت من ضلعه رحى قطرها ذراعان ولم يظهر فى صورته كبير تشويه ولا تغير بين اهـ

أما الآن فليس بها غير نخيل مغروس فى تلال تلك الاطلال وبعض جدر بقيت من تلك المبانى الفخيمة وعمد مكسورة وتماثيل مهشومة منها ما هو مركوز فى التراب ومنها ما هو ملقى فى الطين والوحل شذر مذر وآل أمر هذه العاصمة الى ما ترى بعد ما لعبت دور اهمها فى تاريخ العالم القديم

أما الاهرام فسوف يأتى ذكرها فى الدرس الآتى وأما مقابر سقارة فهى أعم وأكبر مقابر الدولة المنفيسية لانها تمتد فى سهول الرمال الغربية نحو سبعة كيلومترات طولا ويختلف عرضها ما بين ٥٠٠ متر و ١٥٠٠ متر ومن المحقق أنه لا يوجد فيها بقعة الا وقلبتها أيدى الناس جملة مرار قديما وحديثا حتى صار منظرها الآن عبارة عن أنقاض ورمال مكومة فوق بعضها ومهما سار الانسان فيها لا يطأ غير آثار مهدومة ومطمورة بسافى التراب وأسوار من الآجر واللبن أخنت عليها الايام وكثبان ومدر وأحجار تعيق سيره ولا يقع نظره الا على عظام نخرة وأكفان بالية تخبره أنه فى مملكة الاموات وكفات الرفات

وفى الجهة الغربية يرى الانسان مكانا يعرف باسم سرابيوم وقد تكلم عليه استرابون وذكره سياح اليونان فى رسائلهم غير مرة وقد استكشفه حديثا ماريت باشا سنة ١٨٥٠ مسيحية وهو مدفن العجل أبيس معبودهم وكان من عادتهم أنه متى نفق بالموت حنطوه وواروه فى هذا المدفن وهو عمارة جسيمة لم تبق منها الايام غير المقابر المخروقة تحت الارض وجميع هذا المدفن ينقسم الى ثلاثة أقسام أحدها وهو أقدمها ينسب الى العائلة الثامنة عشرة ومقابره منفصلة عن بعضها ومستورة الآن بالرمال ثانيها ينسب الى الملك شيشاق أحد فراعنة العائلة الثانية والعشرين والى طهرقة أحد ملوك العائلة الخامسة والعشرين السودانية وهذا القسم عبارة عن سرداب تحت الارض به جملة قاعات كل واحدة منها مدفن لعجل على حدته بيد أنه لا يتيسر رؤيته لسقوط سقف بعض جهاته وتصدع باقيه أما القسم الثالث فينسب الى أيام الملك أبساميطيق الاول رأس العائلة السادسة والعشرين والى آخر ملوك البطالسة وهذا القسم يشابه ما قبله بل أكبر وأعظم منه ومحيطه ٣٥٠ متر وطول أكبر أضلاعه ١٩٥ متر وبه أربعة وعشرون ناووسا من الجرانيت يزن كل واحد منها ٦٥,٠٠٠ كيلوجرام وكان من عادة أهل منفيس أن تأتى فى أعيادهم لزيارة موتى هؤلاء العجول ويضعون حجرا مكتوبا عليه تاريخ اليوم والشهر والسنة من حكم ملك عصرهم ووجدت هؤلاء الحجارة الآن

وعلى نحو ربع ساعة من الشمال يرى الانسان أربع مقابر أحدها لمن يدعى (تى) وثانيها لمن يدعى (فتاح حوتب) وثالثها الى (ميرا) ورابعها الى (قابين)

وفى الجنوب الشرقى من الهرم الاكبر يرى الانسان ما يسميه العوام باسم أبى الهول وهو عبارة عن صخرة هائلة نحتت على شكل حيوان برأس آدمى وجثة سبع وكانت رأسه مكتوبة ومحيت بتقادم الاعصار ويبلغ طول هذا التمثال نحو ١٩٫٨٠ متر وطول الاذن ١٫٩٧ متر وطول الانف ١٫٧٩ متر واتساع الفم ٢٫٣٢ متر وعرض الوجه من نتو الخد الى مثله ٤٫١٥ متر ولم يزل تاريخ هذا التمثال مجهولا الى الآن رغما عن شدة البحث والتنقيب فهجس بخاطر المؤرخين أولا أنه من عمل طوطميس الرابع أحد فراعنة العائلة الثامنة عشرة ثم علم بعد ذلك من حجر موجود الآن بالمتحف المصرى أن هذا التمثال العظيم كان موجودا حينما صدرت أوامر الملك (خفو) أحد فراعنة العائلة الرابعة بتجديد ما يلزم من المبانى وعلى ذلك فهو من أقدم المعبودات المصرية ويسمى عندهم (أرماخيس) وتسميه الافرنك الآن (اسفنكس) وكان هذا الاسم علما فى بلاد اليونان على حيوان خرافى

وبجوار أبى الهول بناء أغرب منه كأنه لغز يراد فكّ معماه من علماء الآثار وقد عجزوا عنه ولا شك أنه من عهد بناء الاهرام لانه لا يعلم الغرض منه ان كان معبدا أو قبرا أو هرما مهدوما فان قلنا انه معبد رأينا به ستة مخادع تعلو بعضها بعضا كالموجودة بداخل الهرم الاصغر فاذا قطعنا النظر عنها وجزمنا بهذا القول متعللين بدعوى أن القدماء لما اتخذوا أبا الهول معبودا لهم اضطروا أن يجعلوا له معبدا بجانبه قالوا لنا هذه دعوة من غير دليل لانه لم يوجد الى الآن معبد باق من تلك الايام حتى يمكن المقارنة بينهما واذا سلمنا هذا القول لكم جدلا هل أرصدوه على أبى الهول أم أرصدوا أبا الهول عليه ولماذا جعلوا فيه هذه المخادع على هذا النمط اذ لا فائدة فيها كما أن شكله مخالف لجميع المعابد المعهودة الآن

وان قلنا انه مصطبة أعدّوها لدفن موتاهم بجوار معبودهم تبركا به كباقى المساطب التى حوله قالوا لنا وأين بئرها التى لا بد منها لكل مصطبة

وان قلنا انه كان هرما هدمته الايام كباقى الاهرام التى كانت هناك ووجود مخادعه أعظم شاهد عدل لذلك قالوا لنا لو صح ذلك لترتب عليه أن يكون أكبر جميع الاهرام لاتساعه حتى يدخل أبو الهول ضمن جداره ويصير بوسط سمك الحائط محجوبا عن النظر والزيارة والعبادة وهو محال وعلى كل فهذا البناء عقدة لم تسمح لنا الايام بحلها الى الآن

أما أهم آثار الصعيد فكثيرة جدا ومنتشرة على شاطئ النيل وفى الجبال والمدن والقرى كالهياكل أو المعابد والمقابر القديمة ومقاطع الاحجار والصخور الاثرية وغير ذلك

أما المعابد فأعظمها معبد دندرة وهو باق بحالة جيدة الى الآن وسيأتى بيان ما اشتمل عليه ثم معبد العرابة المدفونة بمديرية جرجا ومعبد الاقصر ومعبد الكرنك ودير المدينة والدير البحرى ومعبد رمسيس ومعابد مدينة (أبو) وكلها بمدينة طيبة القديمة بمديرية قنا ومعبد اسنا وادفو ومعبد كوم امبو ومعبد جزيرة (فليا) المعروفة بجزيرة أنس الوجود وكلها بمحافظة الحدود

أما المقابر القديمة فمنها مقابر بنى حسن الجليلة بمديرية المنيا ومقابر (خون أتن) بجهة الحاج قنديل وتعرف بمقابر تل العمارنه ثم مقابر أسيوط واسطبل عنتر المحفورة فى الحجر ومقابر وادى سرجه والغنائم ومقابر قاو والنواميس والبدارى والمعابدة وكلها بمديرية أسيوط ومقابر العصاصيف وذراع أبى النجا وقرنة مرعى والشيخ عبد القرنه ومقابر بيبان الملوك وهى أجل الجميع لانها كانت مقابر الملوك وكلها بجوار القرنة ثم مقابر اسوان العجيبة الوضع

أما المغارات والكهوف ومقاطع الاحجار فشئ يخرج عن حد الحصر أعظمها مغارة الشيخ عباده ولا يتيسر للانسان أن يأتى على آخرها لتشعب دروبها وشدة ظلامها ثم مغارة دير أبى حنس ومغار دير ريفه وكلها بمديرية أسيوط ثم مغار جبل السلسلة وغير ذلك مما يطول شرحه ويمل القارئ من ذكره

أما التماثيل والاصنام فكثيرة جدا وأعظمها بالاقصر وأجلها صنما ممنون بالقرب من مدينة (أبو)

أما الصخور الاثرية والنقوش التى على الجبال وفوق سطحها فشئ يكل عنه الوصف ويقف القلم حائرا عند بيانه واذا أردنا استيفاء الكلام على وصف كل واحدة مما ذكرناه لاحتجنا الى كتابة كراسة بل كراريس وليس الخبر كالعيان وجميع ما قلناه يسير بالنسبة لما لم نذكره وهو قليل بالنسبة لما هو موجود ولم نعلم مكانه وأين هذا مما هو مردوم تحت التراب ولم نهتد لمكانه وكله شئ قليل بالنسبة لما أتلفته الايام وهو شئ يسير فى جانب ما دمرته الاجانب

وهو لاشئ بالنسبة لملادمرته الديانة المسيحية وهو شئ لايذكر بالنسبة لجميع ماصنعته يد القدماء ولله در القائل

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا فني من مضى معتبر
وكان لهم أثر صالح * فاين هم ثم أين الاثر

الدرس السادس

(فى الغرض من بناء الاهرام واختلاف وضع المقابر القديمة)

قال المرحوم على باشا مبارك طاب ثراه الاهرام بفتح الهمزة جمع هرم مثل سبب وأسباب وأصل الهرم أقصى الكبر كما فى القاموس ومنه اشتق الهرم الذى هو الطاعن فى السن الى آخر ما قال راجع الخطط الجديدة واذا اطلق لفظ الاهرام فلا ينصرف الا الاهرام الجيزة الثلاثة لانها مطمح نظر المتفرجين والسياحين والناثرين والناظمين وقد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها فى غيرها مثال وقد سلك القدماء فى بنائها طريقا غريبا من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الزمان بل على ممرها صبر الزمان وقال ديودور الصقلى اتفقت الناس على أن هذه المبانى من أعجب ما يرى بمصر وليس ذلك من حيث عظم أجسامها وكثرة مصرفها فقط بل أيضا من حيث اتقان الصنعة وبديع الاحكام حتى ان العملة والمهندسين الذين بنوها أحق بالثناء عليهم من الملوك الذين صرفوا عليها الاموال وجلبوا اليها الشغالة لان العملة والمباشرين أبقوا لنا علومهم ومهارتهم فى صنعتهم تحدثنا عن فضائلهم وتنبؤنا باقتدارهم بخلاف الملوك فانهم اما جلبوا الاهالى بالقهر والظلم واما بالاجرة من أموال ورثوها أو سلبوها من الناس

وقال ماريت باشا فى كتابه مرشد السياح أما الاهرام فتبعد عن النيل بقدر ثمانية كيلومترات وثلثمائة متر وبناؤها من أغرب الاشياء حتى ان قدماء اليونان وغيرهم جعلوها أول العجائب السبعة[1] المشهورة قديما واختلف المؤرخون فى عمرها فذهب فريق منهم الى أنه يبلغ سبعة آلاف سنة وقال فريق آخر انه يبلغ أقل من ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وارتفاع الهرم الاكبر ١٤٦ مترا وبه ٢٥٦٢٥٧٦ مترا مكعبا من الحجارة بعد طرح فارغه وقال المرحوم على باشا مبارك ومساحة قاعدة الهرم الاكبر فوق الجلسة ٥٣٣١٤ مترا مربعا يعنى سبعة عشر فدانا مصريا من أفدنة هذا الوقت فلو فرضنا أن هذا الهرم موضوع فى وسط جنينة الازبكية لشغل ثلثيها بالتمام وان ما به من الاحجار

(١) عجائب الدنيا التى كان الناس يتعجب منها فى قديم الزمان حصروها فى سبعة أشياء وهى اهرام مصر وصنم رودس ومنارة الاسكندرية والتيه أو البربة بفيوم مصر وجنائن بابل المعلقة وسور بابل وهيكل بابل المعروف ببرج النمرود

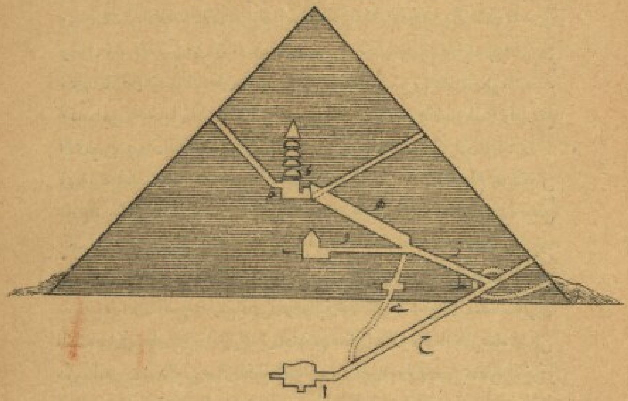
كاف لبنا سور يحيط بارض مصر ارتفاعه ثمانية أمتار وعرضه متران ويبتدئ من قبلى باب العرب بالاسكندرية الى اسوان الى البحر الاحمر ومن السويس الى قرية العريش وقال مارييت باشا ان جميع الاهرام التى بمصر صارت الآن كنواة جردت من فا كهتها لانه كان عليها طبقة من الحجر الاملس وزالت بالكلية والدليل على ذلك أن المأمون لما أراد أن يفتح الهرم الاكبر ما وجد له حيلة الا نقبه من جهة الشمال فوق خط تقاطع مستوى المركز مع أسطحة الهرم بشئ قليل فعثر صدفة بالسرداب وكانت كسوة الهرم الملساء باقية ولولا وجودها لكان ظهر له بابه وان جميع الاهرام مهما كان نوع بنائها ليست الا مقابر ملوكية عظيمة الحجم مغلقة من كل جوانبها حتى دهليزها ليس لها طاقة ولا باب ولا قصة وقد آثر أصحابها أن يتميزوا بها بعد موتهم عن سائر الناس كما تميزوا عنهم مدة حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور

وذكر هيرودوت وعبد اللطيف البغدادى أنهما رأيا الاهرام مكتوبة جميعها من الخارج وعدم وجود الكتابة الآن مما يثبت أنها جردت من جميع كسوتها وقد أجمع مؤرخو هذا العصر على أن الهرم الاكبر قبر للملك (خفو) والثانى للملك (خفرع) والثالث للملك (منقرع) وجميعهم من العائلة الرابعة المنفيسية

وذكر المقريزى نقلا عن أبى الحسن المسعودى أن المأمون لما قدم مصر وأتى على الاهرام أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شئ منها ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى أنفق عليها أموالا عظيمة فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم فى كتابه تحفة الالباب فتح المأمون الهرم الكبير الذى تجاه الفسطاط وقد دخلت فى داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة فى وسطها بئر وهى مربعة ينزل الانسان فيها فيجد فى كل وجه من تربيع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم أكفان كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بليت لطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعرهم شئ وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض وأجسامهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم ألبتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثاء لطول الزمان اه وقال غيره لما فتح

المأمون الهرم الكبير بعد جهد شديد وعناء طويل وجدوا فى داخله مهاوى ومراقى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا فى أعلاها بيتا مكعبا وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشفوا غطاءه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فعند ذلك كف المأمون عن نقب ما سواه فيؤخذ من جميع ما ذكر أن الاهرام كانت مقابر لبعض ملوك مصر ولا عبرة بقول من زعم أنها معابد جعلت للمعبود (أوزيريس) أو مراصد للكواكب أو مدرسة للمعارف الكهنوتية أو غير ذلك لان الانسان اذا دخل فيه يجد به جملة دهاليز وأروقة كما تراها فى شكله مبينا وهى

صورة الهـــرم الاكبر الذى بالجـيزه



أولها نقطة (ا) التى هى رواق تحت الارض لا يمكن الوصول اليه لان طريقه الآن مسدود ثانيها نقطة (ب) وهى الرواق المعروف الآن باسم رواق الملكة وهذه التسمية فى غير محلها لعدم قيام دليل على صحتها ثالثها نقطة (ح) وتعرف باسم رواق الملك

رابعها نقطة (د) وهى بسطة يخرج منها مجريان للهواء ازلق منهما حجران كبيران فاغلقا منفذى رواق الملك غلقا محكما بعد وضع جثته فيه داخل تابوته خامسها نقطة كل من (هـ و ن ح) وهى سراديب أو مجازات معدة لتوصيل الاماكن لبعضها سادسها نقطة (ط) وهى بسطة يخرج منها السرداب الذى فتحه المأمون سابعها نقطة (ى) وهى البئر التى تحير فيها عقل أولى النهى كما تحير فى غرابة هؤلاء السراديب وهؤلاء الاروقة ومن تأمل فى هذا الوضع الغريب ظهر له بداهة أن القوم ما اقترحوا عمل هؤلاء الاماكن المتشابهة الاعلام الكثيرة الأنجاد والأغوار الالتمية المسالك وحيرة من قصد التعدى على فتح هذا القبر الملوكى واضلال كل من حاول خرق ناموس الاموات وهتك حرمة الملك بالدخول عليه فى مرقده

وبيان ذلك أننا اذا فرضنا أن الهرم لم يزل مغلوقا على حالته الاصلية وأتى اللص المتعدى وحاول فتحه فانه لا يهتدى أولا الى بابه لانه مستور تحت كسوة الهرم فاذا تيسر له فتحه بأى حيلة كانت واهتدى الى دهليزه الاصلى وهو المرموز له بحرف (ع) قابلته صعوبة شديدة لانه مطموز بالصخور الهائلة فاذا نجح وكسرها وأخرجها منه فانه يصل الى الرواق (أ) الذى ليس هو رواق الملك فيضطر للبحث والتفتيش فى جميع الدهليز المذكور على دهليز آخر يتوصل به الى المكان المطلوب وهو رواق الملك ومتى عثر على دهليز نقطة (ط) علل النفس ببلوغ الآمال وتيقن بنيل المرام لكنه لم تمض عليه برهة يسيرة الا ويعلم أنه وقع فى حيص بيص لما يراه مفعما بالصخور الصلبة وحجارة الجرانيت فاذا ساعدته المقادير وكسرها وجد نفسه فى الدهليز الصاعد الى أعلى وهو المرموز له بحرف (ن) فاذا انتهى الى غايته رأى بسطة (ك) ولها وضع خاص بها وهى وفوهة البئر محكمتا السد ومتى أزال هذه الصعوبة الثالثة صار فى دهليز (و) وانتهى الى الرواق (ب) فيظن أنه نال جميع ما كان يتمناه ولكن بمجرد ما يعلم أن هذا ليس هو الرواق المطلوب يحتار فى أمره ولم يجس بخاطره أن فوق رأسه دهليزا آخر فيضطر الى البحث والتنقيب ثانيا على باب مجاز آخر ومتى عثر عليه التزم بفتحه ولا يتم له ذلك الا بعد التساوالتى فيرى دهليزا بارزا صاعدا بجوار الحائط ويرقى تلك المراقى المهلكة المرموز لها بحرف (هـ) ويصل أخيرا الى الرواق المطلوب أما المجريان فيسهل فتحهما بقلب الصخرتين المعترضتين فيهما ومتى تم له ذلك رأى تابوت الملك

والظاهر أنهم فى مدة البناء وضعوا فى الدهليز البارز المشار اليه بحرف (هـ) صخورا من الجرانيت على قدر فراغ الدهليز (ذ) ولما تم العمل ووضعت جثة الملك فى رواقها تركوا الصخور تنزلق بواسطة ثقلها من دهليز (هـ) الى دهليز (ذ) وأغلقوا البسطة (ك) ونزل العمال فى البئر (ى) ووصلوا الى الدهليز (ع) وخرجوا منه ثم ملؤه بالصخور التى أتوا بها من الخارج وأغلقوا بعد ذلك باب الهرم وتركوه معضلة لمن أتى بعدهم ومن المستغرب أن الانسان اذا أطلق طبنجة أو نحوها وهو أمام رواق الملك سمع صدى الصوت يتكرر نحو العشر مرات حتى يتخيل أنه رعد قاصف يتردد فى جميع الاماكن ثم يأخذ فى الانخفاض شيأ فشيأ ويكل اللسان عن وصفه

وقد ظهر بالحساب أن ارتفاع هذا الهرم الناقص يبلغ ١٣٨,٣٠ متر فلو أضفنا اليه ٨,٢٠ أمتار التى هى عبارة عن قمته الناقصة لبلغ ١٤٦,٥٠ ولو زدنا عليه ٤٢ مترا وهى قيمة ما بين أرض المزارع وقاعدته لبلغ ١٨٨,٥٠ متر

أما طول ضلع الجلسة فيبلغ ٢٢٧,٥٠ متر ولو أضفنا اليه قيمة ضعف سمك الكسوة المهدومة وهى ١,٨٠ متر لبلغ ٢٣١,١٠ متر

أما زاوية الميل فى جميع الاهرام فواحدة وقدرها ٥١° ٤٥ َ واحد وخمسين درجة وخمسة وأربعين دقيقة ومن ذلك استنتج المرحوم محمود باشا الفلكى أن بناء الاهرام كان قبل الميلاد بنحو ٣٣٠٢ سنة معتمدا فى ذلك على أن القدماء لما بنوها جعلوا هذا الميل ثابتا فى جميعها حتى يكون متعامدا مع أشعة كوكب (سيتيس) المعروف باسم (الشعرى اليمانية أو كلب الجبار) الذى كانوا يعبدونه باسم (توت) بحيث ان أشعته النورانية كانت تقع عمودية عليه من جهة الجنوب ليتبرك بها الاموات من داخل الاهرام كما أننا نجعل رؤس أمواتنا متجهة دائما نحو القبلة تبركا بالكعبة المطهرة الى أن قال وقد علم من رصد هذا الكوكب أنه ينحرف فى كل سنة عن ميل وجه الاهرام بقدر ثانية واحدة وثلثاى (1) وكان قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة توازى فى سيره لمدار الشمس متى كانت فى نهاية منطقة البروج أو المنقلب الشتائى

(1) تنقسم الدائرة الى ٣٦٠ درجة وكل واحدة الى ٦٠ دقيقة وكل واحدة منها الى ٦٠ ثانية وكل واحدة منها الى ٦٠ ثالثة وكل واحدة الى ٦٠ رابعة

وقد وجد كثير من الاحجار المنحوتة على هيئة الاهرام والمسلات موضوعة فى المقابر بجوار الاموات أو أحجار مرسوم عليها صورة الاهرام وبازائها علامة الكوكب وجميعها للتبرك فعلم من ذلك أن الاهرام كانت عندهم رمزا على هذا المعبود الذى كانوا يصورونه فى معابدهم فى هيئة جسم انسان له رأس الطائر أيبس (أبوقردان وكانوا يعبدونه أيضا) أو رأس كلب وهذا الشكل يعرف فى لغة اليونان باسم (سينوسيفال)

وكان هذا الكوكب يظهر مدة الفيض ويختفى فى آخره وعلى ذلك جعلوا أول ظهوره مبدأ لسنتهم وسموا أول شهرها باسمه وقالوا شهر توت أى الشهر الذى يظهر فيه المعبود توت وهو عندهم خفير السماء وملك الكواكب ويقى الشمس من الوقوع فى الهاوية المهلكة وأنه موكل بكتابة أعمال الاموات يوم الحساب وبيده الميزان وكانوا يصورونه قابضا على رقعة يكتب فيها موازين الناس وانه كان حاكما فى الارض ووضع بها كثيرا من العلوم وكانوا يسمونه أيضا هرمس وهل هو هرمس الهرامسة أى هرمس المثلث أو أخنوخ المعروف عندنا باسم ادريس عليه السلام أم هرمس آخر غيره

وبالجملة قد نسبوا اليه جميع ما نسبه الى ادريس عليه السلام وذكر المقريزى نقلا عن مؤرخى العرب أن هرمس بنا الاهرام المصرية وأن الهرم يسمى أبو هرمس الى آخر ما قال

ويرى الآن كثير من الاهرام بأرض مصر الوسطى وقد أكثر الناس من وصفها ومساحتها وكلها فى بر الجيزة وتمتد فى نحو مسافة يومين أو أكثر وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس وذكر بروكش باشا أنه يوجد الآن منها نحو الاثنين وسبعين أولها بكفر أبى رواش وآخرها بالفيوم فتارة تكون مجتمعة مع بعضها وتارة متباعدة وارتفاع أصغرها نحو السبعة أمتار وارتفاع أكبرها نحو مائة وستة وأربعين مترا وهو غاية ما أمكن بناؤه الى الآن

أما كيفية بنائها فهو أن كل واحد من فراعنة العائلة الرابعة والخامسة استولى على أريكة الملك كان يشرع من ابتداء حكمه فى حفر الارض وتذهب كبراء دولته تبحث له فى جميع أرجاء المملكة على صخرة من المرمر أو الجرانيت الذى يصلح أن يكون تابوتا له وتشرع أهل البلاد والاقاليم فى قطع الاحجار من مقالعها بالجبال واحضارها الى المكان الذى يعينه الملك لهم ومتى فرغوا من ذلك أخذوا فى بناء الهرم حتى اذا تم شيدوا بجواره معبدا لتقدم الرعية

فيه قرابينهم بعد موته وتقدم فيه الكهنة عبادة خاصة له ثم يقوم من بعده ملك آخر فيستأنف العمل وهكذا ومن ذلك يعلم أن الرعية كانت فى غاية الظلم والجور من ملوكهم واستنتج بعض الافرنج أن للمصريين قدرة على مزاولة الاشغال الجسيمة وأنهم متى وجدوا من يرشدهم لما فيه الخير قاموا بذلك أحسن قيام

أما المقابر القديمة فكثيرة جدا بأرض مصر وأغلبها فى سفح الجبال وفوقها وفى الكهوف والمغارات والاودية وتحت الرمال والصخور وفى الآبار العميقة وهاك وصف أحسنها قال العلامة مسبرو فى تاريخه المسمى تاريخ قدماء الامم المشرقية ما ملخصه

تتركب المقابر الفرعونية التامة الصناعة من ثلاثة أقسام كلية وهى رواق وبئر ثم حجرة أو مغارة

أما الرواق فيكون مربع الاضلاع من رآه من بعد ظن أنه هرم ناقص وجدرانه المبنية من الحجر أو الطوب مائلة على بعضها وبابه المتجه عادة الى الشرق يعلوه اسطوانة أفقية تشتمل على أدعية وان شئت قلت أوامر أصدرتها الكهنة الى معبودهم لصالح الميت وتشتمل أيضا على بيان الصدقات التى شرط الميت قبل وفاته تقديمها ولم ير بالرواق الا قاعة صغيرة بها حجر مربع يعرف عندنا الآن باسم الشاهد يتضمن اسم الميت ولقبه وبجانبه مائدة من المرمر أو الحجر الجيرى أو الجرانيتى وأحيانا يرى مسلتان صغيرتان مجوفتان من أعلاهما وهما والمائدة يوضع عليها الخبز المقدس والمشروبات والمأكولات والصدقات المشترط أداؤها وتارة تكون جدر الرواق والقاعة مستورة بالنقوش والنصوص البربائية ومصور بها حالة الميت وهو فى الحياة الدنيا فترى فى احدى الجهات صورة حالته المنزلية وحوله طباخين يضرمون النار ويرقبون الطعام وربما لا مشمرين للخدمة ونساء راقصات يغنين على نغمة الرباب والمزمار والاوتار وترى فى الجهة الاخرى صورة صيد البر والبحر ومصارعة الوحوش ومقارعة الابطال أو بساتين ومروج خضرة نضرة تسرح بها السوائم من كل نوع أو هجوم النيل وتدفق مياهه على الارض وصورة الحراثة والبذر والحصاد وتخزين الغلال وترى فى غيرها صورة العمال من كل نوع وكل واحد يباشر صنعته ويزاول مهنته منهم النجار والزجاج والسبال والخشاب يقطع الاشجار ويرميها على الارض أو يبنى سفينة ونساء ينسجن الاقمشة تحت خفارة أحد الطواشية وهو قائم على رؤسهن مقطب الوجه عابس الخلقة

كأنه سئم من كثرة لغطهن وترى صاحب القبر كأنه حي واقف خلف سفينة عظيمة يأمر ملاحيها بالسير والاقلاع وهي راسية على الشاطئ الغربي من بحيرة كي تسير به الى الشاطئ الشرقي منها والمراد بهذا الشاطئ هو القبر ليدفن فيه لانه رمز له أما الشاطئ الغربي فرمز للحياة كأنه يقول لاتغرنكم الحياة الدنيا لانى ملكت كل ماترون ثم انظروا أخبراماذا جرى أوكأنه يقول شعرا

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

أو يقول

أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وتراه أحيانا جالسا يأخذ العطايا من صفوف من الناس يتلو بعضهم بعضا وهذه الصفوف عبارة عن أجداده والعطايا عبارة عن التراث الذى ورثه منهم وماناله من الهدايا الملوكية ومايقدم له من الصدقات بعد الموت وبازاء بعض الرسوم عبارات تناسب المقام منها رجلان مصوران يذبحان قربانا الى الميت فيقول أحدهما لصاحبه (اقبض جيدا وأمسك بقوة) فيجيبه الآخر (قدفعلت أسرع بالعمل) ومنها ملاح فى سفينة راسية على الشاطئ الغربي من البحيرة يصيح بشيخ هرم يمشي الهوينا وقد أبطأ فى السير نحوها فيقول له (اقرب من السفينة واركب فيها بلاتوان) فيجيبه الشيخ وهو يقصدها (ها أنا آت فلاتعجل علىّ ولاتكثر اللغط) والمعنى ان الموت يطلبه

أما الرواق فكان يجتمع به أولاد الميت وحفدته وذووه والكهنة المكلفون بأداء العبادة فيأتون فى أيام معلومة من السنة كالاعياد والمواسم فيرون المقبور مصورا بينهم محاطا بخدمه وحشمه غارقا فى لذات دنياه فيتذكرون ما كان له من الخيرات والنعم ثم ما آل اليه أمره بعد ذلك وجميعها نصائح وأدبيات يغنى قليلها عن مطالعة المجلدات الضخمة

وأما البئر فتكون فى احدى زوايا الرواق أو من خلفه وهى مربعة الشكل مبنية بالحجر حتى تصل الى الطبقة الارضية الحجرية ويختلف عمقها من اثنى عشر الى خمسة عشر مترا وربما بلغ نيفا وثلاثين مترا وفى قاعها مما يلى الجنوب سرداب أو مجاز يمشي فيه الانسان منحنيا حتى يصل الى الحجرة أو اللحد وبوسطه تابوت من الحجر الجيرى أو البزلت الاسود المصقول أو الرخام أو غيره كالخشب ونحوه منقوش عليه اسم الميت ولقبه وبجوار ذلك تربيع النور

الذى كانوا يجعلونه قربانا عند دفنه وقدور كبيرة من الفخار مملوءة بالرماد وأوان مملوءة بأحشاء الميت التى كانوا أخرجوها منه وقت التحنيط وكانت عادتهم أنهم متى جهزوا الميت بجميع ماذكر ووضعوا معه الفصوص وغيرها وبجواره الوكلاء (سيأتى الكلام عليها) يسدون عليه باب السرداب سدا محكما ثم يردمون البئر بفتات الحجر وغباره الممزوج بالرمل والطين ويبلونه بماء غزير ويدقون عليه حتى يتلبد ويصير فى صلابة الاحجار أو المونة القوية التى يعسر فكها ويتركونه بهذه الحالة

وتكون المقابر بجهة الجيزة صفوفا مرتبة النظير لنظيره كأنها شوارع منتظمة وتكون فى الجبل الغربي من قرية سقارة وأبى صير مختلطة فى بعضها بلاترتيب ولاقانون لهيئتها وتكون فى غير هذين المحلين إما متقاربة أو متباعدة عن بعضها وآبارها إما عميقة جدا أو قريبة ورأيت مابلغ منها نحو الخمسين مترا بل أكثر من ذلك محفورة فى الحجر فوق الجبال وفى سفحها وفى الاودية وغير ذلك وبها من النقوش والكتابة مالايخفى فائدته العلمية حتى قال العلامة مسبرو كأننا نشاهد الآن خروج العائلات المنقبية من قبورها رويدا رويدا لافادة التاريخ المصرى القديم ولما اتبعنا آثارهم وقفنا على أحوال وسير الملوك الذين مضوا وتلك الامم التى انقضت وعلمنا جميع ما كان من أمر كهنتها وعساكرها ورئيسها ومرؤسها وضباط الحرس السلطانى ومايكتسبه الصانع الحقير وبدت لنا أخلاقهم وعوائدهم حتى ملابسهم وكأننا نشاهد الآن حركة بناء الاهرام لكن من الاسف اننا لم نجد ذكرا فى الآثار لملوك العائلة الثالثة والتى قبلها اه

ورأيت بالصعيد قبورا كثيرة كأنها منازل منحوتة بالجبال تشتمل على فسحة ورواقين متقابلين مملوءين الى السقف بالرمم الرطبة التى كأن أصحابها ماتوا الوقتهم وماذلك الا لكونهم حنطوها بالملح الجبلى وكفنوها بأقمشة من الكتان وأدرجوا كل واحدة فى حصير اتخذوه من جريد النخل فعلمت أن هؤلاء القبور كانت لفقرائهم وكثيرا ما كنت أجد فى مغاراتهم المنحوتة بالجبال توابيت مصنوعة فى الجدار الحجرى يعلو بعضها بعضا كأنها رفارف منعكفة أعنى داخلة فى الجدار ورأيت بمديرية أسيوط مغارة بالجبل الشرقى تبعد عن قرية المعابدة نحو الاربع كيلومترات وطريقها وعر جدا وكان بلغنى من عمدة الناحية أن المرحوم سعيد باشا والى مصر سابقا قصدها ليتفرج عليها ومكث بجوارها نحو الثلاثة أيام بعساكره وما قدر

أحد ممن كان بمعيته أن يدخلها لضيق دهليزها وامتداد طوله وكراهة ريحه وظلامه فلما
سمعت ذلك تجردت مما أخاف عليه من ثيابى ودخلتها وصحبنى مفتش آثار المديرية المذكورة
والدليل والشموع الموقودة فكنا تارة نمر فيه حبوا وتارة زحفا على البطون وأذقاننا تكنس
الارض وقاسينا هول يوم القيامة وضاقت نفسى وانقبض صدرى مما به من الرائحة
الكريهة النفاذة المخنقة فتارة كنا نسير فى طريق مستقيم وتارة نزحف كالثعابين متبعين
تعاريج الدهليز ميمنة وميسرة حتى علق بوجوهنا وثيابنا مادة لزجة كأنها العثان المعجون
بالماء (الهباب) ولضيق الطريق وتعرجه كان جسم الدليل يحجب نور الشمع عن أبصارنا
مع أنه يزحف على بطنه أمامنا عارى الجسد وكم انصدم رأسى فى السقف والجدار وسال
دمى وانجرح بطنى وأتلفت الرطوبة جميع ثيابى واعترانى سعال حاد وبقيت على هذا الحال
أكثر من نصف ساعة حتى وصلت بعد كل جهد الى حجرة واسعة مملوءة برمم الآدميين
والتماسيح المحنطة وأكفانها من الكتان وكان قدمى يسوخ كل خطوة فى تلك الرمم الطرية
المطروحة فوق بعضها بلا ترتيب ثم مكثنا بها نحو الربع ساعة وخرجنا منها وقاسينا ما قاسيناه
وتخلصنا بعد شق الانفس ثم أخذت راحتى وتفكرت فى أمرها وتيقنت أن لها بابا آخر لان
السرداب غير كاف أن تفوت منه جثة الميت فأخذت أبحث طويلا عنه ولم أجد ثمرة لكن
عثرت على مناور للدهليز محكمة الغلق ثم مكثت نحو الاسبوعين وأنا أشكو رأسى مما أصابنى
وكانت رائحة المكان تتردد فى أنفى ثم أرسلت له من قاسه بالخيط ويغلب الآن على ظنى
انه بلغ ٨١ مترا وفى مقابلة هذه الصعوبة حققت مسئلة لطيفة سوف يأتى بيانها ان شاء
الله تعالى وليست هذه المشقة شيئا يذكر بالنسبة لجميع ما قاسيته بأرض الصعيد فانى
اقتحمت أهوالا عظيمة وتكبدت الشدائد وعاينت المهالك والاخطار وجبت المخاوف
بالجبال وقاسيت العطش واصطليت لظى الحر وتكلفت التعب الزائد حتى أشرفت جملة
مرات على الهلاك غير أنى اكتشفت آثارا جليلة كانت مجهولة لمصلحة الآثار وكتبت
عنها التقارير فصارت الآن معروفة عندها والله الهادى الى سبيل الرشاد

الدرس السابع

(فى تدمير الآثار على يد أهل مصر وما ينجم عن ذلك من المضار ماديا وأدبيا)

حد الآثار عرفا كل ما يؤثر عن الغير واصطلاحا هى أعمال القدماء ومصنوعاتهم الباقية
بعدهم الحافظة لتواريخهم وأيامهم أما سبب تدميرها على يد بعض الوطنيين فتنوع جدا
منها الانتفاع بانقاض ما بها من المبانى وتحويل أحجارها العلمية الى جير لبناء مساكنهم
وسواقيهم وآبارهم ورأيت بالصعيد دارا لاحد الفلاحين مبنية بالاحجار القديمة المكتوبة
وياليتها كانت مرتبة حتى كان يمكن الاستدلال على تاريخ صاحبها أو بعض الفوائد بل
متوزعة فى البناء وبعضها مقلوب بمعنى ان الكتابة أسفل ومنها أنهم أعداء لاصحابها
كما ذكرنا فى مقدمة هذه العجالة ومنها أخذ ما يمكن بيعه الى الاجانب ومنها تسميد الزرع
بما فيها من السباخ بدعوى ان السباخ منفعة عامة ومنها الحصول على شئ من مدخرات
القدماء ومنها الوقوف على حقيقة ما تحتها من المطالب والكنوز على زعمهم ولم يروا بأسا
عليهم فى جميع ما أتلفوه منها ومنها النفور من رؤية المعبودات القديمة ومنها الانتفاع
بعملها للزرع والسكن ومنها الجهل بحقيقتها أو الازدراء بها ومنها اغراء أولى الكلمة من
بعض الوطنيين والاجانب لقضاء أغراضهم الذاتية بدل المحافظة عليها حتى ان كثيرا من
الوطنيين ينكرون منفعة وجود الآثار والمتحف المصرى زاعمين أنهما بمعزل عن الاهمية
والفائدة ومنها سطو جيوش الماء فى كل سنة مع عدم الذب عنها أو وقايتها من تعديها عليها
كما حصل لمعبد كوم امبو الذى بذلت الحكومة على تصليحه الآن النفس والنفيس ومنها
زحف التراب وسافى الرمال عليها حتى أبلت محاسن كتابتها وأتلفت رونقها وبهجتها
ومنها تعاقب الايام وتتابع السنين والاعوام ولم تجد من يجدد لها دوارس تلك النفائس
ومنها اتخاذها دورا وسكنا لرعاع الناس وأسافلهم فان دخان التنانير وعثان النيران أزالا
الكتابة والصور بالطريقة القطعية ومنها زحف الاتربة من جهة دون أخرى حتى تغير
مركز ثقلها واختل بناؤها ومنها فعل رطوبة الارض بها ومنها اغواء الدجالين على
اتلافها لاستخراج ما تحتها من المطالب الوهمية وما كفاهم ذلك حتى تسببوا فى فقر
عائلات كانت مستورة ومنها المبالغة فى قيمة الاشياء الحقيرة التى توجد بالصدفة فى بعض

الاماكن الاثرية من ذلك ماذكره العلامة مسبيرو فى احدى نشراته العلمية المطبوعة بمصر
سنة ١٨٨٦ وملخصه جاء أحد الدجالين من المغاربة الى اثنين من الاروام وأخبرهما أنه
يعرف مكان كنز بقرية درونكه القريبة من بندر أسيوط فما كان منهما الا أن طلبا من
مصلحة حفظ الآثار التصريح بالحفر فى ذلك المكان وبعد ما اجيب طلبهما تعين معهما
مندوب من طرفها ثم حفروه نحو العشرة أمتار وانتهوا الى مكان وجدوا به مائتى آنيـة
مصنوعة من الحجر والصفر (التوج أو البرونز) وملقا به بعض صفائح من الذهب المتوسط
الجودة يبلغ سمك كل واحدة منها ربع ملليمتر فهرع الناس اليها من كل فج عميق ومكان
سحيق وحضر أهل درونكه بالنبابيت والمساوق وجميعهم أقباط فأرادوا النزول فى هذه
الحفرة العميقة ولم يبالوا بمندوب المصلحة ولا بالاروام والخفراء وبينما هم يستعدون لذلك
واذا بأهل قرية أخرى هجمت عليهم ومنعتهم قهرا وأرادت أن تستخلصه لنفسها فوقعت
مشاحنة عنيفة بين الفريقين كادت أن تفضى الى الملاكمة وارتفعت الاصوات حتى قال
القبط لهم تخلوا عن الكنز يا معشر المسلمين لانه وجد فى أرض مقابر أجدادنا وليس لكم
فيها حق ألبتة فاذهبوا المقابر أجدادكم بأرض الحجاز فانبشوها كيف شئتم وخذوا منها
ما تركه لكم أجدادكم وكان كل فريق منهم يزعم أن مصلحة حفظ الآثار ما لها حق بأى
وجه من الوجوه أن تتداخل ولو بالكلام فى أمر هذه المسئلة ثم جنحوا بعد المشاجرة
الطويلة الى الصلح وشق عصا الشقاق على أن يأخذوه ويقتسموه مناصفة ولا عبرة
للمصلحة ولا لمندوبها وبينما هم على وشك النزول واذا بفرقة من العساكر الخيالة
الشاكية السلاح حضرت وحالت بينهم وبين ما يشتهون واستولت المصلحة على ذلك
وأعطت نصفه الى الروميين حسب أصولها ولما قوم جميعه بلغت قيمته ألف وثمانمائة فرنك
أعنى ستة آلاف ومائة وواحدا وسبعين غرشا مصريا لاغير وفى ذلك اليوم نفسه شاع الخبر
فى البندر أن الذهب الذى وجد كان كثيرا وأنه بلغ جملة أرطال وبعد أن مضى بعض أيام
قليلة قالوا انه بلغ قناطير مقنطرة ثم دوت الاخبار فى البلاد المجاورة بأن الذهب الذى أخذته
المصلحة كان ستة عشر اردبا من الذهب العين الابريز النقى الخالص الى أن قال فى معرض
التنديد على بعض الجهلة من الفلاحين ورأيت فى بعض منازلهم وأكواخهم كثيرا من
الاشياء القديمة العديمة المثال وقد استعملوها فى غير ما وضعت له منها طاسات ظريفة

صنعت من المرمر كانت معدة لاهراق الخمر أمام الاصنام تقربا اليهم بها جعلت الآن أوعية
وعلبا يضعون فيها التبغ (الدخان) ومنها آنية من الصفر (التوج أو البرونز) كالتى
مارى بالمتحف المصرى رأيتها على النار مملوءة بالفول اهـ
استطرادا لا بأس به لما وصلت الى بندر سوهاج فى ١٧ سبتمبر سنة ٩٢ سمعت من حضرة
مديرها ومن غيره أن أحد الدجالين من المغاربة خدع أحد المياسير بالبندر وموه له بوجود
كنز نفيس فى الجبل فما كان من هذا الرجل السليم القلب الا أن قام وباع جانبا من أطيانه
طمعا فى ذلك وتحصل على رخصة من الحكومة لاستخراجه بعد ما دفع الرسوم المقررة
لذلك وأخذ فى الحفر وكلما انتهى أجل الرخصة جدده وذلك اللئيم يوسوس له كالشيطان
وكلما نفدت النقود باع من الاطيان حتى فرغت وانتهت الرخصة الاخيرة فعند ذلك زعم
الخبيث أن الكنز تحت الجبل ولا يمكن نواله الا بضرب اللغم فى تلك الارض الحجرية وطلب
منه تجديد الرخصة ودفع الرسوم ثم سافرت ولم أدر ما تم لهذا الرجل المنكود الحظ الذى
أصبح فقيرا مجردا عن وسائل المعيشة وقس على ذلك مما يطول شرحه
(رجع) وبالجملة فالآثار المصرية مهددة من كل ناحية وسهام الدمار فوقة نحوها ويد الطمع
ممدودة اليها وعيون الجهل محدقة بها من قديم الزمان أعنى من ابتداء دخول الدين
المسيحى بمصر ولذلك لما أتى عبد اللطيف البغدادى وزار بعض أطلال المدن القديمة
وتأمل دوارس ربوعها تأمل الالمعى الحاذق ونظر اليها بالنظر الصادق ورأى ما حل بالآثار
من التلف والعوار حط على الولاة الجهلة والرعاع السفلة وأغلظ فى الكلام حتى ألحقهم
بالانعام مع انه ما كان يعلم شيأ من فائدتها ولم يقف على فحوى حقيقتها بل بمجرد ما عرف
أنها من بعض بقايا القدماء واليك شيأ مما قاله فى ذلك (ومازالت الملوك تراعى بقاء هذه
الآثار وتمنع من العبث بها وان كانوا أعداء لاربابها وكانوا يفعلون ذلك لمصالح منها
أن تبقى تاريخا يتنبه بها على الاحقاب ومنها أن تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن
العظيم ذكرها وذكر أهلها ففى رؤيتها خبر الخبر وتصديق الاثر ومنها أنها مذكرة بالمصير
ومنبهة على المآل ومنها أنها تدل على شئ من أحوال من سلف وسيرتهم وتوفر علومهم
وصفاء فكرتهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه
وأما فى زماننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا وفوضت اليهم شؤنهم فتحركوا

بحسب أهوائهم وبحروا نحو ظنونهم واطماعهم وعمل كل امرئ منهم على شاكلته وبموجب بحيثه وبحسب ماتسول له نفسه ويدعو اليه هواه فلما رأوا آثارا هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخبرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم وأجل الاشياء فى قلوبهم وهو الدينار والدرهم فهم كما قيل

وكل شئ رآه ظنه قدحا * وان رأى ظل شخص ظنه الساقى

فهم يحسبون كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب وكل شق مفطور فى جبل أنه يفضى الى كنز وكل صنم عظيم أنه حاصل للمال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة فى تخريبه ويبالغون فى تهديمه ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف وينقبون الاحجار نقب من لا يتمارى فى أنها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون فى فطور الجبال سروب متلصص قد أتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها وهذه الفطور منها ما يدخل حبوا ومنها ما يدخل زحفا ومنها ما يدخل مكبا على الوجوه ومنها مضايق لا ينفسح فيها الا الضرب الضئيل وأكثر ذلك انما هو فطور طبيعية فى الجبال ومن كان من هؤلاء له مال اضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير وقوى طمعه وقرب أمله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم أنه استأثر بها دون غيره وعلامات يدعى أنه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله وما أقبح بعد ذلك ما له ومما يقوى أطماعهم ويديم اصرارهم أنهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا باكفان من ثياب القنب ربما كان على الميت منها زهاء ألف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده فى قطع دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى ترجع كالحمل العظيم ومن كان يتبع هذه النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد فيه تماسكا اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين اه) ولولا الاطالة لسقت كلامه لآخر الفصل ولعمرى لقد أكثر الشيخ رحمه الله من الوقيعة فى حق هؤلاء المفسدين وشدد عليهم النكير مع أنه غريب عن هذه الديار جاهل بحقيقة ما تدل عليه الآثار فياليت شعرى ماذا كان يقول لو كان وطنيا أو فى عصرنا هذا أو علم من فائدتها ما علم الآن وشاهد شغف الاجانب برؤيتها وتزاحمهم بالمناكب على أبوابها ورأى الكتب قد شحنت

بما ترجم منها فاسفرت عن مخدرات عرائس الافكار القديمة أو كان انكشف له معنى القلم البربائى أو رأى أسماء ملوك مقابر بنى حسن قد نزعت من مكانها وبيعت بدريهمات قليلة وصارت التواريخ المسطورة بجدرانها عاطلة مجردة عن أسماء ملوكها مشوهة التنسيق أو نظر ما تفعله أهل القرنة الآن الذين ليس لهم شغل ولا تكسب الا تدمير المقابر المكتوبة ليأخذوا كتابتها ورسومها ويبيعوها الى السائحين من الافرنج أو نظرهم وهم يبيعون جثث الموتى اليهم أو وهم ينبشون مقابر تبلغ مساحة أرضها مائتى فدان أو أكثر وقد كسوا سطح الارض والجبال بالرمم والعظام والاكفان أو رأى كثيرا من أماكن الآثار قد جردت مما كان بها وصارت قاعا صفصفا أو غيطانا ومساكن وأحجارها المشحونة بالمعارف صارت جذاذا أو تحولت الى جير لبناء دار العمدة الفلانى أو لشيخ البلدة أو لغيرهما أو نظر يد الجهلة وهى تكتب أسماءها حفرا بالخط الكبير على تيجان الملوك والنصوص العلمية أو المقاولين وهم يدمرون الكهوف والمغارات المكتوبة بالجبال ويضربونها بالالغام أو رأى تماثيل الملوك أخذت من أماكنها وصارت أعتابا لمنازل رعاع الناس وتواريخ نصراتها المنقوشة على ظهرها وعلامات غلبتها على أعدائها محيت من كثرة وطء الاقدام عليها أو رأى كثيرا مما يضيق به صدرى ولا ينطلق به لسانى

وقد أحببت أن أضع فى كتابى هذا صورة أحد مشاهير الملوك المصرية وهو رمسيس الاكبر المعروف عند اليونان باسم سيزوستريس لشهرته بالفتوح واستيلائه على ما جاور مصر من البلاد وقمعه الجبابرة المتمردين كما تراه فى الصحيفة الآتية وهو يطأ بقدميه رئيس بعض قبائل آسيا الصغرى ويطعن برمحه رئيسا آخر

صورة رمسيس الاكبر يقمع قبائل آسيا الصغرى



فيا أيها الوطنيون حسبكم مافعلتم بمحاسن المبانى المصرية المخلفة عن أسلافكم ويا أيها الحكام والامراء أما كفاكم هذا السكوت والاغضاء وأنتم ترون أو تسمعون فى كل يوم تلفا جديدا ثم أنتم يا أيها الاذكياء ألم يأن لكم أن تقولوا لاخوانكم وجيرانكم الذين جبلوا على الفساد ان فى بقاء الآثار منفعة كلية للعموم وأنتم يا أولى المعارف قد حان وقت النهضة لارشاد من اتبع هواه وباع عظيم الآجل بقليل العاجل وفرط فى حق الوطنية التى لاخالكم تجهلون مقدارها ثم أنتم أيها الاعيان والعمد ومن عليه فى ذلك المعتمد

كيف رضيتم بتدمير طوامير علوم القدماء التى تركوها فى بلادكم مع علمكم أن فى بقائها رواجا للتجارة وزيادة فى ميسرة البلاد وثروتها وشهرة لمصركم وحجة قوية على تقدم أجدادكم أو أسلافكم ثم أنتم يا أهل الصعيد وأخص من بينكم شناترة العرب وأهل القرنة أما علمتم أنكم متى جردتم الصعيد من آثاره قل من عندكم وفود الزائرين والمتفرجين ولا يخفى عليكم وخامة العاقبة لانكم أدرى بذلك من غيركم وها أنتم لقلة حضورهم فى بعض السنين تقومون وتقعدون وتبرقون وترعدون وتغضبون وتندبون وتدعون الكساد وظهور الفساد وتحطون على الدهر وتوقنون بحلول الفقر فتضن الجرائد الوطنية لانينكم وتدوى بصداء طنينكم ومتى كثر وفود الاجانب عندكم أتلفتم الآثار وبعتموها لهم فأنتم كمن يقطع الاشجار ليجنى منها الثمار وحسبنا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ولذلك صرنا هدفا لسهام الملامة كما أن الشقى الذى أتلف صور مسطبة (قابين) بسقارة فتح علينا التنديد بابا كافى غناءعنه حتى بقينا مضغة للماضغين من الافرنج وتخلدنا اسم لانرضاه فى بطون تواريخهم فاذا ضربنا عن ذلك صفحا وتركناهم يقولون كيف شاؤا أما يجمل بنا نحن معشر المصريين أن نبقى لوطننا ما بقى من آثاره التى غفلت عنه عين الايام والا فاجتنا ونحن نشاهد يد الجهلة فى كل يوم تعبث بها ونحن سكوت ويا ليت شعرى ماذا كان يجرى عليها لو كانت فى مملكة مثل فرنسا أو الانكليز أو ألمانيا أو غيرها وانظروا ما كتبه أحد الاجانب وهو المعلم (أمبير) الذى كان زار الاسكندرية سنة ١٨٤٤ مسيحية ورأى أسماء بعض السائحين مكتوبة على عمود السوارى بالحفر حيث قال

ولما دنوت من عمود السوارى بالاسكندرية راعتنى الخطوط المكتوبة عليه لبعض السائحين الذين يأتون بوقاحة زائدة ويكتبون بخط غليظ حفرا كى يثبتوا اسمهم الخامل الذكر ويشوهوا عمود تلك القرون الخالية فيا لهامن عادة قبيحة وأغلب من يفعل ذلك هم الاروام فان الواحد منهم يمكث ساعات عديدة وهو ينقش تلك النكرة المبهمة على صميم حجر الجرانيت ليدنسه به ويا عجباه كيف يرضى لنفسه أن يحملها تلك المشاق ليبين للناس أنه عريق فى باب النكرة مجهول النسبة وشوه أثرا نفيسا اه

واليكم بعض ما قاله ماريت باشا فى هذا الباب من كتاب دليل المتفرج بعد كلام طويل واذا دنى الانسان من مقبرة (تى) التى بسقارة يعلم أن يد الزائرين أتلفت فى مدة عشر سنين

مالم تتلفه ستة آلاف سنة مضت الى أن قال وأخص بالذكر من بين المفسدين الشاب الاجنبي الامريكي الذى زار آثار الصعيد سنة ١٨٧٠ مسيحية وكان يجرى من معبد الى آخر كأنه يسارع لفعل الخيرات حاملا فى يده اليسرى وعاء من القطران وفى اليمنى قلم الرسم (الفرشه) وأثبت اسمه فى كثير من المعابد بطمس كثير من النقوش والنصوص القديمة بحيث لايرجى اصلاحها بعد ثم ذهب وترك الآثار ملوثة باسمه اه أقول وفى سنة ١٨٩٢ رأيت اسم المقطرن فى جملة معابد مكتوبا بالخط الكبير وباقيا على حالته وأخبرنى الخفراء أنهم بذلوا الجهد فى ازالته ولم ينجعوا الان الجدر امتصته وصارت كأنما أصابها نار فاحترقت وتفحمت واسودت وأتلفت كثيرا من الرسوم والنقوش ورأيت فى جبل السلسلة وفى بربة أنس الوجود وغيرها خطوطا من كل نوع والعربى أقبحها محفورة بين أسماء الملوك وعلى عناوينها وتيجانها تدل على جماعة من حرافيش الناس وهمجهم وبعض أهل الخلاعة وتاريخ مجيئهم وقد أتلفت بهجة الالوان وشوهت الرسوم

ومما يزيد الاسف ويطيل الحسرة أن كل فلاح وجد شيأ من الآثار مهما كان نوعه يقدمه الى أحد الصاغة أو الاروام البقالين فيشتريه منه بثمن بخس جدا ولجهل الفلاح بقيمته يفرح ويسلمه له ولجهل المشترى بحقيقته أيضا يبيعه بدون القيمة وهكذا حتى يبلغ مبلغا عظيما غير أن الفلاح حرم من ذلك وانتفع الاجنبي بهذا الثمن العظيم

وكثيرا ما سمعت أن الاشياء التى بيعت بنحو المائة قرش بلغت الى الستة آلاف قرش أو أكثر فمن ذلك صورة لطيفة وجدها أحد الفلاحين بقرية المطمر بمركز أبى تيج بمديرية أسيوط وباعها الى أحد الصاغة وقبض ثمنها مائتى قرش وهذا باعها الى أحد الاروام بألف قرش وهو باعها الى أحد السائحين بخمسة آلاف قرش وربما بيعت بعد ذلك بضعف هذا الثمن ومنها أن فلاحا وجد كتابا من ورق البردى وباعه بمائة قرش ثم باعه المشترى الى غيره وربح فيه وهو باعه الى آخر فوصل بلاد الافرنج الا وكانت قيمته خمسمائة جنيه وقس على ذلك ما جرى بقرية صا الحجر منها ما أخبرنى به أحد السوريين وملخصه أنه كان صائغا فقيرا جدا وأتى الى ثغر الاسكندرية فلم يصف له عيش بها فتركها وتوجه ماشيا الى قرية (محلة أبى على) بالقرب من سندسوق وفتح حانوتا صغيرا ليزاول صنعته به فجاء اليه فى بعض الايام رجل من قرية صا الحجر وباع له بالنسيئة جملة ثعابين من ذهب كان وجدها

فى التل بالقرية المذكورة قيمة كل واحد سبعمائة وسبعين قرشا فأخذها وتوجه الى الاسكندرية وباعها الى أحد البنوكة بمبالغ جسيمة جدا تخرج عن حد التصديق ولما بلغ اهل القرية ذلك سرقوا باقى الثعابين من منزله ليلا ووشوا به الى الحكومة ولا تسل عما حصل بعد ذلك ومات الرجل فقيرا لايمتلك نقيرا ولا قطميرا وها هى ذريته بائسة فقيرة مالها قوت يومها ورأيت البعض منها يشتغل باليومية أما الصائغ فصار من أغنى الناس وها هو يمتلك الاطيان والقصور وآلات الطحن وله تجارة واسعة بكفر الشيخ وأصل جميع ذلك من ثمن تلك الثعابين كما أخبرنى به وقد سمعت هذه الحكاية بعينها من أهل صا الحجر وهى مشهورة عندهم وأظن أن ذلك الغبى لو كان قدم هذا الكنز الى الحكومة لعاش عيشة طيبة وكانت ذريته الآن من مياسير الناس ترفل فى حلل السعادة ولكن الشقاء غلب عليه

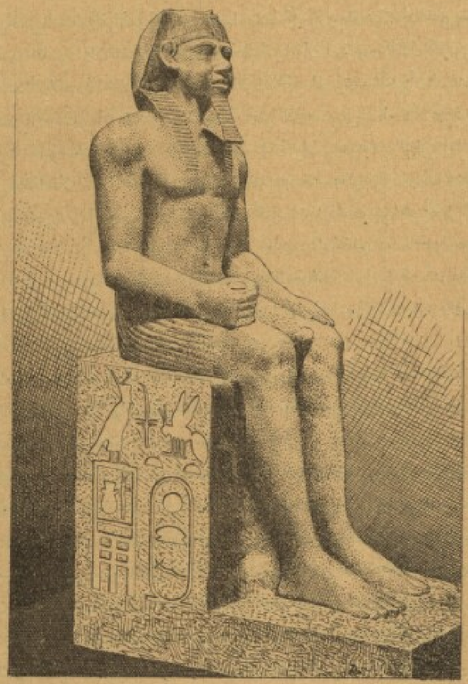
وفى ٢٤ من شهر دسمبر سنة ١٨٩٣ قال لى أحد تجار الفلاحين المقيمين بقرية (فوه) (بلاد الارز غربا) ان رجلا من الفلاحين وجد فى تل الوحالى بمركز كفر الشيخ غربية تمثال سبع لطيف من المرمر رابضا على قاعدة مكتوبة بالقلم القديم فاشتراه منه بنحو ثمانين فرنكا ولما أراد أخذه حصل شقاق بين الاهالى لان كل واحد كان يزعم أن له حقا فى الثمن ولما ارتفعت الاصوات بينهم خشى التاجر من الحكومة ووسوس له الشيطان وان شئت قلت دفعته الحماقة فكسر رأس هذا التمثال اللطيف وتركه لهم لا ينفع بشئ وكان يفتخر ويقول لى انه بعد ما فصلها عنه هشمها وجعلها جذاذا وأفلاذا ولما سفهت رأيه فيما فعله وأعلمته بالضرر والفائدة قدم لى الجهل معذرة ثم ندم ندامة الفرزدق وقد زاد أسفى على فعله لانه ربما كان من عمل ملوك العمالقة أو العائلة الخامسة والعشرين أو الثامنة والعشرين وما بعدها وكلها كانت بتلك الجهة أو من عمل بعض العائلات المجهولة التى لم يتيسر الى الآن وجود شئ من أعمالها البتة فانظر أيها الوطنى ما نفعله بما نجده من الآثار الثمينة مع أن مصلحة الآثار مفتحة الابواب لشراء كل ما يرد عليها بدون بخس ولا مماطلة فى الثمن أو ليس كان الاحرى أن الفلاح ينتفع بالثمن الحر والحكومة تنتفع بالعين والعلوم تنتفع بالفوائد الجديدة والوطن ينتفع بالفخر غير أن الجهل كما قيل عماء لكن الى متى والى متى

الدرس الثامن

(فى الادوار الاثرية واتقان الصناعة المصرية)

من تأمل فى هذه الآثار الهائلة المنتشرة فى هذا الوادى وعلى جباله علم ان القوم ماسلكوا هذا الطريق الوعر الا لغايات كانت عندهم من أهم الامور ذوات البال وهى اما دينية أودنيوية أو كلتاهما معا فقال فريق من الناس ان الملوك لماخافوا من رعيتهم أن تنبذ طاعتهم ظهريا قصدوا كسر شوكتهم وامانة قلوبهم بتشغيلهم فى هذه الاشغال الشاقة كى لايحول بخلدهم رفع لواء العصيان عليهم وقال فريق آخر ان هذا القول مردود بداهة لانه لو كان هذا هو الغرض لكانت المنافع العامة أحرى لانها أنفع من اقامة المسلات وبناء الاهرام وعمل التماثيل الهائلة ولا يخفى كثرة تلك المنافع وتنوعها وقال آخرون ان الغرض منها هو تخليد ذكر أصحابها على توالى الايام والسنين مادامت باقية فى الدنيا وقال غيرهم ليس ذلك من الحقيقة فى شئ لانه لو كان صحيحا لكانوا اكتفوا بكتابة أسمائهم وتواريخهم على الصخور والجبال بدون أن يذكروا أسماء معبوداتهم معهم بل ما كانوا يصورونها فوق أسمائهم على جميع آثارهم والظاهر أنهم كانوا يزعمون أن أحسن المصنوعات وأكبر المبانى تقربهم اليهم زلفى فلذا كانوا يميلون الى تشييد العمارات الفخيمة ولما كان هذا هو مطمح نظر قدماء المصريين برعوا فى كافة الصنائع على اختلافها سيما ما يختص بالديانة كالبناء ونحت الاحجار وصقلها وتفصيلها واحكام هندستها التى أدهشت المتأخرين وأخرست ألسن الفصحاء وقد قسمها بعضهم الى خمسة أدوار كلية

الدور الاول يشتمل على صنائع العائلة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وفى هذا الدور بنيت أعظم المبانى البالغة فى الفخامة والاتقان الى حد يحصر اللبيب عن وصفه كالاهرام التى رتبوها من الشمال الى الجنوب بحسب ترتيب العائلات فجعلوا أهرام العائلة الرابعة بالجيزة واهرام الخامسة بأبى صير واهرام السادسة بسقارة واهرام العائلات الصغيرة التى قامت بين الحادية عشرة والثانية عشرة بدهشور وأبى رواش وميدوم على قول بعضهم واهرام الثانية عشرة بالفيوم ويلى الاهرام أبو الهول ومعبده وقد سبق تفصيل ذلك كما اشتهرت بعمل التماثيل ورقة الصنعة كتمثال الملك خفرع أو كفرم البانى للهرم الثانى بالجيزة



صورة الملك كفرم (خفرع) بانى الهرم الثانى

وليست شهرة هذا التمثال فقط من حيثية الاقدمية وأن له ستين قرنا بل لما اشتمل عليه من حسن الصنعة وافراغه فى قالب بديع جدا مع سعة مجسمه وجمال هيئته الدالة على سمو الفنون المصرية وان المصريين كانوا فى درجة عالية من اتقان الصناعة وكالتمثال المتخذ من خشب الجميز المعروف باسم شيخ البلد الموجود الآن بالمتحف المصرى وما أظن أن الصناعة المصرية سمحت بايجاد أعلى منه حيث ترى الشخص الذى صنع على شكله كأنه على قيد الحياة خصوصا هيئة الرأس ودقة الاعضاء واستدارة الجسم وهو يجذب النظر بما عليه من طبقة الطلاء الخفيفة التى أكمل بها المصور بديع صنعته ومنها تمثالان وجدا بجوار هرم ميدوم بمديرية بنى سويف وهما رجل وامرأة جالسان على نصابين من الحجر يتخيل كل من استعرضهما أنهما ينطقان ويظن من مر أمامهما أن مقلتى عينيهما تتحول معه اذا تحول عن يمينهما أو يسارهما وعليهما من الطلاوة والدقة ما يدل على تمهر أهل ذلك الوقت فى محاكاة الامور الطبيعية فانهم جعلوهما فى الحسن غاية وفى الاتقان اية وكأن تقادم الايام لم يزدهما الا جدة وليس الخبر كالعيان

الدور الثانى عبارة عن العائلة الثانية عشرة فقط وفيه عاد لمصر شبابها فأخذت تدأب فى العمل وتعانيه وكأنها انصبت فى قالب ثان ومازالت تستسهل الصعب وتقتحم الخطب وتجدد الصنائع وتقترح المنافع حتى رقت أوج الكمال بعد ما هوى نجمها ومال ومما ينسب اليها مقابر بنى حسن المنحوتة فى الجبل هى وعمادها دفعة واحدة ولله در الصانع الذى جعل هؤلاء الاسطوانات على شكل باقات الازهار تحمل سقفا من الجبل متصلا بها وسيأتى بيان ما اشتملت عليه ومنها مسلة فرعون الموجودة الآن بقرية عين شمس ومسلة أخرى بقرية بجيج بالفيوم ومنها بعض المغارات بجبل أسيوط وقد برهنت لنا هذه الصناعة على أن ذلك العصر كان من أشرف أعصار التواريخ المصرية كما أنه كان زمن التفنن فى كل شئ غير أن مدته كانت قصيرة حتى صدق عليها قول من قال ما سلم حتى ودع وما أفاق الا وتصدع

الدور الثالث يبتدئ باجلاء عرب الرعاة عن مصر وهو عبارة عن العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وجزء من العشرين وفيه ظهرت مصر بأعظم مظهر وبرزت بأسمى منظر وانحصرت أعمالها فى أمرين عظيمين وهما فتوح البلاد البعيدة واضافتها الى ملك مصر وتشييد العمارات العديدة كمعبد جبل البركل القريب من أبى حمد وقلعتى سمنة وقمنة

فيما فوق وادى حلفه ببنى بسر ومعبدا ابسمبل بتلك الجهة وبناحية عمادة من بلاد النوبة ومنها المعبد العظيم الذى كان بجزيرة اسوان وكان من أجل المعابد المصرية القديمة ومنها الباب المتخذ من حجر الصوان المعشق بساحة هيكل أبو والتصاوير البارزة الموجودة بجبل السلسلة مما يحدث عن سيرة الوقائع الحربية أما مدينة طيبة فلم تزل مشرقة الانوار بجمال آثار هذه الايام وبهجة عماراتها الفاخرة حيث ترى هنالك على الجانب الايسر من النيل هيكل الدير البحرى ومعبد القرنه ومعبد الرمسيوم المشتمل على أكبر التماثيل المصرية المصنوع من الصوان الازرق البالغ طوله سبعة عشر مترا وخمسين سنتيما من المتر وثقله واحد مليون ومائتان وسبعة عشر ألف وثمانمائة واثنان وسبعون كيلوجراما وهو أحد الآثار المجسمة التى أخرجتها يد الصناعة المصرية لكنه الآن مكسور ملقى على الارض مشوه الوجه ومنها صنما ممنون البالغ ارتفاع كل واحد منهما ثمانين قدما ومنها معبد مدينة (أبو) ومقابر ذراع أبى النجا والعصاصيف وقرنة مرعى ومقابر باب الملوك ومعبد الاقصر وتماثيله الجاثية ومعبد الكرنك ومسلاته وأساطينه الشامخة وان لم يكن لهذا الدور الا ما بقى من رسم كنيسة تل العمارنه الكائنة بجوار قرية الحاج قنديل لكفاه فخرا وبرهانا على تقدم الحرف والصنائع فى ذلك العهد الذى هو عصر الرمسيسيين والتحوتمسيين

الدور الرابع عبارة عن العائلة السادسة والعشرين فقط وفيه أخذت الصنائع والعمارة تعود لحالتها الاصلية بعدما كانت اندرجت فى خبر كان ونسجت عليها عناكب النسيان بل تميزت عما سواها بما فيها من السعة وحسن افراغ التصاوير المحلاة بها وذكر المؤرخ هيرودوت أن قاعدة هذه الدولة كانت مدينة صا الحجر (التابعة لمركز بسيون غربية) وصارت بهمة ملوكها من أبهج مدن الديار المصرية فقد شيد فيها الملك (أبرياس) هيكلا لم يكن دون أفخر العمارات المصرية بوجه من الوجوه وشيد له الملك (أماسيس) بابا كبيرا من أغرب الابنية وأعجب العمارات يفوق بكثير على سائر الابواب التى من نوعه من حيث الارتفاع وزيادة الاتساع والعناية بانتخاب أحجار من أجود الاحجار وأكبرها ووضع عليه من الصور والتماثيل الهائلة ما يفوق الحدود فى العظم وكبر الحجم الى أن قال ومما وجد بمدينة صا الحجر من الآثار العظيمة تمثال هائل ارتفاعه خمسة وسبعون قدما

ولم يقتصر الملك (أماسيس) على تشييد الابواب فقط بل أحضر اليها معبدا صغيرا متخذا من قطعة حجر واحد نقله من جبال اسوان وقام بنقله من تلك الجهة ألفان من العمال في السفن على النيل مدة ثلاثة أشهر وطوله من الخارج اثنا عشر مترا وعرضه سبعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار ووزنه بعد طرح فارغه نحو أربعمائة وثمانين ألف كيلوجرام (الكيلوجرام ٣٢٠ درهما) اه

وجميع ما ذكر صار الآن هباء وتفرقت أحجاره أيدى سبا ولم يبق منه أثر ولا عين ولهذا الدور آثار كثيرة بالمتحف المصرى وغيره وجميعها فى أعلى طبقات الصناعة ومن تأمل فيما ذكره هيرودوت علم أن هذه الدولة حاولت تقليد أعمال الدولة الخامسة والسادسة بعد ما مضى عليها ثلاثون قرنا

الدور الخامس وهو الاخير كان مدة البطالسة بمصر ومن نظر لكثرة عماراتهم علم أنه لم يل الديار المصرية من بعد العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة دولة ملوكية أكثر منها آثارا على شواطئ النيل فان هؤلاء الملوك البطالسة لم يكتفوا باصلاح ما كان قد تخرب من الهياكل واتمام ما كان ناقصا بل أحدثوا معابد جديدة مثل هيكل الداكة وكلباش ودبود ودندور ببلاد النوبة خصوصا هيكل جزيرة البربا (جزيرة اسوان) وانهم صيروا هذه البقعة من العجب العجاب الذى يسحر العقول ويبهر الالباب حتى صح أن توصف بالانفراد بين جميع المناظر الجليلة الموجودة بسائر البلاد ومن جملة آثارهم بالديار المصرية هيكل مدينة أمبو وعمارته من أحسن انموذجات فن العمارة القوية وهيكل مدينة اسنا القديمة الذى لولا ما طرأ عليه من الاحتجاب ببناء منازل المدينة المستجدة لكان يظهر فى أحسن مظهر ويبدو لعين الناظرين بأعظم منظر وهيكل ارمنت الذى لحقه الآن من الانهدام ما بلغ به نهاية التمام ومع كون الملوك البطالسة قلدوا مدينة الاسكندرية من حلية العمارات الجسيمة والآثار الفخيمة بما لم نقف على حقيقة حاله الآن فلم يتركوا مدينة طيبه فى زوايا النسيان فانهم هم الذين أنشؤا بالجانب الايسر من النيل الهيكل المعروف بدير المدينة والمعبد الصغير الموجود بمدينة (أبو) وعلى الجانب الايمن شادوا الباب الكبير الموجود وحده فى الجهة الشمالية من الكرنك وغير ذلك أما مدينة دندره وما أدراك ما دندره فان بها الهيكل العظيم الذى هو عمارة أثرية فريدة فى بابها وسوف يأتى بيانه

وكذلك يشاهد أسماء البطالسة مكتوبة على الآثار بجهة قرية الكاب باقليم اسنا وفى اخميم وناحية بهبيت الحجارة بقرب المحلة الكبرى (بمديرية الغربية) وفى غير ذلك من النواحى ويجب أن يعزى اليهم انشاء أجل ما يوجد فى سرابيوم وهو مقبرة العجل أبيس بناحية سقارة والتوابيت الكبيرة الحجم التى به ولهذه الدولة جملة تماثيل وآثار كثيرة بالمتحف المصرى ومتى ذكر ما يؤثر عن دولة البطالسة فلا ينبغى أن ننسى حجر رشيد الذى كان مفتاح سر الكتابة المصرية القديمة بعد أن مكثت المدة المديدة والاعصار العديدة وهى من الاسرار المقفلة والمشكلات المعضلة

تنبيــــه — لما كان أبناء وطننا لا يهتمون برؤية شئ من آثار بلادهم ولا فرق فى ذلك بين غنيهم وفقيرهم وان من رأى شيأ منها ما كان الا من باب الصدفة التى تنوعت أسبابها فلذا وجب علينا خدمتهم بذكر رحلة علمية نبين لهم فيها أهم ما هو موجود فى بلادهم من مآثر أسلافهم الكائنة ما بين الجيزة واسوان نجعلها فصولا متفرقة فى آخر كل درس تسهيلا لمن أراد الوقوف على حقيقتها واليه انيب

الفصـــــــل الاول

(فى الرحلة ما بين الجيزة وقرية سقارة)

ذكر ماريت باشا فى كتابه مرشد السياح ان من أراد السفر الى الوجه القبلى والتمتع برؤية ما به من الآثار فعليه بركوب السفن المعروفة باسم الذهبيات لانها أوفق لذلك من غيرها بكثير وذلك أن الانسان يكون بها على راحة تامة لانها كالمنزل المستعد ويمكنه السير والاقلاع متى شاء ويتيسر له الوقوف والنزول والصيد وزيارة القرى والمدن التى يمر عليها فى طريقه ويتمكن من رؤية الآثار بخلاف الوابورات البحرية التى تسير وتقف على أماكن مخصوصة فى ساعات محدودة فضلا عن وجوده مع رفقة أغراب من كل دولة لا يعرف منهم واحدا ولا يتفرج الا فى زمن معين مع الترجمان الذى لا يستفيد الانسان منه الا مسائل اجمالية فكأنه والحالة هذه ما رأى شيأ من الآثار ولو أن بالوابورات كل ما يلزم للسفر من نحو مأكل ومشرب وراحة فى النوم والسفر بالذهبية رياضة عامة طويلة جليلة غالية القيمة والسفر بالوابور على النيل رياضة خاصة قصيرة قاصرة رخيصة فاختر منهما لنفسك ما يحلو اه

أما مشاهدة آثار الجيزة فتيسرة لكل انسان ولا تستدعى أكثر من خمسة عشر غرشا للمتقصد الذى يرضى بركوب الحمير وقد سبق تفصيل ما اشتملت عليه فراجعه وأما مشاهدة آثار ميت رهينة وسقارة فلا يكاد مصرفها يبلغ هذه القيمة وهو متيسر أيضا لكل الناس بواسطة الوابور وبوفرار كاتب وهى واقعة على بعد ٢٣ كيلومتر من الجيزة واسمها القديم (من نفر) وبها من الآثار تمثالان للملك رمسيس الاكبر يبلغ طول أحدهما نحو العشرة أمتار وذكر هيرودوت وديودور الصقلى أنهما نظرا بهذه المدينة جملة تماثيل عظيمة قائمة أمام معبد بتاح المضاعف الذى أسسه الملك (منا) رأس الدولة الفرعونية الاولى ولعل هذين التمثالين من تلك التماثيل وكان استكشاف أكبرهما فى سنة ١٨٢٠ مسيحية وفى سنة ١٨٨٦ جمع أحد الانكليز نقودا من أهل الخير وأخرجه من الحفرة التى كان بها وتم ذلك فى سنة ١٨٨٧ وليس بهذه القرية ما يستحق الفرجة غيرهما أما قرية سقارة فبعيدة عنها بنحو ٤٥ دقيقة والظاهر أن اسمها مشتق من لفظة (سكر) التى كانت علما على أحد المعبودات المصرية وآثارها كثيرة وكلها مقابر بالجبل على نحو نصف ساعة منها الهرم المدرج وزعموا أنه أقدم جميع الاهرام حتى نسبوه الى الملك (أتا) أحد ملوك العائلة الاولى وهو يتركب من ست درجات ارتفاع الاولى ٣٨ قدما والثانية ٣٦ والثالثة ½ ٣٤ والرابعة ٣٢ والخامسة ٣١ والسادسة ½ ٢٩ يكون مجموع ذلك ٢٠١ قدم انكليزى وارتفاعه الآن ١٩٧ قدما وطول قاعدته من المشرق الى المغرب ٣٩٦ قدما ومن الشمال الى الجنوب ٣٥٢ وأسطحه ليست متجهة بالضبط الى الاربع جهات الاصلية

ثانيها هرم (أوناس) آخر ملوك العائلة الخامسة وكانت مدة حكمه ثلاثين سنة وهو الآن مهدوم وذكر المعلم والس أن هذا الهرم فتحه المعلم مسبرو سنة ١٨٨١ بعد الميلاد على نفقة الخواجه كوك ولما دخله رآه منقوبا من جهة الشمال نقبا نافذا الى داخله ويغلب على الظن أن احد التجار هو الذى فعل به ذلك سنة ٨٢٠ من الميلاد أعنى قبل الآن بنحو ١٠٧٤ سنة لانه وجد به هذا الاسم مكتوبا بالمداد الاحمر وقال مسبرو لما فتحت هذا الهرم فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٨١ ودخلته ألفيت به دهليزا مصدرا جدا مفعما بالصخور الهائلة ورأيت اللصوص الذين سبقونى اليه أزالوا جزأ من كسوته وهدموا ما وراءها من البناء حتى انتهوا الى هذا الدهليز فأبقوا الصخور به على حالها ونقبوا طريقا بجوارها يوصلهم الى داخله اه

وبهذا الهرم ثلاث قاعات ودهليز طويل يرى فى بعض حيطانها نصوص بالقلم القديم غريبة المعانى جدا وهاك ترجمة بعضها (اذا ظهرت روح أوناس فى صورة المعبود أمطرت السماء وماجت الكواكب وسارت نجوم الجوزاء وارتعدت عظام مردة الصباح والمساء وغير ذلك ومنها انما هو أوناس الذى يأكل الرجال ويتغذى بهم ومنها أن أوناس يصطاد الآلهة ويفطر بكبارهم ويتغذى بأواسطهم ويتعشى بصغارهم وغير ذلك من النصوص التى يتعذر الوقوف على حقيقة المراد منها وقد حاول العلامة مسبرو أن يحوم حول حمى المعنى ولكن لا اخاله أصاب المرمى حيث قال يؤخذ من هذه العبارات المظلمة المعانى أن روحه متمتعة فى الدار الآخرة بكل حريتها ومصرح لها أن تصطاد متى شاءت وهذا مطابق لما تراه مرسوما على جدران المعابد من أن الملوك تذهب فى حال حياتها الى الصيد وتقتنص الحيوانات ثم تذبحها وتقطعها أربا وتطبخها ثم تأكلها اه)

ثالثها هرم (تتا) أحد ملوك العائلة السادسة وبه كثير من النقوش والنصوص وأروقته تشابه أروقة الهرم السالف ذكره وهذا الهرم يسمى عند أهل الناحية هرم السجن لانه قريب من المكان المعروف بسجن يوسف (راجع هذا الاسم فى المقريزى) وقال مانيطون ان هذا الملك قتله أحد حراسه بعدما حكم خمسين سنة

رابعها هرم مارى بى الاول ويعرف باسم هرم الشيخ منصور وقد فتحه أيضا مسبرو سنة ١٨٨٠ وهو الذى يقول فيه بعد فتحه قد تكلمت الاهرام الخرساء يعرض بذلك لماريت باشا حيث كان يقول ان جميع الاهرام خرساء لا تحير جوابا يريد أنها خالية من جميع الكتابة وقال المعلم ولس فى كتابه مرشد سياح الانكليز (هذا الهرم يشبه هرم تتا وهرم أوناس غير أنه متخرب زيادة عن باقى الاهرام لانه بنى من أحجار المقابر القديمة والظاهر أنه فتح قديما لان تابوت الملك وجد مكسورا وعظامه مطروحة حوله وقد وجد فى قاع الهرم صندوق من الجرانيت ورداء صغير به كثير من الاوانى المصنوعة من الرخام وجميع نقوشه دينية كهرم أوناس وتتا والظاهر أن هذا الهرم اختلسه ملك آخر يدعى بهذا الاسم لكن متأخر جدا عن زمن العائلة السادسة أما مارى بى وهو صاحبه فكان الثانى من ملوك هذه الدولة وقال مانيطون انه حكم ثلاثا وخمسين سنة وكان كثير الغزو والفتوحات وله أعمال كثيرة ويرى اسمه فى جهة جبل الطور وهو الذى أسس معبد دندره) وفى سنة ١٨٩٢ رأيت اسمه مكتوبا فى مغارة لطيفة بالجبل الغربى القريب من قرية مير عديرية أسيوط وفى أحد مقاطع

الاحجار الواقعة على مسافة ست ساعات فى الجبل الشرقى من قرية الحاج قنديل ولايمكن
الوصول اليها الا بالابل لصعوبة الطريق وفى قرية الكاب وعلى الصخور بالجبال

خامسها سرابيوم مدفن العجول وتقدم الكلام على وصفه

سادسها قبر (تى) وقد سبق الكلام على ماتشتمل عليه المقابر التامة الصنعة غير أننا لانرى بأسا
من تفسير بعض مابه من النقوش تتميما للفائدة وهى أنه مرسوم على جدار الحائط الجنوبى
من المجاز الضيق صورة الميت وهو فى حياته وبجواره نساء راقصات وموسيقى تعزف ومغنون
يصفقون مع الايقاع وعلى جدار الرواق الكبير من جهة الشمال صورته وهو فى الصيد
والقنص قائما فى سفينة مصنوعة من أعواد نبات البردى تسبح فى بطحاء ماء وهو قابض
فى احدى يديه طيرا اجلابا أى يجلب غيره من الطيور ويقذف بيده الأخرى عصا عوجاء كى
تدور فى الهواء وتقع على الطيور المائية الجاثمة فوق غاب طويل وبوسط البطحاء كثير من
فرس البحر والتماسيح وبعض خدمه مجتهد فى صيدها وكأن معركة وقعت بين هذين النوعين
وانجلت عن انهزام التماسيح وأحد خدمه يقبض على فرس البحر بواسطة كلاب (شنكل)
وباقيهم يقتنصون الطيور المائية وفى نفس الجدار صورة بقر يخوض نهرا ليقطعه وعجول
ترتع فى مرج ورعاة ترعى قطيعا من المعز وعلى الجدار الشرقى من هذا الرواق صورة الفلاحة
والحصاد والتعبير والدراس وتحميل القش والتبن على الحمير وصاحب القبر حى واقف على
رأس الشغالة والعمال وبيده عصا الحكم وعلى الحائط الجنوبى صورته وهو يباشر تنظيم
الفرش وترتيبه بالمنزل وعلى الحائط الغربى من الدهليز صورة سفن عظيمة ناشرة شراعها
مقلعة ومنحدرة تسيرها الرياح وسفن تسير بالمجاذيف ونحو ذلك وفى الرواق الكبير أقاربه
حاملين له الصدقات التى شرط أداءها قبل وفاته منها الخبز والسوائل والنباتات وأعضاء
الحيوانات التى ذبحت فى الخارج وعلى جوانب القاعة الصغيرة التى على اليمين صورة الخدم
حاملين على رؤسهم وأكتافهم وفى أيديهم الطيور والازهار وأطباقا بها أوانى مملوءة
بالصدقات وفى جهة أخرى صورة قتل الثيران لتجعل قربانا وفى غيرها صورة صف من النساء
الخادمات يحملن على رؤسهن قففا أو يسقن حيوانات وهذا كله كناية عن الوفاء بما اشترطه
الميت ويستفاد من نصوص الرواق أن صاحب القبر عاش زمنا طويلا فى عيشة راضية
وراحة تامة وتقلب فى رتب سامية وقس على ذلك باقى المقابر الآتى ذكرها وهى
قبر (فتاح حوتب) وهو سابعها وقبر (ميرا) وهو ثامنها وقبر (قابين) وهو تاسعها

الدرس التاسع

(فى فائدة الآثار والحرص على المنع من العبث بها)

قد ذكرنا فى الدروس السالفة طرفا من الاسباب التى بعثت على تدمير هذه الآثار وما آل
اليه أمرها الآن على يد بعض الوطنيين وغيرهم مافيه الكفاية (راجع المقدمة والدرس
السابع) ولنذكر لك بعد ذلك شطرا من فائدة بقائها مما لم تره فى غير هذا الكتاب فنقول
تنحصر فائدة حفظ الآثار فى أمرين جليلين أحدهما مادى والآخر أدبى

أما المادى فهو الشهرة التى جعلت لمصر اسما كبيرا فى جميع المسكونة جلبت به سراة الناس
ومياسيرهم من الآفاق حتى صارت كأنها كعبة تشد لزيارتها الرحال وتنفق لاجلها
الاموال وتختلف الى ساحتها الاغراب العجم والاعراب وتهوى اليها الاجانب من كل
ناحية وجانب ويبذلون النفس والنفيس لرؤية طيبة ومنفيس فتروج التجارة بهذه
الزيارة وتنصلح الاحوال بانتعاش الآمال وتزيد الاشغال وتكثر الاعمال ويهش
وجه الدهر الى الفقير بعدما كان عبوسا قمطريرا فتصير أيامه مواسم بثغور بواسم
وبيان ذلك أننا اذا فرضنا أن عدد الوافدين فى كل سنة لايزيد عن الستة آلاف نفس مابين
رجال ونساء وأنفق بها كل امرئ منهم مائة وخمسة وعشرين جنيها انكليزيا لبلغ ذلك
سبعمائة وخمسين ألف جنيه واذا فرضنا ان الذى يدخل فى جيب شركات وابورات النيل
وأصحاب الفنادق والخانات (اللوكندات) والتياترات والملاهى وثمن بضائع افرنكيه
وأشربة روحيه ومكيفات وغير ذلك هو مبلغ مائة وخمسون ألف جنيه نظير الربح الصافى
بعد كل المصاريف لكان الباقى ستمائة ألف جنيه تدخل فى جيب مصر خاصة منها عشرة
آلاف الى السكة الحديد مابين مصر واسكندرية ومابين اسكندرية والرمل وأربعة آلاف
لمصلحة حفظ الآثار نظير رسم الفرجة على المتحف المصرى والسياحة بالصعيد والباقى
وهو خمسمائة وستة وثمانون ألف جنيه يدخل فى جيب أهل مصر مابين خدم ومترجمين
بفنادق مصر والاسكندرية وخدم ومترجمين وملاحين بوابورات الشركات على النيل
وعمال بورشها وخفراء وحاملى الاشارات ومتعهدين بلوازم الزائرين بالصعيد وخفراء
بالمحطات وملاحين بالزوارق (المعادى) وحمارين وسائقى العربات بالصعيد ومصر

والاسكندرية وأجرة السفن المعروفة بالذهبيات وتلغرافات وبريد ومأكل ومشرب بالصعيد ومصاريف مستشفى خيرية للفقراء بقرية الاقصر على طرف الخواجا كوك وثمن منسوجات ومصنوعات وطنية ومشرقية وتبرعات وهبات ومسامحات فضلا عن الحركة العمومية ونمو الصادر والوارد وأرباح الجمرك وهذه الحسبة تقريبية والا فالحقيقية بمعزل عن ذلك بمراحل لانها أقل ما يمكن ولما استفهمت من أحد شركات الوابورات علمت أن عدد الزائرين لا يقل فى كل سنة عن الستة آلاف نفس وأن ما ينفقه كل واحد مدة اقامته بمصر يبلغ مائة وخمسين جنيها وعلمت أن بطرف هذه الشركة أربعين مترجما تختلف مرتباتهم ما بين ستة جنيهات الى خمسة عشر جنيها شهريا وبالاستفهام من حضرة مدير الآثار عن عدد السائحين فى كل سنة قال انه يبلغ لغاية السبعة آلاف نفس بفرض أن كل واحد ينفق مائة وعشرين جنيها وبالاستفهام من قبودان أحد الوابورات علمت أن مستخدميه خمسون نفسا ما بين سوارى وقبودان ورئيس وملاحين ومهندس وسواق وفراشين ومترجمين وغير ذلك

ومن البديهى أن سبب ذلك كله هو الاشتياق لرؤية تلك المبانى القديمة التى اذا أتلفناها لم نر من هؤلاء الزائرين ديارا ولا نافخ نار ولم ننتفع بدرهم ولا بدينار فضلا عن كساد البضائع والسلع الوطنية بدل رواجها مدة أربعة أشهر فى كل سنة ولا يخفى أن رواج حال الحكومة مرتبط برواج حال الامة وثروتها لان الفلاح والتاجر والصانع اذا عجزوا عن دفع ما عليهم من الاموال كيف يكون حالها (راجع تاريخ مصر قبل حكم الدولة المحمدية العلوية بالجبرتى والخطط الجديدة) ولذا شبه أهل الصعيد موسم وفود الاجانب بمصر بموسم الحج الشريف عند عرب الحجاز أما ما تأخذه مصلحة حفظ الآثار من السياحين برسم الفرجة فتنفقه على اصلاح ما يلزم اصلاحه بالآثار فيصول هذا المبلغ الى يد الوطنى أيضا لان المقاولين والفعلة والعمال جميعهم وطنيون فكأن هذه النقود ما خرجت من يد الاجنبى الا لتدخل فى جيب الوطنى اما مباشرة أو بواسطة فعلى ذلك لم يكن الحرص على بقاء الآثار قاصرا على مجرد العبرة والتذكار أو صنا بما لم يوجد عند غيرنا بل صونا لاخبار الاولين ومنفعة للمصريين وتخليدا لمجد الاوائل ولم أعن قحطان ووائل

أما الامر الادبى فهو أن الآثار فخر مصر وحليتها ولا يجوز بأى وجه من الوجوه تجريدها

من حليتها فضلا عن كونها كطامور اشتمل على علوم ومعارف وفكاهات ولطائف وتواريخ الاولين وأسماء ملوك وسلاطين ودول تغلبت وأمم تقلبت وانشاء ومحاضرات وقصص وحكايات وأسماء مدن وبلاد ورؤساء وقواد وأسفار حربية وأساطيل بحرية وقوانين وأحكام وحرب وسلام ودفاع وهجوم وحاكم ومحكوم وغزوات بعيدة ونصرات عديدة واختراعات مفيدة وعوائد وشيم ونصائح وحكم وجميع ذلك تراه على صميم الاحجار كأنه الاسفار فهى المرشد الامين لعلوم الاولين وترجمان الازمان التى توارت بالنسيان وها هى علماء الافرنج تراوحنا وتغادينا ومؤلفاتهم تنبهنا وتنادينا وتقول قد امتلأ الوطاب وعاد البلح الى الارطاب وانكشف المعمى وبان الاسم والمسمى وتقيدت الاوابد وانجلت حقيقة ما بالمعابد

من ذلك رواق صغير يعرف باسم ايوان الاسلاف كان صنعه الملك طوطوميس الثالث (من ملوك العائلة الثامنة عشرة) فى معبد الكرنك بالصعيد ونقل الى بلاد فرنسا وهو الآن فى كتبخانة باريس مرسوم عليه صورة هذا الملك واقفا أمام ستين ملكا من أسلافه يقدم له خالص عبوديته غير أنهم ليسوا على حسب ترتيبهم فى الحكم وكأنه اصطفاهم من بين باقى الملوك المصرية لحاجة لا نعلمها ومنها رواق آخر نقل من معبد العرابة المدفونة الى بلاد الانكليز وموجود الآن بدار تحفها وهو للملك رمسيس الثانى (من العائلة التاسعة عشرة) ومطابق فى ترتيب أسماء الملوك التى به للرواق الآتى وهو رواق بالمعبد نفسه من عمل الملك سيتى أبى رمسيس الاكبر وبه أسماء ستة وسبعين ملكا مرتبين بحسب الحكم وهو قائم بعدهم ومنها لوحة بسقارة لاحد أعيان القدماء بها ثمانية وخمسون ملكا وكانوا يزعمون أن كل من خدم الوطن بصفاء نية وحسن طوية تذهب روحه بعد موته الى أعلى عليين وتكون مع أرواح الملوك والسلاطين الذين أسعدوا الرعية وقاموا بفرائض الوطنية وهذا هو الباعث على كتابة أسماء الملوك وجعلها فى قبره معه

وبمقارنة أسماء ملوك معبد العرابة بجدول مانيطون المصرى اتضح صحة الجميع ولو أن بالجدول بعض تحريفات قليلة وجميع ما ذكر كان مجهولا قبل اكتشاف هذا القلم حتى كان المعلوم من تاريخ مصر مشكوكا فى صحته ولولا بقاء تلك الآثار لما علم شئ من الاخبار ولو كانت مجردة عن الفائدة كما زعم بعضنا لما كانت الدول الاجنبية تزاحمنا على اقتنائها

وتأخذ أروقة برمتها تحلى بها دار تحفها وكتبخاناتها وتنقل مسلتي الاسكندرية الى ديارها
وتقلع منطقة فلك البروج من معبد دندره وتتحايل بكل ما يمكنها على ارسال كل ما تجده الى
بلادها ولا يخفى ما فى ذلك من تكبد المشاق المادية والادبية فضلا عن كثرة الصرف
وبذل النقود وها هى رعية كل دولة تترقب سنوح كل فرصة لذلك حتى زينوا ديارهم
وبلادهم بما كان عندنا بعد ما جردونا منه ولو كنا جاريناهم فى ميادين الفضل لقلنا نحن
أحق بها وأهلها لكن غفلنا وسهروا وأهملنا فأخذوا ورضينا باليسير وفرطنا فى كثير
وهاك حادثة تاريخية صغيرة وجدت مكتوبة على بعض الآثار قصها الملك (أمنمحا
الاول على ابنه الملك (اوزرتسن الاول) وهما من العائلة الثانية عشرة الطيبية واليك
صورتها (لما أتى الظلام تعشيت وسرحت فى ميادين اللهو هنيهة ثم رقدت على فراش
وطىء فوق سريرى وغرقت فى بحر الراحة فى قصرى وكادت تأخذنى سنة من النوم
واذا بهم تجمعوا زمرا وأحدقوا بالقصر وجاهروا بالعصيان وشقوا عصا الطاعة وكان
اعترى جسمى فتور من النوم حتى صرت كثعبان الغيط فقمت وتأهبت وحملت السلاح
فى جنح الليل عالما أنه لا محيص عن القتال والمكافحة ولم يكن معى من أشدد به أزرى غير
أعضائى فحملت عليهم حملة صادقة أوقعت بهم الرعب فى قلوبهم وكنت كلما أحمل على
فئة منهم ترتد على أعقابها جبنا ومازلت بهم الى أن فترت قوتهم وخارت عزمهم وانكسرت
قلوبهم فلم يجرؤا على قتالى حتى فى الظلام فتشتتوا ولم يحصل لى أدنى حادث مفزع
الى أن قال ولو أن الجراد أكل الزرع وأهلك الحرث والنسل ولو أنهم تحالفوا على القاء
الدسائس فى قصرى ولو أن النيل ما روى الارض حتى جفت الصهاريج ونضب ماؤها
ولو أنهم علموا بطفوليتك وصغر سنك وعدم امكانك أن تمد يد المساعدة الى لم آل جهدا
فى عمل ما يلزم منذ ما عرفت نفسى) فيؤخذ من هذه العبارة أربع فوائد أحدها أنه كان له
منازع فى الملك وربما كان استيلاؤه بعد اراقة الدماء فى الحروب الطويلة ثانيها كثرة
المحن والمصائب التى توالت فى عصره ثالثها نشاطه فى الاعمال وقوته فى الحروب
وهيبته فى عين رعيته رابعها نصيحته لولده ولكل ملك أتى بعده كأنه يقول خذ بالحزم
وكن على بصيرة من الوقوع فى مثل ما وقعت فيه وادأب فى العمل وتبصر بالحكمة وقال له
فى موضع آخر ينصحه (اسمع يا بنى ما ألقيه عليك وهو أنك صرت ملكا على قسمى مصر

وتحكم على الثلاثة أقاليم فاسلك فى حكمك أحسن ما سلكه سلفك من الملوك وقو علائق
المودة بينك وبين رعيتك والا يتخلون عنك عند الخوف منك ولا تستوحش منهم ولا تنفرد
عنهم ولا تقتصر على مواخاة الاغنياء والاشراف ولا تقبل فى مجلسك كل من أتاك ممن
لا تتحقق من خالص محبته وصافى مودته) وهى نصيحة جليلة تكتب بماء العيون وفوائدها
جمة لانها حسنة من حسنات الآثار المشحونة بأمثالها من الآداب والعلوم

واليك مقالة أخرى أدبية لطيفة وجدت مكتوبة على الاحجار الاثرية وهى من انشاء
أحد الكتاب من العائلة الثانية عشرة أيضا ينصح بها ابنه ويستفزه لاكتساب المعارف
وباستقرائها تعلم حالة الضنك الزائد والاستبداد اللذين كانا بالديار المصرية فى تلك الحقبة
الدهرية وهاك نصها (قد نظرت يا بنى الى الحداد وهو يزاول مهنته وواقف على فوهة التنور
حتى صارت أصابع يديه مثل جلد التمساح وله رائحة كريهة أشد من رائحة بيض السمك
وهل تظن يا بنى أن باقى صانعى المعادن فى راحة أحسن من الفلاح الذى نبت الحطب
فى غيطه ومتى جن عليه الليل وحقت له الراحة عاد للشغل ثانيا بعد ما كل ساعداه من
عمل يومه فيضطر أن يشتغل بالليل فى ضوء المصباح أما النحات فرأيته وهو يشتغل فى كل
نوع من الاحجار الصلدة ومتى فرغ من شغل يومه وكلت يداه يستريح برهة وصنعته تقضى
عليه أن يعود ثانيا للشغل فهو يعمل من شروق الشمس لغروبها مع أنه قاعد القرفصاء الى أن
يختل تركيب ركبتيه وتتلف فقرات ظهره أما الحلاق فيشتغل أيضا الى المساء ومتى وجد
عنده فرصة ليأكل فيها اتكأ على احدى ذراعيه ليستريح ويطوف على المنازل ليبحث
على شغل له فهو يتلف ذراعيه ليملأ بطنه كالنحل يأكل مما ادخره أما الملاح فانه ينزل
بسفينته الى اقليم (تانو) ليكتسب أجرته فتتراكم عليه الاشغال وبمجرد ما يعود الى حديقته
أو يرجع الى داره يصبح والى السفر ثانيا أما البناء فأقول لك عليه انه عرضة لداء النقرس
ولشدة الرياح فاذا بنى وهو فوق الحائط تجشم المشاق والتعب حتى يلتصق بكرانيشها
فيصير كالشنين ويكل ساعداه من العمل ويختل هندام ثيابه ويأكل نفسه بنفسه كأن
أصابعه خبزة ولا يغتسل الا مرة واحدة فى اليوم[1] ويتواضع للناس ليقبلوه فى أشغالهم
كأنه حجر الضامة ينتقل من خانة الى أخرى وينتقل من بناء عشرة أذرع الى مثلها

(1) هذه العبارة تفيد شدة الحرص على النظافة حتى يرى فى حال من يغتسل مرة واحدة فى كل يوم

(١٠)

ومتى أنهى عمله وتحصل على قوته يعود الى داره ويضرب أولاده وان شئت قلت انك على الحائك فان حالته بالمنازل أسوأ من حالة النساء لان ركبتيه تكونان موازيتين لصدره ولا يستنشق الهواء النقى فاذا قصر يوما عن حياكة ما فرض عليه من الاقمشة ربطوه حتى يصير كالنشين الذى ينبت فى المستنقعات ولا يمكنه الخروج لرؤية النور ما لم يرش الخفراء الموكلين بحفظه ببواسيم أما صانع الاسلحة فالويل له لانه اذا سافر الى البلاد الاجنبية يدفع مغارم كثيرة لاجزاء الحمير ولمبيتهم ومتى صار فى الطريق فبمجرد ما يصل الى حديقته أو يرجع الى داره مساء يصبح على جناح السفر ثانيا أما الساعى فوا حزناه له لانه متى عزم على السفر يقسم ماله بين أولاده خشية أن يغتاله وحش أو يقتله أحد أهالى اسيا وهل تعلم ماذا يجرى عليه حينما يكون بمصر فانه بمجرد ما يصل الى حديقته أو يرجع الى داره يصبح راكما من الطريق فاذا سافر ركبته الهموم واحتاط به الفقر أما الدباغ فواها له لانك ترى أصبعه كأنها السمك العفن وعينيه مكسورتين من التعب ويديه فى حركة مستمرة وتمضى عليه الاوقات وهو يمزق فى الجلد وثيابه رثة شنيعة المنظر أما صانع الاحذية فهو أسوأ حالا من الجميع لانه دائما يتكفف الصدقات لفقره وصحته كسمكة مفقوعة ويقرض الجلد بأسنانه وانى رأيت الشدائد وقاسيت الاهوال وامتطيت غارب التعب وشربت الحلو والمر وانتقدت الامور نقد بصير فلم أر أجل من التحلى بالمعارف وانى ناصح لك بأن تجعلها نصب عينيك فاغطس فيها كما يغوص الغائص فى الماء فاذا فعلت ذلك رأيت صحة قولى وما اخترتها لك الا لانها روح كل عالم (فانت بالروح لا بالجسم انسان) وما رغبتك فيها الا لانها أفضل جميع ما تراه فمن تحلى بها كبر فى عين الناس واختاروه لقضاء مصالحهم واعلم أن المعارف أمان من الفقر ومن عرف شيأ منها ساد على غيره وليس الامر كذلك عند أرباب الصنائع فان كل رفيق من أهلها يبغض رفيقه وما رأيت كاتبا متجملا بها قالوا له أو ألزموه أن يشتغل لاجل فلان وكل يوم يمضى عليك وأنت بالمدرسة يخلد لك ذكرا جيلا ما بقيت الجبال فانهض وبادر لتحصيل ما اخترته لك فانه يبعد الاعداء عنك)

وقد أكثرنا من سرد النصوص الاثرية ليعرف القارئ ما لها من الفوائد ويقدرها حق قدرها ولا ينسبنا الى الغلو والمبالغة أو الاطراء فى مدحها

الفصـــــل الثـانى

(رحلة علميـــة من ســقاره الى قرية بنى حســن)

هذه الرحلة لا تكاد تبلغ الخمسين قرشا اذا توجهنا بطريق السكة الحديدية الى هذه القرية بدون أن نرى شيأ غيرها مع الاقتصاد فى النفقة

كيلومتر

٢٣ من بولاق مصر الى البدرشين
٦٤ من البدرشين الى محطة الوسطى
٢٨ من محطة الوسطى الى بنى سويف
٣٠ من بنى سويف الى القيس
٤٧ من القيس الى أبى جرج
٢٠ من أبى جرج الى قلوصنا
٣٦ من قلوصنا الى المنيا
٢٣ من المنيا الى بنى حسن

٢٧١

فاذا توجهنا من قرية سقارة الى الجنوب قاصدين قرية بنى حسن فاننا نرى أولا أهرام دهشور الواقعة على بعد ثلاثة أميال ونصف من هرم أوناس وهى ستة أهرام أربعة منها مبنية بالاحجار واثنان باللبن (الطوب النى) وارتفاع أكبرها نحو ٣٢٦ قدما وطول قاعدته عند الجلسة نحو ٧٠٠ قدم وقد اهتمت مصلحة الآثار الآن بكشف المقابر التى بتلك الجهة أما مغارات جبل طره والمعصرة الواقعة فى الجبل الشرقى فكانت مقاطع للاحجار التى بنيت بها الاهرام قبل الآن بأكثر من ستة آلاف سنة وسبب عمقها بهذه الحالة هو أن مهندسى ذلك العصر كانوا يشقون قطورا عميقة فى الجبال حتى يصلوا الى الاحجار الموافقة لهم وربما بلغ طول بعضها جملة مئات من الامتار ويرى على كثير منها نقوش قديمة تدل على أن الملك (أحميس) و (أمونوفيس الثالث من العائلة الثامنة عشرة) وغيرهما أخذوا من مقاطعها أحجار البناء ما يلزم لمعابدهم والظاهر أن لفظة طره مشتقة من لفظة (ترَاوُ) التى كانت علما

عندهم على تلك المقاطع وقال بعضهم انها مشتقة من (تروا) وهى مدينة عظيمة كانت بآسيا الصغرى وخربها اليونان فى حروبهم المشهورة فجاء بعض من هاجر من أهلها الى هذا المكان وقطن به وسماها بهذا الاسم والله أعلم بحقيقة الحال

ثم نمر بهرم ميدوم الواقع فى الجبل الغربى أمام محطة الوسطى بمديرية بنى سويف ويعرف عند العامة بالهرم الكاذب وأظن أن هذه التسمية أتت له من أن السائح يراه من مسافة بعيدة جدا وكلما دنى منه أو نأى عنه رآه كأنه يسير معه أينما سار فكأنه والحالة هذه يكذب فى عين الرائى كما أطلقوا اسم البحر الكاذب على السراب أو الآل الذى يظهر بالصحراء وقت القيلولة كالبحر وقال بعضهم انه سمى بذلك لمخالفة بنائه لباقى الاهرام وليس ذلك بشئ أما ارتفاعه فيبلغ ١١٥ قدما ويتركب من ثلاث درجات ارتفاع الاولى ٧٠ قدما والثانية ٢٠ والثالثة ٢٥ وهو مع تطرق الايام اليه بالدمار لم يزل بحالة حسناء وكل من رآه من بعد جزم أنه مبنى على ربوة عظيمة وهى الحجر الذى سقط من كسوته فكم بنيت منه عمارات لسكان تلك البلاد المجاورة له حتى صار الآن كنواة بلا فاكهة ولما فحصه العلامة مسبرو فى شهر فبراير سنة ١٨٨٢ وجد بابه من جهة الشمال مرتفعا عن سطح الارض بنحو ١٥ مترا وسرداب المدخل مربع القاعدة والارتفاع أعنى مترا فى مثله يمر أولا بوسط البناء نحو عشرين مترا ثم يدخل فى الارض الصخرية ويغوص فيها ثلاثة وخمسين مترا عمقا ثم يسلك أفقيا نحو اثنى عشر مترا ويستقيم رأسيا نحو ستة أمتار ونصف وينتهى بحجرة أو مغارة منحوتة فى الصخر بلا هندام خالية من كل شئ وقال المعلم المذكور لما فحصت هرم ميدوم ودخلته وجدت فوق الحجرة الملوكية أخشابا وحبالا عتيقة جدا علمت منها أن اللصوص سرقوا جثة الملك فى مدة الفراعنة لانى وجدت على جانب السرداب بقرب باب الهرم كتابة بربائية بالمداد وباستقرائها ظهر لى اسمان عجيبان فعلمت من تركيبهما ومن قاعدة الخط أن هذين اللصين دخلا الهرم وسرقا صاحبه فى مدة العائلة العشرين ومن الاسف أنهما لم يتكرما علينا بذكر اسم من سرقوه وكأنهما لم يرونا نستحق أن نعرفه ولسنا أهلا للوقوف على أخباره أما ما ذكره ماريت باشا من أنه الملك سنفرو (بالعائلة الرابعة) فلا يعتد به لانه اعتمد فى ذلك على حجر عثر عليه فى أحد المقابر القريبة من هذا الهرم منقوش عليه هذا الاسم ولا يبعد أن يكون هذا القبر لاحد الكهنة الذين كانوا لهذا

الملك كما أنى وجدت هذا الاسم بكثرة فى مقابر سقارة وغيرها أما صاحب الهرم فيغلب على ظنى أنه الملك أمنمحا الثانى (من العائلة الثانية عشرة) اهـ ولعل المستقبل يكشف لنا عن حقيقة أمره وفى سنة ١٨٧٢ وجد بجواره التمثالان العجيبان وتقدم ذكرهما عند الكلام على الدور الاول فى الدرس الثامن

أما قرية اهناس المدينة فهى من المدن القديمة التى بمديرية بنى سويف وتعرف قديما باسم هرقليوبوليس وهى واقعة على الشاطئ الغربى من النيل وكانت عاصمة الديار المصرية مدة العائلة التاسعة والعاشرة كما أسلفنا وكان أهلها يعبدون الشمس وليس بها الآن سوى أطلال قديمة متهدمة وآثار معبد أتت عليه الايام وعلى نحو الساعتين منها هرم اللاهون وبجواره مقبرة التماسيح المحنطة وهو للملك أمنمحا الثالث من العائلة الثانية عشرة ثم هرم هوارة المقطع وهرم سيلا وكلها بالفيوم التى اشتق اسمه من لفظة بايوما ومعناها الماء الواسع وهى مركبة من أداة التعريف (با) ومن (يوما) ومعناها البحر ولعل لفظة اليم محرفة عنها وفى هذا الاقليم أطلال مدينة قارس وتعرف عند اليونان باسم كروكوديلوبوليس (crocodilopolis) أى مدينة التمساح لان أهلها كانوا يعبدونه وكان به بحيرة موريس وسراى التيه أو البربة (راجع تاريخ مصر مدة العائلة الثانية عشرة) فاذا غادرنا هذه الجهة وتوجهنا الى مديرية المنيا رأينا جبل الطير الواقع فى جنوب قلوصنا وبه الدير المعروف بدير البكرة سمى بذلك لانه على قمة الجبل وليس له طريق يسلكه الانسان وأهله يستعملون الحبل والبكرة فى صعودهم وهبوطهم وبه طائفة من رهبان القبط يشتغلون بعمل الاحذية والمداسات وكان من عادتهم أنهم متى رأوا سفينة شراعية أو بخارية انقضوا فى الماء وسبحوا فى اللجة اليها ولهم أصوات مزعجة وصراخ هائل مصدع ومتى دنوا منها تكففوا الصدقات بالحاح والحاف وربما صعدوا فيها وهم عراة الاجسام مكشوفو العورة غير أنهم أقلعوا الآن قليلا عن هذه العادة القبيحة ثم نصل الى قرية الشيخ حسن والمطاهرة وطهنة وبها من الآثار ومقاطع الاحجار ما يدهش العقول سيما قرية الشيخ حسن ثم نمر بقرية زاوية الميتين القريبة من المنيا ومغاراتها من عمل العائلة السادسة ونقوشها فى غاية الاحكام تخبرنا بأحوال الفلاحة والملاحة والمواسم الدينية وغير ذلك ثم نصل الى قرية بنى حسن الواقعة فى جنوب هذه المديرية وقد اشتهرت بمقابرها المنحوتة

فى الجبل شمال القرية المذكورة بنحو ثلاث كيلومترات تقريبا وكلها فى نحو ثلثى الجبل وعتب أبوابها فى مستوى واحد تقريبا متجهة الى الغرب ويبلغ عددها خمسة عشر أعظمها اثنان جهة الشمال وتاريخ صنعها يصعد الى نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح عليه السلام ولهذه المقابر مشابهة بمقابر سقارة المعروفة باسم المساطب أعنى أنها تشتمل على رواق كبير وبئر محفورة بوسطه أو فى ناحية منه تتصل بحجرة أو مغارة اللحد أما تفصيلها فغريب جدا يكبر فى عين مهرة المهندسين المعماريين وسقفها ليس مستويا بل مقبى قليلا ويخلق به ما يشبه الكمرات التى تكون فى السقف عادة لتحمل حائطا من فوقها وهى والسقف والعمد قطعة واحدة من الجبل ورأيت بعض العمد مكسورة ونصفها الاعلى مدلى فى الفراغ لانها قطعة من السقف وشكلها غريب جدا ولبعضها ستة عشر سطحا وبعضها عبارة عن جملة عمد رفيعة ملتصقة ببعضها غليظة من أسفلها دقيقة من أعلاها بها جملة أحزمة كالمحابس تجمعها ببعضها ثم تأخذ فى الغلظ ثانيا وتنتهى بتيجان متنوعة منها ما هو على شكل باقات الازهار وما هو على شكل البشنين أو النواقيس المنعكسة وما هو مستدير وله أفاريز مختلفة منه وغير ذلك وللقبر الشمالى مشابهة قوية بعمارة اليونان القديمة وما أشك فى أنهم تعلموها من المصريين كباقى علومهم القديمة وارتفاع أساطينه ١٧ قدما وحيطان بعض المقابر كانت مغشاة بالجبس مصقولة وعليها لون يميل للحمرة يشبه حجر الجرانيت والظاهر أنها كانت جميعها مكتوبة ومحيت لتقادم العهد وكان القبر الشمالى لرجل يدعى (أمنى أمنمحا) وتاريخه منقوش على وجهتى الباب قبالة الداخل يعلم منه أنه كان قائدا لجنود المشاة أيام الملك أوزرتسن الاول (من العائلة الثانية عشرة) وأنه توجه مع ابن هذا الملك لغزو بلاد (أبو) وبلاد (اتيوبيا) وكان حاكما على اقليم (م ح) الكائن بجوار المنيا وقد بذل جهده فى حسن ادارة بلاده حتى نال رعاية الملك سيده كما أنه كان ربيبا على الكهنة وهاك بعض عباراته (قد أتممت كل ما عزمت عليه وما نطقت به وانى حاكم شفوق محبوب لطنى أدير أشغال المعبد بنفسى الى أن قال وما أحزنت طفلا ولا نهبت الارامل وما جبرت الشغالة على الشغل بالقهر وما قفلت بترا ولا كان مسكين ولا جائع فى زمنى ولما حل القحط بمصر بادرت بحرث الارض فى جميع اقليم (م ح) حتى أخصبت بمعارفى واقتات الناس وكنت أمدهم بالميرة والطعام وأعطى الارملة مثل

المتزوجة ولا كنت أفضل الجليل على الحقير ولما عم الفيض وكثر الخير صار الفلاح فى نعمة تامة لانى لم أثقل كاهله بالخراج انتهى باختصار) ويرى بالرواق صورة الفلاحة والقتال وأشغال النساء المنزلية على اختلافها وكلها مرسومة بغاية الدقة والاتقان الدالة على سمو الصناعة فى ذلك العهد

القبر الثانى لرجل يدعى (خنوم حوتب) كان معاصرا للملك (أمنمحا الثانى من العائلة الثانية عشرة أيضا) ونقوش هذا القبر عجيبة جدا غير أن يد الدهر والزائرين تحاملا على اتلافها وتاريخه منقوش على أسفل الحائط يستفاد منه أن أباه وأمه وأجداده كانوا من مدينة منعت خفو (منية ابن خصيب) وكان هو أيضا حاكما على اقليم (م ح) مثل سالفه وكان أبوه حاكما على الارض الشرقية التابعة لهذه المدينة ويقال انه من ذرية (أمينى أمنمحا) السالف الذكر ويرى بالرواق صورة الالعاب الجبازية وهى المصارعة وغير ذلك وعلى الحائط الشمالية صورة نادرة من أعجب ما يرى غير أن يد التلف أخذت تعبث بها فى كل يوم وهى وفود جماعة من الاجانب قنى الانوف جدا ولهم لحا سود مرسلة دقيقة من أسفلها ومعهم نساؤهم وأولادهم يقودون حميرا وتيوسا وغزلانا وبعضهم يحمل نشابا وحرابا ومساوق أو محاجن ومعهم رجل يضرب على آلة كالعود وأمام الجميع كاتب الملك المدعو (نفرحوتب) واقف وبازائه كتابة يستفاد منها أن فى السنة السادسة من حكم الملك أوزرتسن الثانى وفد سبعة وثلاثون شخصا من قبائل (عامو) وأحضروا معهم حقا من الاثمد وقدموه الى (خنوم حوتب) ولهذا الوفد ملابس ملونة والظاهر أنهم أتوا من شرق أرض فلسطين وظن بعض المؤرخين أن هذه الجماعة هى أولاد يعقوب عليه السلام حينما أتوا يشترون البر من مصر ولكن لا برهان لهم على ذلك وقال بعضهم انهم جماعة من العمالقة أتت الى مصر لتستوطن بها وعلى كل حال فهم أول من نزل مصر من الاجانب ولم يهتد أحد لسبب مجيئهم لداعى سكوت الآثار عنهم وقال ماريت باشا هذا الوفد كان علة اغارة العمالقة على أرض مصر وها هى ذريتهم قاطنة الى الآن على شواطئ المنزلة وصنعتهم صيد السمك وقنص الطيور وهم الذين هزموا جيش مروان الجعدى (آخر دولة بنى أمية) وجيش المأمون (السابع من خلفاء بنى العباس)

وفى جنوب هذه المقابر على مسافة ٤٥ دقيقة مقبرة واسعة جدا كانت معدة لدفن القطاط

المقدسة المحنطة الباقية بها الى الآن وأخبرنى عمدة الناحية ان أحد الشركات أخذ منها آلاف مؤلفة شحن بها جملة سفن ليحولها الى سماد (سباخ) ويوجد على نحو الخمسة عشر دقيقة الى الشرق مغارة تعرف عندهم باسطبل عنتر واسمها باليونانية (سبيوزارتميدوس) منحوتة فى الجبل وهى من عمل الملك (طوطوميس الثالث من العائلة الثامنة عشرة) ووسعها الملك (سيتى) الاول أبو رمسيس الثانى (من العائلة التاسعة عشرة) بعد ما مضى عليها ٢٥٠ سنة وأرصدها للمعبودة (سخت) وكان بها صفان من العمد فى كل واحد أربعة واتساعها ٢١ قدما فى مثلها ويظهر ان المحراب الذى بها كان معدا لوضع هذه المعبودة به وبهذه المغارة كثير من النقوش والكتابة والمعبودات وبجوارها جم غفير من المقابر المتخذة فى الجبل ولا فائدة فى رؤيتها انتهى باختصار

الدرس العاشر

(فى العلوم المصرية والقوانين المدنية)

لم يختلف اثنان من مؤرخى اليونان فى أن مصر كانت مهدا للقوانين الادارية والاحكام المدنية والترتيبات العسكرية ولها المآثر والتأثير الظاهر بيد أنهم لم يعينوا لنا أيام تلك الاحكام ولم يفصحوا عن أوقات هذه الترتيبات وكأنهم اعتبروها أذيالا فذكروها اجمالا منها ما ذكره ديودور الصقلى من أنهم كانوا يقطعون يدى ضارب النقود الزيوف والبهرجة غير أن التواريخ صرحت بأن النقود لم تدخل فى مصر الا فى زمن دولة فارس (العائلة السابعة والعشرين) ويؤيد ذلك ما رواه هيرودوت من أن (دارا بن هستاسب) هو أول من ضرب نقود الذهب وبالغ فى تصفيتها وأنه حكم بالقتل على (أريانديس) عامله بمصر لما علم أنه ضرب نقودا من الفضة بدون اذنه اه وكانت النقود المتداولة بمصر قبله اصطلاحية على شكل حلقات وضفادع وثيران وعجول صغيرة متخذة من الذهب والفضة وباقى المعادن مرقوم عليها عيارها وقيمتها مع وزنها وكانوا يقومون بها البضائع والسلع ويقولون هذا يعادل حلقتين من الذهب أو الفضة وهذا بثلاثة ثيران أو ضفادع مثلا أما الجزية التى كانت تقبضها مصر من الامم الخاضعة لها فكانت حلقات من الذهب أو الفضة تؤخذ بالوزن (انظر ما هو منقوش بالدير البحرى القريب من القرنه)

وكانوا يحكمون بالقتل فى جملة مواد احداها على الحالف بالباطل لدى الحاكم لانه ارتكب اثمين عظيمين أحدهما فى جانب الخالق والثانى فى جانب المخلوق ثانيها على قاتل النفس عمدا ثالثها على من رأى انسانا فى الهلاك ولم يغثه مع قدرته على ذلك لانه والحالة هذه يكون كالقاتل عمدا فاذا لم يمكنه اغاثته تحتم عليه اخبار الحكومة على الفور والمرافعة مع الجانى عن المقتول لانه وطنى مثله ويجب عليه الاخذ بحقوقه

ويحكم بالجلد مع المنع من الاكل ثلاثة أيام على كل من كتم عن الحكومة جناية وقعت أمامه ويصرح لكل انسان أن يترافع معه ويحكم على المدعى بالباطل على غيره بنفس ما كان يحكم به على المدعى عليه اذا ثبتت جنايته وكانوا يقولون ان عقاب الجانى والمدافعة عن المظلوم هما أكبر ضامن لتوطيد دعائم الامن والسعادة العامة أقول وهذا مصداق

قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب) وكانت الحدود تقام على الاموات كما تقام على الاحياء فيمنع المجرم من الدفن مع الاحترام اذا ثبت عليه بعد موته أنه اقترف ما كان يوجب عقابه في الحياة الدنيا

وكانوا يحكمون بالفضيحة على الجندي الفار من العدو يوم الزحف وعلى من يرتكب مخالفة قانونية عمدا مالم يأت بأعمال سديدة تمحو عنه وصمة تلك المعرة

ويحكم بالجب على من يأتي النساء غصبا وبقطع أنف الزانية وجلد الزاني وسل لسان من يطلع العدو على عورات الوطن وقطع يمين مطفف الكيل والميزان ومقلد ختم السلطان أو الاهالي ومزور الخطوط ومغير صورة موضوع الدعاوى الرسمية

ويحكم بالعذاب ثم بالحرق حيا على كل من يقتل أحد أبويه عمدا أما من يقتل ابنه أو بنته فيحكم عليه أن يعانق الجثة ثلاثة أيام بلياليها ولا فرق بين الرجال والنساء في العقوبة أما الحبلى فكانوا يؤخرون تنفيذ الحكم عليها الى ما بعد الوضع لكيلا يشترك معها الطفل في القصاص وهو برىء

ويقال ان فرعون بوخوريس (في العائلة الرابعة والعشرين) سن قانونا عادلا للتجارة والمعاملة منه أن الدين يصير لاغيا اذا حلف المدين قانونيا بالنفي وعجز الدائن عن اثباته ومنه أن الفائدة لا تتجاوز رأس المال مهما كان نوعها ومنه أن مال المدين ضامن لدينه لا شخصه

وقال هيرودوت ان أحد الفراعنة ولم يذكر اسمه ولا زمنه سن قانونا للمعاملة منه أن المدين له أن يرهن جثة أبيه المحنطة تحت يد المداين يعني أنه يضع يده على قبر عائلة المدين لكن لا يسوغ له أن ينقل الجثة المرهونة من مكانها فاذا مات المدين قبل وفاء دينه فللمدين أن يحرمه من الدفن في قبر عائلته ويحرم كل أولاده من ذلك مادام الدين قائما بذمتهم بعد أبيهم وقال المؤرخ المذكور ان سباكون الحبشي (من العائلة الخامسة والعشرين السودانية) أبطل من مصر العقوبة بالقتل واستبدلها بالاشغال الشاقة في المنافع العامة وان الملك أماسيس (من العائلة السادسة والعشرين) حتم على كل مصري أن يثبت اسمه بالكتابة في آخر كل سنة بمحكمة الجهة القاطن بها ويبين صنعته وأسباب معيشته ومن لم يفعل ذلك أو ظهر أنه يأكل بالسحت حكم عليه بالقتل

وذكر ديودور الصقلي كثيرا من هذه الاحكام ولكن من الاسف أنه لم يبين أوقاتها ومن المعلوم أن البطالسة هم أول من أباح بمصر زواج الاخت وطلاقها أخذوا ذلك من العجم والمجوس الذين كانوا بمصر قبلهم فصار ذلك قانونا في دولة البطالسة وربما تزوج الرجل منهم ابنته المرزوقة له من اخته فيكون لها أبا وزوجا وخالا وزوج أم وتكون اخته أما وضرة وعمة وامرأة أب وتكون هي زوجة وضرة وبنت أخ وبنت أخت وغير ذلك

أما قضاة المحاكم في زمن الفراعنة فكانوا من القسس المتخرجين من مدارس طيبة ومنفيس والمطرية وكانت تتشكل المحكمة الكبرى بمدينة طيبة من ثلاثين قاضيا من كبار الكهنة عشرة من كل مدينة من هؤلاء المدن أما المحاكم الثانوية فكان يختلف عدد قضاتها كما تختلف درجاتهم تبعا لاهمية مراكزهم واذا تساوت درجات القضاة وأهليتهم جعلوا أكبرهم سنا رئيسا لهم وكان من عادتهم أن يجعلوا في عنقه سلسلة من الذهب بها صورة المعبودة ساتا المتخذة من الاحجار الكريمة وعلى رأسها تحوريشة كانت عندهم رمزا على الحق ولا يترشح لهذا المنصب الا من كان له دراية بكثير من العلوم الدينية والدنيوية منها اتقان قواعد القلم البرباوي والقسموغرافيا والجغرافيا ورصد حركات الاجرام السماوية ورسم خرطة مصر والنيل وممارسة علم الرياضة وأخذ مساحة الاراضي والطب وغير ذلك فلذا كانت هذه العلوم نصب عين الكهنة وكانوا يلبسون الثياب البيضاء النظيفة المتخذة من الكتان الابيض اليقق وكانت مرتباتهم من خزينة الملك خاصة ومتى تعينوا لهذه الوظيفة حلفوا بين يديه أنهم لا يطيعون له أمرا ينافي طريق العدل فلذا كبروا في عين المصريين واحترموا مجالسهم

أما المرافعة بين الاخصام فكانت بالكتابة فقط وبعدما تعرض عليهم ويحيطون علما بما فيها يتداولون مع بعضهم ويراجعون القوانين التي أمامهم ثم يوقعون عليها بما يترا آى لهم من الحكم ويقبض الرئيس على صورة الحق المعلقة في عنقه ويصوبها الى صاحب الحق بدون أن يتكلم ولم يعهد أنه كان في زمانهم محامون ولا مرافعة شفاهية الا فيما لا بد منه لانهم كانوا يخافون أن فصاحة اللسان وتشاقش الكلام تحجب الحق أو تخدع أرباب الحكم ولا شك في أن أرباب الاقلام والمشرعين من الكتاب كانت تقوم بتحرير الدعاوى بين الناس وتقدمها لهم في المحاكم

ومن المعلوم ان هذا الدستور دخله بعض تعديلات أيام دولة البطالسة تلائم حالة الوقت منها ان كل عقد أو شرط لا يسجل بالمحاكم العامة يصير لاغيا كما أن كل تعهد خال من الضمانة يصير كذلك وكل عقد ثبت تزويره يمزق فورا وكل شرط انعقد بين متعاقدين مختلفين في الجنسية بان كان بين مصرى ويونانى يكتب على نسختين احداهما باللغة اليونانية والاخرى باللغة المصرية فاذا اختلفت الترجمة فالقول بما في النسخة المصرية ويلغى مفعول الشرط اذا كان مكتوبا باليونانية فقط لا بالعكس لانها اللغة الامة كما أن المواعيد المحددة كانت معتبرة قانونا ولا يسقط الحق في الملك الا بمضى ثلاث سنين على الاكثر وكان اثبات المواريث مرعيا شرعا وكل ميراث لم يسجل رسميا يعاقب الوارث له بالغرامة

وهاك ملخص دعوى نظرت بالمحكمة الكبرى بمدينة طيبة في شهر دسمبر سنة ١١٧ قبل الميلاد وكانت بين مصرى ويونانى مدة البطالسة وجدت مكتوبة باللغة اليونانية على شقفة من البردى وهى الآن بمتحف تورينو (بايطاليا) وما آلها

تقدمت هذه الدعوى الى محكمة طيبة عاصمة المملكة المشمولة برياسة (هيركليد) حكمدار الخفر السلطانى وحاكم قسم الضواحى ورئيس جباة الاموال بالقسم المذكور ومعه كل من (بوليمون هركليد) الجباز و (أبولنوس هرموجين) صديق الملك (بعينه) و (بانكرات) ضابط من الدرجة الثانية و (بانسكوس) من أهالى مصر الخ الجميع قضاة بالمحكمة المذكورة

الموضـــــوع

انه في ٢٢ من شهر انير (هاتور) سنة ٣٤ من حكم بطليموس أورجيطة (الرحيم) طلب (هرمياس) بن بطليموس قومندان نقطة امبو الحربية خصمه المدعو (هوروس) بن (أرسيازى) المصرى ومعه فلان وفلان الخ الجميع صنعتهم مباشرة تحنيط الاموات للحضور أمام هذه المحكمة لان المذكور اغتصب منزله الكائن بمدينة طيبة المحدود من الشمال الخ وبعد ما سكنه في غيبته وأخذ يباشر صنعته به أبى عن الخروج منه وأن هرمياس المدعى طلب المدعى عليه وهو هوروس جملة مرات للحضور أمام المحاكم الاخرى لاجل حصوله على حقه ولم يفد ذلك شيأ وأن المدعى عليه كان يستعمل المراوغة والحيل

كما أن المدعى كان مجبورا على عدم مباشرة الدعوى لاقامته بمحل وظيفته الى أن نظرت اخيرا بهذه المحكمة للحكم فيها لانها أما أوجه التمليك للمنزل فهو (مذكور في عمودين ونصف من الورقة المذكورة وذكر بعد ذلك أقوال المحامين عن الخصمين وهما (فيلوكليس) النائب عن المدعى و (دينون) النائب عن المدعى عليه) وملخص ذلك أن كل واحد منهما كان يبرهن بالاوراق والحجج والعقود والتواريخ المثبتة لصحة تمليكه المنزل متمسكا بنصوص بنود القانون العامى والمدنى وأخذ (فيلوكليس) يزدرى بجمعية المحنطين للاموات مستظهرا بالقوانين والاوامر السلطانية الصريحة المانعة لاباحة مباشرة هذه الصنعة بقرب المعابد أما (دينون) فكان يدافع عن هذه الجمعية ويذكر حالتها الطبيعية وشدة لزومها بين الناس وانها كان عظيم في الهيئة العامة وذكر نصوصا قانونية تفند أقوال خصمه وشدد النكير على (هرمياس) اليونانى لعدم مراعاته القواعد المقدسة المرعية عند جميع المحاكم على اختلاف درجاتها وكان يذكر في خلال ذلك أن موكله يملك المنزل من عدة أعوام مضت وأخذ يسردها ثم عطف في أثناء المرافعة على بعض مواضيع أثنى فيها على حسن ادارة الهيئة العامة وعلى كثير من القضاة وما لهم من شرف الوظيفة وعلى الترتيبات النظامية التى بالقطر المصرى وأحوال أخرى لا تخلو عن الفائدة التاريخية ثم صدر الحكم في العمود التاسع من الورقة المذكورة برفض دعوى المدعى اليونانى وأحقية هوروس المصرى بالمنزل لتطهير وضع اليد ومن تأمل في كيفية اقامة الدعاوى بالمحاكم أيام دولة البطالسة علم أنها لا تكاد تختلف عما هو جار الآن بيننا

أما علم الطب فكان لهم فيه اليد الطولى مع أنهم كانوا محافظين على الاصول الصحية منها ما ذكره هيرودوت من أنه لاحظ أن صحة المصريين أحسن بكثير من صحة باقى الناس متعللا بانهم كانوا يستعملون المقيئ والحقن في كل شهر ثلاثة أيام متوالية لانهم كانوا يقولون ان الاكل والشرب سببان لكل مرض وكانت الاطبة عندهم منقسمة الى طوائف لكل طائفة فرع من الطب لا تشتغل بغيره كالرمد والجراحة والامراض الباطنة وأمراض الرأس والجلد وهكذا فلذا برعوا فيها وفاقوا غيرهم في سائر البلاد

وقال العلامه مسبرو (يظهر أن الطب النظرى لم يبلغ عند المصريين درجة سامية لانهم كانوا يخافون ديانة من تشريح الاموات لاعتقادهم أنهم يحيوا ثانيا بعد موتهم فلذا

Reference: 12977. Copyright for this page:

View on the Qatar Digital Library: http://www.qdl.qa/en/archive/qnlhc/12977.46

ما كان يمكنهم الكشف على أحشائهم حتى عند التحنيط لان المحنطين نفسهم كانوا مبغوضين لدى العامة مع أن أشغالهم كانت قانونية ولشدة كراهتهم فيهم كانوا يرجمونهم بالحجارة عندما يرونهم يباشرون صنعتهم بشق بطن الميت واخراج احشائه وكانت الاطبة لاتخرج فى معالجتها عن الكتب المؤلفة لهم فيه ومن خرج عنها عرض نفسه للخطر اه

وقد وجد الآن كثير من المؤلفات الطبية لكنها عسرة الفهم جدا وكثير من أسماء عقاقيرها مجهول لعدم معرفة حقيقة مسمياتها وكيفية تركيبها وأسماء الامراض التى تستعمل فيها وغاية ما علم منها بعض نظريات غير تامة الفائدة وهاك تشخيص الالتهاب لم نقف على حقيقته (يشعر المصاب بالتهاب كذا بثقل فى البطن ومرض فى عنق القلب والتهاب فى القلب وسرعة فى النبض وثقل فى ثيابه مع أن كثرة الملابس لاتدفئه وظمأ ليلى وتغير فى الفم حتى يصير طعمه كأنه أكل جميزا ومتى خرج الى بيت الادب يرى بطنه منتفخة ويتعذر عليه البراز) وغاية ما علم من هذه المؤلفات أن العلاج عندهم ينحصر فى أربعة أشياء وهى الدهان أو المروخ والجرعة واللصقة والحقنة وكل نوع من هؤلاء يتركب من جملة عقاقير حيوانية ونباتية ومعدنية حتى ان بعض الادوية كان يتركب من نحو الخمسين نوعا منها الاعشاب والاخشاب الملطفة والجميز وخشب أرزلبان وسلفات النحاس وملح البارود والحجر المنفيسى (لايعلم نوعه) وكانوا يزعمون أنه متى وضع على موضع المرض أو الجلد المخدوش أبرأه لوقته وكان ماء الشعير ومنقوعه ولبن البقر والمعز وزيت الزيتون والتمر والجميز يدخل فى كثير من الادوية كما أن شعر الآيل وقرونه تدخل فى كثير من المروخ وعسل النحل يدخل فى جملة من الجرع والمنقوعات وغير ذلك

وكانوا يقولون بمس الشياطين ولمس الجن وهى الارواح الخبيثة ولذا كانوا يستعملون للمريض الرقية والتعاويذ والتمائم فان لم تنجح أتوا بالطبيب والك صورة رقية وجدت مكتوبة على أحدى الاوراق البردية (أيها الشيطان الساكن فى جوف فلان ابن فلان ويذكرون اسمه واسم أبيه أنت الذى أولك يدعى ضارب الرؤس الملعون الاسم الى يوم الدين) يكررها عددا معلوما لكل مرض ولاشك أن هذا الاعتقاد سرى الينا من هؤلاء القوم فجارينا هم فيه وزدنا عليه طبل الزار وغيره من الامور التى تأباها الديانة والانسانية معا

أما علم الهندسة والرياضة وأخذ المساح فشهرتهم فيه أكبر من أن تذكر بدليل ماشيدوه

من المبانى التى ماجعلت لالذأعدائهم مطعنا ولا مغمزا فى احكام هندستها وليس بعدها شهادة ولاتزكية

أما معرفتهم فى علم الفلك فما كانت دون معرفتهم فى باقى العلوم اذهم أول من رصد الكواكب السيارة والثابتة فمن السيارة كوكب المشترى (هور) وزحل أو القاهر (هرقاهر) والمريخ (هرماخيس) ولاشك أنهم لاحظوا تأخيره السنوى وضبطوا حسابه وعطارد (سويك) والزهرة (بانو) ويؤخذ من النصوص القديمة جدا أنهم عرفوا حركة الارض لانهم قارنوها ببعض الكواكب السيارة مثل المشترى والمريخ وكانوا يزعمون كباقى الامم أن للشمس حركة عامة وأنها تقطع السماء كل يوم مع كثير من الكواكب الضالة وسيأتى الكلام على ذلك ولم يقتصروا على معرفة الكواكب الظاهرة بل عرفوا كثيرا مما لايمكن مشاهدته الآن بالعين المجردة لكن لايمكن مطابقة أسمائها القديمة بالاسماء المتعارفة عند الفلكيين فى هذا العصر ولاشك أنهم رصدوا جميع الكواكب التى قدروا على رؤيتها وحرروا بها الجداول بعدما عينوا سيرها وحركاتها وأوجهها ومطالعها ومغاربها وكانوا يقدمون فى آخر كل سنة كشفا شاملا لجميع ماذكر مع البيان التام وكان لهم جملة مراصد بالصعيد والبحيرة مثل مرصد دندره والعرابة المدفونة ومنفيس والمطرية وغيرها وقد وجد الآن بعض هذه الجداول الفلكية وهم الذين قسموا السنة الى اثنى عشر شهرا والشهر الى ثلاثين يوما واليوم الى ساعات ودقائق وثوانى وعرفوا أيام النسئ والسنة البسيطة والكبيسة وقالوا بهما ولايخفى أن ذلك يحتاج لرصد الاجرام السماويه فى مدة جملة مئات من السنين لكن لايمكننا تحديد الزمن الذى عرفوا فيه مقدار السنة الحقيقية حتى قالت الكهنة ان مقدارها كان معروفا بمصر قبل قيام الدولة الملوكية الاولى وزعموا أن الاشهر الشمسية والقمرية كانت فى مبدأ الامر متساوية ومقدار كل واحد منها ثلاثون يوما وأن المعبود (نوت) السماء اختلى بالمعبودة (ساب) زحل فحملت منه فـأعلم ذلك المعبود الاكبر (رع) الشمس واحتدا لفعلهما فحكم على المعبودة (ساب) أنها لاتلد فى أشهره ولا فى سنته (أى الاشهر والسنة الشمسية) فأشفق عليها المعبود (توت) كوكب الشعرى اليمانية أو هرمس ورثى لحالها وترجى القمر فى أن يدعها تلد فى أشهره فأبى هو أيضا وامتنع فأسرها (توت) فى نفسه ولعب معه النرد (الطاولة) فغلبه وأخذ منه نظير ذلك جزأ من ستين جزأ من كل يوم من أيامه أى من كل يوم قمرى فكان ذلك عبارة عن ستة أيام وهبها الى المعبودة (ساب) لتلد فيها اه

وباجراء الحساب اتضح أن الذى أخذه بوتمن القمر يعادل ٢٤ دقيقة فى كل يوم أو ١٢ ساعة فى كل شهر أو ستة أيام فى كل سنة وهى الفرق مابين السنة القمرية ومقدارها ٣٥٤ يوما والسنة القبطية ومقدارها ٣٦٠ يوما وبضم هذا الفرق على السنة القبطية تنتج السنة الكبيسة التى عددها ٣٦٦ يوما ولاشك فى أنهم استرسلوا فى علم الفلك حتى عرفوا مقدار السنة الحقيقية وهى ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٩ دقيقة والسنة النجمية وهى $\frac{1}{4}$ ٣٦٦ ومقدار ماياتأخره القمر فى كل يوم عن الشمس وهو ٥١ دقيقة ومقدار سيره الحقيقى حول الارض وهو ٢٧ يوما و ٨ ساعات تقريبا ومقدار سيره الظاهر حولها وهو ٢٩ يوما و ١٢ ساعة راجع القسموغرافيا اذليس هذا محله ولعل هذه الخرافة القديمة كانت عندهم ضابطا فلكيا للسنة الكبيسة كقولهم فى علم النحو سرق عمرو واو داود فسلط الله عليه زيدا يضربه أعنى أن داود يكتب بواو واحدة وعمرو يكتب بواو فى حالة الرفع والجر لعدم الالتباس بعمر وهذه الخرافة لاتخلو من الفائدة التاريخية وهى انها علمنا أنهم كانوا يعرفون لعب النرد قديما والمقامرة وقد رأيت زهر نرد فى اطلال مدينة (أبو) بالصعيد وزعم المؤرخون أنه من اختراع (أردشير) ملك فارس فان صح ذلك كان دخوله مصر أيام دولة العجم أو يقال ان العجم تعلموه من مصر أو أن اختراعه تعدد أو كان نردا آخر والله أعلم

أما باقى العلوم فكانت مستوطنة عندهم من قديم الزمان راسخة فى صدورهم وسطورهم يتوارثها جيل عن جيل ويتلقفها حقير وجليل ولما علم مسبرو أن لبسيوس الالمانى وجد فى مقبرة بالجيزة اسم رجل كان من وجوه أعيان الدولة السادسة وعنوانه أمين دار كتب الملك قال هذا العنوان يكفينا برهانا على انتشار التمدن بهذا الوادى فى تلك الاعصار الغابرة وما كان للعلوم من الكثرة والرفعة والاعتناء بها حتى جعلوا لها دورا وأناطوا بحفظها رجالا من كبار الحاشية الملوكية ولاجرم أن هذا الرجل كان حافظا الاسفار الازمان السابقة على عصره التى ربما صعد تاريخ بعضها الى عصر الملك منا رأس الفراعنة أو الى عصر من كان قبله ولابد أنها كانت كافلة بجلة علوم كالديانة وخبر الدنيا والآخرة وكالطب والرياضيات والقوانين والفلك والتواريخ والروايات والمحاضرات والآداب والفلسفة وأفعال الملوك السالفة وأيامهم ومدة حكمهم ولو بقيت لنا هذه الكتب لكانت أنفس من كتبخانة الاسكندرية التى احترقت بنار الجهل قديما

الفصـــــل الثالث

(رحلة علميــة مابين بنى حســن وأســيوط)

كيلومتر	
١٧	من بنى حسن الى الروضة
١٠	من الروضة الى ملوى
١١	من ملوى الى الحاج قنديل
٢٧	من الحاج قنديل الى جبل أبى فوده
١٨	من جبل أبى فوده الى منفلوط
٤٢	من منفلوط الى أسيوط
٣٩٦	من بولاق مصر الى أسيوط

ثم نخرج من قرية بنى حسن ونتجه الى الجنوب فنصل الى بندر الروضة التابعة للدائرة السنية بمديرية أسيوط وهى واقعة على الشاطئ الغربى للنيل وبها فوريقة جليلة لعمل السكر يزورها السائحون فى ايابهم ويخرجون منها وهم فى دهشة مما رأوه بها من كثرة الآلات والدواليب وسرعة الحركة ونشاط العمال وغير ذلك

وعلى نحو الساعة ونصف الى الغرب منها أطلال مدينة الاشمونين المذكورة فى تواريخ القدماء ومساحة خرابها نحو الالف فدان وليس بها الآن مايستحق الذكر وكانت سابقا رأس اقليم وفى سنة ١٨٠٠ مسيحية رأى بها الفرنسيس مدة اقامتهم بمصر آثار معبد قديم من أحسن مايرى وبابه متجه الى الجنوب على خلاف العادة القديمة المتبعة ومحوره ينطبق على محور المدينة انطباقا تاما وهو محرر على محور القطب المغناطيسى ولو كان هذا المعبد باقيا لكان محوره نافعا فى معرفة التغيرات التى تحصل للمحور المغناطيسى فى جميع الازمان لكن سبحان من لايزول ملكه

وفى الجانب الشرقى من النيل قرية الشيخ عبادة الشهيرة بمغارتها الواقعة على نحو ٤٥ دقيقة منه وكان تحصن بها من نحو سبعة أعوام عصبة من المفسدين وتعذر على الحكومة اخراجهم منها لولا افراغ الماء من عندهم ولما توجهت اليها رأيت لها ثلاثة أبواب متفرقة

وأخبرنى عمدة الناحيـة أنه لغاية الآن ما وصل أحد الى قرارها فدخلتها بالشمع والرجال والسـلاح ولما سرت فيها رأيتها متشعبة الدروب متشابهة الاعلام كثيرة المسالك الوعرة شديدة الظلام وبعد أن سرنا بها نحو الثلث ساعة قال لى الدليل الى هنا ينتهى علمنا وامتنع عن السـير فكلفت واحدا ممن كان معنا أن يقف بالنور واسـتمر بنا نحن فى السـير بها حتى احتجب النور عن أبصارنا فأوقفت غيره بالنور مثله ومشينا حتى احتجب فأوقفت ثالثا ثم رابعا وخامسا وسادسا وسابعا وكلهم بالنور ولم يبق معنا غير ثلاث شمعات لا تكفى لاستصباحنا وكنا قطعنا نحو التسعمائة متر وما وصلنا الى آخرها وكثرت دروبها وشعوبها فى أعيننا وكادت تغلق صعود وهبوط ما بين انجاد واغوار وحجر ومدر وأخاديد وانعطافات حتى تخيلت أنها طريق العفاريت أو تيه أهل النار وخشيت أن أضل الطريق أو يخوننى الرفيق فأسرعنا الكرّ بالرجوع نؤم النور الذى تركناه خلفنا ونهتدى بسناه من بعيد الى أن خرجنا منها والحمد لله ولم نقف على آخرها وفى عصر ذلك اليوم ركبت مع بعض العربان وسرنا على شاطئ النيل بجوار الجبل نحو الساعة وربع واذا بمغارة مثلها فدخلتها ومشيت بها نحو دقيقتين فوجدت سقفها قد خرّ وسد الطريق فخرجت منها وصعدت فوق الجبل فرأيته متهدما فيها حتى صارت كأنها واد بين جبلين وسيرها متجه نحو المغارة التى كنا فيها صباحا فعلمت أنها أحد شعوبها وأيقنت أنها كانت مقاطع الاحجار فى الازمان السالفة

ثم نسافر من هـذا المكان الى الجنوب حتى نصل قرية بنى عامر المعروفة فى كتب المؤرخين باسم تل العمارنة الواقعة على الشاطئ الشرقى من النيل وعلى بعـد خمسين دقيقة منه نرى مقابر لطيفة منحوتة فى الجبل بعيـدة عن بعضها وبها نقوش وأشكال بديعة تروق فى عين الناظر ويلزم لزيارتها كلها نحو الاربع ساعات واكتشف أحد الانكليز من نحو الثلاث سنين بالقرب من القرية المذكورة بناء مهدوما وعلى أرضـه كسوة من الجبس منقسمة بالرسم الى حيضان وفى كل حوض رسوم عجيبة وأشكال غريـبة تحدث عن تقـدم فن الرسم فى ذلك العهد منها صورة البحر وبه المراكب مقلعة ومحدرة وأنواع السمك والزرع والانهار تكنفه سيما تدريج الالوان الذى لا يمكن وصفه حسنا واتقانا وجميع ذلك من عمل الملك أمونوفيس الرابع الذى سمى نفســه (خون أتن) أى سـناء الشمس وهذه المقابر لعائلته واكتشفت مصلحة حفظ الآثار من نحو ثلاث سـنين قبره وهو على مسافة ساعة

ونصف من قرية الحاج قنديل القريبة من تل العمارنة ولما توجهت لمعاينته سلكت فى واد بين جبلين شامخين ثم انتهيت بعـد المشقة اليـه فألفيته يماثل قبور باب الملوك منحوت فى الجبـل كأنه قصر عظيم غير أن أهل عصره محوا اسمه من حيطانه ودمروها بعـد موته بغضا له وكراهة فيه لانعكافه على عبادة الشمس ورفضه معبوداتهم (راجع سيرته فى تاريخ مصر) ورأيت صورته على حيطان كثيرة منحوتة بالجبال وله هيئة خاصة تشابه الخصـيان غليظ الشفتين ضخم الجثة مكتنز اللحم وصورة قرص الشمس فوق رأسـه وهو يعبدها مع عائلته نساء ورجالا وأشعتها ساقطة على رأسه على هيئة أيد قابضة على ما يعرف عنـد أهل الآثار باسم مفتاح النيل وهى علامة برباوية معناها الحياة كأن الشمس تقدمها له وقال مسبرو علامة الآثار أن هذا الملك تزوج وهو صغير ورزق بسبع بنات ولا نعلم كيف صار خصيا بعد ذلك الا اذا كان حصل له هذا الامر فى حرب أهل السودان الذين يخصون كل من يقع أسيرا فى قبضتهم

وكان بلغنى أنه يوجد فى الجبل على بعـد ست ساعات مغارة بها نقوش برباوية فاكتريت هجينا وتوجهت قبيل الفجر مع عرب تلك الناحية لرؤيتها فسرنا فى جبل قفر وأودية مهلكة ليس بها نبات غير الشيح والخزامى وكنا نمر على طرق ودروب قديمة من ذلك العهد تتقاطع مع بعضها ميمنة وميسرة فى تلك السباسب والقيعان ثم وصلنا قبيل الظهر وقرأت بها اسم الملك بيى وأظنها كانت مقطعا للاحجار ورأيت على نحو النصف ساعة منها مغارة عليها اسم من يدعى (تا) وفيها صورة أحواله المنزلية ولما عدت اكتشفت فى طريقى فوق قمة جبل منفرد فى ناحية حائطا منحوتا ما رآه أحد قبلى طوله خمسة أمتار وربع وارتفاعه متران وخمسة سنتى عليـه تاريخ الملك (خون أتن) السـالف ذكره وفوق رأسه قرص الشمس بارزة فى صورة غريبة وأياديها ممدودة اليه بالحياة وجميع نقوشه سليمة كأنها كتبت ليومها ثم عدت الى السـفينة بعد العشاء وأنا فى حالة يرثى لها من التعب لانى مكثت ست عشرة ساعة ما بين سفر واكتشاف بالجبال

ثم نصعد الى الجنوب فنمر بجبل أبى فودة وبه كثير من المغارات المنحوتة أهمها مغارة المعابدة التى كانت معدة لدفن التماسيح المحنطة وتقدم ذكرها وقال ماريت باشا انه يوجد بها رمم من بنى آدم وعليها قشرة من الذهب غير أنى لما دخلتها ما تفطنت لقوله

ثم نقصد مدينة أسيوط وتعرف فى كتب اليونان باسم (ليكوبوليس) (Lycopolis) أى مدينة الذئب لانهم كانوا يعبدونه بها كما أنهم كانوا يعبدون ابن آوى المعروف عندهم باسم (أنوبيس) ورأيت فى جبل قرية المشايعة الواقع على بعد نحو ثلاث ساعات فى جنوب أسيوط كثيرا من رمم هذين النوعين محنطة ومدفونة فى مقابر مخصوصة مع الطيور المقدسة من كل نوع

أما مغارات أسيوط فكثيرة جدا ومتركبة فوق بعضها فى جوانب الجبل وفوقه وتمتد الى أمد بعيد شمالا وجنوبا وجميعها خالية من الكتابة والنقوش ماعدا ثلاثة أو أربعة منها وكتابتها على شرف الزوال بعضها من عمل العائلة الثامنة المصرية وعلى نحو ساعة منها جهة الشمال قرية (منقباد) وكانت مدينة يونانية ويرى فى بعض حيطانها المبنية باللبن (الطوب النى) بعض نقوش يونانية من مدة الدولة العيسوية

الدرس الحادى عشر

(فى دين قدماء المصريين وما اشتملت عليه المعابد من مبانى ورسومات)

اختلف المؤرخون فى دين المصريين فجرى أكثرهم على أنهم كانوا أمة موحدة تعبد الله ولا تشرك به شيأ وهو قول المؤرخ (بورفير) وغيره وقال هيرودوت ان أهل طيبة كانوا يعبدون الله وحده ويقولون هو الاول والآخر الحى الابدى السرمدى وروى (جامبليك) انه سمع من كهنة المصريين نفسهم أنهم يعبدون الله وحده ويقولون انه فاطر السموات والارض رب كل شئ وهو المالك لكل شئ الخالق لكل شئ الذى لم يخلق ولم يتجزأ ولا تراه العيون يعلم ماتكنه الضمائر وماتخفيه الصدور وهو الفاعل المختار لكل شئ وفى كل شئ الى أن قال أما مانراه من كثرة المعبودات فجميعها من يرجع اليه وحده بمعنى أنها تدل على ذاته العلية وصفاته الازلية وهذا هو اعتقاد كهنة المصريين المدون فى كتبهم المقدسة اه وقال المؤرخ (شمبليون فيجاك) قد استنبطنا من جميع ماهو مدون على الآثار صحة ماقاله المؤرخ (جامبليك) وغيره من أن المصريين كانوا أمة موحدة لا تعبد الا الله ولا تشرك به شيأ غير أنهم أظهروا صفاته العلية الى العيان متشخصة فى بعض المحسوسات وأنهم لما غرقوا فى بحر التوحيد علموا أبدية الروح وأيقنوا بالحساب والعقاب ولا عبرة بما قاله بعض مؤرخى الاجانب الذين حضروا محافل المصريين الدينية وشاهدوا بها كثرة تماثيلهم الرمزية وأنهم لجهلهم بلغتهم وبحقيقة عبادتهم حملوا الامور على ظاهرها وحكموا عليهم بالكفر والالحاد مع أنهم لم يفهموا منهم المراد فكأنهم دخلوا فى قول الشاعر

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وكيف يتصور أن المصريين مع غزارة علمهم وتوقد مدركاتهم وصحة أفهامهم وصدق فراستهم ومهارتهم فى عمل كل شئ يتخذون المنحوتات أربابا ويميلون الى نزغات الشيطان

وفى بعض التواريخ المعتبرة أن موسى عليه السلام دخل منذ شبيبته فى مدارس الكهنة وتعلم منهم اسم الله المكنون الذى كانوا يصونونه عن غيرهم من العامة

وقال بعضهم ان لفظة (أدوناى) العبرانية التى معناها الله مشتقة من لفظة (أدن) أو (أتن) المصرية ومعناها الشمس عند العامة وأما عند الخواص فمعناها الله القادر

وقد وجد فى بعض الاوراق ما يدل على وحدانيتهم منها (الله واحد لا شريك له وهو خالق كل شئ) ومنها (الله فرد أزلى كان قبل كل شئ ويبقى بعد كل شئ لا بداية لاوله ولا نهاية لآخره) وغير ذلك

وقال مسبرو نقلا عن كبار مؤرخى هذا العصر ما ملخصه من تأمل فى الآثار الباقية الى الآن بالديار المصرية واللوحات الدينية المنقوشة بالهياكل وما على الورق البردى هاله كثرة هؤلاء الآلهة المصورة عليها لان الانسان لا يقع نظره الا على صور وتماثيل مختلفة الهيآت والاشكال خضعت لها جباه جبابرة ملوكهم وأحبار كهنتهم حتى يظن أن مصر كانت مسكونة بهؤلاء الآلهة وأن أهلها ما خلقوا الا لعبادتها وسبب ذلك أن المصريين كانوا أمة مخلصة فى العبادة اما بالطبيعة أو بالتلقين والتعليم فكانوا يرون أن الله فى كل مكان فهامت قلوبهم فى محبته وانجذبت أفئدتهم اليه واشتغلت أفكارهم به ولازم لسانهم ذكره وشحنت كتبهم بمحاسن أفعاله حتى صار أغلبها صحفا دينية وكانوا يقولون انه واحد لا شريك له كامل فى ذاته وصفاته وأفعاله موصوف بالعلم والفهم لا تحيط به الظنون منزه عن الكيف قائم بالوحدانية فى ذاته لا تغيره الازمان وسيان بين ماضيها ومستقبلها فهو الذى ملأت قدرته جميع العوالم وهو الاصل والفرع لكل شئ وكلاهما واحد (1) ثم عددوا صفاته العلية وميزوها بالاسماء واشتقوا منها نعوتا خصوها فى المحسوسات وفى كل شئ نافع وجميعها يرجع اليه ولاجل التمييز بينها جعلوا لكل اسم تمثالا فانتشرت هى وما اشتق منها حتى ملأت المدن والبلاد وميز كل ناحية معبوداتها عن غيرها لعدم الالتباس فنشأ عن ذلك جملة معبودات متباينة فى الشكل والهيئة دخلت فيها الحيوانات والطيور والاسماك والحشرات ولكل واحدة وظيفة خاصة ترجع الى صفاته تعالى من ذلك معبودهم (أمون) وهو الله الذى ينبعث منه كل شئ ويعطى لنور العقل القوة لادراك الاشياء الخفية ومنها (فتاح) وهو الله الذى أتقن فعل كل شئ ومنها (أوزيرس) وهو الله الرحيم فاعل الخير فبناء على ما ذكر يكون أمون وفتاح وأوزيرس أسماء لصفات مترادفة ترجع اليه تعالى

(1) من هنا أتت عبادة الاوثان عند جميع الملل

وذكر بروكش باشا أنهم حصروا صفاته العلية فى جميع الاشياء النافعة كالشمس والنور وغيرهما وعبدوا هذه المنفعة اذ هو مصدرها وأصلها ولا جرم أن الكهنة كانت تعرف الحقيقة وتقصد فى عبادتها وجهه الكريم أما العامة وهم السواد الاعظم فصاروا مع توالى الاعصار يعبدون الاشياء لذاتها ويتقربون اليها زلفى لجهلهم بالحقائق وفشا الكفر فيهم ومما يثبت ذلك ما رواه بعض المؤرخين أنه كان مكتوبا فى أحد الاسفار المصرية المنسوبة الى هرمس (ادريس عليه السلام) وصورته (يا مصر يا مصر يأتى عليك يوم تتغير فيه دينك القويم ومنهجك القديم فتظهر الخرافات وتعم الضلالات ويستبدل الايمان بعبادة الاوثان ويطفئ الالحاد نور الهدى والرشاد وتنحصر أخبارك فى بعض أحجارك)

وقال ماريت باشا اتفق كثير من قدماء المؤرخين على أن المصريين كانوا يعبدون الله وحده لكن من الاسف أننا لم نجد لهذا الآن على الآثار أدنى شاهد حتى كنا نجعل قولهم فى الكفة الراجحة وأن الشك فى صحته أخذ كل يوم يزداد وقال غيره اتخذ المصريون كل شئ ربا الا الرب جل وعلا وهذا مصداق قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) أى كان وحده فى زمنه موحدا فهو أمة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده برأى يخالف آراءهم ونتيجة القول أن الكهنة هى التى كانت تعرف الحقيقة ولم تتصد لارشاد الامة فسرحت هملا وضلت عن الحق وعبدت ملوكها وليس هذا بغريب فان طائفة من ملحدى الاسلام زعمت أن عبيد الله المهدى إله وقال فيه شاعرهم

حل برقادة المسيح * حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا * وما سوى ذاك فهو ريح

رقادة اسم مدينة فى تونس الغرب وادعى الحاكم بأمر الله الفاطمى الربوبية بمصر وكان جهلة المسلمين يصيحون عند رؤيته قائلين سبحانك يا حى يا قيوم يا محيى يا مميت وفى أيام على كرم الله وجهه قالت طائفة بربوبيته فقاتلهم وأحرقهم بالنار

وفى زمن المهدى بن أبى جعفر المنصور العباسى ظهر المقنع الخراسانى واسمه عطاء وكان لدمامة وجهه يتقنع وادعى الربوبية وتبعه خلق كثير فسحر أعينهم حتى خيل لهم صورة قمر يطلع تراه الناس من بعد وقد أشار ابن سناء الملك الى ذلك بقوله

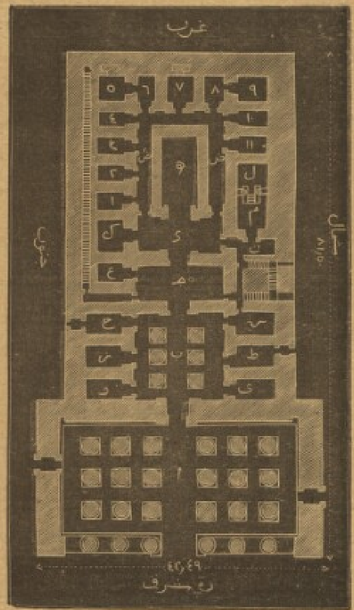
اليك فما بدر المقنع طالعا * بأسحر من أجفان بدرى المعمم

ومن تصفح الاديان القـديمة علم أن بعض كهنة القوم كانوا يعرفون الله غير أنهم لم يتعرضوا لردع النـاس اتقاء شرهم وخوفا على مناصبهم ومقامهم وكان بعض فلاسـفة اليونان يقولون بوجوده فقامت الامة عليهم وحكموا على بعضهم بالموت ولا ريب أنهـم أخذوا ذلك من كهنة المصريين كما أن العرب زمن الجاهليـة كانت تعرف الله ولا تعبـده وكان اسم الكعبة عندهم بيت الله ومن أسماء رجالهم عبد الله لكن الشقاء غلب عليهم ومن أراد التفصيل فعليه بالتواريخ اذ ليس هذا محله

أما معابدهم فـكانت كثيرة جدا بالصعيد وهى عمـارة جسيمة منقوشة من الداخل بالرسوم الدينية وكثيرا ما يكون عليها من الخارج صورة الحروب والوقائع والنصر على الاعداء لانه كان من عادتهم أن كل ملك محارب ينقش جميع غزواته ونصراته خارج معبـده ليفتخر به على معبوداته كأنه يقول لهم ها أنا ذا كابدت المشاق وقاسيت العذاب واقتحمت الاخطار وقاتلت أعداء مصر وأنكيت فيهم وأتيتهم مكبلين بقيود الاسر والعبودية وجميع هـذه الهيا كل مبنى بالحجر المنحوت وحول كل واحد منهـا سور عظيم جدا متخذ من اللبن (الطوب الني) الجاف الجاهلى ويكون مع جسامته مرتفعا جدا بحيث اذا غلقت أبوابه ستر جميع الهيكل والبحيرة التى بجواره وقد أخطأ من شـبهه بالمسجد أو بالكنيسة العامة لانه ما كان يسوغ لاى انسان أن يدخله ما عدا الكهنة ولذا قالوا ان بناءه كحسنة يتقرب بها الملك بانيه الى معبوداته فهو قاصر على عبادته خاصة وكانت الملوك تحتفل بهذه الهيا كل وتزينها وتقطعها الاقطاعات وترصـد لها الاطيان وغيرها وربما اشترك فى عمارة الواحد منها جملة ملوك هذا يبنيه وهذا يتمه وهذا ينقشه وهذا يعمل صوره كمعبد (دندره) مثلا فان أول بنائه كان زمن بطليموس العاشر وتم فى زمن (طباريوس) قيصر وتمت زينته مدة (نيرون) قيصر الطاغية وكلاهما من امبراطرة رومه وفى مدة بنائه ولد المسيح عيسى عليه السلام وهذا المعبد كغيره يشتمل على أربعة أقسام كلية وهاك وصفها

(ينظر الشكل بالصحيفة التالية)

(صورة معبد دندره)



(القسم الاول) ايوان كبـير معرض اضوه الباب المتجه الى الشرق وبه أربعة وعشرون عمودا ضخمة جدا حاملة لسقفه معروش بالحجر الجاف العظيم وهذا القسم عبارة عن وجهة المعبد وليس له علاقة به لانه طرقة يتوصل منها اليه وبه بابان صغيران أحدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب كانا معدين لدخول الكهنة والقرابين أما الباب الكبير

فكان لا أحد يدخل منه غير الملك بشرط أن يكون لابساً ثياباً طويلة ونعالاً مخصوصة وبيده عصا يتوكأ عليها وأن تكون المعبودات اعترفت له بالسيادة من قبل وأقرته على مصر قاطبة واعتبرته ملكاً للصعيد والبحيرة وجميع ذلك مرسوم على وجهتى الباب من اليمين واليسار فترى الملك كأنه خرج من قصره وأتى المعبد ثم ترى له صورتين احداهما على يمين الداخل والاخرى على يساره أما التى على اليمين أى مما يلى جهة الشمال فمتوجة بتاج البحيرة والتى على يساره أى جهة الجنوب متوجة بتاج الصعيد ثم تراه بعد ذلك متوجاً بالتاجين معاً والمعبود توت وهوروس يصبان عليه ماء التطهير ومعبودتا طيبه وعين شمس يأخذان بيده

(القسم الثانى) هو المعبد الحقيق ويشتمل على عشرة أماكن جميعها ظلام ومتفرقة عن بعضها كانت الكهنة تجتمع بها وتستعد لعمل المهرجان أو الزفاف وصورته منقوشة على جدران الفسحة المرموز لها بحرف (ا) فكان يخرج ويطوف جميع المعبد ويصعد على السطح ثم ينزل ثانياً أما باقى الفسحات فهى أماكن لتحضير القرابين المعدة لهذا المهرجان ولحفظ الاشكال الرمزية التى كانت تحملها الكهنة فيه وكان بفسحة (ب) و (ح) محاريب تقف الكهنة عندها حالة طوافها بالزفاف وتتلو بعض أدعية خاصة معروفة عندهم وكانت فسحة (ى) مخصصة لحفظ أربع سفن الزفاف التى بها الرمز السرى الخاص بالمعبودات المستور بقماش أبيض غليظ لكى لا يراه أحد غيرهم وكانت خزانة (ه) تحضر فيها الكهنة الزيوت والروائح الزكية المعدة لتطييب المعبد والاصنام أما خزانة (و) فكانت تجمع بها الكهنة قليلاً من محصول الارض وتقدسه أما نقطتا (ط) و (ع) فهما بابان صغيران أحدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب كانا يفتحان لدخول قرابين الصعيد والبحيرة ويقدس بهما قرابين خاصة من الخبز والمشروبات الخمرية وكانت نقطة (ز) مخزناً للاشياء الثمينة المختصة بالمعبد وبها نقوش تدل على أن الملك يهدى معبوداته آلة طرب وقلائد ومرآة وأشياء نفيسة من كل نوع جميعها من الذهب والفضة واللازورد وكانت خزانة (ے) تحفظ بها ثياب الاصنام التى ترد من جميع أقاليم مصر

(القسم الثالث) به ستة أماكن أحدها خلوة (ك) وكانت خاصة للعبادة ثانيها حوش (ل) وكانوا يضعون به أعضاء القرابين التى اختاروها ثالثها خزانة (م) وكانت خاصة لحفظ

حلى الزفاف فى هذا اليوم أما خزائن (ى) و (س) و (ع) فكانت مختصة بالملك يقدم فيها قرابينه ويرى فى هذا القسم على درج الجهة الشمالية الموصل الى السطح صورة الزفاف صاعدة والملك فى مقدمته يتلوه ثلاثة عشر كاهناً متوكئين على عصى بطرفها رمز كثير من المعبودات والظاهر أن الزفاف كان يقف برهة على السطح ويدخل فى معبد صغير هناك له اثنا عشر عموداً مختصة بشهور السنة ثم ينزل من الدرج الاخر الذى جهة الجنوب من هذا القسم لانك ترى عليه صورة الزفاف نازلة أما هذا المعبد الصغير فكان مختصاً باشهار عيد رأس السنة أعنى عند ظهور كوكب توت (الشعرى اليمانية أو كلب الجبار) الموافق لاول زيادة النيل أعنى أول السنة الزراعية

(القسم الرابع) آخر المعبد يشتمل على دهليزين مرموز لهما بحرفى (ض ضَ) وبهما احد عشر رواقاً أعدوها لخرافات أخرى الاول منها كان خاصاً بعبادة المعبودة (ايزيس) الثانى (لاوزيريس) وهو مصور به كأنه مات ثم عادت له الروح ثانياً وقد عبروا عن ذلك فى رسمهم بتبديل ثياب تمثاله الثالث (بأوزيريس أونفريس) ومصور به كأنه عاد اليه شبابه واشتدت أعضاؤه وتسلح بحربة فقهر عدوه المرموز له بصورة تمساح يمشى القهقرى أمامه الرابع مختص به أيضاً وكأنه بعد ما تمت له الحياة ظهر فى هيئة المعبود (هورسماوى) الخامس والسادس مختصان بالمعبودة هاتور وهى مصورة بهما على شكل اناء تجدد فيه الشمس كل يوم قبل ظهورها السابع واقع على رأس محور الهيكل وبه المعبودات تعبد باحسن ألقابها وبه مخدع ما كان يسوغ لغير الملك أن يدخل فيه وكان معداً لحفظ آلة طرب من ذهب لا يراها أحد غيره وهو رمز على المعبد نفسه الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر كانت لعبادة المعبودة (نفت) المرسومة كأنها مضرمة والى المعبود (هوروس) وهو النور وقد هزم جيش الظلام أمامه والى المعبودة هاتور الارضية

ويوجد هناك مطمورة ما كان يعلم بها أحد غير القليل من الكهنة ليس بها منور ولا طاقة ولا باب بل جميعها ظلام حالك يتوصل لها بنحو آلة وهذه المطمورة مصنوعة فى سمك الحائط عند الاساس من أسفله وبابها كأنه فوهة بئر يغلق بحجر كالبلاطة يرفع ويوضع بسهولة من رآه ظن أنه أحد بلاط الارض لاحكام وضعه وبالمطمورة سرداب ينتهى بخزانة كانت تحفظ بها أصنام المعبودات المصوغة من الذهب والفضة واللازورد أو المرصعة بالاحجار الكريمة

وآلات الطرب المعدة للزفاف والاعياد والعقود الجوهرية وبالجملة كان بها جميع الاشياء التي يحتفى عليها وجميع ذلك منقوش صورته على جدرانها غير أنها خالية من الفوائد

أما سطح المعبد ففيه ستة أروقة غير المعبد الصغير ثلاثة منها جهة الشمال وثلاثة جهة الجنوب ومجموعها عبارة عن معبد قائم بذاته خاص (باوزيريس) معبود قسم دندره وقد علمنا فيما سلف أن مصر كانت منقسمة الى اثنين وأربعين قسما لكل واحد منها أوزيريس خاص به فعلى ذلك كان يوجد بمصر اثنان وأربعون معبودا بهذا الاسم متباينة في الشكل ويرى في الثلاثة أروقة الشمالية أنواع أوزيريس مصر السفلى وفي الثلاثة الجنوبية أنواع أوزيريس مصر العليا والجميع كعبودات ثانوية لاوزيريس قسم دندره وعلى كل واحد منها القبة ثم ترى تلك الاروقة زفافا من هؤلاء المعبودات حاملة أواني بها أعضاء أوزيريس كل قسم وكان في الرواق الثاني من الجنوب صورة منطقة فلك البروج التي أخذها الفرنساوية بأمر المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٢١ وحملوها معهم الى مدينة باريس ومكانها ظاهر به الى الآن ويرى على سقف أربعة أروقة علامات فلكية ليس لها علاقة بما نحن بصدده الآن وعلى جدر الاروقة اثنان وأربعون تابوتا لاوزيريس وفي الرواق الثاني من الشمال ترى الليل منقسما الى اثنتى عشرة ساعة ولكل واحدة دعاء مخصوص وفي الرواق الثاني من أروقة الجنوب النهار منقسما كذلك كما أن هذا المعبد الصغير منقسم الى قسمين عبارة عن اقليمي الصعيد والبحيرة وكان الزفاف يعمل فيه بمعرفة جملة كهنة تأتي من الوجه البحري والقبلي وبأحد الاروقة صورة تقويم أيام تلك الاعياد وكيفية تركيب الزيت المقدس والروائح الزكية والدهانات المستعملة في تلك الاعياد وبعض ملحوظات صغيرة على أعياد أوزيريس بالبلاد الاخرى فهذا هو جميع ما اشتمل عليه معبد دندره من المباني والرسومات وبالجملة كان بناؤه للمعبودة هاتور المعروفة بالزهرة وكانوا يزعمون انها مقلة الشمس كما كانوا يسمونها الحسناء الوجه أو ربة العشق وكانوا أيضا يدعونها إلهة الصدق ويرمزون بها على الائتلاف العام أو الهيئة الاجتماعية وغير ذلك مما هو مدون في كتب علماء الآثار الآن ولم نتصد لذكره ومن أمعن النظر في نقوش المعبد رأى صورة هذه المعبودة تتبع أوزيريس الذي هو في اعتقادهم إله الخير وتقترن به أينما كان كأنهم يقولون الصدق مقرون بالخير

وخلاصة القول أن المعبد كان محلا لوضع الاصنام وثيابها ومدخراتها وما يلزم لاشهار أعيادها ولم يعلم الى الآن انهم كانوا يوقدون به مصابيح مع شدة ظلامه وكان غرضهم بذلك ليس فقط حفظ أسرارهم الدينية بل صيانة ما به من الاشياء النفيسة كما أنه لم يوجد به مساكن للكهنة ولا لغيرهم لانه محجوب عن الضوء أما ما به من الكتابة القديمة فجميعها على هذه الوتيرة الآتية وهي المنقوشة في دهليز القسم الرابع وهاك بيان سبع لوحات منها

اللوحة الاولى مرسوم بها الملك يقدم للمعبودة هاتور اناء يعبر عنه في هذه اللغة بالقلب كأنه يقول لها أنا أحبك فتجيبه أنها أعطته السعادة والفرح

اللوحة الثانية بها هاتور وهوروس معبود اقسام ادفو قاعدان في أولها والملك في آخرها يقدم لهما آلتي طرب وهما رمز على انهزام الشر وحصول الصفاء والرجسة أو المعبودة هاتور تخاطبه بقولها لتحبك النساء تشير بذلك الى معنى ما دلت عليه آلة الطرب وهو انهزام الشر وحصول الصفاء كأنها تقول له لتحبك أزواجهن وتعيش في هناء ويخاطبه هوروس وهو ناظر الى احدى آلتي الطرب بقوله لينتظم حال مصر كما تحب وترضى ولتطأ بقدميك الممالك الاجنبية

اللوحة الثالثة بها الملك يبخر كلا من أوزيريس وايزيس ويقدم لهما شربة من ماء النيل فيعده أوزيريس بفيض عميم مبارك على مصر وتخبره ايزيس أن حكمه يطول ويمتد على جميع بلاد العرب وغيرها من الممالك التي يتحصل منها البخور والروائح العطرية

اللوحة الرابعة بها الملك يقدم الى كل من هاتور وهوروس آنية مملوءة بخمر العنب فتقول له هاتور سوف تستولي على البقاع التي يخرج منها أعظم العنب ويقول له هوروس يكثر عندك الخمر حتى تستكفي

اللوحة الخامسة فيها الملك يقدم الى هاتور باقة من الازهار قائلا تقبلي يا سيدتي هذه الباقة لتزيني بها رأسك فتجيبه أن مصر في مدتك تخصب أرضها وتينع ثمارها وتلبس حلة خضراء

اللوحة السادسة بها الملك وزوجته يقدمان آلتي طرب الى الرجسة ايزيس والرجس آهي ليشملاهما بنظرهما فتقول له ايزيس انها منحته حب رعيته له

اللوحة السابعة بها الملك قائم بين يدي كل من ايزيس وهور سمتاوي يقدم لهما هدية عامة من المأكول والرياحين والفاكهة والخبز فتقول له ايزيس قد أعطيتك كل ما بالسماء

من الخير وكل ما بالارض وما يأتي به النيل ويقول له هورسمتاوى قد منحتك كل الخيرات العائدة من الشمس كى تملأ بها مسكنك وقس على هذا باقى اللوحات وليس بالمعبد شئ خارج عن هذا المعنى وجميع الرسوم تدور معانيها على هذا المحور وهى ما بين تقديم قرابين متنوعة الى الآلهة وأجوبة تناسبها كما تقدم

هذا وبالتأمل فيما أوضحناه يعلم أن المعبد كان عبارة عن عمارة قصدوا بها اشهار مواسمهم الدينية وحفظ ما يلزم لمعبوداتهم كما أن الزفاف كان يبتدأ به وبعد ما يصعد الى سطحه وينزل ثانيا يخرج الى الحوش ويطوف به ويعلم بارمنه الى أحد البلاد القريبة اما فى النيل بالسفن أو فى خليج يسمونه المقدس أما البحيرة التى كانت بجوار كل معبد فكانت تسمى بالمطهرة وقد ظن بعض المؤرخين أن لها دخلا فى هذا الزفاف وأن السفينة المقدسة تكون بها مدة الاعياد

الفصـــــل الرابع

(فى الرحلة ما بين أسيوط والعرابة المدفونة)

كيلومتر	
٢٥	من أسيوط الى أبى تيج
٤٣	من أبى تيج الى طهطا
٤٢	من طهطا الى سوهاج
١٨	من سوهاج الى المنشية
٢١	من المنشية الى جرجا
١٣	من جرجا الى البلينا
٥٥٦	من بولاق مصر الى البلينا

فاذا خرجنا من أسيوط وقصدنا الجنوب فاننا نرى بندر أبى تيج وهناك قرية البدارى وقرية الخوالد الواقعتان فى شرق النيل وبهما كثير من المغارات المنحوتة فى الجبل وأغلبها خال من النقوش مثل مغارات قرية الغنايم الواقعة فى الجبل الغربى غير أن بعضها يشابه بعض مقابر باب الملوك لكنها صغيرة جدا ثم نقصد قرية قاو الكبير الواقعة فى شرق النيل ومقابرها مهمة

لانها قديمة جدا من عمل العائلة الخامسة والسادسة وخطها بارز وقد سلط الله عليها المقاولين والحجارة فأتلفوا جانبا منها فى العام الماضى والذى قبله مع أنها مهمة جدا للتاريخ وبجوارها من جهة الجنوب عمارة من اللبن الجاف المختوم تشبه الهرم يبلغ ارتفاعها نحو الخمسين مترا وهى مركوزة على الجبل وعلى نحو ثلث ساعة منها مقابر منحوتة فى جوانبه كأنها منازل بها أروقة يعلو بعضها بعضا وأغلبها خال من النقوش

ولما وصلت الى بندر سوهاج أخبرنى حضرة مديرها أن بالجبل الغربى مقابر بها آثار كثيرة فتوجهت اليها مع طلوع الشمس وصحبنى الخبير وبعض العرب وأحد العمد والخفراء فاصعدنا الجبل الاوقوى علينا سلطان الحر وبسط بساط الجمر وعصفت ريح الدبور كالتنور المسجور وانفجرت ينابيع العرق وركبنا طبقا عن طبق وكنا كلما نسير يشتد علينا الخطب الخطير فاحان الظهر الا وكانت الهاجرة تنضج الجلود وتذيب الجلمود وكنا تارة نجوب الصحصح الاقفر وأخرى نخترق القاع الاعفر ونمر على سهول وقفار بها رمال كموج البحار ونرى كثبانا من الاحجار لها سناء يأخذ بالابصار كأنها قطع البلور أو الثلج المنثور وكنا نرقى بالجمال قلل الجبال ونهبط فى الاودية ونصل شواظ الهاوية ومازلنا نجول ونجوب حتى مالت الشمس الى الغروب وقد مسنا اللغوب وما وصلنا الى المقابر الا بعد ما بلغت القلوب الحناجر من مكابدة الهواجر ثم نزلنا لنستريح وقد لفحت وجوهنا الريح أما المقابر فكانت منحوتة كالآبار فى صميم الاحجار ومردومة بالزلط والخراسان المجهول عمله الآن وبامتحانها علمت أن المعول لا يعمل فيها ولا يقوى على فتح فيها ثم تركناها وركبنا الجمال وقصدنا جهة الشمال ومازلنا فى سير وتعب وعناء ونصب الى أن لبس الليل جلبابه وأفرغ علينا اهابه فاضطجعنا والوحوش تدانينا والذئاب تنادينا ولما انبلج النهار قصدنا مكان الآثار وحثثنا الركاب حتى وافينا جبلا قد عانق السحاب فعلمنا من الخبير أنه لا سبيل الى المسير فهنالك ترجلنا عن الدواب وتركناها مع بعض الاعراب ثم سرنا على الاقدام ثلاث ساعات بالتمام وفاجأتنا الهاجرة بالهجوم تجر ذيل السموم واشتعلت البسيطة من وقدة الحر حتى خلناها واديا من الجمر والتهب الجو واشتد زفير النو وصارت الرمضاء كالنيران حتى ركب النمل العيدان وغليت حمارة القيظ وكدنا نتميز من الغيظ وانبجست عيون العرق واستولى علينا القلق

ثم تهنا في تلك الوهاد وما كان معنا ماء ولا زاد فنزلنا في واد تضل فيه الجان ولا تهتدى اليه مردة الاعوان كثير الشعوب متشابه الدروب وكان اعترانا التعب وأوقد العطش في جوفنا جمرة اللهب فبقينا أحير من ضب وأذهل من صب لا يقر لنا قرار ولا يطاوعنا اصطبار وأخذ الدليل يبحث على السبيل ولم يجد اليه من سبيل فغشينا من الهم ما غشى آل فرعون من اليم ووقعت على الارض فاقد الحواس موقنا بحلول البأس وصارت الجماعة تجرى من هنا الى هنا وتضرع الى الله إلهنا وكانت ألسنتهم التوت وأجسامهم انضوت ووجوههم تغيرت وعقولهم تحيرت وأنا لم أزل مطروحا على الحجارة الملتهبة بنار الحرارة ثم أتى الخبير وأوعز الينا بالمسير وزعم أنه عرف المكان وانفقأت عين الشيطان فقمت وأنا غير قادر على الكلام وصارت الدنيا في وجهى كالظلام مع أن الحر يحكى نار الهجر ويذيب قلب الصخر ثم أدركنا واديا تحفه الكهوف المرتبة الصفوف لا يحصيها حاسب ولا يحصرها كاتب مملوءة بمومية تميل الى الحمرة كأن عليها خاتم القدرة لا يؤثر فيها الحديد الا في الزمن المديد ثم تركناها ونحن في أسوأ حال من الظمأ وحر الجبال ومازلنا نقاسى الشدائد في تلك الفدافد الى أن رأينا البلاد كالخيال فأرسلنا خلف الركائب والرجال ولما أتت شربنا وطربنا وعدنا الى ما كنا ثم ارتحلنا الرواحل حتى أتينا السواحل وأنى أحمد الله على السلامة في السفر والاقامة

(رجع) ثم نصل الى قرية البلينا الواقعة في جنوب بندر جرجا ومنها الى قرية العرابة المدفونة نحو الساعتين وليس بها الآن غير آكام مكومة وأطلال متهدمة أما آثارها فاربعة أشياء أولها معبد سيتى الاول ثانيها معبد ابنه رمسيس الاكبر (وهما من العائلة التاسعة عشرة) ثالثها مدفن أوزيريس (ومكانه مجهول الآن) رابعها المقابر التي بجواره

أما معبد سيتى فجميعه مزين بالرسم البديع المحكم الصنعة لكنه لا يخرج عن حد لوحات معبد دندرة التي سبق الكلام عليها وكل رسم وجد به اسم الملك أو صورته كان من حسنه أعجوبة للناظرين واذا قارنا زينته بما في معبد رمسيس الاكبر وجدناهما على طرفي نقيض وبينهما بون بعيد لان الثاني به عيوب ظاهرة نشأت من الاهمال في الصنعة كما أن بالاول رموزا كثيرة خفية عسرة الفهم تفوق صعوبتها جميع ما بالمعابد المصرية الباقية من ذلك مخالفة وضع جناح المعبد من جهة الجنوب حتى صار كأنه لغز لا يمكن فك معماه ومنها اجتماع صور في

الاب والابن مع بعضهما بكيفية خاصة وغاية ما قالوه في ذلك هو اما أن رمسيس اشترك مع أبيه في الحكم وهو الواقع واما أن المعبد بنى مدة اشتراكهما معا

أما وصفه فهو أنه مبنى بالحجر الجيرى الابيض النقى وأرضه منحدرة قليلا الى الغرب وبه ايوانان عظيمان يفصلهما عن بعضهما جدار من الحجر وبهما أساطين (عمد) عليها نقوش جميلة لكنها دينية وعلى الحائط الجنوبى كتابة يعلم منها جميع ما صنعه رمسيس الاكبر من الاصنام والتماثيل التى نصبها بمدينتى طيبة ومنفيس لقصد تخليد ذكرى أبيه وأنه شيد أبواب المعبد وختم عباراته بوصف نفسه حينما كان صغيرا وما ناله من الرتب السامية حالة شبيبته وفي رحبة المعبد صنفان من العمد بهما ٢٤ عمودا وعلى حيطانها صورة الآلهة وهو يقدم لهم القرابين ويلى ذلك أسماء الجهات التى كان حاكما عليها وبفنائه ثلاثة صفوف من العمد بها ستة وثلاثون عمودا سبعة منها خاصة بكل من (هوروس) و (ايزيس) و (أوزيريس) و (أمون) و (هرماخيس) و (فتاح) وسابعها خاص بالملك سيتى ولها سبعة محاريب أو غرف معقودة ستة منها للمعبودات المذكورة والسابعة للملك المذكور وهو مصور بها كأنه جالس على قضبان تحملها المعبودات وأمامه صورته خاضعة له كأنها تعبده فهو يعبد نفسه بنفسه وهذا من أغرب خرافاتهم وربما كان تخيل أن روحه تطهرت من جميع الدنس والارجاس حتى صارت في أعلى عليين والتحقت بالآلهة في عالم الملكوت فهو يعبدها في هذه الحياة الدنيا والله أعلم بما وسوس له شيطانه وكأنه ما كفاه عبادة رعيته له حتى عبد نفسه وجميع نقوش هذه الغرف عبارة عن صورته تعبد صور الآلهة وفي نهاية المعبد من جهة الجنوب قاعة بها أسماء الملوك التى حكمت مصر قبله مفتتحة باسم منا رأس الفراعنة ومختتمة باسم سيتى الاول وعددها الجميع ٧٦ ملكا وبها صورته وصورة ابنه قائمان أحدهما يبخر والآخر يرتل القصائد الدينية

أما معبد رمسيس الاكبر فواقع في شمال معبد سيتى المذكور وقد اعتراه الخراب التام حتى صارت أركانه قياما وقعودا وحيطانه ركعا وسجودا لا تبلغ أعلى نقطة فيه أكثر من متر ونصف ومن هذا المعبد أخذ الانكليز رواق أسماء الملوك الموجود الآن في دار تحفهم ولنضرب الآن عن وصفه صفحا

أماقبر (أوزيريس) فهوالى الشمال من معبدرمسيس الاكبر وهناك ترى سورا واسعا مبنيا باللبن ظن بعض المؤرخين أنه مكان مدينة (طانس) القـديمة التى هى وطن الملك منا وذكر قدماء المؤرخين أن قبر (أوزيريس) موجود فى هذه الجهـة ولذا كانت قرية العرابة كقبلة يؤمها جميع المصريين ويدفنون بها موتاهم تبركا بقبر معبودهم المذكور وقال (بلوتارك) ان مياسير المصريين وأغنيائهـم كانوا يأتون من كل فج عميق ومكان سحيق ليـدفنوا موتاهم بجوار قبر هـذا المعبود وذكر ماريت باشا أن هذا القبر ليس له أثر معروف الآن فى هذه الجهة ولكن ربما يكون تحت الكوم السلطانى أو بجواره وهو تل عظيم نشأ من بناء المقابر فوق بعضها مع تعاقب الازمان وأن الحفر فيه له فائدتان احداهما أننا كلما تعمق بالحفر نجد المقابر أقدم من التى فوقها حتى نصل الى مقابر العائلة الاولى وثانيهما ربما أننا نعثر ذات يوم على قبر المعبود المذكور أقول لما توجهت الى قرية العرابة المدفونة سنة ١٨٩٢ مسيحية وجدت الفلاحين نقلوا أغلب هـذا الكوم الى غيطانهم ولم يبق منه الا القليل ولعلهم أخذوا القبر وسمدوا به أرضهم فتحول الى زرع أكلته البهائم

أما المقابر فتمتد ما بين الجبل وأطلال هذه القرية وطولها مسيرة ساعة وأكثر وقد نبشت مصلحة حفظ الآثار أغلبها واستخرجت منها أحجارا كثيرة مكتوبة تعرف عندنا باسم الشاهد وجميعها موجود الآن بالمتحف المصرى ومنها علمنا أنها كانت للعائلة السادسة والثانية عشرة والثالثة عشرة وأغلب قبور هذه الاخيرة مبنى على هيئة أهرام صغيرة جوفاء مقببة وفى بعضها بروز كالاشرطة تمر بزواياها المتقابلة وتتقاطع فى المركز تعرف فى فن العمارة باسم العقود المتصلبة انتهى ما أردنا تلخيصه

الدرس الثـانى عشر

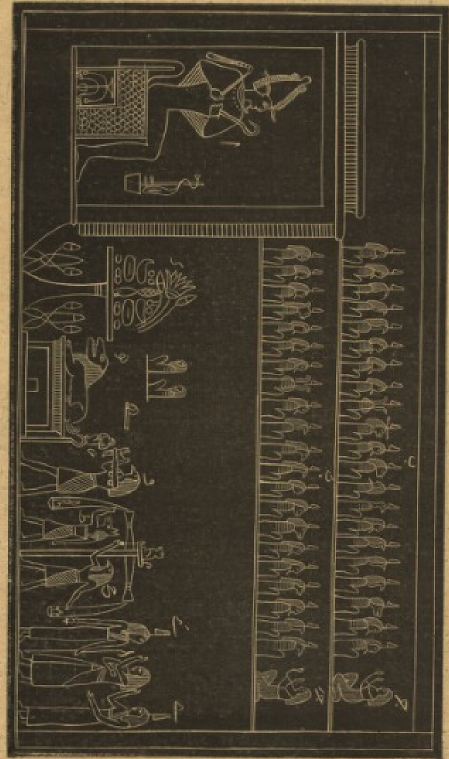
(فيما قالوه فى الروح بعد الموت وسبب اعتنائهم بتحنيط الاموات واعتقادهم فى الجعل (الجعران) واتخاذهم التماثيل المعروفة بالمساخيط وبعض شذرات تاريخية)

كانوا يقولون ان الانسان اذا مات تخرج منه الروح وينعقد الدم وتخلو الاوردة والشريانات منه واذا ترك الجسم بلا تحنيط يتحلل الى أجزاء صغيرة جدا ليس لها شكل خاص وتنزل مدركة الفهم بقميص من نور وتلحق بالشياطين العليا أما الروح فانها متى انفصلت عن هذه المدركة التى كانت تهديها وتخلصت من كثافة الجسم الذى كانت تسكنه تذهب عاجلا الى محكمة (أوزيريس خنت أمنت) المتركبة من اثنين وأربعين قاضيا جهنميا فينطق القلب ويشهد بعملها وما عليها من خير أو شر ثم ينصب لها ميزان الحق ويوزن أعمالها فيه وتسجل ويصدر الحكم ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتكلف مدركة الفهم بتنفيذه عليها فتدخل فى الروح الشقية وهى متسلحة بالنار اللدنية فتضلها وتحسن لها فعل القبيح وتحول دعواتها وصلواتها الى عبث وهزؤ فتجلد بسياط ذنوبها وتسلمها الى زوابع عناصر العذاب فتتذبذب بين السماء والارض وتصير ممقوتة ملازمة للسب واللعن وهنالك تبحث على جسم انسان لتسكنه ومتى تيسر لها ذلك أسلمته للعذاب وأثقلته بالامراض وعرضته للهلاك أو الجنون أو تتقمص بأجسام الحيوانات الدنيئة وتسجن فى كل جثة نجسة وتدوم على ذلك قرونا عديدة الى أن تستوفى جميع ما كتب عليها من العذاب ثم تموت وتنعدم كأنها ما خلقت وما أتى لها ذلك الا من شهادة القلب عليها وقد وجد على أحد أوراق البردى ما صورته (أيها القلب أيها القلب الذى خلقت لى وأنا فى بطن أمى واتيت معى الى الدنيا لاتنازعنى ولا تشهد على بين يدى الله)

وقد رأيت بقبر الملك سيتى فى بيبان الملوك جهة القرنه صورة الحشر والنشر والحساب والعقاب والمجرمين مقترنين فى الاصفاد وقد قطعت رؤسهم أو أعضاؤهم أو غير ذلك وكذا صورة المتقين وهم يرفلون فى النعيم المقيم وفى جهة أخرى صورة الميزان وقضاة الحساب يحاسبون الروح ويحصون أعمالها

وكثيرا ما كانوا يرسمون ذلك على الورق البردى ويجعلونه مع أمواتهم كما فى الشكل الآتى

(صورة محكمة اوزيريس الجهنميه)



(ا) أوزيريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (ب بَ) الاثنان وأربعون قاضيا المكلفون بحساب الروح وعلى رؤسهم ريشة العدل (حـ حَ) الروح تحاسب بين يدى القضاة (د) مائدة عليها بعض أرواح الموتى وقليل من القرابين (هـ) إله العذاب (و) توت كاتب الاعمال يسجل ماظهر له (ز) علامة العدل ثم الميزان فى كفته اليمنى قلب الميت وفى اليسرى معيار الحق (ح) هوروس يتذكر كم بلغت الحسنات والسيئات (ط) انوبيس يراقب كفة معيار الحق (ى ىَ) المعبودة معت إلهة العدل لها صورتان بيد احداهما قضيب الملك وبوسطهما روح الميت تتبرأ من كل ذنب

أما الروح الراضية المرضية فانها بعدما تحاسب تحجب عن رؤية الحقائق لانها لاتصل الى النعيم الابعد معاناة الشدائد وقطع العقبات المعدة لها ثم تهديها المدركة وبأخذ بيدها الرجاء الصالح فتدخل فى الفضاء المجهول وهناك تكثر علومها وتزيد قوتها وتتشكل كيف شاءت فتكون كنسر من ذهب أو كطير الغرنوق أو الخطاف (عصفور الجنة) أو كالتنين وغير ذلك فتكمن لها الشياطين فى طريقها وتحفها الارواح الخبيثة من كل ناحية وتهجم عليها لتخطفها أو لتخطف عضوا من أعضائها سيما القلب أو تعيق سيرها فتتلو عليهم العزائم الخاصة لذلك حتى تتلاشى قوتهم ثم تتحد (باوزيريس) وتصير مثله أى تدخل فى العنصر الذى انبعثت منه وتقطع المساكن السماوية ولها أن تزور متى شاءت الجسم الذى فارقته فلذا اعتنوا بتحنيط أجسام موتاهم وبالغوا فى الحفظ عليها لتبقى الى الابد فى حالة جيدة وكانوا يعتقدون أن الروح على شكل باشق أو حمامة لها رأس انسان تنشر جناحيها على صدر تابوت الميت هكذا

(صورة الروح والجسم)



وهذا مطابق لما قاله الرئيس ابن سينا فى قصيدته التى مطلعها

هبطت اليك من المكان الارفع ✱ ورقاء ذات تعزز وتمنع

ومنها

وصلت على كره اليك وربما ✱ كرهت فراقك وهى ذات تفجع

راجع هذه القصيدة فى كتاب الكشكول وقوله ورقاء أى حمامة وسوف يأتى بقية الكلام على اعتقادهم فى الروح

وقال العلامة مسبرو ان طائفة من الناس كانت فى ريب من هذا الحساب والعقاب وظنوا أن لا شئ غير الموت اذ هو الطامة الكبرى وأن الدار الآخرة ليست الا دار الصمت الابدى ولا هنالك شئ غير الحداد والحزن وكأنهم يقولون انها الا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا الا الدهر واستدل على ذلك بهذه النصوص التى وجدت فى بعض المقابر لاحد النساء وصورتها يا أخى ياخليلى ياحليلى (يازوجى) كل واشرب واطرب وأترع كؤوس الصفا وانتهز فرصة الدهر ان صفا وتمتع بكل عيد وافعل جميع ماتريد ومادمت فى دنياك لا تحزن على مافات ولا لما هو آت لان مملكة الاموات محل النوم الطويل والظلام الكثيف الثقيل ودار للاحزان والهم والاشجان وان كل من وافاها لم يفق من نومته ولا يشتاق لرؤية اخوته ولا يهيم قلبه الى زوجته وينسى الاهل والاولاد ويلبس فيها ثوب الحداد وكل حى يرويه ماء الحياة فى دنياه وأنا محرومة منه بعيدة عنه وكل من شرب الماء الزلال ارتوى فى الحال وأنا الماء يظمئنى ولا يروينى وانى لا أعلم أين أنا منذ ماجئت الى هنا وها أنا أنوح على شربة من ماء السلسبيل كنوحى على نسيم وادى النيل ليطفئ اللهيب من قلبى الكئيب وهاهو اله الموت يدعو الآخرين ويجمعهم بالاولين فيأتون له خاضعين خاشعين ويرتعد لديه الكبير والصغير ويستوى عنده الجليل والحقير فهو لا يسمع لهم دعاء ولا يلبى لصوتهم نداء ولا يقبل منهم فداء اه

وهذا يقرب مما قاله الوزير أبو بكر لاخيه أبو محمد البطليوسى

يا أخى قم ترى النسيم عليلا ✱ باكر الروض والمدام شمولا

فى رياض تعانق الزهر فيها ✱ مثل ماعانق الخليل خليلا

لاتنم واغتنم مسرة يوم ✱ ان تحت التراب نوما طويلا

وهو يقرب أيضا مما قاله الشيخ السعدى فى جلستانه الفارسى من أنه كان مكتوبا على تاج كسرى أنوشروان ماترجمته

دهر طويل وأزمان وأعصرة ✱ ستركض الخلق فيها فوق أرؤسنا

كماسرى الملك فينا من يد ليد ✱ سينتهى لسوانا بعد أنفسنا

وقال بعض المؤرخين ان سبب اعتناء المصريين بحفظ أجسام موتاهم كان لامور صحية لانه لم يعهد فى أيامهم حدوث وباء قط وقال آخرون انهم كانوا يقولون بالرجعة فى هذه الدنيا وأن الروح تعود الى جسم صاحبها بعد مدة طويلة لتسكنه فاذا رأته تلف وتقطعت أوصاله دخلت فى جسم انسان آخر وهو قول أهل الهند وبعض فلاسفة اليونان مثل فيثاغورس وغيره ومن تأمل فى عوائد القدماء وجد أن الرومانيين كانوا يحرقون جسم موتاهم ليفنوه بتمامه على الفور والمصريين كانوا يحافظون على بقائه الى الابد والاشوريين وغيرهم كانوا يدفنونه ليبلى شيأ فشيأ وطائفة من الهنود يرمونه فى نهر الكنج ليجعلوه قربانا الى التماسيح المقدسة عندهم وسكان مملكة دهومى ببلاد غينا الشمالية كانوا يقدمون له قربانا من الآدميين وغيرهم

أما طريقة عمل الجنائز والتحنيط عند قدماء المصريين فقد ذكر هيرودوت المؤرخ تفصيل ذلك حيث قال كان من عادتهم أنه اذا مات لهم أحد تضع النساء الطين على رؤسهن ويطفن بالمدينة أو القرية حاسرات الوجوه ويضربن صدورهن ووجوههن وتفعل الرجال مثلهن ثم يحملون الميت الى المحنطين وهم طائفة أباح لها القانون هذه الصنعة وعندها جملة أنموذجات على شكل الاموات مصنوعة من الخشب المنقوش المزين بالكتابة تتفاوت فى الاثمان ومتى حصل الاتفاق على الثمن والكيفية يعود أهل الميت الى منازلهم ويشرع المحنطون فى مباشرة العمل وكيفية ذلك هو أنهم كانوا يخرجون جزأ من المخ بواسطة قضيب من حديد أعوج من أحد طرفيه ومابقى يخرجونه بواسطة العقاقير والتوابل التى يدخلونها فى تجويف قحف الدماغ ثم يشقون الخاصرة بصوانة حادة ويخرجون منها الامعاء ثم ينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ويجعلون عليها التوابل العطرية ويملؤن تجاويف البطن بمسحوق المر والقرفة وغيرها ماعدا المصطكى ثم ينقعون الجسم فى سائل مركز بالنطرون مدة سبعين يوما بلا زيادة ثم ينشلونه ويغسلونه بالسوائل المدبرة

و يغطونه بقمط من الكتان المدهون بالغراء و يضعونه فى تابوت من خشب الجميز بعد ما يبطنونه بالجبس وينقشون عليه اسم الميت واسم أبيه وصنعته ويسلمونه لذويه فيأخذونه و يحملونه الى دارهم و يجعلونه فى خزانة واقفا متكئا على حائط منها أو يدفنونه فى قبر العائلة

أما الاحشاء وهى الامعاء الكبيرة والصغيرة والقلب والكبد فكانت توضع فى أربع قدور من المرمر أو الفخار وترصد على أربعة من الجان توضع فى أربع زوايا القبر وليست هذه الطريقة مطردة فى تحنيط جميع الاموات لان فيها كلفة على الفقير الذى لا يستطيع دفع ثمن هذه التكاليف الكثيرة ففى هذه الحالة كانوا يستعملون طريقة التحنيط بواسطة الملح والقطران أو بالملح فقط ويعملون من جريد النخل تابوتا بدل خشب الجميز وربما دهنوا الكفن بالقفر أو القار حتى يصير الجسم كالخشب الصلب القوى وبذلك لا يمكن فكه الا اذا تهشم الجسم بنحو بلطة ورأيت على بعض هذه الاكفان أختاما مصنوعة من مادة سوداء تميل الى الحمرة واقعة على أشرطة فوق الجبهة والصدر والسرة فظننت أن أصحابها نساء أو أبكار لكن علمت فيما بعد أنها أختام القسس التى كانت تضعها على الاموات من الذكور والاناث لاجل التبرك بها

وكثيرا ما يرى على توابيت الموتى صورة الجعل (الجعران) حاملا صورة قرص الشمس بين قرنيه أو مادا جناحيه أو صورة المعبودة نوت (السماء) عند قدميه وبعض المعبودات تحفه باجنحتها لتقيه الشر فى الدار الآخرة أو يكتبون عليه فصلا من كتاب الموتى أو صورة الحساب والميزان أو عينى أوزيريس أو غير ذلك ولم يقتصروا على تحنيط موتاهم بل حنطوا البقر والتماسيح والطيور والقطط والهوام والزواحف والاسماك ويرى أحيانا فى عنق الميت أو على صدره أو فى فمه جعل وعلى صدر المرأة قلائد أو سبح من الخرز أو عقود من تماثيل المعبودات الصغيرة أو أشياء أخر من المصوغات

أما اعتقادهم فى الجعل فهو أنهم كانوا يزعمون أنه يجعل الميت فى رعاية المعبود الذى هو رمز عليه وهو المعبود (خبر) أى الشمس المشرقة كل يوم المتجددة صباحا بعد ما ماتت بالعشى ودفنت فى قرصها ووضعت فى سفينتها الدنية ودعا لها كل من أوزيريس ونفتيس حتى صارت فى أمان من كيد أعدائها وقطعت ساعات الليل وتجددت صباحا

فلذا كانوا يجعلون الجعل مع أمواتهم كالتمائم وربما كتبوا على بطنه شيأ من كتاب الموتى ولما كان لفظة (خبر) معناها الصيرورة صار الجعل عندهم رمزا على تجديد الحياة كالشمس التى تجددت بعد ما ماتت أو على ما يؤول اليه أمر الروح فى الملكوت لان من عادة الجعل أنه يبيض بيضة واحدة و يطبق عليها رجليه من خلف و يدحرجها بهما حتى تكتسب الملاسة وتتم أيامها فيخرج منها جعل صغير ثم تموت الام فكأن الحياة انتقلت منها اليه أو صارت جعلا جديدا وكانت نساء القدماء يحملن صورته كالقلائد فى أعناقهن أو يجعلنه أقراطا فى آذانهن أو يتختمن به للتبرك أو لمجرد الزينة وكذا الرجال كانوا يتختمون به ويكتبون عليه علامات مشتبكة فى بعضها ليس لها معنى أو علامات لا يعرفها غيرهم وتارة يكتبون عليه أسماءهم أو ألقابهم أو اسم ملك عصرهم وتارة تكون عليه فائدة تاريخية أو يكون عليه أدعية أو غير ذلك مما يطول ذكره وقال بلوتارك ان طائفة الجند المصرى اتخذت خواتمها من الجعل وقال غيره ان الجند انما فعلت ذلك لان الجعل يدل على التذكير اذ ليس له انثى من جنسه ولانه سهل المحمل سواء كان مركبا على خاتم أو غير مركب سيما وانه يمكن أن ينقش على بطنه كل ما يراد وقد وجد على بطن بعضها صورة الجعل نفسه وصورة الاسلحة أو الرجال بسلاحها اه

أما التماثيل الصغيرة الخزفية التى توجد الآن مع الاموات المعروفة عندنا باسم المساخيط فكانت تسمى عندهم شبتى أى الوكلاء أو النائبون لانهم كانوا يعتقدون انها تؤدى وظيفة مهمة يوم العقاب منها أنها تجيب عن الميت عندما يطلب للحساب والعذاب ومنها انها كانت تقوم مقامه فى تأدية أشغال السخرة التى كان أوزيريس يطلبها من الاموات وقد وجد على كثير منها نصوص تؤيد ما قلناه فقد وجد على أحدها مكتوب (أنا أخى خادم الجحيم) وكثيرا ما يوجد على بعضها تأكيد على البعض الآخر منها بحسن أداء الخدمة يوم الحساب للميت التى هى معه من ذلك ما صورته (يا نائب عن أهموس اذا نودى باسم أهموس وطلبوه للشغل فى الجحيم صح أنت بدله قائلا ها هو أنا أهموس) ومنها (أيها النائبون عن الرئيس فتاح موس اذا سمعتموهم نادوا باسم الرئيس أو جعلوه مع الذين عينوهم لاداء جميع الاشغال فى الدار الآخرة وحتموا على فتاح موس الذى قهر الاعداء ان يشتغل فى الاشغال الشاقة كأن يزرع الغيطان أو يملأ الترع والخلجان أو ينقل الحب من الشرق

الى الغرب صيحوا قائلين هاهوأنا هاأنا اذا صيحوا وارفعوا أصواتكم ولونودى اسمه فى كل ساعة من النهار) وكانوا يكثرون من هذه التماثيل مع الميت ليكونوا أداء الخدمة محققا ويعتق الميت من مشقتها حتى انهم كانوا يجعلون معه مئات بل آلافا فتارة يلقونهم فى تابوت الميت أوفى قبره بلا ترتيب وتارة يضعونها فى صناديق خاصة كبيرة أوصغيرة وكانوا يصنعونها من الخزف أوالفخار و يطلونها بمادة زجاجية زرقاء أو يتخذونها من الرخام أوالمرمر أومن الاحجار الجيرية أوغيرذلك وقدوجد منها من بيده فاس كأنه مستعد لفلاحة الارض ومن معه مخلاة لبذر الحب أونقله أوأناء لسقى الخمر أومفتاح النيل أى علامة الحياة بعد الموت وغيرذلك أما التمساح وفرس البحر والثعبان فكانت رمزا على اله الشر عندهم المدعو (تيفون) وكانوا يعبدونها اتقاء شره وكانت هذه المعبودات تقدس فى بعض الجهات وتقتل فى البعض الآخر مثل التمساح فانهم كانوا يعبدونه فى اقليمى الفيوم وطيبه فكان يستأنس بالناس حتى يأكل فى أيديهم وهومعزز عندهم مبجل لديهم كبيرفى أعينهم مع ان أهل جزيرة اسوان ودندره كانوا يمقتونه و ينفرون من رؤيته و يصطادونه ليقتلوه أوليعذبوه بأنواع العذاب و يشدون وثاقه فى الشمس الحارة حتى ان بعض البلاد التى كانت تبغضه عبدت النمس لان من دأبه اتلاف بيضه

وقال هيرودوت ان أهل الفيوم كانت تجعل فى اذنه قرطا من ذهب أومن خزف منقوشا بالمينة وفى يديه أساور من ذهب الى أن قال وأكل ضيفنا الفطير والسمك والمقليات وشرب شرابا محلى بالعسل وذهب معنا الى البحيرة ونام على شاطئها فأتت القسس اليه وتقدم اثنان منهم وفتحا فمه ووضع الثالث فيه من الفطير المقلى وسقاه المرطبات وبعد ذلك نزل الماء وسبح فيه حتى وصل الشاطئ الآخر فأتى انسان ومعه نذرله فناوله للقسس فأخذته منه وسارت به على شاطئ البحيرة حتى وصلت اليه وأعطته له بالطريقة المتقدمة ثم قال فى موضع آخر وهذا الحيوان لا يأكل مدة أربعة أشهر الشتاء ويعيش فى البحر كما يعيش فى البر و بيضه قدر بيض الاوز يدفنه فى الرمل فيفقس فيه بلا تحضين لان حرارة الشمس تكفيه ومتى خرج من البيضة ينمو بسرعة عجيبة حتى يبلغ سبعة عشر ذراعا فصاعدا وليس له لسان كباقى الحيوانات ومتى أكل حرك فكه الاعلى على الاسفل خلافا

لباقى الحيوانات ولعينيه مشابهة بعينى الخنزير بارز الانياب عظيمها بالنسبة لجسمه حاد المخلب جدا مفلس الظهر صلب الجلد قوى البصر حديده فى البر ضعيفه فى البحر مرهوب الخلقة مهول الطلعة تخشاه الدواب والطير بفمه حشرات صغيرة تتغذى من دمه لانه يأكل عادة فى الماء ومتى خرج فتح فمه الى الهواء فيأتى طير صغير ويدخل فى فيه و يلتقطها منه ثم يخرج بدون أن يصل اليه منه ضرر

أما صيده فله جملة أنواع أعظمها ان الصيادين يجعلون فى كلاليب (خطاطيف) من الحديد قطعا من لحم الخنزير و يلقونها فى الماء ثم يضربون خنزيرا آخر على البر فيسمع التمساح صوته و يقصده فيرى فى طريقه الكلاليب باللحم ومتى بلعها شبكت فى جوفه هنالك يسحبونه اليهم ومتى أخرجوه من الماء طمسوا عينيه بالطين وفعلوا به ما أرادوا ولا تعذر عليهم فعل أى شئ به

وقال المؤرخ (شمبليون فيجاك) الذى نعلمه أن التمساح يأكل طول السنة صيفا وشتاء خلافا لما قاله هيرودوت وأنه حيوان بحرى برى متوحش ضارى مفترس مهول جسور متيقظ محتال ماكر يربض للنساء اللاتى يأخذن الماء من النيل ويغتالهن وفى سنة ١٨٢٠ مسيحية ضرب أحد الارنؤد (الارناؤط) خيمته على الساحل بجوار بندراسنا فدخل عليه تمساح وخطفه من رجله وانقض به فى النهر وهذا الحيوان يعيش فى البر لكن يفضل الماء ولسانه رقيق جدا محجوب فى أغشية الفم وان الشمس تنضج بيضه فيفقس من حرارتها وقد جمع أحد سياحى الافرنج حينما كان ببلاد النوبة كثيرا من بيضه وجعله فى سفينته ففقس البيض وخرجت أفراخ التماسيح ليلا وملأت السفينة وهو لا يدرى ولما رأى ذلك صباحا هاله الامر وأكبره (لم يذكر لنا المؤرخ ماذا فعل بها) وان النمس يتلف بيضه فيأتى الى النيل و يأخذ فى التجسس على بيضه فيضع اذنه على الرمل ليسمع همس الفرخ داخل البيضة فيخرجه فى الحال و يتلفه وجلد التمساح صلب جدا حتى ان الانسان اذا أطلق عليه عيارا ناريا تنزلق رصاصته من فوق تفاليس ظهره ولا تؤثر فيه واذا كان نائما لا تكاد توقظه و يا فداناه بعد ما يقلبها على ظهرها ثم يعيدها الى ما كانت والا بقيت مطروحة لا تستطيع حراكا عرضة للموت والصياد لانها لا تقوى على أن تنبطح من نفسها اهـ

وصارت التماسيح الآن مجهولة بالكلية لغاية الشلال الاول مع انها كانت فى مبدأ هذا القرن تأتى الى القاهرة وكانت تأتى فى قديم الازمان هى وفرس البحر الى مصاب النيل بقرب البحر المالح (راجع المقريزى وتاريخ عبد اللطيف البغدادى) والسبب فى عدم وجودها الآن بالنيل هو هدير الدواليب البخارية والطلقات النارية وقد أخبرنى بعض الشيوخ بالصعيد وكان من صياديه ان الرصاصة لا تؤثر فيه قط ان اخطأت عينه أو تحت ابطه وانه يغتال الناس والحيوانات بذيله ولا يقدر على أخذ السابح فى الماء ومتى وجد انسانا جالسا على الساحل أتاه من خلفه ودفعه فى الماء واغتاله ولترجع الى ما كنا بصدده

ولما كان لكل اقليم معبودات خاصة به كانت عقارب العداوة تدب بين الاهالى ما عدا الكهنة وتحيك الضغائن فى صدورهم فيكثرون من المشاغبات الدينية والجدليات الوثنية والجلبات النفسانية وليس هذا بعجيب فان من طالع التواريخ القديمة علم ان اختلاف الاديان كان سببا وحيدا للحروب الطويلة وسفك الدماء كالانهار وخراب الممالك العامرة وتدمير المدن الآهلة من ذلك حرب الازارقة الذى مكث تسع عشرة سنة بين نافع بن عبد الله بن الازرق والمهلب بن أبى صفرة أيام كل من عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه وعبد الملك بن مروان الاموى وكان من مذهب الخوارج أى الازارقة ان كل من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام ووجب قتله وأبدوا حجتهم على ذلك بكفر ابليس وقالوا ما ارتكب الا كبيرة حيث أمره الله بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانيته عز وجل وقال المهلب للحجاج الثقفى رأيت الرجل منا يطعن الرجل منهم فيمشى فى الرمح الى قاتله ويقتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى فانظر ما فعلته المذاهب مع ان كلا من الطائفتين تقر لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة (راجع ذلك فى كتاب سرح العيون نمرة ١٠٤) وقال المؤرخ (ولهلم ريدانباخر) ما ملخصه (وفى سنة ١٣٧٨ مسيحية استولى باباوان احدهما فى رومة بايطاليا والثانى فى أفنيون بفرنسا فكانا كالثعابين المؤلفة يتقلان نارا على وجه بعضهما حتى حكم كل واحد منهما على صاحبه بالزندقة والالحاد ورماه بالهرطقة والكفر وان مصيره الى الدرك الاسفل من النار هو وأشياعه والذى نعلمه ان مقام البابا يجل عن كل مقام لانه رئيس الديانة العيسوية واليه

مقاليدها ولا نعلم أيهما كان النبى الكاذب وأيهما كان ابن الشيطان ومازال الاضطغان على بعضهما حتى انقسمت الممالك الى حزبين وقامت القيامات وقويت الحروب واشتدت الحمية وكثرت العربدة وانفجرت ينابيع الفتنة وعلا شواظ الهياج وتأجج وهج الشر وكان كل واحد منهما يضرم لهيب الخصام وينفخ فى نار الثورة ويستفز قومه على الايقاع بعدوه ليخلو له مسند البابوية وكانت أمراء البلاد وأهل الميسرة من الطرفين يمدون الاهالى بالزاد والراحلة ومازال الخطب يشتد وسيف البغى يمتد الى القرن الخامس عشر فكم تلفت أموال وتجندلت رجال وتيتمت أطفال وليس لذلك سبب غير شره الباباوات) راجعه فى الكتاب المذكوران شئت

وذكر فى بعض التواريخ الفرنساوية المعتبرة ان فى سنة ١٤٥٣ مسيحية لما هجم السلطان محمد الثانى على مدينة القسطنطينية عاصمة بلاد الروم وأراد أخذها من يد ملكها قسطنطينوس استصرخ هو وقومه بالبابا فى رومة فقال لهم ان اردتم أن أنقذكم من يد عدوكم اتبعوا مذهب الكنيسة الغربية فأبوا ان يرضخوا لقوله وآثروا ضياع ملكهم على اتباع مذهب غيرهم وبذلك وقعت مملكة الروم بأسرها فى قبضة آل عثمان

وقال المؤرخ دروى فى تاريخه لما انهزم المسلمون من اسبانيا (الاندلس) واستولى عليها الافرنج رتبوا بها مجلسا لاختبار عقيدة النصارى وهو المعروف عندهم بالتفتيش الدينى فحكم على ٣١,٩١٢ نفسا بالحرق وعلى ٢٩١,٤٥٠ نفسا بالاشغال الشاقة مؤبدا وجميعهم من النصارى لاعتزالهم المذهب الى آخر ما قال هذه هى العداوة المذهبية فما بالك بالعداوة الدينية راجع تاريخ الحروب الصليبية وما حصل لليهود من نصارى اسبانيا بعد خروج المسلمين منها وما معنى المسئلة الشرقية التى تكلم عنها صاحب كتاب الوافى فى صحيفة نمرة ٤ من مقدمة كتابه وماذا فعل المصريون ببنى اسرائيل مدة اقامتهم بمصر وما فعلته دولة فارس بعد استيلائها عليها وهاك طرفا مما فعلته عرب الرعاة أو العمالقة بعد دخولها فى هذه الديار

لما هجر الكوشيون وطنهم المعروف قديما باسم بلاد (البون) لعلها اليمن أو بلاد العرب قصدوا جهة الشمال وانضم اليهم فوج من الناس الذين كانوا فى طريقهم الى أن وصلوا نهر الفرات وبحر النجف ثم توجهوا الى بلاد الشام من جهة الشمال فخضع لسطوتهم كثير

من البلاد حتى دخل تحت سلطانهم جميع الاقاليم المحصورة ماين نهر الفرات وبرزخ السويس ولما كان غناء مصر وثروتها يجلبان لها مطامع الاجانب قصدها فريق منهم مدة العائلة الرابعة عشرة بعد أن جابوا الصحراء المعتبرة حدا فاصلا بين آسيا وافريقا وسطوا عليها سطوة الذئب على الغنم فعاثوا فى ربوع تلك الامصار وجاسوا خلال الديار وخربوا مدينة سخا عاصمة الوجه البحرى وقال المؤرخ مانيطون المصرى فى تاريخه تولى على مصر ملك من أهلها يدعى (طماوس) وفى أيامه أرسل الله علينا ريحا مشؤمة هبت على جميع بلاد المشرق ولا أدرى لذلك سببا فساقت الينا أمما أوغادا أدنياء دخلوا مصر بغتة وانتزعوها من يد أهلها بلا مقاومة اه وقال غيره نزلت أمة العمالقة أو الهكسوس على مصر كالجراد المنتشر فأضرموا بها نيرانهم الحسية والمعنوية ونهبوا المدن والهياكل وأوقعوا بها الدمار حتى صارت خرابا ويبابا وقتلوا الرجال وأسروا النساء والاطفال واستولوا على جميع الوجه البحرى ووقعت مدينة منفيس فى قبضة جبروتهم وأثقلوا كاهل من نجا من الموت بالمغارم وقال بروكش باشا لما نزلت الرعاة بأرض مصر وكانوا أخلاطا من الهمج سطت أيديهم على جميع ما بها فدمروا البلاد وأبادوا العباد وحرقوا الديار وأتلفوا الآثار وأكثروا القتل وأهلكوا الحرث والنسل فأصبحت مدن الوجه البحرى كأن لم تكن بالامس وألزموا من أسروه بعبادة الصنم سوتخ معبودهم ولاجل توحيد عبادته خربوا المعابد المصرية وكسروا الاصنام الاهلية وفعلوا كل منكر قدروا عليه وانحاز سكان الوجه القبلى الى مدينة طيبة بالصعيد وحصنوها واستولى على الرعاة ملك منهم يدعى شلاطى ويعرف عند اليونان باسم سلاطيس واتخذ مدينة صان تختا له وأسس قلعة هوعر المعروفة الآن باسم تل الهر أما ما فعلوه من الفظائع فبقى منقوشا فى صدور المصريين نحو الالفى سنة يتوارثه الخلف عن السلف الى زمن المؤرخ مانيطون المصرى الى آخر ما قال وقد وجد على ورقة من البردى ممزقة ماصورته (كانت الديانة وتوزيع ماء النيل سببين للحرب)

وذكر المسيو دى مرجان نقلا عن فهرست المتحف المصرى للعلامة مسبرو أن نمرة ١١٧٤ هى صندوق الملك (سوكنرع) أحد ملوك العائلة السابعة عشرة وهذا الصندوق ثخين وثقيل وعليه طبقة من مسحوق الرخام والجبر وكان مذهبا وعلى غطائه صورة الملك

رأسها والعصابة مدهونان باللون الاصفر وعلى الجبهة صورة الثعبان ويمتد من الصدر الى القدم سطر مكتوب بالقلم القديم غير أن الاحرف ليست متقنة وأما المومية فكانت مغطاة بقماش غليظ بدون كتابة ظاهرة وفتح الصندوق يوم ٩ يونيه سنة ١٨٨٦ مسيحية وهاك ترجمة ما عليه من الكتابة (مات الملك سوكنرع فى محاربة الرعاة فضرب ببلطة أزالت خده الايمن وكسرت فكه الاسفل وكشفت أسنانه وضرب ثانية فشجت رأسه حتى ظهر المخ) ويشاهد بجانب العين اليمنى جرح مفتوح ناشئ من ضربة رمح أو خنجر وحالة الجثة غير جيدة لتحنيطها بسرعة اه

وروى مسبرو عن ماريت انه يستدل من تماثيلهم وأصنامهم التى صنعت فى أيامهم ووجدت حديثا فى خراب مدينة صان أن عيون القوم كانت صغيرة وأنوفهم عظيمة مقوسة مفرطحة ووجناتهم ضخمة ظاهرة بالعظام وذقونهم بارزة وفمهم منخفض من طرفيه ويظهر على تقاطيع وجوههم فحولة وصلابة وشعرهم المرسل الساتر لجميع رؤسهم يعطيهم هيئة خاصة بهم راجع باقى تاريخهم فى محله والى هنا رددنا جماح القلم

الفصل الخامس

(رحلة علمية ماين البلينا وقنا)

كيلومتر	
٣٠	من البلينا الى فرشوط
١٣	من فرشوط الى قصر الصياد
٤٧	من قصر الصياد الى قنا
٦٤٦	من بولاق مصر الى قنا

ثم نتوجه الى الجنوب حتى نصل الى بندر فرشوط الواقع على الشاطئ الغربى للنيل وليس به ما يستحق الذكر غير بعض مقابر قديمة من مدة العائلة السادسة وفى بعض مغاراتها كتابة قبطية من أيام دولة الروم العيسوية بمصر

أما مدينة قنا الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل فهى بندر المديرية وليس بها شئ من الآثار لكنها مشهورة بعمل الفاخورة التى تؤخذ طينتها من مكان معين من أرض مرصدة على

العارف بالله سيدى عبد الرحيم القناوى تبلغ مساحته نحو القيراطين وكسر من فدان وكلما انفذت طينته بغمر السيل فى كل سنة بطمى جديد يأتى به اليه من الجبل الشرقى فيمتزج بطمى النيل ويصير صالحا لعمل القلة والزير وغيرهما وفى سنة ١٨٩٢ حصل نزاع بين القفرانيين وواحد من أولاد الشيخ رضى الله تعالى عنه فمنعهم من أخذ الطين منه وبلغنى من أحد أهالى البندر أنهم دفعوا له مبلغا وافرا فى ايجار الفدان الذى به هذه الطينة فلم يقبل لاستحكام العداوة التى بينه وبينهم مع انهم كانوا قبل هذه المشاجرة يأخذون الطين من ذلك المكان بلا عوض وللافرنج شغف كبير فى الاطلاع على عمل الفاخورة بهذا البندر

أما بلدة دندره فواقعة على الشاطئ الغربى للنيل وبينها وبينه نحو ٤٥ دقيقة وهى أمام بندرقنا وقد سبق الكلام على معبدها فى الدرس الماضى ومن أعجب ما اتفق لى فى شهر أكتوبر سنة ١٨٩٢ انى كنت واقفا خلف المعبد من الجهة الغربية امام صورة الملكة كليوباطره وصحبتى مفتش آثار دندره وبعض خفراء المعبد فسمعت رنة ساعة دقت مرة واحدة فسألت المفتش عن ذلك فقال لى انها ساعة دقاقة بالمعبد فاستبعدت هذا القول منه لكنى أخرجت ساعتى لانظرها فوجدتها واحدة وسبع دقائق بعد الظهر ونظرت اليه فوجدته يضحك فسألته عن السبب فقال لى ان الذى سمعته ليس صوت ساعة ولا أدرى ما هو وانى أسمعه فى أغلب الساعات ما بين الضحى والعصر فى أمكنة مختلفة من المعبد عندما تكون الشمس مقابلة له فأسمع رنينا ولا أعرف مكانه فتارة يأتى من الجنوب وتارة من الغرب على حسب سير الشمس وقد بحثت كثيرا ولم اهتد للسبب ولما سمعت ذلك منه هالنى هذا الخبر وأخذت استطلع مكان الصوت ولكن بلا فائدة ثم سألته عما اذا كان حدوثه منتظما مع الساعة الزمانية فأجابنى انه يتأخر من خمس دقائق الى خمس عشرة وقال لى أحد الخفراء ان الصوت يكون أشد كلما كان الحر أقوى فسألته عما اذا كان يسمعه على التوالى فى كل ساعة مضت بلا انقطاع فأجابنى انه لم يلتفت لذلك فذهب بى العجب كل مذهب ولو كان أحد أخبرنى به لما صدقت لكننى سمعت باذنى وأنا فى اليقظة قائم على قدمى وكلما مرت هذه الحادثة الغريبة بخلدى أتذكر صوت الصنم ممنون المذكور فى تواريخ قدماء المؤرخين وقد مر ذكر ذلك والذى علمته انه حدث من بين الحجارة الواقعة على ارتفاع خمسة أو سبعة أمتار عن يسار صورة الملكة كليوباطره

ولها مشابهة قوية برنة الساعة الدقاقة المتوسطة الصوت ولعل السبب فى ذلك هو عين ما قاله علماء الطبيعة فى حدوث صوت الصنم ممنون والله أعلم بحقيقة الحال

ثم نرى فى الجهة الشمالية على بعد نحو دقيقتين من هذا المعبد هيكلا آخر صغيرا مشوها مردوما بسافى التراب وبه كثير من الصور الشنيعة المنظر القبيحة الشكل والهيئة كأنها صور الشياطين مرسومة على بعض الجدر وتيجان العمد وهذا المكان يعرف عند علماء الآثار باسم (تيفونيوم) أى مكان اله الشر وسماه شمبليون (ممزى) وذكر علماء الآثار أن البطالسة كانت تبنى بجوار كل معبد شيدوه معبدا آخر ينقشون عليه هذه الصور القبيحة رمزا على اله الشر وقال ماريت باشا قد أخطأ علماء الآثار فى هذا الوهم لانها ليست رمزا على ما قالوه بل رمز على الفرح والسرور والرقص وهذه النقوش والصور توجد بعينها على أدوات الزينة التى كانت مستعملة عند القدماء ولا شك انهم رسموها على حيطان هذه المعابد دلالة على ما ذكر لا على ما زعموا أما (تيفون) دندره الذى ذكره استرابون فربما كان هو بعض الصحراء التى كانت معدة لدفن الاموات بالجهة الغربية من دندره اه وليس لهذا المعبد الصغير كبير أهمية عند السائحين من الافرنج بالنسبة للمعبد الاصلى

الدرس الثالث عشر

(فى خرافات الامم القديمة وذكر شئ من اعتقاداتهم)

من تصفح تاريخ العالم القديم رأى أن جميع الناس على اختلاف مللهم وتباين نحلهم أجمعوا على اعتقاد الخرافات وتصديق المستحيلات واقتفى البعض أثر البعض كأنهم أمة واحدة فوق الارض لا يفرق بين دانيها وقاصيها ولا يفضل عابدها على عاصيها واسترسل كل فريق منهم فى الاوهام وما كان عليه ان اهتدى فى طريقه أو هام وهاك طرفا مما به أرجفوا وفيه خرفوا

من ذلك أن المصريين كانوا ينسبون لكل واحد منهم طيفا أو خيالا أو ظلا يسمونه (قا) ومعناه عندهم القرين أو القرينة ويعتقدون أن الانسان مادام على قيد الحياة سكن قرينه الاحجار والصخور والاخشاب ويقى بها فاذا مات انتقل معه الى قبره وسكن فيه ولازمه ملازمة الصفة لموصوفها وقال مسبرو كان القرين عندهم عبارة عن نتيجة حياة الانسان فى الدنيا فاذا مات سكن معه فى رواق القبر المعد لاجتماع أهل الميت وأقاربه أيام الاعياد والمواسم أو سكن الاماكن المعدة لذبح القرابين المجاورة لمدفن صاحبه وزعموا أن عض السباع والوحوش والهوام يؤثر فيه كما أن لدغ العقارب أو نهش الافاعى يميته وسمها يجرى فى جسمه الوهمى كما يجرى فى جسم الاحياء ويعتريه الجوع والظمأ والشيخوخة والهرم ثم يدركه الفناء وبالجملة يعتريه جميع ما يعترى الاحياء وكانوا يزعمون أن غذاءه دائما من القرابين التى تقدم الى الميت صاحبه بعد الدفن وأن صورة القرابين المرسومة على جدر المقابر تكفيه ألم الجوع فان لم ير عليها رسم شئ ولم يبادر أهله بذبح القرابين خرج من القبر الى الفلاة والطرقات وأكل القاذورات والقمامات فاذا لم يجد ما يأكله مات لوقته جوعا وعطشا وكانوا يقولون انه يأكل الجوع ويشرب العطش رغما عنه وهى عبارة يصعب الوقوف على حقيقتها ولعلهم يريدون بذلك أن الجوع والظمأ يدخلان جوفه رغما عنه وقالوا ان الاغذية الدسمة تقويه والمشروبات المرطبة ترويه وقد أكثروا فى نصوصهم من ذكر ذلك منها ما وجد مكتوبا بقبر (تى) ونصه (ما كان تى يخشى الا الجوع ولم يأكله وما كان تى يخشى الا العطش ولم يشربه) والاشارة فى ذلك

الى قرينه لا الى شخصه وكانوا يكتبون الرقية والتعاويذ على الاحجار ويجعلونها مع الميت فى قبره لتقى طيفه أو قرينه ألم الجوع والظمأ منها (أبعد أيها الجوع عن تى وحد عنه واذهب الى (نو) وارجع الى محيط الملكوت ولا تدخل فى جوفه لانه شبعان وأنت أيها الظمأ اعزب عنه ولا تعمه لان تى مروى)

وبامعان النظر يتضح أن بعض هذا الاعتقاد يطابق ما هو شائع الآن على لسان فريق من أهل هذا العصر اذ يعتقدون أن كل قتيل له خيال أو طيف يسمونه العفريت أو الساروخ ويقولون ان كل عفريت يخاف من الكلاب كما أنهم يرون صحة القرينة والقرين وأن الامراض العصبية والاحوال التشنجية التى تصيب الاطفال ليست الا نتيجة فعلهما بهم ويقولون ان دواءها الوحيد هو الرقية وتعليق التمائم فى عنق الطفل المصاب ولا جرم أن هذه الاوهام الفاسدة سرت الينا من تلك الامة تلقاها الاحفاد عن الاجداد قضية مسلمة بدون روية ولا تعقل

ويقرب من ذلك ما كانت تدعيه عرب الجاهلية من وجود الطيف أو الخيال الذى يسمونه الهامة ويزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره ويقول اسقونى اسقونى الى أن يؤخذ بثاره وكانت طائفة منهم تزعم أن النفس طائر يخرج من جسم الانسان اذا مات أو قتل يسمى الهام ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول شاعرهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب تقول بالهامة والهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت أما الصفر المذكور فى الحديث الشريف فهو حية تكون فى بطن الانسان اذا جاع عضت على شرسوفه وهذا أيضا من خرافاتهم وفى القاموس الشرسوف كعصفور غضروف معلق بآخر كل ضلع وذكر ماريت باشا أن قدماء المصريين كانوا يضعون مع أمواتهم أكلا وشربا زادا للسفر الطويل فى الدار الآخرة وقال مسبرو ان أهل ليبا قامت على فرعون (نخروفس)

نفرقارع وهددوا داخل المملكة المصرية فقام الملك لمكافحتهم واصطف جند الفريقين وبينماهم على وشك القتال واذا بالقرخسف فخاف أهل ليبيا وظنوا أن القمرغضب عليهم فصالحوه وانقادوا لامره ولم يخرجوا عن طاعة المصريين مرة ثانية وهذا يقرب مماحكاه بعض المؤرخين من أن سيا كزار ملك الميديين تحارب مع اليات ملك الليديين مدة خمسة أيام متوالية ولم يغلب أحد خصمه وفي اليوم السادس بينماهم في أشد القتال اذرأوا الشمس انكسفت انكسافا كليا وتحوّل ضوء النهار الى ظلام حالك ففزع الطرفان من هذه الحادثة المخيفة وكفا عن القتال وعقدا صلحا وزوج ملك الديا ابنته بابن سيا كزار المدعو استياج وجرح وزراء الدولتين أيديهما وشربوا دم بعضهما علامة على الارتباط والتحالف حسب العوائد التى كانت جارية في تلك الايام

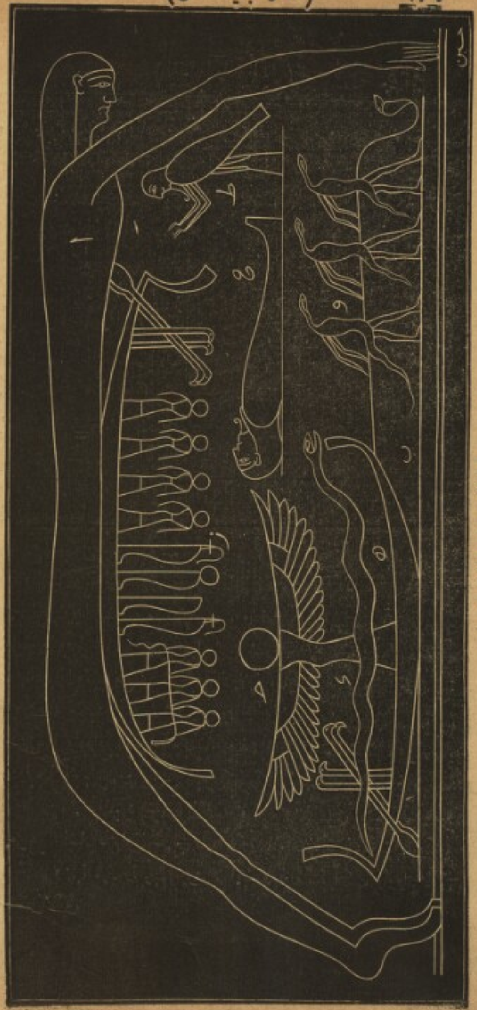
وفي المقريزي مانصه ومن عجائبها (أي مصر) شعب البوقيرات بناحية اشمون من أرض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لسبيله فلاتزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيحبسه ويمضي كلها ولايزال ذلك الذي يحبسه معلقا حتى يتساقط ويتلاشى راجع ذلك في الجزء الاول نمرة ٣١

ومن خرافاتهم ماذكره المؤرخون من أنهم كانوا يعبدون العجل أبيس مدة خمس وعشرين سنة فان لم ينفق بالموت أخذوه في مهرجان عظيم وأغرقوه في النيل ثم حنطوه ودفنوه في مدفن العجول المعروف بسرابيوم جهة سقارة ويلبس أهل مصر على موته شعار الحداد والحزن حتى يجدون عجلا غيره وقدقلنا فيما سلف انهم كانوا يعبدون كثيرا من الحيوانات وغيرها وذكر كليمان الاسكندري في تاريخه ان الانسان اذا دخل في أحدها كل هذه المعبودات رأى كاهنا موقرا عابس الوجه يدنو منه وهو يترنم بازجل المقدس وقصيد المدح ويرفع قليلا من الستر فيرى خلفه هرا أو تمساحا أو ثعبانا هائلا أو حيوانا مفترسا يتمرغ على بساط ارجواني

وروى المؤرخ بلوتاركه أنه سمع أن المصريين كانوا يقربون قربانا من بني آدم الى معبودهم أوزيريس فيأتون بالرجال في يوم معلوم من السنة ويحرقونهم أحياء في قرية الكاب (بمحافظة الحدود) ويذرون رمادهم في الهواء ويسمونهم التيفونيين وذكر ديودور الصقلي

أنه سمع هذه الرواية بعينها وزاد عليها قوله بشرط أن تكون وجوههم كلون وجه تيفون (اله الشر) أعني شقر الوجوه ولما كان هذا اللون نادرا عند المصريين فلاجرم أن هذا القربان كان من الاجانب أما المؤرخ بلوتارك فيجحد هذا القول كلية وشدد النكير على من قال به واستشهد بالآثار وانه لم يرعليها شيأ من هذا القبيل وعضد قوله بان منطقة فلك البروج المصرية وتقاويم الاعياد والمواسم خالية من تعيين يوم هذا القربان وقال ان المؤرخ هيرودوت طعن على اليونان الذين أشاعوا أن المصريين لما أرادوا ذبح هرقول الجبار ليجعلوه قربانا وتحقق من تصميمهم على ذلك قتل الحاضرين ونجا من الموت الى أن قال واني أرتاب كل الريب في صحة هذا الافتراء على المصريين الذين رفعوا التمدن أعلى منار بين الامم لكن اذا كان حصل هذا الامر بأرض مصر فلابد وأن يكون جرى على يد العمالقة الذين أغاروا عليها سيما وأنهم قالوا ان الملك احميس الذي أجلاهم عنها أبطل ذبح الآدميين منها

وكان المصريون يعتقدون أن الارض سطح مستو رقيق طولها أعظم من عرضها قد طفت على (النو) أي الاقيانوس أو المحيط وأن السماء ممتدة عليها كسقف عظيم ثقيل من الحديد مركب من طبقتين والماء محصور بينهما وأن الطبقة السفلى فرشه وهي شفافة والعليا أو العرش غطاؤه وجميع الكائنات تحته ولما كانت هذه الكتلة السماوية ثقيلة جدا ولايمكن امساكها في الجو ولا تعليقها في الفراغ الا بالدعائم المتينة والعماد القوية جعلوا لها في رسمهم اسطوانات على شكل جذوع الاشجار ولها شعوب تخرج منها تحملها وتقيها من السقوط على الارض وتارة كانوا يرسمونها على شكل قبة عظيمة تحملها أربعة عمد أو أسطوانات أو يرسمون الارض على صورة معبودهم (سيبو) وهو راقد على ظهره ورافع يديه ورجليه كأنها أربعة عمد تحمل المعبود (نوت) وهو السماء واذا أرادوا بيان الطبقتين رسموا هذا المعبود الاخير كأنه شخصان راقدان فوق بعضهما محمولان على أربعة قوائم المعبود (سيبو) الراقد على ظهره وهو الارض وكثيرا مارسموا السماء على هيئة انسان قائم فوق الارض على يديه ورجليه كأنه سقف ممدود عليها وتحته سفينتا الشمس وهي تشرق وتغرب تجرها الآلهة وصورة الكواكب وأرواح الموتى أنظر الشكل الآتي



(صورة السماء والارض)

(ا) السماء نوت قائم فوق الارض على يديه و رجليه كالسقف
(ب) الارض سيبو تحمل السماء و بينهما كثير من المعبودات
(ح) الشمس رع تكون فى غروبها على هيئة انسان له جناحا طائر
(ء) الثعبان آف يحرس الشمس وهو فاغر فاه ليقيها فى غروبها من كيد أعدائها
(ه) السفينة اللدنية الحاملة للشمس تسبح فى ماء القدرة وقت الغروب
(و) الاعوان المكلفون بجر سفينة الشمس وقت الغروب
(ز) الشمس فى مشرقها تحفها الآلهة و يسيرون معها فى سفينتها
(ع) جثة الصالحين بعد الموت تكون فى أعلى عليين وترى الشمس فى مشرقها
(ط) الروح (با) أتت لزيارة جثتها بعد الموت

وكثير مثل هذه التصورات مرسوم على الآثار ولكن من الذى يهتدى الى حل معماها وكانوا يقولون ان المعبود (شو) خلق جميع العالم وفصل السماء عن الارض ورفعها فى الفراغ على قدر ما استطاع أن يرفع يديه بها ثم حملها المعبود (سيبو) الارض على قوائمه وهى يداه ورجلاه وهذا يقرب مما قاله اليونانيون فى خرافاتهم من أن أحد المردة المعروف عندهم باسم أطلس حرك الفتنة وأضرم نار الشر وأغرى التيتانيين على حرب الآلهة وبذ طاعتهم ظهريا ولما علموا بما كان منه قضوا عليه أن يجثوا على ركبتيه ويحمل السماء على عاتقه الى أبد الآبدين ودهر الداهرين جزاء لما كسبت يداه

وكانوا يزعمون أن الشمس والقمر والنجوم السيارة والثابتة المنيرة آلهة بعضها راسب فى قاع المحيط السماوى وبعضها طاف على وجهه وبعضها سابح فيه وبعضها راكب فى سفينة يسير بها كل يوم من المشرق الى المغرب وأن جميع الاجرام السماوية تحت رئاسة الشمس ويرى أحيانا صورة هذه الكواكب فى سفن تسبح فى الاقيانوس الاعلى خلف سفينة أوزيريس وكثيرا ما كانوا يرسمونها فى صورة مصابيح معلقة فى قبة السماء يوقدها القدرة فى كل ليلة لتضىء على أهل الارض وما أحسن قول الشاعر فى هذا المعنى

والمشترى يتلو الصباح كأنه • عريان يمشى فى الدجى بسراج

وتارة كانوا يرسمون السماء على شكل وادى مصر يشقه (النو) وقد مثلوه بالنيل وحصروه مثله بين ساحلين ممتدين من الجنوب الى الشمال وقسموا السماء الى أقسام

أومديريات كاقسام مصر والشمس تطوف عليهم كل يوم فى سيرها من المشرق الى المغرب وتدخل عند المساء فى قصة جبل مثلو بجبل العرابة المدفونة أو الخرابة المدفونة التى بمديرية جرجا باقليم الصعيد فاذا زالت وغارت فى جوف الارض تجرى فى سرداب يتخلله مغارات وكهوف واسعة ذات أرض فسيحة مسكونة بالعالم السفلى فتضىء عليهم بنورها ثم تغادرهم وتخترق الظلام وتقطع المسافات الطويلة والعقبات الهائلة والمهالك الصعبة وهى تؤم المشرق الى أن تظهر فى الافق وتصون من شر الظلمات وأخطار العقبات فتنير على أهل الارض مرة ثانية وهكذا فى كل يوم

وقد سبق ذكر ما قالوه فى الروح من أنها على شكل باشق أو حمامة لها رأس انسان تطير فى ملكوت العالم وتعود لزيارة جثة صاحبها متى أرادت ولذا جعلوا لها فى بعض المقابر رواقا أو مخدعا بجوار الميت لتستريح فيه أو لتسكنه متى قصدت زيارته وأغلب نصوص الاهرام تبئنا عن الروح وما آل اليه أمرها فى الدار الآخرة وكانوا يعتقدون أنها مخيرة فى صعودها الى السماء بأى طريقة شاءت فتارة ترقى سلما من مغرب الارض الى السماء حيث مساكن الآلهة غير أن هذه الطريقة ليست متيسرة لكل روح أرادت الصعود اليها لانها تضطر أولا الى الوقوف بين يدى هاتور الموكل بخفارة السلم وأنها تتلو عليه العزائم وترقيه بالرقية الخاصة لذلك أو يكون معها الطلاسم والتعاويذ لتثبتا قدميها بين يديه ومتى فعلت ذلك أخذ يحاسبها على ما أجرمته فى دينها أو دنياها فان كانت تقية وظهرت مبرتها أباح لها الصعود عليه هنالك يحيط بها ثلاثة من الآلهة يتكفلون بحفظها من شر المهالك والمخاوف ومتى وصلت الى السماء أوقفوها بين يدى المعبود (رع) أى الشمس فان لم ترض الروح بالصعود الى السماء على هذه الطريقة وكانت طاهرة فلها أن تتشكل فى هيئة باشق له جناحان قويان يوصلانها الى السماء بدون واسطة وتقدمها الآلهة الى الشمس كما مر والا فلها أن تذهب بعد دفن صاحبها الى جبل العرابة المدفونة وهنالك تلوذ بالشمس وقت غروبها وتدخل فى كنفها فى مساء اليوم نفسه الذى دفن فيه صاحبها وتخترق معها السرداب والكهوف وتجوب الغسق والظلام وتقطع العقبات والمهالك وتقاسى معها ما تقاسيه من الشدائد فتصير كاحد حاشيتها ومتى أتمت هذه الدورة السفلية معها وارتفعت فى الصباح الى السماء صارت فى حكم الشمس نفسها وتصير أعداؤها أعداءها

وغذاؤها غذاءها وهناؤها هناءها ولها ما لها وعليها ما عليها ولها أن تترك الشمس وباقى الآلهة وتهبط الى الارض متى شاءت لزيارة جسم صاحبها المقبور بشرط أنها اذا أرادت العودة الى السماء لا تسلك الا الطريق الاول وعلى كل حال فالروح بعد خروجها من جسم صاحبها لم تنل هذه الدرجة العليا الا اذا كانت طاهرة زكية تقية بارة وأيدت براءتها يوم الحساب بالبراهين الدامغة والادلة الساطعة كما أن كثرة القرابين التى تقدم للمرء بعد موته تلزم الآلهة بالتجاوز عن سيئاته وغض الطرف عن مساويه وهفواته وتوجب عليهم قبول روحه فى أعلى عليين وتكون معهم أينما كانوا (راجع الدرس الثانى عشر)

وكل من تأمل فى نصوص أدعيتهم التى كتبوها على الآثار علم أنها أوامر مشددة على معبوداتهم باجابة طلبهم ليس فيها استغاثات ولا ابتهالات بل جميعها صيغ فى حكم التنبيه والطلب والاوامر مجردة عن الرجاء والخضوع عارية عن التذلل والخشوع غير أن بعض علماء الآثار انتحل لهم عن ذلك معذرة وقال ان هذه الادعية كتبت فى أزمانهم القديمة جدا حينما كان الناس على فطرتهم الاصلية وجبلتهم الاولية لا يميزون بين الامر والالتماس والدعاء وبقيت هذه الصيغ محفوظة فى صدور كهنتهم يتلقاها كل جيل عن سلف ويتوارثها الابناء عن الآباء ويتبركون بتلاوتها وهم جازمون بسرعة اجابتها مجمعون على بركتها لانها من الباقيات الصالحات فلذا مكثت على حالها لم تمسها يد التغيير اه مسپرو

ومن المستغربات أنى رأيت بالصعيد سنة ١٨٩٢ مسيحية كثيرا من أجسام الموتى المحنطة وعلى كل واحد هراوة عظيمة من جريد النخل مربوطة على صدره وقدميه تخلتها عضادة لحفظ جسمه من الانحناء والتقوس أو الالتواء ولم أهتد للمراد من وضعها مع الميت وربطها بهذه الحالة حتى عثرت فى بعض كتب العلامة مسپرو على توضيح ذلك حيث قال ورأيت بالصعيد مع كل ميت عكازا وفى رجليه نعالا من الجلد ليستعين بهما على وعثاء السفر الطويل وقد ظهر للباحثين من علماء الآثار أن أغلب الآلهة القديمة المصرية تبدلت بغيرها ولا يعلم لذلك سبب الى الآن فقال بعضهم انهم ماتوا وانطوت أخبارهم وجاء غيرهم من بعدهم وقال آخرون انهم لم يموتوا ولكن تغيرت وظائفهم فتغيرت أسماؤهم تبعا لذلك اه ومما يؤيد ما قلناه قلة وجود اسم اوزيريس وغيره من الآلهة على آثار العائلة الرابعة

والخامسة ثم أخذ فى الظهور والكثرة مدة العائلة الثامنة عشرة ثم صار شائعا على الآثار فى عهد العائلة العشرين ومابعدها الى آخر أيام دولة البطالسة بل الى عصر دولة الروم العيسوية بمصر ومازال مرعيا معبودا الى أن أخذ أمر هذه الديانة فى الانحطاط وصار عابد الصنم عرضة للقتل والنكال أعنى بعد دخول دين المسيح عليه السلام بمصر ولما انحط شأن أوزيريس وغيره من هذه المعبودات كسر أحد عساكر الرومان صنم الشمس الذى هو أكبر معبوداتهم وأخرج منه عدة من الفيران مع مارسب فيه من فضلاتها التى هى أشد خبثا من بول الثعلبان ولم يحصل من كسره على هذه الحالة أدنى فتنة لضعف دين الصابئة ولو كان كسر ذلك الصنم قبل ذلك الزمان لقامت الفتن واشتدت المحن كما حصل أيام دولة البطالسة فان أحد عساكر رومه قتل هرا مقدسا خطأ فقامت الاهالى على قدم وساق وقبضوا على الجندى وأذاقوه العذاب الاليم ثم قطعوه اربا ولم يصغوا لشفاعة ملكهم فيه ولم يكترثوا بسطوة رومة التى كانت سيدة الممالك ولها الشهرة وبعد الصيت وبتكسير الاصنام المصرية تركت عبادتها بالكلية وتلاشت الاوهام والوساوس الشيطانية سيما أيام الملك أركاديوس ابن الملك تيودوسيس الاكبر الذى حكم سنة ٢٢٧ قبل الهجرة النبوية أعنى سنة ٣٩٥ بعد ميلاد المسيح وبذلك اسودت الهيا كل واغبرت بالتراب فصارت مهجورة لايدخلها عابد ولايومى اليها راكع ولاساجد وبالجملة فلم تستفد مصر من دولة الرومان السفلى وهى دولة الروم العيسوية بمدينة القسطنطينية الا ارشادها فى أيامها الاخيرة الى دين عيسى بن مريم عليه السلام وانقاذها من دين الصابئة وهدم معابد الصنم والوثن وتخليصها من خرافات الجاهلية

وربما توهم القارئ أن مصر التى انفردت فى زمانها بالذكاء والحصافة ونشر العلوم وتدوين المعارف قد انفردت أيضا بالخرافات وتعميم الضلالات وتصديق الاكاذيب والترهات فدفعا لهذا الوهم أذكر فصلا صغيرا فى هذا المعنى لكل دولة كانت عظيمة بين العالم القديم واشتهرت بالسطوة وشدة البأس أو بالرفاهية وحسن السياسة الاهلية حتى يندفع الاعتراض ويعلم القارئ أن جميع تلك الامم كانت ذرية بعضها من بعض فاقول

كانت العرب زمن الجاهلية تستعمل الازلام وهى سهام كانت لهم مكتوب على بعضها

أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل السفر أو أمرا يهتم به ضرب تلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض

ومنها وأد البنات أى دفنهن أحياء فكان الرجل منهم اذا رزق انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره واسود وجهه وهو قوله تعالى (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) وكانوا يئدون بناتهم بعد الولادة بان يحفر الرجل حفرة فى الجبل ومتى جاء المخاض الى زوجته أخذها اليها فان ولدت انثى وأدها فيها وان ولدت ذكرا عاد به الى داره وتارة كان يترك البنت الى قرب المراهقة فيخبر أمها أنه يريد أن يذهب بها الى بعض أهلها فتلبسها أحسن ما عندها ويأخذها أبوها الى الجبل ويرميها فى الحفرة التى أعدها لها ويهيل عليها التراب ويرجع وان لم يكن قصده وأدها ألبسها من صغرها مدرعة من شعر وتركها ترعى الابل

أما الرتيمة فناقة كانوا يعقلونها على قبر من مات منهم ويسدون عينيها ويتركونها بلا أكل وشرب حتى تموت يزعمون أن الميت يركبها يوم البعث أما التعمية فكان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت عن الالف فقأ عينه الاخرى أما رمى السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا ثغر فرمى سنته فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال أبدليني باحسن منها فانه يأمن على أسنانه من العوج والفلج وهذا الزعم مستعمل الى الآن عندنا ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية تخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها وأن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى الى الطريق

وكانت البقرة اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب وكانوا يقولون ان من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الارانب لانها تحيض وليست من مطايا الجن وكانوا يزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة

اما اليونان فحدث عن خرافاتهم ولا حرج منها أنهم كانوا يزعمون أن طير (الفنكس) ولعله السمندل كان يأتى من الغرب مرة واحدة فى كل خمسمائة سنة ويدخل فى معبد (رع)

الشمس ويخفق فيه بجناحيه ثم يذهب وقال بعضهم انه كان يأتى حاملا جثة أبيه مضمخة بالمر وقال هيرودوت انه كان عندما يعتريه الشيخوخة والهرم يضرم نارا فى حطب ذى رائحة زكية ويضع عليه كثيرا من المر ثم ينزل فيها فيحترق ويصير رمادا فيخرج منه فنكس آخر صغير يطير صوب المشرق ومنها ان كان الذى حذفه أبوه جوبتير (كوكب المشترى) من السماء لكونه ولد شنيع المنظر ممسوخا فانكسرت احدى رجليه حالة سقوطه فصار أعرج فجعله أبوه رئيسا على الحدادين الذين يعملون الصواعق وقالوا ان باخوس ولد قبل أوانه فأدخله أبوه جوبتير فى فخذه ليكمل مدة الحمل الذى كان يمكثها فى بطن أمه ومنها ان كسته الذى كان عيد الغرباء على فراشه فان زادت أقدامهم عنه قطعها ومنها غزوة الارغنوط فى البحر الى بلاد كلفيده لنهب صوف الذهب ومنها يونون التى أرضعت هرقول الجبار حينما كان طفلا فطار من لبنها شئ فى السماء فنشأ عنه المجرة المعروفة بطريق اللبانة ومنها أن هرقول هو الذى قطع الجبل وصنع البوغاز المعروف الآن باسم بوغاز جبل طارق ويعرف قديما عندهم باسم أعمدة هرقول ومنها تيزا الجبار ابن ملك أتيكا وذهابه الى جزيرة كريت ودخوله فى التيه على الغول المسمى مينوطور الذى كان على شكل انسان وله رأس ثور وقتله اياه وزواجه بنت مينوس ملك هذه الجزيرة مقابلة ما فعلته معه من الجميل وغير ذلك مما يطول ذكره ويمل القارئ منه (راجع صحيفة ٢٢٧ من كتاب بداية القدما وهداية الحكما)

وكما أن الخرافات كانت ضاربة أطنابها عند اليونان وغيرهم كانت مستوطنة أيضا عند الاشوريين والبابليين من ذلك ما نقله المؤرخون فى خبر الملكة سميراميس وملخصه أنها فتحت الفتوحات العظيمة وجالت بخيلها ورجلها فى جميع الممالك التى بقسم آسيا الصغرى واستولت عليها وضمتها الى بلادها حتى جعلت حدودها بلاد الهند ثم دخلت مصر وبلاد السودان واستولت عليهما وبعد ذلك سولت لها نفسها أن تخضع بلاد الهند فتوجهت اليها بالافيال والرجال والتحمت فى القتال مع ملكها المدعو استراوبايتس وانتهى الامر أخيرا بانهزامها وعودتها خائبة الى بلادها وهى التى خرقت الجبال وأجرت الانهار العظيمة الى الاراضى القحلة التى كانت فى بلادها وبنت القلاع والحصون والمعاقل وشحنتها بالرجال والمقاتلة ومهدت الطرق فى الجبال الصعبة المرتقى

التى ما كانت الوحوش الضارية تستطيع الوصول اليها ثم بلغها أن ابنها المدعو نيناس ائتمر بها وأراد هلاكها فتنازلت له عن الملك وتحولت الى حمامة وطارت

أما الفنيقيون أو الكنعانيون فكانوا أدهى وأمر لانهم كانوا يفزعون عند الشدائد الى معبودهم المدعو (بعل ملوخ) المتخذ من الصفر (التوج أو البرونز) على شكل انسان جالس ماد ذراعيه ويوقدون تحتهما نارا حتى يلتظيا ثم يلقون أولادهم عليهما فيموتون فى الحال وقس على ذلك

أما العجم فيكفينا منهم زواج الرجل اخته واباحة المحصنات من نسائهم لكل انسان راجع تاريخ (زرداشت) وذكر هيرودوت أن اكزرسيس ملك العجم لما قصد حرب اليونان عبى جيشا كثيفا وتوجه به لقتالهم وبينماهم سائرون فى البحر اذ هبت عليهم عاصفة من الريح فانكسرت منهم سفينة ذات ثلاث طبقات فغضب اكزرسيس المذكور وضرب البحر بالسوط وأمر بقتل الملاحين الذين كانوا بتلك السفينة وقطع جبل أتوس (الواقع فى نهاية شبه جزيرة سالونيك بأرض الروم ايلى فى تركية أوربا) لاجل تسليك طريق لسفنه ولو أطعنا القلم لكتبنا مجلدات فى هذه الخرافات ولكن حسبنا ما أثبتناه فى هذا المختصر

الفصـــــل السادس

(فى الرحلة العلمية التى من قنا الى الاقصر أبى الحجاج)

كيلومتر

٢٥ من قنا الى نجاده (نقاده)

٢٥ من نجاده الى الاقصر أبى الحجاج

٧٠٦ من بولاق مصر الى الاقصر

ليس بين مدينة قنا وقرية الاقصر آثار تستحق الذكر لان جميع ما بالقرى المحصورة بينهما قد محتها الدهور وكرت عليها العصور ولم تبق منها الا بعض أحجار غفل مطروحة شذر مذر بين المزارع أو مبنية فى منازل الفلاحين

أما قرية الاقصر التى هى والكرنك والقرنة ومدينة أبو أوهبو فكانت عبارة عن مدينة طيبة القديمة عاصمة المملكة المصرية وتخت الدولة الفرعونية مدة أجيال طويلة فمالى أراك أيها اليراع وقفت بين أناملى حائرا متبهتا كأنك عجزت عن وصف آثار أم القرى أوخلته حديثا يفترى أما سبق لك وصف مثلها فى هذا الكتاب أما أفرغت فيه ما كان بالوطاب أما أجليت فى سطوره عرائس الافكار ونظمت فى جيده درر الاخبار أما استرسلت فى سيرة المصريين وأثبت فيه ما كان لهم من غث وثمين هيا أيها اليراع هيا صف لنا الآثار وتيها ولا تخجل من تقصيرك فان الله نصيرك واقصص علينا من بعض الانباء وما كان الغرض من تشييد هذا البناء واقتطف لنا من ملح المؤلفات وذكرنا بأعمال من قد فات وقل لنا بحق من براك وهو فى كل يوم يضحك ويراك ما أصل هذه العمارات وما فائدة تلك المغارات ومن الذى أقام هذه المسلات التى صبرت على كيد الزمان بعد ما خان أهل رومان وما أصل هذه الكيمان وما هذه النقوش والالوان ولماذا هذه التماثيل العديمة المثيل وما هؤلاء الكباش الحجرية والاصنام الصخرية وما كان الغرض من هؤلاء الابراج والابواب التى سمت الى السحاب واندهشت من رؤيتها أولو الالباب وأبدت لنا نقوشها العجب العجاب فأخبرنى بالصريح وأعلمنى بكل قول صحيح وانتقل بى على الترتيب وأطرفنى بحديثك الغريب وتحاش الكذب والترهات وأبق ما عندك وهات فقال اليك ما عندى ولا تسأل أحدا بعدى

اعلم أن هذه العاصمة القديمة قد اشتغل بها أقلام جميع أرباب السير والتواريخ ولم يذكر أحد منهم زمن بنائها ولا اسم بانيها حتى ان كهنتها الذين كان لهم أعظم باع فى العلوم والسير لم يذكروا عنها شيأ من هذا القبيل وقال ديودور الصقلى انها أقدم مدينة بمصر وقال غيره انها من تأسيس الملك (منا) رأس الفراعنة ويؤخذ من قول هيرودوت أنها بنيت قبل الميلاد بنحو اثنى عشر ألف سنة ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الخارجة عن حد الصدق ولم يذكر لنا من وصفها شيأ يعتد به والظاهر أنه ما دخلها عند سياحته بمصر ومساحة خرائبها قدر مساحة مدينة باريس تقريبا وذكر ديودور أن آثار هذه المدينة تمتد على شاطئ النيل نحو ثمان غلوات (الغلوة نحو مائة متر) وفى الخطط الجديدة أن مساحة أرض طيبة نحو سبعة عشر مليونا ومائتين وستين ألف متر مربع ومساحة أرض القاهرة نحو

سبعة ملايين من الامتار المربعة أى أقل من نصفها والآثار الباقية بها الآن تدل على أنها كانت شاغلة بمبانيها الفاخرة شاطئ النيل وممتدة على كل جهة الى الجبل وكان من بيوتها ما هو مركب من خمس طبقات أو أقل اه ولكن أغلب ذلك تحول الى أرض زراعية وصار غيطانا وقال ديودور ان ملوك مصر صيروا هذه المدينة من أبهج وأغنى مدينة فى مصر بل ما طلعت الشمس على أحسن منها فى جميع الدنيا ومعابدها ومبانيها من أغرب ما يرى ولم يك شئ يشابه تماثيلها الجسيمة وكثير من آثارها كان مصفحا بالذهب والفضة أو مطعما بالعاج وجميعها مشحونة بالمسلات والاعمدة والبواكى التى من حجر واحد يتخللها الشوارع والطرق المنتظمة وبها أربع هياكل تدهش الناظرين ويبلغ ارتفاع سورها ٤٥ قدما وعرضه ٢٤ ولما استولى قمبيز ملك العجم على مصر نهب جميع ما بها من الذهب والفضة والعاج وحرق هياكلها وقال استرابون انه كان لها مائة باب واسمها عند اليونان Hécatompylos (هيكاتومبيلوس) (وفى القاموس الفرنساوى أن هذا الاسم علم على مدينة طيبة بمصر لانه كان لها مائة باب) يخرج من كل واحد منها ألفان من العساكر الخيالة ولا ريب أن فى هذه العبارة شيأ من الكذب أو المبالغة لان هذا الجيش العرمرم لا يمكن وجوده فى أى مدينة مهما كان اتساعها وقال المعلم والس فى كتابه مرشد السياح من الانكليز من المحقق انه كان بمصر عشرون ألف عربة حربية لانه كان موجودا بها مائة اسطبل على الشاطئ الغربى للنيل متوزعة ما بين مدينة منفيس ومدينة طيبة يسع كل واحد منها مائتى فرس وآثارها لم تزل باقية الى الآن فى سفح جبال ليبيا وفى الخطط الجديدة قال بعض شراح (أوميروس) الشاعر اليونانى انه كان بمدينة طيبة ثلاثة وثلاثون ألف حارة وكان بها مائة باب وعدد أهلها سبعة ملايين من الناس وكان الباب يخرج منه عشرة آلاف راجل وألف فارس ومائة عربة حربية متسلحة للقتال ولا يخفى ما فى هذه العبارة من المبالغة التى بلغت أوج سماء الكذب فان مدينة باريس كانت فى سنة ١٨٠٠ ميلادية لا تشتمل على أكثر من ألفى طريق ما بين شارع وحارة ومدينة لوندره ليس فيها الا عشرة آلاف حارة مع أنه لا يوجد مدينة الآن أكبر منها سطحا بل لا يتصور وجود مليون من العسكر داخل مدينة واحدة فضلا عن وجود سبعة ملايين من الاهالى والذى يظهر أن هذا الشارح لم يمعن النظر فى عبارة المؤلف بل أخذها بدون تأمل

فأخطأ أو أن عبارة المؤلف المذكور فيها تحريف والظاهر أن اقليم مصر كله كان يسمى باسم طيبة كما يؤخذ من قول هيرودوت وارسطاطاليس فيحتمل أن تكون السبعة ملايين هي عدد أهالي القطر ويحتمل أن الشارح ترجم لفظة بلدة أو قرية بحارة فان في مؤلفات نيوكريت أن عدد المدن والقرى بمصر ثلاثة وثلاثون ألفا وفي وقت الفرنساوية صار حصر عدد البلاد والقرى في جميع القطر المصري فوجد ألفين وخمسمائة وحصرت أهالي القطر فوجدت مليونين وثلثمائة ألف نفس ومسحوا أرضها فوجدوا القابل للزراعة منها ألفا وثمانمائة فرسخ فرنساوي مربع والفرسخ قريب من مائتين وخمسة وأربعين فدانا مصريا الى آخر ما قال (راجع ذلك في الجزء الثالث عشر نمرة ٧٢)

وقال تاسيت المؤرخ ان هذه المدينة كانت مركزا تجتمع فيه التجارة الواردة من بلاد الهند ثم توزع على البلاد والاقاليم المجاورة كبلاد كنعان وغيرها وكانت الفراعنة تجمل فيها جميع ما تغنمه من الجهات وما تجبيه من الممالك الخاضعة لها ويؤيد ذلك ما هو مسطور الآن على أغلب هياكلها والذي زادها بسطة في المال والثروة وقوعها على جانبي النيل كمدينة باريس ولندره وكثرة المعابد لان الناس كانت تؤمها أيام الاعياد والمواسم للزيارة والتبرك بها وتقدم لكهنتها الهدايا والتحف حتى صارت هذه الطائفة في درجة من الغنا لم يشاركهم غيرهم فيها فبنوا القصور وزخرفوها بأنواع الزينة من أموال القرابين والهدايا التي كانت ترد اليهم من جميع الاقاليم وبذلك كانت تزداد مدينة طيبة في كل سنة رونقا وبهجة وسعة ومن هذا يعلم أنها كانت مركزا للديانة كما كانت مركزا للتجارة والامارة فكم تخرج من مدارسها أرباب أقلام وجهابذة أعلام وقضاة أحكام وكم ظهر منها فاتحون وعلماء راسخون وكم تدون في ربوعها علوم وفنون

رعاك الله أيها اليراع لقد شنفت الاسماع وما عليك الآن الا أن تخبرنا بتاريخ نشأتها وتقص علينا طرفا من أحسن أنبائها ثم اعطف على وصف الاطلال وتوخ الصدق في المقال

أما تاريخها فقد ذكر ماريت باشا في بعض مؤلفاته أن اسم هذه المدينة لم يظهر للوجود الا بعد انقراض العائلة العاشرة ومن المستحيل أن نعرف شيأ من أخبارها قبل ذلك العهد لان الفترة التي وقعت بين العائلة السادسة والحادية عشرة جعلتنا نجزم بان مصر كانت

تحت يد دولة أجنبية أو كانت غارقة في بحر الفتن الداخلية ولما ظهرت مدينة طيبة أخذت سلسلة التاريخ ترتبط ببعضها مرة ثانية واذا سأل السائل وقال هل كان تمدنها وقت نشأتها هو نفس تمدن ذلك العهد القديم الذي شاهدناه منقوشا في مقابر سقارة وميدوم وزاوية الميتين وقصر الصياد مدة العائلة السادسة المنفيسية أجبناه بأن تاريخ بينهما بونا بعيدا لان هيئة الاموات والنصوص الربانية والقواعد الكتابية جميعها مغاير لما كان مستعملا عند تلك الدول القديمة ومن المستغرب أن الاموات التي وجدت مدفونة في ذراع أبي النجا (بطيبة) أغلبها عبيد وتوابيتها عبارة عن كتلة من خشب مفرغة على قدر جسم المقبور فيها وهذا النوع لا يوجد الآن الا في المقابر القديمة ببلاد السودان وهذا هو ما حملنا على القول بان احياء التمدن القديم وظهور مدينة طيبة نشأ عن حادثة سياسية تعزى لاغارة أهل الجنوب على مصر

أما أقدم آثارها فهي الاروقة المصونة في العضود ثم الآبار التي كانت مستعملة للدفن مدة العائلة الحادية عشرة وكلها بذراع أبي النجا وقد يرى به للعائلة الثانية عشرة بعض مقابر كما يرى لها جهة الكرنك بعض آثار مهمة باقية الى الآن وفي هذه المدة أخذت مدينة طيبة ترقى في مراقي التقدم وتسمو في سماء الحضارة وتشيد أركان الرفاهية الى أن أغارت عرب الرعاة أو العمالقة على مصر فارتعدت لها فرائص الامة ووجلت منها الملوك وتشوشت الاحوال واضطرب الناس وخمدت جمرة همتهم وانعدمت روح الرفاهية من بينهم فحصل خلو في التاريخ المصري مدة قرون متوالية وانحاز الوطنيون الى الصعيد واشتغلوا بما هو الاهم وهي مكافحة عدوهم الالد وعدلوا عما كانوا بصدده من تشييد معابدهم وقصورهم وما زالوا يعانون الويل ويقاسون الاهوال الى ظهور العائلة الثامنة عشرة التي أجلتهم عن مصر وكان منها الملوك الامنوفيسيين والطوطوميسيين وقد سبق ذكر ذلك ولهذا العهد كانت طيبة عبارة عن الجهة المعروفة باسم الكرنك فقط ثم أخذت في الظهور دفعة واحدة واتسع نطاقها ورفلت في حلة المدنية حتى انفردت من بين جميع المدن المصرية

واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وشيد بها الملك امونوفيس الاول جزأ من معبد الكرنك وهو الآن مهدوم وأقام على بابه مما يلى الجنوب الغربى لبرج المعبد تمثالا هائلا يدل على ما كان له من علو الهمة فى مزاولة الاشغال الجسيمة وبنى به الملك طوطوميس الاول جملة ايوانات وأبراج وأقام به مسلات حتى جعل منظره من أحسن المناظر وأبهجها وشرعت الملكة (حتزو) مدة وصايتها على أخيها فى تشييد البرج الثالث من جهة الجنوب وبنت الاروقة الخانية التى بالمعبد وشيدت معبد الدير البحرى الغريب الوضع تذكارا لنصرتها على أعدائها ببلاد (بون) (بلاد اليمن أو الحجاز) أيام مدة طوطوميس الثالث وامونوفيس الثالث فأخذت مدينة طيبة فى العظم وسمت الى أوج الرفاهية أما الاول فقد أدخل فى معبد الكرنك الزيادة التى تمت هيئته بها وشيد على الجانب الغربى للنيل معبدا جليلا وهو الآن مهدوم وأسس معبد مدينة (أبو) وغير ذلك من المعابد وأما الثانى فلم تكن همته دون همة أسلافه لانه شيد جميع القسم الجنوبى من معبد الاقصر كما شيد هيكل المعبودة (موت) والمعبود (أمون) ووضع صفين من أصنام أبى الهول على حافتى الطريق أمام هيكل المعبودة (خنسو) بالكرنك وبنى العمارة الفخمة التى خلف صنمى (ممنون) بالشاطئ الغربى للنيل ثم ظهر أمونوفيس الرابع الزنديق ولم يفعل شيأ بمدينة طيبة غير محو اسم المعبود أمون من أغلب هياكلها ولما تبوأ الملك هوروس تخت الملك بمدينة طيبة أعاد الديانة الى ما كانت عليه وأخذ فى اعلاء شأن المدينة بما صنعه من المبانى النفيسة والعمائر الحسنة فانه بنى فى معبد الكرنك البرجين العظيمين جهة الجنوب ووضع صفين من الاصنام على جانبى الطريق الموصل من البرج الاول الى معبد (موت) ونصب بعض الاعمدة التى فى معبد الاقصر

ولما استولت العائلة التاسعة عشرة أخذت الاشغال تدور على محورها القديم فشرع رمسيس الاول فى عمل بعض المقابر التى فى باب الملوك وشيد فى معبد الكرنك البرج الذى أمام رحبة الاعمدة وفى أيام سيتى الاول ارتقت درجة الرسم الى غايتها القصوى وقد سبق ذكر ذلك عند الكلام على معبد العرابة المدفونة وهو الذى ابتدأ بعمل رحبة الاعمدة بالكرنك وأقام به ثمانية وسبعين عمودا موجودة به الآن ضمن مائة وأربعة وثلاثين وهى لضخامتها واحكام صنعتها وعلو شأنها تدل على ما كان لمهندسى تلك الاعصار من القدرة والاقدام والدقة

فى تشييد المبانى وقد أسس هذا الملك جهة القرنة معبدا تذكارا لاسم أبيه رمسيس الاول وحفر بسيف الجبل فى باب الملوك تلك المقبرة الغريبة الشكل التى ينشرح من رؤيتها جميع علماء الآثار لما يجدونه بها من كثرة النصوص والرسوم لكنهم لا يخرجون منها الا وهم ساخطون على السائحين من الافرنج الذين تطرفت أيديهم الى هذا الاثر الجليل فأتلفوا بعض محاسنه وفى سنة ١٨٩٢ أخبرنى مفتش القرنة وأنابها أن أحد سائحى الانكليز دخل فى هذا القبر مع رفقائه وبعد أن تفرج وابتهج وانشرح صدره وتم باله بال على وجه أحد الصور ثم خرج وترك الاثر مخضبا باثره فقلت له ربما كان هذا من بعض خصاله عند رؤيته الاشياء المستحسنة أو لعله كان مريضا بسلس البول أو كان ذلك علامة عنده على الاستحسان

أما رمسيس الثانى فلم تتفرغ لتقدم هذه المدينة كأسلافه لانه بذل عنايته فى نشر آثاره الكثيرة بوادى النيل ومع ذلك فقد أتم بناء رحبة الاعمدة التى بهيكل الكرنك وأحاطه بسور عظيم وشيد رحبة معبد الاقصر ومن المستغرب أن هذا الملك الذى خفق ذكره فى الخافقين وسارت بسيرته الركبان وملأ حافتى النيل بآثاره لم يهتم بعمل قبر فاخر كأبيه وها هو قبره فى باب الملوك مجرد عن اللطائف عاطل عن المحاسن ليس به ما يروق فى عين الناظر ولا ما يستحق الوصف لكن جبر هذا الخلل بتشييد معبد الرمسيوم المشهور بجهة القرنة ولم يشيد من قام من بعده من الملوك أثرا جديدا جديرا بالذكر ما عدا الملك رمسيس الثالث فانه أسس معبد (خنسو) ومعبد الحوش الاصلى بالكرنك وشيد مدينة (أبو) وصنع فى باب الملوك القبر المعروف الآن بقبر الآلاتية لوجود صورتهم به وبهذا الملك انتهى دور مجد طيبة

وفى أيام العائلة الثانية والعشرين البوبسطية صنع بعض ملوكها حوشا عظيما أمام معبد الكرنك ويرى اسم الملك طهراقة (الحبشى) منقوشا فى أحد جوانب هذا المعبد الكبير وفى معبد مدينة (أبو) وبنى بعض ملوك البطالسة معبد دير المدينة وهو لاشئ ثم البابين الجليلين اللذين بالكرنك وبذلك انقضت أيام هذه المدينة وأدبرت أوقاتها ولما أغار (أسورادون) أحد ملوك الاشوريين أغار (سردنابال) الاشورى على مدينة طيبة ودمرها فجاء طهراقة وأصلح بعض ما أفسده ثم أغار عليها ثانيا وأسلمها الى السلب

والنهب وأوقع بها غاية الكرب وقد أجمع المؤرخون على أن قمبيز ملك العجم استولى على مصر وأنزل بها الدمار وخرب مدينة طيبة ولكن لم يقم دليل قطعي على صحة ذلك ومن المحتمل أنه نبش بعض مقابر باب الملوك وغيره ثم انتهى أمر هذه العاصمة بحصارها وخرابها على يد (بطليموس لاطيروس) انتهى ملخصا

أما هذه التلال التي تراها الآن في تلك الاطلال سيما جهة الاقصر فهو ان من عادة أهل تلك البلاد أن يبنوا منازلهم باللبن ومتى آلت الى السقوط هدموها وأصلحوا أرضها بما فيها من الانقاض و بنوا فوقها مساكن أخرى غيرها وهكذا وبهذه الحالة صار جانب عظيم من معبد الاقصر تلا كبيرا يبلغ ارتفاعه نحو الستة أمتار وستر كثيرا من المباني الاثرية و بنى الناس فوقه المنازل والمباني منها مسجد العارف بالله سيدي أبي الحجاج وهو العقدة التي في طريق مصلحة الآثار المانعة من اكتشاف جميع باقي المعبد المذكور واليك طرفا مما قاله مسبرو في أحد نشراته العلمية اذا دنى السائح من قرية الاقصر رأى معبدها في حالة يرثى لها واكتنفت أكواخ فقراء الناس وعششهم برجيه الشامخين فحجبت أكثر من نصفهما عن عين الرائي وكانا يزينان باب المعبد وحوشه ورحبته من جهة الشمال واذا دخله الانسان يرى به نحو ثلاثين منزلا وثمانين طاولة مواشي مرتكزة على أعمدته وملتصقة بجدره ورفارفها متقلة بالطوب التي الذي بنوا به تلك المنازل ومأذنة (سيدي) أبي الحجاج قائمتين بوسط هذا المجموع الغير مرضي ويرى تحت رحبة الاعمدة الواصلة من الحوش الشمالي الى المعبد نفسه منزلين أحدهما القاضي اسنا والآخر لمصطفى أغا عياد وكيل أشغال دولة الانكليز والبلجيقه والروسيا أما وجهة المعبد من جهة الغرب المطلة على النيل فكانت محجوبة بجملة مباني منها قشلاق العسكر والسجن والبوسطة ومخازن الحكومة ومباني جسيمة متخربة لدولة فرانسا ملكتها من نحو الخمسين سنة وخلف هذا الخراب قطعة أرض براح بها كثير من الانقاض والجدر المنقضة والبويتات الصغيرة المجتمعة مع بعضها ثلاثا ثلاثا أو أربعة أربعة ويرى بين قواعد العمد بالمعبد مراحات للغنم وزرائب للمعز وابراج للحمام مصنوعة من الفخار ومشيدة على ما بقي من أرض المعبد تعلو عليها بأكثر من خمسة عشر مترا وكل قطع الاعمدة وأحجار الجدر والاسوار التي لم يدعها أحد ملقاة هنالك كأنها مقاطع الاحجار مباحة للعامة يقصدها كل

من أراد البناء ويأخذ منها ما يشاء ولم يمنعه أحد وفي سنة ١٨٧٩ ميلادية أشهرت مديرية قنا هذا المعبد للبيع ولم تخبر مصلحة الآثار بذلك فانتهز أحد الافرنج هذه الفرصة واشتراه لكي يعمل به فندقا (لوكنده) وصمم على أن يوقع من المعبد اثني عشر عمودا ليبني بأحجارها دورين بها ولما شرع في العمل أخبر أحد السائحين ماريت باشا فبادر وأجرى ما يلزم لفسخ البيع وعتقت مصر من وصمة هذا العار الى آخر ما قال

الدرس الرابع عشر

(فى بعض عوائد قدماء المصريين والالماع بشئ من ترتيباتهم العسكرية)

كان من عادتهم أن يعبدوا كل ملك تولى عليهم لاعتقادهم أنه الفاعل المختار ووكيل المعبودات الذى بيده الضر والنفع واعلان الحرب وابرام الصلح وشريك الكهنة فى تقديم القرابين وهو الحاكم المطلق وأشرف الامة ومولى العباد وسيد الامراء وصاحب الامر والمتكفل بسعادة الامة وكانت الكهنة تقدسه فى محفل عام عند استلامه زمام الملك ولعل هذه العادة سرت الى الاسرائيليين منهم لانهم اقتبسوا كثيرا من عوائدهم وكانوا يكتبون اسمه فى الخاتمات الملوكية اجلالا لقدره وتعظيما لمكانته ويلقبونه بجملة ألقاب منها ابن الشمس أو ملك البرين أو الارضين أو صاحب التاجين أو محبوب الالهة وغير ذلك

وكان يباح له تعدد الزوجات من الاهالى والاجانب ويتخذ المحاضى والسرارى بدليل أن رمسيس الاكبر الذى طالت مدة حكمه كان له من الذكور ثلاثة وعشرون ولدا وذلك غير الاناث وان ابنه الثالث عشر هو الذى حكم على سرير الملك من بعده لانقراض جميع أولاده الذين كانوا له من زوجته الاصلية لان وراثة الملك كانت من حقوق البكرى واقتدت أشراف الامة بملوكهم فى تعدد الزوجات على شروط مدونة عندهم منها أن أولاد الزوجة الاصلية يرثون جميع مال أبيهم بعد موته وغير ذلك بخلاف كهنتهم فانهم كانوا يقتصرون على الواحدة وكان يباح لبنات الملوك الجلوس على سرير الملك عند عدم وجود الوارث الشرعى من الذكور أو عدم بلوغه سن الرشد وذكر المعلم (روجه) أن أول من أباح حكم النساء على مصر هو الملك (بنهوتر) أحد ملوك العائلة الثانية واشترط أن يكن من العائلة الملوكية وسبب ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن ملوك مصر ليسوا كباقى الملوك الذين يحكمون على الناس بل يفضلون عليهم لانهم من نسل الالهة التى كانت حكمت على وادى النيل وورثتهم فى الحكم وأنهم أبناء الشمس كما هو مذكور على جميع الآثار ولا يسوغ لبناتهم أن تستولى على الملك مع وجود الذكور الا اذا انقرضوا فيعود الحق فى الملك اليهن أولى من استيلاء أحد البشر على تاج أبناء الشمس ولذا جرت العادة أن كل من اغتصب الملك ولم يكن من بيته يتزوج بأحد

بنات الملوك السالفين ليصير ابنه حاكما شرعيا وترتبط سلسلة الملوك بعضها ببعض اه وكانوا يحترمون النساء احتراما زائدا ويقولون انها قرينة المرء ورئيسة المنزل والمربية لاولاده وزيادة على ذلك فقد ساوى القانون فى العقاب بين الذكور والاناث عند ارتكاب ما يوجب ذلك ولشرفهن ورفعة منزلتهن كانت نساء الملوك يحضرن فى المحافل الدينية عند جلوس أزواجهن على منصة الحكم ويشاهدن تقديسهم بيد الكاهن الاعظم ويجعلن صورتهن على الآثار بجوار أزواجهن بعد حضورهن فى الجمعيات العامة

(استطراد لا بأس به) قال بعض علماء الافرنج لا أدرى لماذا اسقط اعتبار المرأة فى جميع بلاد المشرق وهى الحافظة للوداد الامينة على الاموال الصابرة على البأساء والضراء الخادمة بلا أجر أوليس من العدل التأسى بقدماء المصريين الذين لما أدركوا بفطنتهم أن الحضارة والمدنية لا تتم الا بحسن معاملتهن والاخذ بناصرهن وعلموا ما لهن فى قوام الهيئة الاجتماعية أدوها حقها فى الشرف ولم يبخسوها قدرها أوليس من التوحش معاملة المرأة بالجفوة والنظر اليها بعين الاحتقار وتنزيلها منزلة الرقيق فان بلاد الافرنج لم تزدر بالنساء كبلاد المشرق الامدة توحشها وقد أخذت هذه المسئلة قبل الآن بنحو قرنين دورا مهما ببلاد فرنسا وكان الجدال فيها علنا على ملأ الاشهاد وغرضهم هل النساء من جنس الرجال أم لا فأجاب البعض وأنكر آخرون من الاطباء وياليت شعرى هل كان هؤلاء المنكرون رجالا بين الناس اه وفى بعض التواريخ المعتبرة أن (ساتنو) زوجة ملك النوبة حضرت على الفور أمام رمسيس الاكبر بعد حضور زوجها أمامه وقبل دخول باقى رجال الدولة عليه وبذلك يثبت أن عوائد قدماء المصريين كانت كعوائد الافرنج سواء بسواء من حيثية الاحترام لهن اه

وقد أتت الشريعة الغراء تحثنا وتنبهنا على حسن معاملتهن والرأفة بهن منها قوله تعالى فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فانظر رعاك الله ما فى هذه الآية الشريفة من الامر بالمعروف فى كلتا الحالتين ثم الزجر الذى هو فى معرض النهى عن الاعتداء عليهن وقوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث أى اضربها بأعواد من الحشيش الاخضر ولا تقع فى يمينك رأفة بها وقوله صلى الله عليه وسلم ارفقوا بالقوارير أى عاملوا النساء بالرأفة فان أجسامهن كالقوارير أى الزجاج ولا يخفى ما فى هذا

الحديث من البلاغة والايجاز والتشبيه وجزالة المعنى فاذا علمنا ذلك تيقنا أن التعدى على هؤلاء القوارير الضعفاء مخالف لامر الله وأمر رسوله ومن يفعله كان متوحشا بل ملحقا بالبهائم وانى على غيرأى ذلك الفيلسوف الذى قال له بعض الناس أى الوحوش أظرف فقال له النساء والظاهر أن زوجة هـذا الفيلسوف كانت من أظرف الوحوش لعدم تربيتها والافالمرأة التى أحسن أهلها تهذيبها كانت نعم العون لزوجها ولتربية أولادها ولو أرخينا عنان القلم لطال الكلام وخرجنا عن الموضوع (راجع كتاب المرشد الامين تأليف المرحوم رفاعه بك فان فيه الكفاية)

وكانت الملوك تجعل على رأسها شعرا قصيرا وفوق جبهتها ثعبانا من الذهب لان الثعبان كان مقدسا عندهم وكانت الكهنة تتقمش بثياب من التيل الابيض الناصع أو الكتان النظيف وكان الصوف محرما لبسه على جميع الامة لانه متحصل من الحيوانات ومتكون من دمها وهو نجس بالاجماع وقال بعض أهل السير ان الذى حملهم على عدم استعمال الصوف هو كثرة وجود التيل والكتان وموافقة لبسهما لجميع فصول السنة وخفتهما على الابدان اهـ ويغلب على ظنى أن القول الاول هو الارجح لانهم كانوا أى الكهنة يحلقون رؤسهم وجميع بدنهم بالموسى كل ثلاثة أيام مرة واحدة ويغتسلون فى كل يوم مرتين صيفا وشتاء بالماء القراح البارد والظاهر أن النظافة كانت عندهم من أهم الامور وقد رأينا فيما سبق التنديد بالنساء الذى لايغتسل الامرة واحدة فى اليوم وكان رئيسهم يتوشح بجلد النمر عند أداء وظيفته الدينية داخل المعبد وكانوا يأكلون لحم الاوز وبعض الطير المباح أكله وبعض الخضراوات والبقول والفاكهة ولحوم مايهدى الى المعابد من القرابين وكانوا يهذبون أولادهم ويثقفون عقولهم بالعلوم والمعارف كالرياضيات وأخذ المساحة والفلك والتواريخ والمحاضرة وحسن الخط ويلقنونهم أسرار الديانة لانهم هم الوارثون لعلومهم القائمون بالخدمة بعدهم حتى اذا بلغوا العشرين سنة كانوا على قدم راسخ فى أجل العلوم متوشحين بحلية المعارف ومترشحين للخدمة

وكان المصريون يعقون عن أولادهم بعد الولادة ويختنونهم ويحلقون جميع رؤسهم وربما تركوا بوسطها خصلة من الشعر ويهتمون بتربيتهم ويعلمونهم احترام الشيوخ وهذه العادة انتقلت من مصر الى بلاد اسبارطه ببلاد اليونان (راجع قوانين سولون الحكيم)

وكان لبس رجالهم الثياب الواسعة المتخذة من القطن ونحوه ويتمنطقون عليها ويأتزرون بالمئزر لكن كانت هذه العادة تتغير بحسب الاحوال والازمان ويلبسون الاحذية المتخذة من الجلد أو من ورق البردى وكثير منها موجود الآن بالمتحف المصرى أما النساء فكن يلبسن كالرجال ويخرجن حاسرات الوجوه بلا نقاب ويعتصبن بالعصائب ويتطيبن ويضفرن شعورهن ويرسلنها ذوائب على أكتافهن ويتحلين بالشعور العارية عند الحاجة لها ويتقلدن بالقلائد والاسماط المتخذة من الذهب والفضة أو من باقى المعادن أو الاحجار الكريمة وغيرها أو من المعبودات المتخذة من الخزف أو المعدن ويلبسن الاقراط والخواتم من كل نوع ويكتحلن ويزججن الحواجب وكثير من مكاحلهن باق الى الآن فى أطلال مدنهم القديمة وهى امامن العاج أو الفخار أو الزجاج أو غير ذلك وكانت مرآتهن من المعدن النقى الجيد الصقل كالذهب والفضة والصفر وغيرهما وبالمتحف المصرى كثير من ذلك وكانوا يعتنون بتربية أولادهم ويعلمونهم حب الوطن ومثابرة المشاق والتمسك بالديانة ويشربون الخمر رجالا ونساء فى الاقداح ويستخرجونه من التمر والعنب وهو مصداق قوله تعالى حكاية عن صاحب يوسف فى السجن انى أرانى أعصر خمرا أى أعصر عنبا لاجعله خمرا وكانت الكروم والنخيل متوفرة عندهم بكثرة لاستخراج الخمر والدليل على أنهم كانوا يشربون الخمر صورة الوليمة التى فى مقابر بنى حسن والسكران الذى يحمل منها الى داره وكانوا يعرفون عمل الفقاع والمزر (البوزه أو البيره) (أنظر الشكل الآتى)

(صورة كرم العنب ومعمل عصير الخمر وبه اشياء من الرباب لاحصاء كية ما ورد الى الاذان)



السطر الاول من أسفل به أربعة رجال يعصرون العنب بأرجلهم وهم قابضون على حبال يستندون بها ثم رجل يصب خمرا أو عصارة العنب ثم كرم العنب وبه رجلان يقطفان عناقيده ويضعانها فى سلة بينهما ثم رجل يسقى الكرم ثم ثلاثة رجال يحملون فاكهة وأزهارا وطيورا ثم خادمان خاران على الارض طاعة لسيدهما وهو واقف امامهما وبيده نحو مسوقة أو آلة ويهددهما بالضرب ويعذرهما على جناية وقعت منهما — السطر الثانى به مخدع يشتمل على كثير من أدنان الخمر وقدور بها فاكهة ورجلان يسدان عليها ويرتبانها ثم كاتب يحصى ذلك ثم رجل يحمل سمكا وسلة بها أسماك ثم رجل وآخر يقود حمارا وغيره يحمل أطباقا وأزهارا ثم كاتب يرصد فى دفتره قدورا بها فاكهة وخمرا

وكانوا يأكلون جميع البقول والخضراوات ويتحامون أكل لحم الخنزير ويستعملون الاصابع والملاعق فى أكلهم وكانت ملوكهم تجعل حرسها السلطانى من الاهالى أو الاجانب أو منهما معا ويقبلون فى جيشهم العساكر المجلوبة من المغاربة والنوبة وغيرهم راجع تاريخ شيشاق وابساميطيق وابرياس وأماسيس وغيرهم وكانوا يؤرخون وقائعهم وحوادثهم باستيلاء كل ملك على التخت أو بعونه أما ترتيب التاريخ المعروف عندنا فكان مجهولا عندهم وكانوا مغرمين بالصيد والقنص ويبنون دورهم باللبن أو الآجر وغالبها دور واحد ويحافظون على النظافة وتنظيم الحوارى والشوارع لمرور الاهوية ويدكون أرض دورهم بالشقف وفتات الاحجار ويبيضون منازلهم بالجير وينقشون عليها صورة الاشياء المشاهدة وكانت نساؤهم كنساء الفلاحين الآن يتخذن الاسلحة أندية يتصادين عليها وكان لاغنيائهم العقار والبساتين والوكلاء والكتاب وكان لهم ميل عظيم لخدمة الارض وتفليحها وهم الذين اخترعوا المحراث والشادوف والنواعير والنورج أو المدراس وبالجملة جميع آلات الزراعة والحراثة كما اخترعوا المعامل لفقس بيض الدجاج الصناعى وقد شاهد هذه المعامل كل من ديودور وأفلاطون وارسطاليس والقيصر أدريان الرومانى عند سياحتهم بمصر وذكروها فى ضمن ما شاهدوه من العجائب وقال بعض متأخرى الافرنج ان طريقة عمل الدجاج الصناعى المستعملة بمصر لم تزل مجهولة فى جميع أوربا لغاية الآن وان سائحى الافرنج الذين يأتون الى مصر ويشاهدون تلك المعامل يخرجون منها وهم متعجبون وروى بعضهم أن قدماء المصريين لما رأوا بيض التمساح والنعام يفقس فى الرمل على شاطئ النيل بمجرد حرارة الشمس بدون تحضين قلدوهما ويحسن ذكائهم صنعوا المعامل وأعطوها الحرارة الكافية فنجحوا ولم تنجح مثلهم وذهب سعينا أدراج الرياح لان حرارة بلادهم غير حرارة بلادنا اه

وقد تكلم عبد اللطيف البغدادى على هذه المعامل وشرحها بالتفصيل فى كتاب الافادة والاعتبار ولكثرة وجودها بأرض مصر صار ناعن ذكرها صفحا وسمعت من الشيخ حسين المرصفى رحمه الله تعالى أن خالته وضعت بيضا فى طاقة بجوار الفرن ونسيته ففقس بعد مدة وخرجت الافراخ بمجرد الحرارة التى كانت تصل اليه منها

وهم الذين قاسوا الارض بالقصبة ووضعوا لها طريقة الحساب المعروفة الآن بالقاعدة

القبطية وضبطوا مياه النيل وأوسعوا حركة الري صيفا وشتاء وكانت السنة عندهم منقسمة الى ثلاثة فصول وهي فصل النيل أو البذر وفصل الربيع وفصل الحصاد وكانت الحكومة عندهم استبدادية مطلقة والتخت ميراث والملك أبو الرعية وكلمته هي الاحكام المرعية وعليه النظر في مهام أمور المملكة وما فيه سعادة الرعية وتقدمها أما كيفية سير الملوك بين رعيتها بعصر فهو أن الكهنة سنت لهم قانونا يردون به جماحهم وضمنوه بجميع أشغالهم الخاصة والعامة فخضعوا لاحكامه وعملوا به وكانت حاشيتهم تنتخب من جملة طوائف مختلفة كما أن الخدامات الشريفة كانت تعطى لاولاد الكهنة المعدودين في الدرجة الاولى لانهم متى بلغوا سن العشرين توفر فيهم حسن التربية وكثرت معارفهم وتخلقوا بالاخلاق الجميلة والخصال المحمودة وشبوا على الادب والعدل وكان منهم من يلازم الملك ويحضر مجالسه ويمنعه عن الشطط في الاحكام وارتكاب الهوى والزيغ عن اتباع سواء السبيل وكانت جميع أشغاله متوزعة قانونا على ساعات النهار فجعلوا له الساعة الاولى خاصة بالنظر في الدعاوى وحل المشكلات العامة وبانقضائها يلبس أفخر ثيابه ويتوجه الى المعبد وعلى رأسه شعار الملك فتستقبله هناك الكهنة وبعد أن يؤدي شطرا من العبادة يتلو عليه رئيس الكهنة بعض النصائح المستخرجة من كتاب الموتى ثم يشرحها له ويبين فيها ما يجب على الملك وبذلك كان له في كل يوم درس جديد ينبهه الى فعل الخير والقيام بما يجب عليه لله ولرعيته أما باقي ساعات اليوم فكان يستعملها حسب ما هو مدون في ذلك الدستور منها ما هو مخصص للاستحمام وما هو مخصص للاكل وأنواعه من لحم وبقول وخضراوات وكمية النبيذ (الخمر) الذي يجب أن يشربه ومنها ما هو مخصص للرياضة والاستراحة وغير ذلك فكان هذا الدستور عبارة عن شكيمة توقف غيهم وترد جماح شرههم وان شئت قلت كانوا مقيدين بقيد الاحكام الدينية فاقدين الحرية لكنهم كانوا آمنين على أنفسهم من الوقوع في الهفوات وما يوسوس لهم به أصحاب الغايات وما تسوله لهم النفس الامارة يبعدون عن الحدة والغضب واتباع طريق الظلم والعدوان وما ينتج عنهما من الحسرة والندامة كما أنهم كانوا يراعون حرمة القوانين ويعضون عليها بالنواجذ ولا يشتغلون الا بسعادة الامة ولا يفتكرون الا فيما يعود عليهم بالتقدم والثروة فلذا كبروا في عين رعيتهم ورفعوا شأنهم وعظموهم حتى أدخلوهم في صلاتهم وعباداتهم وقربوا لهم

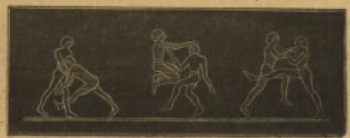
القرابين بعد موتهم وقال بعض المؤرخين قد استنبطنا من ثروة مصر وغناها وفتوحاتها الواسعة بأسيا وأفريقا وفخامة مبانيها التي كانت كغرة في جبهة أمهات القرى والاشغال الجسيمة التي كانت تباشرها الملوك للمنفعة العامة كالزراعة والتجارة ومن خصوبة الارض التي ما كان لها ثان في جميع المسكونة وتنوع محصولاتها ومن اتقان الاشغال وسمو درجتها على انه كان هناك أحكام سياسية عادلة مرعية وانه كان هناك ملوك صدقت في وطنيتها وسهرت لرواج حال الامة التي كانت تقتبس من مصابيح هذه الفوائد كل ما يخطر ببالها ويجول بخلدها فيكلل النجاح مسعاها الى آخر ما قال ولما تحقق أهل مصر من حسن نوايا ملوكهم لهم قابلوا الاحسان بمثله حتى كانوا يلبسون عند موت كل من مات منهم شعار الحزن ويغلقون الهياكل ويبطلون الولائم والعزائم مدة اثنين وسبعين يوما متوالية ويقيمون له الصلاة والادعية رجالا ونساء ويحثون التراب على رؤسهم ويتحزمون بقطعة حبل علامة على الحداد ويمتنعون من أكل اللحم والعنب وخبز القمح وشرب الخمر ومتى جهز المحنطون جثة الملك ووضعوها في التابوت يحضرونها في نهاية هذه المدة بجوار القبر ويباح لكل انسان الحضور وأن يشهد بما يعلم من مساويه وما كان يشينه في دنياه وقد أباح القانون للامة هذه الشهادة أما الكهنة فكانت تهتف بمحاسنه وتذكر مناقبه وتعدد للامة فضائله وما كان له من الخدمات الوطنية والوقائع الحربية والمشاهد التي عادت بالشرف على مصر فان لم يجدوا من يعارضهم في قولهم حكم الاثنان والأربعون قاضيا بدفنه مع الاحترام اللائق للملوك والا دفن بغير ذلك وروى أهل السير أن كثيرا من الملوك حرم من الدفن بهذا الاحترام لسوء سلوكه وقبح تصرفه فكانت الملوك على جلالة قدرها تخشى هذا اليوم وتسلك سبيل العدل والانصاف وتتحلى بحلية الرأفة والرفق بالرعية وزيادة على ذلك كان هناك ما هو أصعب من هذه الشهادة وهو محو أسمائهم من آثارهم التي شيدوها مدة حكمهم وبذلوا فيها النفس والنفيس وكانت الرعية أحيانا تدمر نفس آثارهم حتى قبورهم ولم تكتف بمحو اسمهم كما فعلوا بآثار الملك أمونوفيس الرابع المعروف باسم (خون أتن) وقد سبق ذكره في الرحلة بتل العمارنة والحاج قنديل وكانت هذه العادة تسري على أموات الامة كما كانت تسري على الملوك فلذا اتصفت بالتقوى وأكلت الحلال وخشيت سوء العاقبة

أما الجند فكانت أعظم طائفة بعد الطائفة الكهنوتية وتقسم الى جملة فرق تسمى

بأسماء مختلفة كأسماء المعبودات منها فرقة (رع) وفرقة (أمون) وفرقة (فتاح)
وغير ذلك وكان الملك هو الرئيس الاعظم وهو الذى يعين الرؤساء لجميع الفرق من أولاده
وأقاربه أو من أولاد أعظم العائلات المصرية مع مراعاة الكفاءة والاهلية والدرجة
وكانت الملوك أرباب الغزو تقود الجيوش بنفسها الى البلاد البعيدة وتدير جميع حركة
الاعمال وتقف فى ساحة الحرب على عرباتهم كباقى العسكر وهم شاكو السلاح
ومحاطون بخفرهم السلطانى ورؤساء ضباطهم ويقذفون على العدو نبالهم ويضربونهم
بالبلط وغير ذلك والغرض من هذا هو تشجيع عساكرهم وتثبيت أقدامهم فى مواقف
القتال ومشاركتهم فى النصر وقد ذكرنا فى بعض الدروس السالفة ما حصل للملك
(سوكونرع) وقد وجد على الآثار أن كثيرا من الملوك كانت تقتنص الاسود وهى صغيرة
وتربيها ومتى استأنست وصارت داجنة أخذوها معهم فى القتال فكانت تمشى عادة أمام
عربة الملك وتقاتل معهم الاعداء وكان من عادة بعض الملوك تربية السباع واتخاذها
بداخل قصورهم من ذلك ما ذكره المقريزى فى الخطط أن خمارويه بن احمد بن طولون بنى فى
داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا من زجاج كل بيت يسع سبعا ولبوة الى أن قال وكان من
جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق قد أنس بخمارويه وصار مطلقا
فى الدار لا يؤذى أحدا ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه
أقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة
من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما أنس فكانت
مقصورة فى بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه
فان كان قد نام على سرير ربض بين يدى السرير وجعل يراعيه ما دام نائما وان كان نام
على الارض بقى قريبا منه وتفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة
واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان فى عنقه طوق من ذهب
فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه ما دام نائما حتى اذا أراد الله انفاذ قضائه فى خمارويه
كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم أنه لا يغنى حذر من قدر (راجع ذلك
فى الجزء الاول نمرة ٢١٧)
أما جيش مصر فلم يعهد أنه كان به عساكر من الفرسان لان جميع الآثار واللوحات

الحربية خالية عن ذلك وربما توهم القارئ أن المصريين كانوا يجهلون ركوب الخيل وأنواع
الفروسية فدفعا لهذا الوهم نقول انهم كانوا يعرفون جميع ما ذكر لكنهم لم يدخلوه فى جيشهم
والدليل على ذلك أنه وجد فى كثير من النصوص صورة فارس يركض جواده ونجاب يعدو
مسرعا بفرسه وهو قابض على قراطيس من ورق أو مكاتيب ليسلمها فى محل لزومها
ووجد أيضا صورة أجنبى يعدو بفرسه وهو بلا سرج فرارا من الموت راجع لوحة الاسلحة
الآتية
أما ما ذكره التوراة فى الفصل الرابع عشر من سفر الخروج من أن فرعون غرق فى البحر مع
خيله وفرسانه وعرباته فهذا لا ينافى عدم وجود جيش من الفوارس لان الخيالة التى كانت
معه كانت من الاهالى المتطوعة لامر الجيش وقال (شمبليون فيجاك) ما علمنا انه كان
لمصر عساكر خيالة وأن الغرض من الفرسان المذكورة فى التوراة هم راكبو العربات
لا راكبو الخيل وأن التوراة ذكرت فى موضع آخر أن فرعون غرق فى البحر بخيله وعرباته
وفوارسها أى المقاتلة الذين كانوا عليها الى أن قال ويؤيد صحة ما قلناه وهو خلو الجيش
المصرى من جند الخيالة كيفية تربية العساكر وتمريناتها المختلفة المنقوشة على الآثار
وجميعها مشاة ولم تر للخيالة عليها أدنى ذكر وسكوتها دليل كاف على عدم وجودها به اه
وكانت هذه التمرينات عبارة عن مصارعة ومنازلة مختلفة النوع والشكل فتارة ترى
المصارعين فى هيئة الهجوم أو الدفاع وتارة فى هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور
والترتيب فتراهما ينخفضان ويرتفعان وتارة يقعان ويقومان ويشتبكان ويفترقان
ويغلب أحدهما الآخر فينهزم المغلوب ثم يعود غالبا ويستعمل كل واحد منهما ضروب
المخاتلة والمراوغة والحيل والقوة وهما عراة الاجسام ليس عليهما غير منطقة عريضة
تستر سوآتهما (أنظر الشكل الآتى)

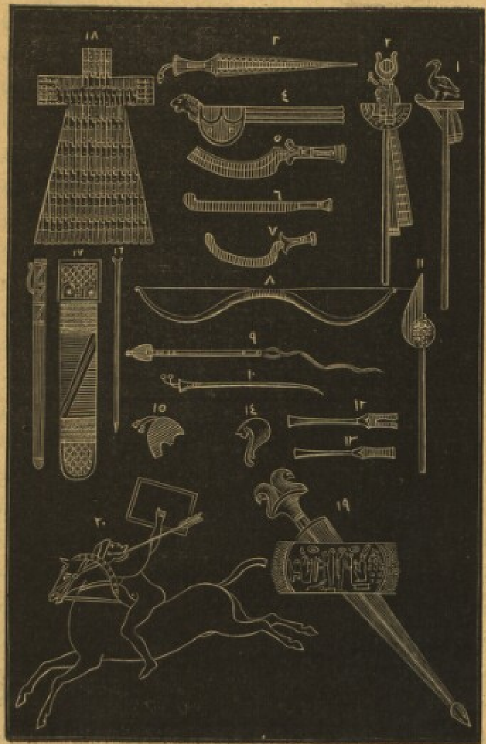
(تمرينات رياضية عسكرية)



وكانت تربية العسكر وتمريناتهم تستغرق المدد الطويلة يدخل فيها جميع القواد والرؤساء كما يدخل فيها جميع العسكر على اختلاف طبقاتهم وكانوا يعوّدونهم من حين شبيبتهم على المكافحة والمقارعة ومنازلة بعضهم بعضا ويعلمونهم قواعد الحرب وأركانه حتى يشبوا على حب القتال واقتحام المعارك وكان جميع أبناء الجند تتعلم كآبائها وتتمرن فى حداثة سنها على اجراء الحركات العسكرية لانهم هم الوارثون لآبائهم القائمون بحماية الوطن بعدهم ولا يصرح لاى انسان منهم أن يشتغل بحرفة أخرى مادام يقوى على حمل السلاح وهو خال من جميع العاهات والامراض

وكانت الاسلحة عندهم هى الحراب والمزاريق والرماح والقسى والنشاب والسيف والحسام والخنجر والدبوس والنصل والبلطة والشاطور والسكين والدرق والدروع والزرد والمغفر أو الخوذة (كما فى الشكل الآتى)

(أسلحة قدماء المصريين)

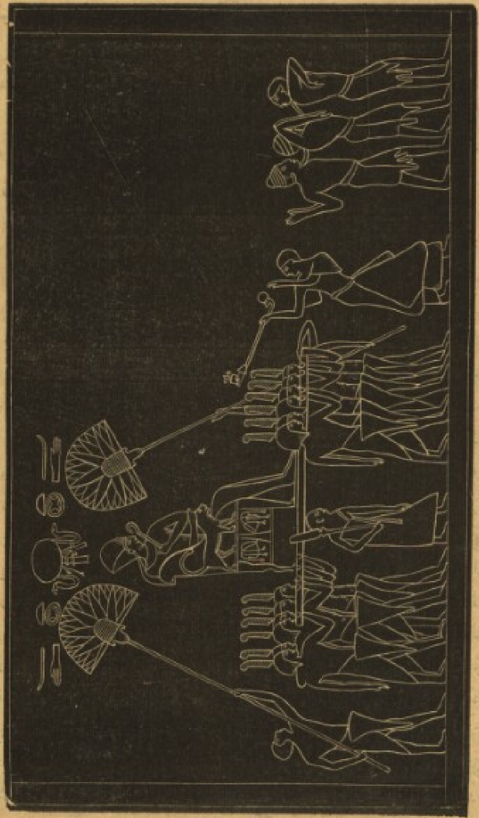


ويرى على بعض الآثار كيفية المعسكر المصرى وهو مكان من الارض مربع محاط بالخشب وأوتاد من كل جهاته وعلى بابه الديدبان (خفير النوبة أو النوبتجى) وفى الجهة المقابلة له خيمة الملك أو القائد العام مضروبة وبجوارها الاسد المستأنس رابض ويداه مغلولتان (مربوطتان) وبجواره خفير من العسكر قائم وبيده عصا طويلة ثم مضارب الضباط وخيامهم وعلى جانبى باب المعسكر صفوف من الحمير والخيل بلا سروج وامامها العلف متوزع على الارض أو فى المداود (المعلف) ثم صفوف من العربات الحربية مرتبة فى الجهة المقابلة لصفوف الحيوانات أما الجهة الخالية ففيها السروج وأطقم العربات ومهمات الحملة والرحال والاحلاس والبرادع مربوط بكل واحدة منها سلتان للزاد والمشروب وعلى يمين المعسكر بعض الجند يجرى الحركات العسكرية والتمرينات الحربية وبعضهم يتريض كأنه فرغ من تعليمه وفى جهة أخرى عساكر الرديف تمارس الحركات والتعليمات وترى الاوامر العسكرية جارية على محور الطاعة والامتثال وفى جهة أخرى صورة تنفيذ العقاب على المجرمين من العساكر وبعض الضباط فوق عرباتها يطوف على الجند للتفتيش وصدور الاوامر أو مباشرة تنفيذها وعلى الجهة اليسرى من المعسكر بيمارستان الجند (المستشفى) والنقالات مرتكزة بجوارها ثم المرضى من الخيل والحمير والاطبة البياطرة قائمون فى خدمتها والتومارجية (خدمة المرضى) واقفة تركب الادوية والجرع وتسقيها المرضى العساكر وترى حول المربع فرسانا فوق عرباتهم يمارسون حركات التعليم وأركان الحرب وعساكر المشاة فى المصارعة فاذا عرفنا ذلك علمنا أن الجيش المصرى كان يتركب من صنفين فقط وهما المشاة وفرسان العربات الحربية وترى فى غير هذا الموضع صورة المشاة منقسمة الى جملة فرق منها العساكر ها درق يسترها من وسطها الى رأسها وفى يدها اليمنى حربة أو رمح وفى اليسرى بلطة بهراوة (يد) قصيرة وثيابها أقبية قصيرة وصفوفها متكاتفة بالرجال وكان أغلب الجيش يتركب من هؤلاء الفرق ومنها المشاة الخفيفة وعساكرها تحمل فى يدها اليسرى درقة صغيرة مستديرة وفى اليمنى حساما أو سيفا أعوج له قبضة وعلى رؤسها خود من النحاس أو من باقى المعادن محلاة من أعلاها ومنها فرقة الرماة أصحاب القوس والنشاب وعساكرها تلبس أقبية طويلة وتحمل قوسا عظيما مثلث الشكل وعلى كتفها جعاب النبل

هذا ما يختص بترتيبهم وثيابهم وسلاحهم أما ترتيب سيرهم للغزو فتكون المشاة الثقيلة فى القلب وهى متقلدة بالسلاح وتكون العربات الحربية من أمامها ومن خلفها وعلى جوانبها وتكون المشاة الخفيفة فى المقدمة وعلى النقط المخيفة ومتى دنوا من العدو عقد الملك حفلة جامعة يحضرها جميع رؤساء الجيش وضباطه ويضجون جميعهم بالدعاء والابتهال الى معبوداتهم ويطلبون منهم النصر والفوز على أعدائهم ثم يستلم الملك قيادة الجند ويزحف بهم على العدو وتتقدم فرقة من المشاة ومعها النفير يتلوها عربة بها صارى منصوب عليه صورة رأس كبش يعلوها صورة قرص الشمس وهو رمز على معبودهم (أمون رع) كأنه يقود الجيش الى قتال عدو مصر أو صورة أحد المعبودات الاخرى (راجع نمرة ١ و ٢ من لوحة الاسلحة) ثم يأتى الملك فوق عربته تحفه عساكر الرماة وضباط الحرس السلطانى وبمجرد ما يصل الى العدو يساجلهم الحرب ومتى تم له النصر عليهم يقوم خطيبا بين ضباطه وهم يقدمون له الاسارى من الاعداء ويبادر كل فريق الى قطع اليد اليمنى من كل ميت من الاعداء وتارة يقطعون احليلهم ثم يحصونها ويجعلونها حزما ويقدمونها الى الملك ليعلم عدد الاسارى والاموات وترى جميع ذلك منقوشا فى معبد رمسيس الثالث بمدينة أبو

فاذا كان الحرب برا كان الملك بوسط عسكره يقاتل وهو فوق عربته كأحدهم واذا كان بحرا نصطف سفن المصريين أمام سفن العدو بقرب الساحل فتجرى وتتحرك بواسطة الشراع والمدارى والمجاذيف وتصطف عساكر الرماة على الساحل لتساعد من بالسفن من المصريين ويرمى الجميع بالنبل والنشاب على سفن العدو ويكون الملك قائما على قدميه بوسط العساكر البرية يدير حركة القتال ويترك عربته مع باقى متاع الجردة ومتى فاز بالنصر يتبع العدو برا وبحرا وينصب القناطر على الانهار ويمر من فوقها مع جيشه ويدخل بلاد العدو ويستولى عليها وتتسلق عساكره على القلاع والحصون ويأمر الملك بهدمها أو باحراقها بالنار ويسمع قول سفراء العدو ويملى عليهم شروط الصلح ويضرب الجزية والمغارم ويبين لهم مقدارها وكيتها فتارة تكون من المعادن النفيسة أو من الاشياء النادرة الوجود النافعة أو من أدوات الحرب والاسلحة أو من الحيوانات الاهلية الخاصة بتلك البلاد أو من الاشياء المعدومة من مصر ثم يجمع قواده ورؤساء جيشه ويخاطبهم

بجامعناه ابتهجوا وانبسطوا وليصل فرحكم الى عنان السماء فان الاعداء ولت مدبرة
من قوتى وبأسى وقد حاق بهم غضبى وامتلأت أفئدتهم رعبا من هيبتى فانهم رأونى كاسد
ضار وقد اتبعتهم كالباشق فازهقت أرواحهم الخبيثة وقطعت أنهارهم فوصلت اليهم
وأحرقت قلاعهم وانى أنا الحامى لحمى حوزة مصر وقاهر المتوحشين أعداءها ثم يختم قوله
و يأمرهم بالعودة الى الاوطان فيمشى الجيش فرقا فرقا والملك فوق عربته يقود خيلها
بنفسه وهى مطقمة بأجمل زينة لها مجللة بأحسن ما يكون وتتقدمه الاسارى وهم مكبلون
بالحديد ويحمل بعض ضباطه المظلات على رأسه و يدخل فى موكب حافل مدينة طيبة
وتكون الاسارى خلفه ومتى وصـــل الى المعبد ترجل ودخل وأثنى على معبوداته وشكر
لهم هذه اليد البيضاء حيث منت عليه بهذا الفتح ثم توجه الى داره و يعين يوما للتبريك
فتأتى اليــه الوفود من أرجاء المملكة وبعـــد ما يجتمعون فى قصره يخرج بهـــم الى المعبد
يتقدمهم رجال الموسيقى ومعهم الشبابة (الناى) والنفير والطبل والمغنون والمرتلون
و يتلوهم أهل الملك وأقاربه ثم القسس ثم رؤساء الدواوين ورجال الدولة ثم ابنه البكرى
أو الوارث للملك ويمشى أمام الملك وهو حامل البخور ثم الملك فى محمله المحلى بانواع الزينة يحمله
اثنا عشر ضابطا من قواد الجيش وعلى رأس كل واحد منهم ريشة من ريش النعام والملك
فى زينته وأبهته الملوكيـــة جالس على التخت الملوكى فوق المحمل وعليه صورة أبى الهول
علامة على القوة والتدبير ثم صورة سبع علامة على الشهامة واقتحام الاهوال وتمشى أولاد
الكهنـــة حول المحمل وهـــم حاملون قضيب الملك وقوسه و باقى سلاحه والاشارات
والعلامات الملوكية ثم يتلوه باقى الامراء وكبار الكهنة وضباط الجيش وهم مصطفون
صفين وحول الجمع فرقة من العسـاكر المشاة تمشى كالحلقة المفرغة لتمنع الناس من أن تخلل
هذا الترتيب أما باقى النــاس فتمشى حول الحلقة ومتى وصل الى باب المعبد ترجل ودخله
وقضى به ما وجب عليه وتقابله الكهنة وتجرى رسومها المعتادة ثم يخرج ويعود الى قصره
كما أتى أى على هـــذا الترتيب الذى ذكرناه وبعد ذلك ينفض الجمع ولولا الاطالة لشرحنا
جميع ما يفعله بالمعبد (أنظر الشكل الآتى)



الملك هوروس (هورمحب) فى موكبه متوجها الى المعبد

ومن البديهى أن جميع ماذكرناه هنا ما كان مطردا فى جميع أيام الفراعنة بل كل وقت كان يعطى حكمه

وكان من عادتهم أنهم يجعلون مع كل من مات من أفراد الامة حجرا مكتوبا عليه اسمه ولقبه واسم أبيه وبعض أدعية لمعبوداتهم ومن لم يكن معه هذا الحجر كان كمن لم يخلق والظاهر أنهم كانوا ينفرون من حلى الميت وما كان يستعمله من آلات حرفته حتى كانوا يدفنونها معه كما كانوا ينفرون من رؤية الاجانب مالم تلجئهم الضرورة لاستخدامهم عندهم

الفصل السابع

(فى الرحلة العلمية وبيان ما اشتمل عليه معبد الاقصر)

اعلم وفقك الله أن الحكومة السنية نظرت الى معبد الاقصر بعين الاهمية ففى سنة ١٨٨١ حررت نظارة الاشغال العمومية كشفا شاملا لبيان المنازل والاملاك الموجودة به وقيمة كل واحد منها ولكن لعدم الاقرار على طريقة حسنة مناسبة للعمل بمقتضاها بقى الحال على ما كان وفى سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٤ فتح كل من جرنال الديبا بفرانسا والتيمس بانكلترا اكتتابا عاما فجمعا نحو ١٩٠٠٠ فرنك عبارة عن ٧٣٢٩٢ قرش وتخصص جزء منه لشراء بعض هذه المنازل وهدمها وازالتها وجرى العمل على ذلك من ابتداء ٥ يناير سنة ١٨٨٥ ثم فرغت النقود ووقفت الحركة فاضطرت مصلحة الآثار الى أن تدفع فى سنة ١٨٨٦ جانبا من ميزانيتها الخاصة لاتمام ما كانت شرعت فيه من العمل وأباحت للفلاحين أن يأخذوا سبخ غطاتهم من هذا المكان فكان فى ذلك بعض المساعدة على انجاز الاعمال ولكن كل ذلك ما كان يشفى غليلا وصارت الحركة بطيئة والشغل يمشى الهوينا وكلما تكشف ناحية يظهر أنها مختلة البناء متزعزعة الاركان فارتبكت الاحوال وخابت الامال فارسلت نظارة الاشغال مندوبها ليبدى رأيه فبارأه حرر تقريرا ببيان ما يلزم اجراؤه فكان ذلك باعثا على صدور أمر خديوى يقضى بفرض جعالة قدرها مائة قرش على كل سائح يريد التفرج على آثار الصعيد وأن هذا المبلغ يدخل فى يد مصلحة الآثار لتنفقه بمعرفتها على اصلاح ما يلزم بالآثار من نحو تنظيف وترميم وغيره وبذلك دارت الاعمال على محور الاستقامة واشترت المصلحة سكة حديد صغيرة نقالى لطرح الاتربة المتخلفة من الهدم

فى نهر النيل فكان فى ذلك مساعدة عظيمة ثم أصلحت بعض العمد التى كانت أذابتها أملاح الارض الناشئة من رشح فيض النيل وبنت سورا حاجزا لمنع الاهالى من القاء القاذورات والقمامات فى المعبد ورفعت سور النيل لمنع دخول المياه به وقت فيضه ولم يبق به الآن غير منزلين ومسجد سيدى أبى الحجاج وضريحه ولا يخفى ما فى ذلك من المشاكل أما قشلاق البوليس والبوسطة وغيرهما من الاماكن التى كانت هناك فلم يبق لها الآن أثر وبذلك راق الحى وخلا الجو للمعبد

وذكر علماء الآثار أن معبد الاقصر والكرنك بنيا لثلاثة معبودات وهى (أمون رع) وزوجته (موت) وابنهما (خنسو) وظن بعضهم أن معبد الاقصر تأسس على اطلال معبد قديم كان من بناء ملوك الطبقة الثانية وأيد دعواه بالادلة الآتية وهى أن فى سنة ٨٧ وجدت مصلحة الآثار حينما كانت تنظف هذا المعبد مائدة من الحجر الاسود الجرانيتى كان صنعها الملك (اوزرتسن) الثالث من العائلة الاثنى عشر ليقرب عليها القربان لمعبود مدينة اهناس المدينة ومنها وجود أحجار أثرية عليها اسم الملك (سبك حوتب) من العائلة الثالثة عشرة ومنها أنه كان من عادة القوم أن يبنوا هياكلهم على اطلال الهياكل القديمة المندرسة غير أن جميع ذلك ظن وتخمين وان الظن لا يغنى من الحق شيأ

أما الذى أسسه فهو الملك أمونوفيس الثالث المعروف على الآثار باسم (أمنحتب الثالث) من العائلة الثامنة عشرة وقطع أحجاره من جبل السلسلة وشيد جميع أماكنه المهمة ثم مات ولم يتم جميع نقوشه فاتمها هوروس (هورمحب) آخر ملوك هذه الدولة وبه للملك سيتى الاول من العائلة التاسعة عشرة بعض مبانى وقد سبق ذكر ذلك وهذا الهيكل يشتمل على المعبد من حيث هو وعلى بعض أروقة صغيرة ثم رحبة الايوان أو البواكى وكان جميعها معروشا بالحجر الجافى ثم الحوش العظيم الذى كان محفوفا بالايوانات المعروشة ثم دهليز الايوان المحمول عرشه على أربع عشرة اسطوانة ويقال انها كانت أكبر وأعظم جميع أساطين مصر وهذا هو جميع ما شيده الملك أمونوفيس الثالث وطوله لغاية الدهليز مائة وتسعون مترا وأعظم عرضه خمسة وخمسون مترا وكان به نحو مائة وخمسة وخمسين اسطوانة وهو الذى أحاط الطريق الموصل منه الى معبد الكرنك بصفين من الاصنام التى على هيئة الكباش الرابضة وأرصدها على معبوده (أمون)

أما رمسيس الاكبر فقد زاد به الحوش الثانى العظيم وأقام فى دائرته صفين من الاساطين المعروشة وشيد برجيه ونصب مسلتين أمامهما وهو الذى صنع التماثيل الحاقية التى به ولما دخلت الديانة المسيحية مصر سنة ٣٨٩ ميلادية أحدث النصارى به كنيسة برحبة الايوان أو البواكى المتصلة برحبة الحوش وسدوا أبواب الاروقة التى جهة الجنوب وجعلوها ثلاثة أماكن مستقلة بنفسها

وفى مدة حكم العزيز محمد على باشا أنعم باحدى مسلتى الاسكندرية على دولة فرنسا فالتمست منه أن تستبدل هذه الهدية بمسلتى الاقصر اللتين على باب هذا المعبد ففعل وأجاب طلبها وفى سنة ١٨٣١ ميلادية بعثت حكومة فرنسا رسالة فنقلت احداهما الى مدينة باريس وأقامتها فى ميدان (الكونكوردو) أما مسلتا الاسكندرية فقد أنعم باحداهما اسماعيل باشا خديوى مصر الاسبق على دولة أمريكا وبالاخرى على دولة الانكليز فاخذوهما فى سنة ١٨٧٧ الى بلادهما

وقد اهتمت علماء الآثار بنسخ وترجمة جميع نقوش هذا المعبد ولم يبق منه الا المكان الذى به مسجد سيدى أبى الحجاج وقد صدر الامر من مدة قريبة بهدمه وبنائه فى مكان آخر

أما المسلة الثانية الباقيـة الآن هناك على باب المعبد فيبلغ ارتفاعها ٣ سنتى و ٢٥ مترا من ذلك ٥٦ سنتى و ٢ مترقيمة تاجها وهو كالقمع وعرض قاعدتها نحو ٥٠ سنتى و ٢ متر ويبلغ ثقلها ٢٥٧٠٠٠ كيلوغرام ويرى على كل سطح من أسطحها أسفل القمة صورة رمسيس الاكبر جاثٍ يقدم قرابينه الى المعبود (امون رع) وهاك ترجمة بعض ما هو مكتوب عليها

النهر الاول من السطح الغربى (هوروس الشمس الثور محبوب رع الملك المحبوب مثل أمون ابن رع البكرى الجالس على كرسيه ملك الصعيد والبحيرة (رَعْ أوسرْمَعتْ سِتْبْ أَنْ رَعْ) ابن الشمس (أَمِنْ مَرْ رَعْ مِسُو) مسكن أمون صار مزينا مثل أفق السماء وقد ابتهج الناس مما فعله فى هذه العاصمة ملك الصعيد والبحيره (رع أوسرمعت ستبان رع) ابن الشمس (أمن مر رع مسو) (ملحوظة) الاول لقب رمسيس الاكبر والثانى اسمه

النهر الثانى من السطح نفسه (هوروس الشمس الشجاع صاحب اليقظه رب التاجين المهاب الحامى مصر هوروس الظافر قامع الامم الطارد للاشقياء ملك الصعيد والبحيره

(رع أوسرمعت ستبان رع) الذى يشتغل لفخر أبيه أمون فى مسكن الحق حتى صارت أرباب طيبه فى غاية السرور وابتهجت بما خلده ابن الشمس (امن مر رع مسو)

النهر الثالث من السطح نفسه (هوروس الشمس محبوب معت ملك الآثار العظيمة مسكن أمون) الملك القوى النبيه رب السيف القاهر ملك الصعيد والبحيره (رع أوسرمعت ستب ان رع) ابن الشمس (أمن مر رع مسو) الذى أبهج أرباب طيبه الخ

النهر الاول من السطح الشمالى (هوروس الشمس محبوب معت ملك الصعيد والبحيره (رع أوسرمعت ستبان رع) ابن الشمس (أمن مر رع مسو) رب المدح مثل (تاتن) صاحب الارضين (رع أوسرمعت ستب ان رع) صانع الآثار العظيمة بمدينة طيبة المختصة بأبيه أمون رع الذى أجلسه على كرسيه ابن الشمس (امن مر رع مسو) وهكذا باقى أوجه المسله وفى كل وجه أو سطح ثلاثة أنهار من الكتابة غير أن جميع معانيها تدور على هذه المعنى وكان بقاعدتها صورة أربعة قرود من الحجر اللطيف تعرف عند علماء الآثار باسم (سينوسيفال)(1) نقل بعضها الفرنسيس الى بلادهم عندما أخذوا المسلة السابق ذكرها ولهذا الآن لا يعلم ما كان الغرض من عمل هؤلاء المسلات وزعم العلماء أن الغرض هو تخليد اسم الملوك أصحابها وشهرة المعبد الذى تكون أمامه كالمئذنة وبرج الكنيسة اذ ليس لهما مدخل فى قواعد الديانة

أما باب المعبد فكان مزينا بستة تماثيل جسيمة جدا وكلها من عمل هذا الملك وهو رمسيس الاكبر المعروف باسم رمسيس ميامون أو سيزوستريس أو رمسيس الثانى أما التمثالان اللذان عن يمين الداخل ويساره فهما صورة هذا الملك وهو جالس على تخت ملكه وهما باقيان الى الآن والاربعة الاخيرة على صورته وهو قائم ولم يبق منها غير واحد سليم لم تطرق اليه يد التلف وكل واحد منها متخذ من حجر واحد من الجرانيت الاسود وفى التمثال الغربى وهو السليم عرق أحمر يمتد على العصابة أما عرض جلسته فتبلغ ٥٠ سنتى و ٢ متر وطولها ٦ متر وارتفاعها ٥ سنتى و ١ متر وارتفاع التخت أو الكرسى الجالس عليه هذا التمثال يبلغ ٩٠ سنتى و ٢ متر وارتفاع التمثال ٦٥ سنتى و ١١ متر منها ٦٥ سنتى و ٦ متر من القدم الى الكتف ومنها ٢ متر ارتفاع الرقبة والرأس والباقى وهو ٣ متر قيمة العصابة

(١) السينوسيفال حيوان خرافى يكون على هيئة انسان برأس قرد وهو رمز على كوكب الشعرى اليمانية أو هرمس

والتاج وهو مركب من تاجى الصعيد والبحيره داخلان فى بعضهما فوق العصابة المصنوعة على شكل ثعبان به خطوط يحيط بالرأس ويرى فى عنقه قلادة جميلة المنظر أو امساط منضدة وعلى بدنه صورة ثوب متجعد بلطف به ثنيات يصل الى ركبتيه وبوسطه منطقة معقودة فوق الخصر وعلى أحد جوانب التخت صورة زوجتـه الملكة (موت من تقرت أيرى) وعلى قاعدته صورة الامم التى خضعت له من الزنوج وأهل أسيا واسمهم مكتوب فى خانات ملوكيه على صدرهم

أما باب المعبـد فهو محصور بين البرجين السالفـ ذكرهما ويبلغ عرض كل واحد منهـما ٤٠ سنتى و ٨ متر وطوله ٣٠ مترا وسعة الباب بينهما ٤ متر فعلى ذلك يكون عرض وجهة المعبد ٦٤ مترا وحالتهـما الآن غير جيدة وتؤذن بالسـقوط مالم تتداركهما عين الحكومة بالترميم والتقوية ويغلب على الظن أن الشرقى منهـما يسرع له الدمار اذا أزالت المصلحة الاتربه التى تسـند جدرانه وكان فى الجهة الشرقية من الباب سلم يصعد الى عرشـه ومنه يصـعد سلمان الى أعلاهما وارتفاعهما ٢٤ مترا ويرى فيهـما بعض أحجار مأخوذة من المعبد الصغير الذى كان بناه هناك (خون أتن) لمعبوده قرص الشمس وجميع وجهـة الباب منقوشة وعليها اسم رمسيس الثانى ونصوص بربا ئية تدل على وقائع هـذا الفاتح مع أمة الخيتاس (فى بر الشام وقد تحزب فيه على أهل مصر أغلب سكان أسـيا الصغرى) وصورة المعسكر وعسـاكر الرماة التى سبق الكلام عليهم فى هذا الدرس وعلى الجهة اليسرى صورة الملك يجلد اثنين من الجواسيس وبجوار ذلك صورة مشورة حربية معقودة ثم الخفر السلطانى مركب من العسـاكر المصرية وعسـاكر (الشردنه) ويعرفون بخودهم الكروية الشكل ذات القرون والاكرة الصغيرة وعلى الجناح الشرقى صورة المصاف أى الواقعة الهـائلة التى كانت بين هـذا الملك وأمة الخيتاس وعلى اليمين صورة الملك راكبا عربته يرمى سهاما على أعدائه وقد احتاطوا به من كل ناحيـة ثم تراهم قد انهزموا وولوا مدبرين ووقعوا فى النهر وترى العربات المصرية أعلى وأسفل تسـير صفوفا مع الترتيب والانتظام وعلى كل واحدة ثلاثة رجال أحدهم يقاتل الاعداء وثانيهم قائم بسياسة الخيل وثالثهم يقودها وفى نهاية الجهة اليسرى جيش العدو مصطفا أمام جيش مصر وكل منهما يزحف على عدوه وأسفل ذلك كتابة صورتها (عاد الوغد اللئيم ملك الخيتاس وهو يرجف فوق عرشـه الحربيـة)

وعلى عربته كتابة بربائية ونصها (خلفه عشرة آلاف وتسعمائة مقاتل وهم جيش العربات أتى بهم من بلاد خيتاس الحقيرة) ثم ترى جيوش المحالفين من الاعداء دخلوا بازدحام فى مدينة محصنة بالاسوار يحيط بها الماء والتجؤا اليها فرارا من جيش المصريين وترى لهـم صورا متنوعة ظاهرة منهم أمة الخيتاس ولهم وجوه ضخمة منقبضة (متكرمشـة) ورؤسهم مستورة بقماش معقود بشريط على جبهتهم ومنهم أمة الشكلاش وعلى رؤسهم قلنسوة نازلة من خلفهم ومنهم أمة الطورشا ولهم خودة دقيقة من فتها ثم أمة الجكارى ولهم عصابة تشبه قلنسوة العجم وأسفل ذلك تفصيل الواقعة منقوش بالقلم القديم وهذا النص يعرف عند علماء الآثار باسم قصيدة (بنتاور) ولم تعرض لذكرها اذ ليس هنا محله فراجعها فى كتاب توفيق الجليل للمرحوم رفاعه بك نمرة ٨٣

وكان ظاهر الحوش الذى بناه هذا الملك بهذا المعبد مستورا بالنقوش والنصوص البربائية وتواريخ وقعاته غير أن يد الدهر تسلطت عليها فأزالتها بالكلية ومحتها بالطريقة القطعية لكن لحسن الحظ نجد صورتها فى كثير من المعابد الباقية من أيامه

أما نقوش داخل هذا الحوش فنصوص دينية ولا فائدة فى ذكرها هنا ويرى به أسماء رؤساء بلاد وهى عبارة عن الاقاليم التى كانت خاضعة لمصر مدة حكم هذا الملك أما باقى نقوش هذه الجهة فمستورة بمسجد سـيدى أبى الحجاج واذا كشف هـذا المكان لابد وأن نجد به بعض أشياء تاريخية أو جغرافية وترى بجوار حلية الباب الذى شيده أمونوفيس الثالث ما بقى من التصاوير التى كانت تدل على العبادة وعلى حائط رمسيس صورة الابراج والمسلتين والستة تماثيل ثم صورة سبعة عشر من أولاده وفى يد كل واحد منهم باقة أزهار كأنهم أتوا ليحضروا حفلة عامة وخلفهم فوج من الخدم والحشم ومعهـم ثيران ليقدموها قربانا وبين قرونها علامات مختلفة

الدرس الخامس عشر

(فى الصـــناعة المصرية والدرجة المدنيـــة)

قد ألمعنا فى بعض الدروس الماضيـة بطرف مما كان للقسس المصرية من القدم الراسخ فى العلوم على اختلاف ضروبها وتباين مناهجها وتنوع مصادرها وواردها وما كان للمصريين من اليد البيضاء فى احرازهم قصب السبق على غيرهم فى درجة الزراعة والامارة والتجارة براوبحرا وما كان لهم من الاولية فى سن القوانين والشرائع وغير ذلك والآن نذكر لك ذلك مفصلا تتميما للفائدة فنقول روى المعلم شمبوليون فيجاك فى تاريخه على مصر أن قسسها كانوا كمصابيح يهتدى بنورهم من شاء من الاجانب حتى ان علماء أوربا التى بلغت الآن شأو المدنية ورفعت أعلام الرفاهية لم تزل متطفلة على لفظات موائد قدماء اليونان وغيرهم الذين تطفلوا فى أيامهم على لفظات موائد أولئك القسس الجهابذة وقال بروكش باشا ان المصريين تبحروا فى جميع العلوم على اختلاف مشاربها وعلموا ما لم يعلمه الراسخون من علماء أوربا الآن وكانت علومهم منقوشة فى صدورهم وسطورهم وعلى هياكلهم وأماكنهم العامة تتميما للاستفادة والتعليم وكأنهم رزقوا الحظوة فى نشر العلوم وتهذيب الامة وبث روح الفضيلة النادرة المثال بينهم وقال هيرودوت ان مدارس الكهنة منتشرة فى جميع أمهات القرى بمصر ولكل مدرسة جامعة رئيس أو حبر يدير حركتها وهذه الرتبة ميراثية كرتبة الكاهن الاعظم الذى مقره فى هيكل العاصمة وله من الشرف والمكانة عند ذويه ما للملك نفسه عند رعيته اه وكما أن الحكومة كانت تضع فى هذا الهيكل الاعظم تماثيل جميع الملوك الذين تناوبوا الجلوس على تخت مصر كانت الكهنة تحتفظ به أيضا تماثيل رؤساء الديانة الذين تناوبوا الجلوس على التخت الكهنوتى ولما دخل هيرودوت مصر وزار هذا المعبد أراه كهنتها ٣٤١ تمثالا وأشاروا له على واحد منها وقالوا له ان هذا هو آخر من مات من رؤسائنا وهو ابن هذا وأشاروا له على غيره وهو ابن هذا وهكذا الى آخرها ثم قالوا له اعلم أن فى مدة أحد هؤلاء الاحبار أشرقت الشمس من حيث تغرب مرتين وغربت من حيث تشرق مرتين وقد اضطربت عليه جميع الازمان فى تخريج هذه الحادثة الجوية فاجازها بعضهم وأنكرها آخرون وقالوا ان

الكهنة ألغزوا بهذا القول على أب المؤرخين (وهو هيرودوت) وقال بعضهم ان المؤرخ المذكور فهم منهم غلطا وقال فريق ان فى عبارة الكهنة تحريفا وقالت طائفة ان الكهنة الذين أشاعوا هذا القول توهموا ذلك ثم قال هذا المؤرخ ولما أجريت الحساب بناء على وجود هذه التماثيل ظهر لى أن مصر كانت عامرة آهلة مقامة الاحكام والشرائع قبل دخولى بمصر بنحو ١١٣٤٠ سنة اه والظاهر أن هذا المؤرخ جعل لكل قرن ثلاثة أجيال واعتبر الجيل ٣٣ سنة وكسر فان صح ذلك كان الزواج غير مباح عندهم الا لمن بلغ سن الثلاثين سنة

وقال بعض علماء الآثار ان الكهنة كانت تعرف علم الكيميا والتحليل والتركيب والخلط والمزج والتقطير والتصعيد وأن لفظة كيميا محرفة عن لفظة كم التى معناها باللغة المصرية الاسود وكانت علما فى الاصل على بلاد مصر

وزعم الدجالون المولعون بعلم جابر بن حيان أن كهنة مصر كان لهم اليد البيضاء فى قلب المعادن الى ذهب وفضة وخبرة تامة بتدبير الاكسير أو الحجر المكرم واستمالوا بذلك عقول كثير من البسطاء وزينوا لهم نيل المستحيل فاصغوا لدعائهم ولبوا نداءهم فأصبحوا وقد خربت منازلهم ولم يخرجوا منها على طائل وصاروا من فقراء الناس بعد ان كانوا من سراتهم ومياسيرهم وقال بعضهم فى جابر بن حيان

هـــذا الذى بمقاله ❊ غر الاوائل والاواخر
ما أنت الا كاسر ❊ كذب الذى سماك جابر

وقال غيره وقد أصبح من الفقراء

وما صـــنفه جابر ❊ فى الصـــنعة جرت
فكم للطـــين حلت ❊ وللآمال وصـــلت
وفوق الشب والكبريـ ❊ ـت للزرنيخ صـــعدت
وكم ركبت أنبيقا ❊ على النار وقطـــرت
وللاجســـاد لينت ❊ وللارواح لطفـــت
وللزهـــرة نقيت ❊ وكم للشمس كلســـت
وكم فى بـــوط بربوط ❊ مـــن الراسخت زلت

وبالملابس كم كوي • شفّ كني وحرقت
فاصبح لي التداني • بر لكني أدبرت

واستدل بعضهم على أنها كانت معروفة عند المصريين بقوله تعالى حكاية عن قارون (انما أوتيته على علم عندي) وتنكير علم يفيد الظن به فان كان ذلك هو المراد كان للمصريين الفخر الذي عجز الناس عن الاتيان بمثله في جميع المسكونة الى الآن

وكما أن الكهنة كان لها الاسبقية في جميع العلوم العقلية والنقلية كان لعموم الامة الاسبقية أيضا في الزراعة والصناعة أما الزراعة فكانت متقدمة جدا وبتقدمها تنوعت المحصولات وعمت فتفننوا فيها بالصناعة وما لابد منه من ضروريات المعيشة والحضارة فكان يخرج من معاملهم جميع ما يحتاجون اليه من أكل ولبس وزينة ويصدرون منه ما زاد عن حاجتهم الى الآفاق فكان ذلك منبع سعادتهم وأصل ثروتهم وقد برعوا في عمل الاواني من أنواع المعادن لاحتياجاتهم المنزلية ولتزيين قصورهم وسراياتهم كما برعوا في غزل القطن والتيل والكتان والصوف وحياكتها ونسجها حتى ما كانت منسوجاتهم أرفع المنسوجات الهندية المتداولة الآن بين الناس واشتهروا بعمل الاقمشة والديباج والمخمل البابلي والتخريش والتطريز بخيط الذهب والنقش والرسم بالابرة المعروف عندنا باسم (الركامو والقراقة وغيره) والتلي والحرير وغير ذلك وكانت لحسنها وطلاوتها وبهجة منظرها مقبولة في مشارق الارض ومغاربها (أنظر الشكل الآتي)

(أقمشة المصريين وثيابهم)



ولما كنت بالصعيد سمعت من بعض الناس أن السائحين الذين يأتون الى هذه الجهة يشترون قطع الاكفان من الاقمشة المطرزة ويدفعون فيها من مائة قرش الى الخمسمائة مع أن القطعة الواحدة لا تكاد تبلغ المتر طولا ويتهافتون على شرائها ليجعلوها انموذجا ينسجون

على شاكلته فى بلادهم فانكرت منهم هذا الخبر واستضعفته ولما وصلت بندراخيم رأيت فى بعض المقابر القديمة قطعة من تلك الاكفان وعليها من التطريز والنقش بالحرير مايعجز اللسان عن وصفه فصدقت ما كنت كذبته

وذكر هيرودوت أن أماسيس ملك مصر (من ملوك العائلة السادسة والعشرين) أهدى الى بلاد لقدمونيا (مملكة قديمة ببلاد اليونان) زينة للصدر وقماشها من أغرب مايرى عليه نقوش كثيرة متنوعة ومطرزة بخيط الذهب وهذا بهامن القطن وأغرب مابها أن جميع فتلاتها دقيقة جدا مع أنها مركبة من ٣٦٠ شعرة قطن يمكن الانسان أن يتحقق منها ولم يوجد الآن من هذا القماش الا نوع آخر دونه فى الحسن كان أهداها الملك المذكور الى معبد آلهة الحكمة اه وبقدر ما ارتفعت درجة الحياكة عندهم ارتفعت درجة الصباغة فكانوا يعرفون تركيب الالوان ومزجها واستخراج اللون الارجوانى والعندمى والقرمزى حتى نافست صباغة الهند ومدينتى صور وصيدا وكان لكبار تجار الفنيقيين مخازن تجارية كثيرة بمدينة منفيس وقال بلين الرومانى وهو متعجب رأيت المصريين وهم ينقشون الاقمشة بطريقة بسيطة جدا وما رأيتهم استعملوا الالوان لذلك بل الاجزاء التى تزيل كلا من الالوان والنقش معا فيغمسون الاقمشة فى سائل حار مركب بالاجزاء ثم يخرجونها منه وقد اكتسبت لونا واحدا ولم تمض عليها برهة الا وتكتسب أشكالا وتظهر لها نقوش ورسوم بديعة وقال علماء هذا العصر ان هذه الطريقة التى رآها بلين ببلاد مصر غير معلومة الآن والتى تعلمها الافرنج حديثا من بلاد الهند هى أنهم ينقشون الاقمشة أولا بالالوان المطلوبة ممزوجة بغراء لاتؤثر فيه أجزاء اللون الثانى الذى يريدون أن يجعلوا أرضية القماش منه ثم يغمسون الاقمشة فى هذا اللون وهو حار أو بارد حسب الاصول فتخرج الاقمشة منه ملونة بلون واحد ثم يغمسونها ثانية فى سائل مركب من أجزاء تزيل هذا الغراء فعندها تظهر النقوش اه وما اكتسب المصريون هذا التقدم الابطول التجارب الكيماوية المطبقة على علم النبات والمعادن الداخلة فى علم الصباغة

ومن نظر الى الاحجار الكريمة والحلى الذى وجد بجهة اهرام دهشور علم أن القوم كان لهم دراية بصقل الاحجار النفيسة الصلبة وتكييفها كما يشاؤن وثقبها وتركيبها فى المصوغات ومن اطلع على صباغتهم الموجودة الآن بالمتحف المصرى أيقن بانفرادهم فى هذا الفن بين

الامم القديمة جدا وليس الخبر كالعيان وقد وجد فى نواويسهم ومقابرهم كثير من هذه المصوغات والحلى والاحجار الكريمة والزجاج الملون المختلف الاجناس المنقوش باوكسيد المعادن أو بالمينة وقال بعض المؤرخين من الافرنج ان ابراهيم عليه السلام لما أتى مصر مع زوجته سارة ورأى نساءها يتجملن بالحلى أهداها خاتما وأساور من ذهب كما أن فرعون يوسف الصديق أهداه خاتما وقلادة من الذهب وأن صاعه الذى وضعه فى رحل أخيه بنيامين كان من الذهب أيضا

وقال بعضهم لما أراد الاسرائيليون الخروج من مصر استعار نساؤهم من نساء المصريين كثيرا من الحلى والحلل والمصاغ والذهب والفضة ثم خرج الجميع ليلا بعلمهم فاقتفى فرعون أثرهم يقود جيشا جرارا وانتهى الامر بغرقه فى البحر الاحمر مع قومه وفاز الاسرائيليون بما أخذوه غنيمة باردة بلا تعب ومشقة اه

وقد تعلم الاسرائيليون منهم جميع ما كان لديهم من حياكة ونجارة وبناء وسبك وصباغة وتلوين وغير ذلك بدليل عملهم المظلة أو قبة العهد وأن موسى عليه السلام هو الذى حل العجل الذى صاغه قومه من الذهب مدة غيابه بجبل الطور ومازالت هذه الصناعة يتوارثونها ويتداولونها الى زمن سليمان عليه السلام بل الى زمن بختنصر الجبار لانه أخذ من مملكة اليهود كثيرا من أهل الحرف والصنائع وأرسلهم الى بلاد بابل والظاهر أنه كان لهم مواصلة بالمصريين بعد خروجهم من مصر لانهم قالوا ان بناء بيت المقدس الشريف ليس الا معبدا مصريا سواء بسواء وأن اليونان والرومان ما استناروا الابضوء مصباحهم مع أنهم أتوا فى الزمن الاخير بالنسبة للامم القديمة المتمدنة لانهم تعلموا كيفية تنقية الذهب بواسطة الاسرب أى الرصاص وتحويله الى رقائق رفيعة جدا وتذهيب المعادن بواسطة الزنجفر الزئبق وتذهيب الرخام والخشب بواسطة زلال البيض ولحام الذهب بالبورق الصناعى ولحام باقى المعادن بعضها وتبيض النحاس وتركيب الصفر (البرونز) وتحضير المرتك الذهبى (أول أوكسيد الرصاص) والسلقون (ثانى أوكسيد الرصاص) والاسفيداج وأدخلوا فى صباغتهم الالوان المستخرجة من الارض ومن المعادن ولا ريب فى أن المصريين كانوا أساتذتهم ومعلميهم كما علموهم قيمة المنسوجات الثمينة التى كانوا يزينون بها ملوكهم ومعبوداتهم وكما أن المصريين كانوا يعرفون عمل الاشياء

الثمينة كانوا يعرفون أيضا عمل الاشـياء الحقيرة كعمل اللون الاسود المستخرج من العثان (الهباب) ومن راووق الخمر ومن تكليس العاج وعمل الغراء القوى من جلد البقر وكانوا يصـبغون أغنامهم باللون الارجوانى ويبيضون الصوف ببخار الكبريت وكانوا يعلمون أن المصباح اذا طفئ فى مطمورة أوفى مخدع كان هواءه مخنقا قتالا وكان لهم معرفة تامة بتركيب المينة وعمل القاخورة والزجاج والنقش وعمل التماثيل من المعادن وتطريقها والحفر عليها والتذهيب وبناء الســفن وعمل الخافقى من الرخام المسحوق وعمل الورق البوردى والجلد المصـبوغ أو الملون والسختيان ونرى فى كثير من الاماكن الاثرية أشياء مركبة بالمينة وكثيرا من الشقف الصينى والفرفورى الابيض والملون وكلها جمعت بين اللطافة ودقة الصنعة

وروى بعض الافرنج أن المعلم سورس صانع الصينى قلد كثيرا من هــذه الاوانى المصرية الانيقة الشكل فأجمع أهل أوربا على تقدم قدماء المصريين فى هذه الصـنعة وقد تحصلنا على كفة ميزان كبيرة لطيفة من أطلال مدنهم فزيناها دار تحفنا بفرنـسا أما الخافقى المركب من الجبس والغراء القوى أو من مسحوق الرخام الابيض والجير فكثير الوجود باطلالهم ولتوفر الذهب عندهم وكثرته كانوا يذهبون به كثيرا من أثاث منازلهم وتماثيلهم وتوابيت موتاهم وكأنهم لم يكتفوا بنقشها وتزيينها بكل الالوان حتى جعلوا على وجوههم وأيديهم وفروجهم صفائح منه ومن تأمل فى نقش الصينى والفرفورى الذى كان يخرج من معاملهم علم أنهم كانوا على معرفة فى شغل القصدير والكوبلت (حجر الزرنيخ)

وقال المعلم (داوى) الشهير رأيت تسعة انموذجات من الزجاج المصرى الشفاف المنقوش بالكوبلت أما الكوبلت الازرق فكثير على آثارهم وقد أثبتت لنا الكيميا الآن أن جميع الالوان التى قاعدتها المعادن ونقشوا بها معابدهم دخلت فى مسام الاحجار والجرانيت وتشربها أكثر من خط ومن المستغرب أنهم كانوا يخيطون الزجاج المكسور بسلك من الحديد ويلحمونه بالكبريت ويزينون قصورهم وهياكلهم بالزجاج والمينة ويبلطونها بتراييع من الزجاج الملون البراق المدهش للعـقول اه أما سبب كثرة الزجاج عنـدهم فهو أن الله قد خص أرض مصر بكثرة الرمل والتراب وملح البارود والقلى الداخل فى تركيبه فاهتدى أهلها بعقلهم لعمله وبرعوا فيه ومن البديهى أن هذه المعرفة

ما أتت لهم الا بكثرة التجارب مع طول الزمن وقد أدهشت هذه الصـناعة البديعة عقول اليونان والرومان وأخذت بمجامع قلوبهـم وألقتهم فى بحر الحـيرة لانهم رأوا بمصر مالم يسمعوا به من قبل وروى استرابون أن طائفة من المصريين كانت بمدينة طيبة تعمل سرا نوعا من الزجاج الرائق الشفاف ذى الالوان التى تأخذ بالابصار وتسبى العقول منها ما لونه كلون السنبل أو الياقوت الاصـفر أو الاحمر وأن رمسيس الثانى أمر بنصب تمثال على صورته من زجاج أخضر كالزمرذ وقالوا انه نقل الى مدينة القسطنطينية وبقى بها الى زمن تيودوز وروى أهل السير أنه كان فى سراى التيه أو البربة التى كانت بالفيوم تمثال هائل من النوع المتقدم ذكره ولما دخلت مصر تحت يد رومة ضربت على أهلها خراجا سنويا من الحنطة والزجاج وقال بلين علمت أن أوغسطس قيصر أهدى الى معبد (الكونكوردو) برومة صورته وصورة أربعة أفيال مصنوعة من العقيق الازلندى من عمل المصريين وهى أعظم هدية أهدتها الملوك الى معابدها اه

وكان أحد عمال رومة بمصر نزع من معبد عين شمس تمثال (منيلاوس) (ملك اسبارطه اليونانية واخو أغاممنون قائد جيش اليونان فى حرب ترواده) مصنوعا من الزجاج الاسود فرده طباريوس قيصر الى مصر ثانيا وقال شمبليون فيجاك قد أفعمنا دار تحفنا بما استخلصناه من مصر من الحلى والجواهر والذهب والفضة المنقوشة بالمينة والمعادن المشغولة اه والظاهر أن هـذه الاوانى النفيسة المتخذة من الزجاج وغيره الخارجة من معامل مدينتى طيبة وقفط كانت ترسل فى البحر الاحمر الى بلاد العرب وبلاد افريقيا أما الصفر واستعماله فى الاسلحة والاوانى وغيرها فكان شائعا جدا ببلاد مصر وقد رأيت بقرية صا الحجر سنة ١٨٩٣ كثيرا من النصال المصنوعة منه ولها ثلاثة أضلاع ولكن من أين كان يأتى لها هـذا النحاس الوافر الكمية ولم تهتد العلماء لحل هذه المسئلة الى الآن غير أنه وجد على بعض الآثار أن بعض الملوك كان متهما باستخراج النحاس من جهة بلاد العرب وغيرها

وذكر بعض المؤرخين أن الذى أوصل مصر الى هذه الدرجة وساعدها على ترقيتها الى أوج الحضارة والرفاهيـة هو خلو بالها من الفتن والقلاقل الداخلية وبعدها عن الشـقاق والثورات الناشئة عن الطمع وحب الرياسة خلافا لبلاد اليونان التى كانت منقسمة الى

جملة بالات أو عمالك صغيرة فلذا بقيت قريرة العين ملتئمة الشمل مجتمعة الكلمة منتظمة السياسة الملائمة لاحوال البلاد يوقن صغيرهم وكبيرهم بالحساب والبعث والنشور ويعقدون محافلهم الدينية لمعبوداتهم التى خضعت لها جباه ملوكهم بالتيجان مشمول دانيهم وقاصيهم بعدل القوانين والاحكام الكافلة لاستتباب نظام الهيئة المدنية وتوطيد دعائم الراحة فى جميع أنحاء المملكة المصرية ولما رأت الاهالى أن طائفة الكهنة التى هى أشرف الامة دانت لهؤلاء النواميس والاحكام قلدوهم وتلقوها بالقبول والامتثال مثلهم فبنيت العواصم وشيدت المدن وبلغت الحضارة أوج فخارها وارتقت الصنائع ودبت الحمية الوطنية واستقامت الاحوال وأسست العمائر الثابتة الاركان المؤسسة على العلم والعمل وبنيت الآثار التى فاقت جميع أعمال النوع الانسانى وانتشرت فى جميع أنحاء القطر واختبرت الاراضى بالزراعة ومسحت بالدقة ورصدت الاجرام السماوية وتدونت قوانينها ونواميسها المهمة وتحققت نظرياتها بتطبيقها على المعارف ونسخت بالقلم المتداول بين جميع الناس

ومن مخترعاتهم المستغربة أنهم كانوا يشيدون أرصفتهم على النيل بكيفية لم تزل الى الآن غير مستعملة ببلاد أوربا وهى أنهم كانوا يجعلونها على هيئة أقواس منحنية الى الماء وحدبتها الى الارض فبذلك يكون لها صلابة ومتانة قوية تقاوم تدافع التراب وضغط الارض ومهما بلغ ارتفاع الارصفة التى تكون على هذا النمط لا تتزعزع من تثاقل التراب عليها الا اذا اختلت نقط ارتكازها وهى أطرافها وبقاء هذه الارصفة الى الآن من أعظم الادلة والبراهين على متانتها كما أنها من أعظم الادلة والبراهين على صفاء فكرتهم وتوقد مداركهم فى التفنن وسلامة الاختراع مع أن فى بناء هذه الاقواس الافقية مشاقا تصعب على المهندسين من الافرنج رغما عن تقدم العلوم فى أوربا ولم نر فى أجسم مبانيهم وأكبرها أدنى عيبا فان الهياكل التى بلغ طولها أكثر من اربعمائة قدما وارتفاعها أكثر من الاربعين قدما لم يبد لعين الرائى فى واحد من أحجارها الكثيرة أقل اختلال أو تزعزع عن مكانه ولا يقع نظر الانسان فى هذه العمارات العظيمة الا على خطوط مستقيمة وأسطحة مستوية مع أن معابد اليونان والرومان التى هى أحدث عهدا منها قد لعبت بها أيدى الكوارث وأخنت عليها الايام أما معابد أوربا فانها لم تقاوم كر الدهور الا مدة بعض قرون

ثم عمى وزوال فضلا عن انها بمعزل عن معابد مصر من حيثية تنميق الزينة وتنسيق الترتيب وكثرة النقوش والتصاوير حتى ان الكتابة والنقوش التى توجد على جدر المعبد الواحد تبلغ لغاية خمسين ألف قدم مربع مابين كتابة دينية واشارات رمزية ورسوم حربية كما أنه لم يوجد لغاية الآن على سطح الكرة الارضية عمارة ضخمة أبرزتها يد الانسان تقرب من هذه العمارات التى جميع مبانيها على هذا الاسلوب الآتى الذكر وهل يستطيع الانسان أن يقطع هذه المسلات التى بلغ طول بعضها نحو المائة قدم أم هذه التماثيل التى بلغ ارتفاعها الى الخمسة وخمسين بل الى الستين قدما مع أن جميع أعضائها متناسبة مع بعضها وأغرب من ذلك أنها مع انفرادها فى الحسن والعظم صنعت من قطعة واحدة من حجر الجرانيت المنقول من اسوان الى طيبة مع أن بينهما أكثر من أربعين فرسخا بل نقلت من اسوان الى الاسكندرية أعنى من الشلال الاول الواقع فى جنوب مصر الى البحر الابيض المتوسط الواقع فى شمالها وهل تستطيع أمة أن تحول مثلها فى هذا الميدان الا اذا بلغت أوج فخارها وسمت الى عرش مجدها وكانت موصوفة بالمعارف التى يتشرف بها النوع الانسانى

أما تجارتها فكانت رائجة فى جميع الاسواق ولسهولة المعاملة التجارية اتحدت مع مملكة مروا (مكانها الآن بين البحر الازرق وبحر تكازة أو اتبرا ببلاد السودان) وانجذبت كل واحدة منهما لصاحبتها بواسطة هذه العلاقة فامتدت تجارتهما على شواطئ البحر الاحمر وداخل افريقيا والذى سهل لمصر ذلك وقوعها بين بحرين عظيمين وهما البحر الابيض والاحمر والفتوحات البعيدة التى كانت مصر تواليها فى تلك الازمان فبواسطتها اكتشفت أقرب الطرق للبلاد الاجنبية ولم تقتصر على بيع السلع والاعيان بل كانت تغير بحنطتها كثيرا من الممالك المجاورة لها وتأخذ بدلا عنها ما عندهم من متحصلات بلادهم كالمعادن المتنوعة والطيب والعطر المرغوب فيهما بمصر لتطييب الاحياء والاموات والمعابد والاصنام وكانت بلاد الهند والصين وآسيا العليا ترسل اليها مصنوعاتها الفاخرة كالاقمشة المتخذة من الخز والابسطة والغراء والروائح العطرية والبخور وسن الفيل والاخشاب النفيسة واللؤلؤ والبهارات وغير ذلك وهى ترسل اليها من جميع محصولاتها ومصنوعاتها ولما كانت هذه البلاد بعيدة عن بعضها جعلوا مراكز تجارية فى جميع الجهات لتقريب

المسافات بينهابدليل ماوردفى التوراة من أن يوسف الصديق عليه السلام باعته اخوته الى السيارة من الاسماعيلية الآتين من جلعادالواقعة على نهر الاردن أوالشريعة وكانوا قاصدين مصر يحملون على ابلهم الروائح العطرية والراتينج والمر وكانت بلادالشام تبعث لهابالاخشاب اللازمة لعمل السفن لتوفر الغابات فى جبالها وكانت قوافلها تقطع الصحراء والقفار وهى آمنة لوجود المراكز التجارية فى جميع الجهات كما أن سفنها التجارية كانت تجول فى البحار المجاورة لها فبذلك كانت الثانية لمملكة فينقيا المشهورة بالملاحة والثالثة لبلاد الهند وأشور مدة انفرادهما بثروة التجارة والصناعة

ومن المحقق أن فرعون نيخاوس (المعروف باسم فرعون الاعرج من العائلة السادسة والعشرين) أمر جماعة من الصوريين بالطواف حول افريقيا لاستكشافها فأقلعوا بسفنهم فى البحر الاحمر ودخلوا بحر الهند ووصلوا المحيط الاعظم ثم دخلوا فى المحيط الاتلنطيق أو بحر الظلمات ومازالوا سائرين به الى أن مروا بيوغاز أعمدة هرقول المعروف ببوغاز جبل طارق أو زقاق سبته ثم عادوا الى مصر بعد ثلاث سنين

وذكر المؤرخون أن رمسيس الاكبر صنع أسطولا مركبا من اربعمائة سفينة شراعية وفتح به جميع الممالك الواقعة على البحر الاحمر وبحر الهند واستولى على جميع الجزائر التى به حتى وصل بلاد الهند ويقال ان هذه التجريدة كانت أول مرة ظهرت فيها سفن عظيمة فى هذا البحر فكانت غزوة مباركة لانها أتت بفائدتين جليلتين احداهما فتوح تلك البلاد ودخولها تحت الطاعة وثانيهما معرفة طرق التجارة بتلك الجهة وكانت مصر تقبض الجزية من بلاد سواحل الهند وافريقيا وبلاد العرب فكانت أهالى افريقيا تؤدى لها الجزية من الذهب والابنوس وسن الفيل وسن فرس البحر وجلده ومن الحيوانات النادرة الوجود الغريبة الشكل وبلاد العرب تؤدى لها الذهب والفضة والحديد والنحاس والمر والبخور وبلاد الهند ترسل لها الاحجار الكريمة والمواد المعدنية المتنوعة والاقمشة الثمينة (أنظر الشكل الآتى)

(لوحة ١) (صورة الجزية محمولة الى برمصر)



(لوحة ٢)



(اللوحة الاولى) بها رجل زنجى (سودانى) يحمل خشب الابنوس ويقود غرا ثم زنجيان يسوقان زرافة وفى عنقها قرد

(اللوحة الثانية) بها أهل آسيا وأفريقيا تحمل الجزية والاول منهم يحمل سلة وآنية بها أزهار غريبة لتغرس بأرض مصر ثم اثنان يحملان شجرة صغيرة بصلايتها لتغرس بها أيضا لغرابتها ثم رجل يسوق نباجليا ويحمل خشبا ذا رائحة زكية ثم زنجى يحمل حلقانا من الذهب وسن الفيل ثم ثلاث نساء اثنتان منهن من جهة آسيا والثالثة زنجية وجميعهن رفيق بأولادهن ثم زنجى يقود قردا ويحمل آنية بها سبايك من الذهب أما الاخير فمن أهل آسيا وهو يحمل قوسا وخلف ظهره جعبة النشاب وعلى كتفه قدر به عسل أو نحوه وهذا الرسم يدل على بعض أنواع الجزية لا جميعها

وجميع ذلك يثبت شهرة مصر بالغنى وبفن الملاحة وقد رأى شمبليون الشاب على بعض الاوراق البردية الباقية من عهد رمسيس الاكبر صورة سفينة عظيمة بجميع أدواتها ناشرة أشرعتها وعلى صواريها ملاحون يديرون حركتها وقد نصت التواريخ أن جماعة من المصريين هاجروا الى بلاد اليونان قبل وبعد استيلاء هذا الملك على سرير الملك ولا يتأتى ذلك الا اذا كان للمصريين دراية تامة بفن الملاحة حتى يأمنوا على أنفسهم من شر الغرق وبالجملة فوضع مصر الجغرافى بين الثلاث قارات وهى أوربا وآسيا وافريقا ووقوعها على بحرين عظيمين أى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وخصوبة أرضها وتنوع محصولاتها ينظمها فى سلك أعظم الممالك القديمة التجارية وهذه التجارة الواسعة تجعلها فى مقدمة الممالك التى كانت متمدنة فانها كانت تشتغل بالتجارة فى غلاتها ومحصولاتها المتنوعة الخارقة للعادة وكانت ترسل مصنوعاتها الباقى شئ منها الى الآن فى أطلال مدنها الى من جاورها من الامم وقتئذ وبذلك توصلت الى أن تعطى جميع نظاماتها وترتيباتها الاهلية منظر العظمة والثروة ومن البديهى أن ذلك نتيجة النشاط والعمل والتدوم على مهام الامور فى داخليتها وخارجيتها فضلا عن أنه كان لها جملة مواسم دينية تقام حينا فحينا فى أغلب مدنها يقصدها الناس من كل مكان ترويجا لتجارتهم وكان هذا سببا لقبولهم الاجانب واكرامهم مثواهم مع شدة بغضهم لهم لتباين دينهم لان حركة التجارة والاخذ والعطاء والمقايضة فى السلع أحوجتهم لمداراتهم وحسن معاملتهم ولما كانت مدينة طيبة هى التخت العام والمركز الدينى

متوسطة ما بين السودان واليمن والحجاز والشام قصدتها القوافل بمتاجرها حتى اجتمع بها من الاموال ما لم يدخل تحت حصر وقال أوميروس الشاعر كانت بها الاموال ونفائس البضائع منكومة على بعضها لكثرتها وقضت عليها التجارة بربط علائق المودة بينها وبين أهل السودان وقرطاجنه (بلاد تونس الغرب) المشهورة بالثروة فى تلك الازمان وقد تكلم هيرودوت على الطرق التجارية التى كانت مستعملة فى تلك الاعصار ومطروقة ما بين مدينة طيبة وباقى الممالك فقال

أولها طريق عام يخرج من هذه العاصمة ويصل الى مملكة قرطاجنة الفينيقية فيتجه أولا الى الشمال الغربى ويمر بواحة أمون (واحة سيوى) ثم يصل الى مدينة سدره أو سرته (ببلاد طرابلس الغرب) بعدما يمر بواحة أوجله (جهة الجنوب من أرض فزان ببلاد طرابلس) وهناك يخرج منه طريق آخر يتجه الى الجنوب الغربى ببلاد جرمانه حتى يصل بلاد قرطاجنه (وكانت هذه المدينة معاصرة لسيدنا سليمان عليه السلام ولا يخفى من له أدنى دراية بالتاريخ ما كان لها من السعة والثروة والجولان فى جميع البحار)

ثانيها طريق يخرج من مدينة طيبة ويصل الى بوغاز أعمدة هرقول (بوغاز جبل طارق فى شمال مملكة مراكش) ثم يصل الى المحيط الاعظم

ثالثها طريقان يخرجان من مدينة طيبة ويمران ببلاد اتيوبيا ومملكة مروه الشهيرة (بين نهر تكازه والبحر الازرق ببلاد السودان) أحدهما يسلك محاذيا للنيل والثانى يخترق عطامير النوبة

رابعها طريق مسلوك يخرج منها ويصل الى البحر الاحمر ثم طريق آخر يخرج من بلدة ادفو ويجتمع مع الطريق الاول بثغر القصير

أما الطرق التى كانت تخرج من مدينة منفيس والوجه البحرى وتتجه الى جميع الجهات فكانت كثيرة جدا أيضا أعظمها ما كان يخرج من هذه المدينة ويصل الى بلاد فينيقيا التى كان أعظم مدنها مدينتى صور وصيدا ومنها تتفرع جملة طرق منها ما يصل الى بلاد الاردن ومنها ما يصل الى بلاد الشركس ومنها ما يصل الى بلاد بابل بعدما يمر بولاية تدمر ثم يخرج من مدينة بابل طريق يمر ببلاد السوس ويصل الى بلاد الهند

وكانت مصر لاتألوعزما فى نشر معارفها الصناعية والجغرافية بين جميع هذه البلاد بقصد رواج تجارتها بين العالم وكان قانونهم امرعيا والربا محرما عليهم شرعا والذى سهل لها هذه الطرق وأعانها على موالاة الاسفار البعيدة هى الحروب والغزوات التى عانتها شرقا وجنوبا بقسمى آسيا وافريقا والغنائم التى كانت تجلبها معها وقدورد بعضها بالجداول المدونة على الآثار الدالة على الافتخار والظفر بالاعداء ومن رأى ماهو منقوش على جدران الدير البحرى جهة الكرنك علم ما كان للمصريين من السودد والسيادة وسوف يأتى الكلام على هذا المكان فى الرحلة بهذه الجهة

وقال المعلم فوريه ماملخصه قداستنبطنا من التوراة ما كان للمصريين من درجة التقدم فى الحرف والصنائع فانها قصت علينا حالة الهيئة الاجتماعية التى كانت بمدينة طيبة ومنفيس عند دخول أجداد العبرانيين مصر وعند خروجهم منها الى بلاد فلسطين لانهم لما خرجوا منها كان لهم دراية تامة بجميع الصنائع التى كانت شائعة فى تلك البلاد المصرية وقدرتهم على عمل المظلة أوقبة العهد وسن قوانينهم برهانا على ذلك لان من قارن بين الصنائع التى باشروها فى عملها بعد خروجهم وصنائع المصريين الباقية على شاطئ النيل وجدمطابقة تامة فان سفر الخروج اشتمل على أصول العمارة المصرية واحكام الرسم والتناسب العددى ونصب العمد بقواعدها وتيجانها وأصول تزيين العمارات واستعمال المعادن المختلفة والحياكة والتطريز بالذهب وصبغ الجلود والاقمشة بالالوان الزاهية المتنوعة وصقل الاحجار الكريمة وحفرها ولايخفى أن هذه الصنائع مفتقرة الى معرفة صنائع أخرى كثيرة مما كانت مستعملة بمصر وآسيا قبل دخول اسكروبس المصرى بلاد أتيكه (هوالذى أسس مدينة أثينه عاصمة اليونان) ومن نظر الى الآثار وطالع سفر الخروج علم أن جميع ما اكتسبه العبرانيون من المعارف والصنائع كان شائعا متداولا بين الخاصة والعامة بمصر ومن المعلوم أن هذه المعارف الواسعة التى هى ثمرة الزمن والعقل يسقط اعتبارها كلما كانت مبذولة بين الناس وشائعة فيهم وما إخالهم دونوها فى صفحات آثارهم الا لتكون اعجوبة لمن يأتى بعدهم ويعجز عن الاتيان بمثلها ولقد علمنا منها ومن الورق البردى صورة القتال والحصار والنصر وأنواع الاسلحة والعربات الحربية وأدوات الحرب وما كان للملوك من القوة وشدة البأس وما للاسارى من الذل والاحتقار وكيفية

تركيب مواكب الانتصار ومقدار الشرف الذى يعود على من يأخذ للوطن بثاره من عدوه ولاشك أن معرفة اللغة القديمة تعود على التاريخ باجل الفوائد وتنير العقل بمعرفة ما كان لاهل آسيا من الحضارة السابقة على زمن خرافات اليونان وتشخص لنا السياسة القديمة فى هيئات مختلفة مغايرة لما اختارته الامم المتمدنة الآن ولاشئ أجدر بالالتفات اليه من الفلسفة القديمة المصرية لان هذه الامة التى أخذ الافرنج عنها أغلب معارفهم بنت آدابها على أقوى الدعائم فاخترعت وتممت وأحرزت كل لطيفة وصيرت اقليمها أنقى هواء وأخصب تربة وأعظم اتساعا ورفعت لفن العمارة أعلى منار فاقتبس اليونان من نورها ونحوا نحوها ولولا ذلك ما كان لنقوشهم وتماثيلهم اسم يذكر ولا معنى يؤثر وما كانوا يهتدون لعمل الشعر والعروض والموسيقى التى نسبوها لمعبوداتهم اه

وقال أفلاطون ان جميع النوع البشرى أسير احسان المصريين لانهم علموه فن القراءة والكتابة والهندسة والفلك والله أعلم

الفصل الثامن

(فى الرحلة العلية بالاقصر)

(صورة معبد الاقصر مأخوذ من كتاب المعلم داريسى)

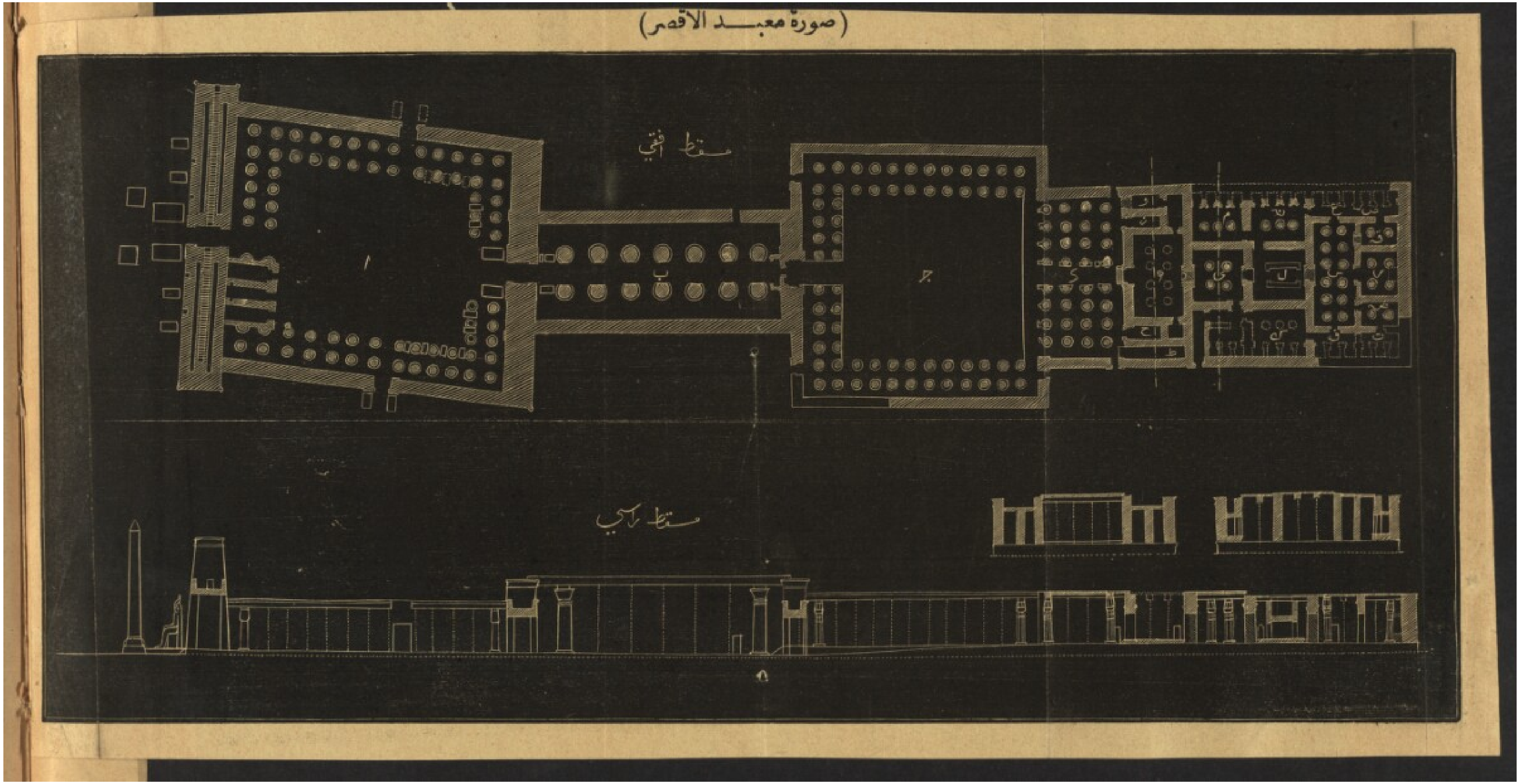
أما رحبة المعبد المرموز لها بحرف (ا) فهى من عمل رمسيس الاكبر وقد سبق الكلام عليها بما فيه الكفاية

حوش (ب) هذا الحوش يعرف باسم حوش الاعمدة أو الاساطين وهو من عمل أمنحتب الثالث كما تقدم وقد بنى به فى الجهة الشمالية برجين يبلغ عرضهما ٢٦ مترا ليكونا واجهة المعبد وذلك قبل أن يبنى رمسيس الاكبر رحبة (ا) وفى أيام الدولة المقدونية بنى (فلبش أرِّيدا أخو الاسكندر الاكبر وابن فلبش من السفاح) دعامتين بين هذين البرجين وتماثيل رمسيس الاكبر ليصغر بهما الباب الموصل من الرحبة اليه ولم يبق منهما الآن الا الدعامة الشرقية التى عليها اسمه

وبقياس الجدار الشرقى والغربى من هذا الحوش ظهر عدم تساويهما فان طول الاول يبلغ ٥١,٢٨ مترا وطول الثانى ٥٢,١٨ مترا وهذا الفرق أتى من الانحراف الذى جعله أمنحتب فى أحد برجيه لتلطيف الميل الذى ظهر فى محور المعبد بعدم انطباقه على محور الطريق الواصل من هذا المكان الى معبد الكرنك وفى أيام الدولة السفلى أعنى أيام دخول الدين المسيحى بمصر فتح النصارى فى الحائط الشرقى منه ثلمة أى فتحة فأتلفت كثيرا من مناظره اللطيفة وقد أسلفنا أن الملك (هورمحب) أتم ما كان ناقصا من زينة هذا المعبد فلذا ترى اسمه مكررا على جدران هذا الحوش وتراه على الحائط الشمالى الشرقى كأنه بالمعبد خلف باب مصنوع من قضبان الحديد يتقرب بالبخور الى المعبود أمون والمعبودة موت وتراه على الحائط الشرقى يدخن بالبخور ويريق الاشربة أمام سفينة أمون أما الثلاث سفن التى هى أسفل هذه الصور فواحدة منها للملك نفسه وثانيها للمعبودة موت وثالثها للمعبود خنسو ثم ترى هنالك قربانا موضوعا فوق الموائد وعلى الاطباق

وظن بعضهم أن هذه الهيئة كانت مقدمة للمهرجان أو الزفاف الذى كان يعمل بمدينة طيبه سنويا للمعبود أمون ويخرج من معبد الكرنك فيسير فى النيل حتى يصل معبد الاقصر ويدخل فيه ثم يعود من حيث أتى

وكان المهرجان يتركب من أربع حجرات أو صناديق يحملها ثمانون كاهنا على أكتافهم وتسير طائفة أمامهم وطائفة خلفهم وبيد كل واحد مذبة (منشة) بيد طويلة ثم أربعة منهم تسير بجوار تلك الحجرات وهم متشحون بجلد النمر وفى مقدمة الجميع كاهن بيده المجمرة (المبخرة)


(صورة معبـــد الاقصر)
مسقط افقي
مسقط رأسي

أما الملك فيتبع سفينة المعبود أمون ويسير الموكب أو الزفاف على هذا النسق يتقدمه النفير والطبل وجميع ذلك منقوش على الابراج ومتى وصل الزفاف لنهر النيل وضعوا الاربع حجرات فى سفن كبار تجرى بالمجاذيف أو تسحب بالاحبال والاقلاس أو تجنب خلف سفن أخرى تسير بالاشرعة أما الموكب فيمشى على البر تابعا للسفن وهو مركب من كاهن يترنم بالمديح والثناء على المعبود أمون وعلى الملك ويتلوه فرقة من العساكر المصرية تحمل درقا وحرابا وبلطا ثم عربتا الملك تجرها الخيل ثم رجال تجر السفينة الحاملة لحجرة المعبود فى البحر وبعضهم يلتفت ويصيح بالتمجيد والتقديس أو يجثو على ركبتيه ويعلن بالثناء والحمد ثم ثلاثة من العبيد ترقص وهى تتلوى بعنف أما الرابع فيضرب على الطنبور ثم يتلوهم عساكر على رأس كل واحد منهم ريشتان وبيدهم قضبان من الخشب يتقارعون بها بدل الساجات ثم ثمانية من الكاهنات مع كل واحدة منهن عقد ويضربن بالكوسات ثم أربعة من الكهنة ثم رجال تجر سفينة المعبودة موت فى النيل وضباط تحمل الرايات العسكرية وجماعة تضرب بالساجات أو الكوسات ورجل يضرب على طنبور ذى يد طويلة وآخرون يصفقون

ومتى وصل الزفاف أو الموكب قبالة معبد الاقصر أخرجت القسس تلك الحجرات المقدسة الى البر وحملتها على أكتافها فيسير الموكب يتقدمه الطبل والنفير وتضرب الكاهنات بالكوسات يتلوهن نساء راقصات وهن وقوف يملن على ظهورهن حتى تصل أيديهن الى الارض ثم تدخل الحجرات المقدسة فى المعبد وتقدم لها القرابين وجميع ذلك مرسوم على الحائط جهة الجنوب الغربى وعلى الباب ترى جماعة من كبار رجال الحكومة وقوفا بانحناء ينتظرون خروج الملك

وبعدما تتم رسوم الاحتفال داخل المعبد وتقدم القرابين تحمل الكهنة الحجرات المقدسة ثانيا على أكتافها فترى صورة سفينة أمون مرسومة أعلى وترى أسفلها سفائن كل من المعبودة موت والملك وصورة ثيران تجعل قربانا حالة سير الزفاف فتنزل الحجرات أو الصناديق فى السفن ثانيا وتجرى على النيل مثل ما أتت ويسير الزفاف فى البر على النسق الآتى أولا ضباط من العساكر تحمل الرايات وتمشى الهرولة يتبعها فرقة من الجند ويتلوها طائفة من العبيد تنط وتصرخ ثم فرقة من الجند بالبيارق أو الاعلام ثم عربتا الملك تجرها

الخيل ثم فرقة من عساكر المشاة ثم كاهنات يضربن بالكوسات يتلوهن أربعة من الكهنة ثم فرقة من العساكر ثم جماعة تضرب بالطنبور وجماعة تدق بالساجات ثم المغنون أو المرتلون يصفقون بأيديهم على الايقاع والنغمة ثم قسيس يبخر الطريق

ثم تخرج الجرات من النيـل ويتوجه الزفاف من حيث أتى الى معبـد الكرنك بالهيئة المتقدمة وصورة ذلك مرسوم على الباب

وعليه ثمانية صوارى بها بيارق وهنالك ترى صورة ثيران بين قرونها أكاليل من الريش والزهر ومتى دخلت الجرات ووضعت فى أماكنها ذبحوا القرابين ووضعوها بالقرب منها وقد دلت النصوص المكتوبة هنالك على أن زفاف أمون أو المهرجان الاكبر يكون فى رأس كل سنة جديدة والى هنا انتهى وصف الزفاف بالاختصار

فكان يجتمع فى هذا المهرجان خلق لا يحصيهم الا الله يأتون من كل فج عميق ومكان سحيق وتهرع له الناس من كل مكان حتى تصير هذه العاصمة غاصة بهـم كأنهم فى يوم الحشر وناهيك بعيد المعبود الاكبر يقام فى أعظم العواصم ولا يخفى ما كان يترتب على ذلك من الحركة والمكاسب ورواج سوق التجارة أوليس كان هذا عبارة عن المعرض المستعمل الآن ببلاد الافرنج لرواج البضائع والسلع والحركة التجارية

(اســـــتطراد لا بأس به)

« كان للقبط فى دولة الاسلام بمصر أعياد كثيرة منها ما ذكره المقريزى فى الجزء الاول بصحيفة ٦٨ ونصه ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من أنزه فرح مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد فى كل سنة حتى يلقى النصارى فيه تابوتا من خشب فيه اصبع من أصابع أسلافهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهـم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفى الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغى ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف أموال لا تحصر ويتجاهر هنالك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتثور فتن وتقتل أناس

ويباع من الخمر خاصة فى ذلك اليوم بما ينيف على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهبا وباع نصرانى فى يوم واحد باثنى عشر ألف درهم فضة من الخمر وكان اجتماع النـاس لعيد الشهيد دائما بناحيـة شبرى من ضواحى القـاهرة وكان اعتماد فلاحى شبرى دائما فى وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر فى عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سـنة اثنتين وسبعمائة والسـلطان يومئـذ بديار مصر الملك النـاصر محمـد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئـذ استادار السـلطان والامير سيف الدين سلار نائب السـلطنة بديار مصر فقـام الامير بيبرس فى ابطال ذلك قياما عظيما وكان اليـه أمور ديار مصر هو والامير سـلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شبع بطنه الا من تحت أيديهما فتقدم أمر الامير بيبرس أن لا يرمى اصبع فى النيل ولا يعمل له عيد وندب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمـال مصر ومعهم الكـتب الى الولاة باجهار النداء واعلانه فى الاقاليم بان لا يخرج أحد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على أقباط مصر كلهم ومشى بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى الكتابة وهو يومئـذ فى خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقـله الى آخر ما قال فراجعه ان شئت »

(رجع) ومتى دنى الانسان من الاقصر هاله ضخامة وعظم هذه الاساطين ذات التيجان التى تعلو على جميع العمارات وعددها أربعـة عشر وارتفاع كل واحدة منها ١٥٫٨٠ مترا ومحيطها ٩٫٨٠ متر مع أنها أقل من أعمدة رحبة ايوان الكرنك البالغ ضخامة كل واحد منها ١١ مترا غير أن وضع عمد هـذا الحوش بجوار النيل له منظر بهيج جدا وتيجانها على صورة زهر البشنين الذابل عليها نقوش بديعـة وفوقها العليامر كبة من حجرين لا يقل ثقل كل حجر منهـما عن عشرين طونولاته (الطونولاته ألف كيلوجرام أو نحو اثنين وعشرين قنطارا وكسر) ولغاية الآن لم يهتد علماء الآثار على الطريقة التى كانت مستعملة عند القوم لرفع هـذه الاثقال العظيمة ووضعها فوق تلك العمد الشاهقة أما الذى نصب هـذه الاساطين فهو الملك امنحتب الثالث (أمونوفيس) وزينها بالنقوش الى نصفها ومات ولم يتمها فأتمها الملك هورمحب (هوروس) كما تقـدم ثم كتب عليها بعض الملوك اسمهم بدون حق

ونصب الملك رمسيس الثانى فى الجهة الشمالية من هـذا الحوش تماثيل من الحجر الجيرى جعلها بين العمود الاول من كل صف وحائط الابراج وهى على صورة معبوده أمون وزوجته موت وهى مستورة بجناحيها مغشاة بريشها وجالسة بجوار زوجها ولهذا الملك تمثال آخر منفرد عنهما وعلى تلك التماثيل كتابة وترجمتها (لخلد اسمه مادامت السموات ولتبق عمارته ما بقيت السموات) ومن نظر الى هذا الحوش وما به من الاساطين حكم بانه كان معروشا لكن لم يقم دليل على صحة ذلك وفى الجهة الجنوبية دعامتان من مدة اليونان أو الرومان يدلان على حدوث ترميمات فى تلك الايام

رحبة (ح) هذه الرحبة العظيمة من بناء أمنحتب الثالث وكانت محاطة من ثلاث جهاتها بصفين من العمد تحمل العرش أو الايوان أما الجهة الجنوبية فمنها تفضى الى الايوان (ى) الآتى بيانه بعد وجميع جدرها متهدمة ولم يبق بها شئ يفيد العلم وفى الحائط الشمالى الشرقى صورة الملك أمنحتب وهو جالس فى سفينة وقابض على قضيب الملك ومسوقة أما العمد التى بها حول المحيط فيبلغ عددها أربعة وستين وهيآتها ليست على وتيرة واحدة وفيها ما شكله على هيئة سيقان من البشنين مجتمعة مع بعضها كأنها محزومة بخمسة أربطة أو شرائط تحت أكمام الازهار

والجزء الاصلى من هذا المكان مشيد على قاعدة يبلغ طولها نحو ٨٤ مترا وعرضها نحو ٣٩ مترا وسمك جدارها نحو مترين وعلى الجلسة كتابة صورتها (الملك أمنحتب بنى مسكن أمون من الحجر وجعل أبوابه من خشب السنط المطعم بالذهب ومفصلاته من الصفر (أى التوج أو البرونز) وكتب اسم أمون عليه بالاحجار الكريمة وصب أعتابه من الفضة ووضع البخور مع الرمل فى أساسها ونصب به صوارى من خشب السنط المطعم بالصفر وغير ذلك)

رحبة (ى) هذه الرحبة ليست متساوية الاضلاع لان الحائط الشرقى منها منحرف جهة الغرب وكانت تتصل من جهة الجنوب بخمسة أروقة وبها من الشرق والغرب بابان الى الخارج وعلى جدرها سطر به اسم رمسيس الثالث مكررا وعلى جميع جدرها مديريات أو أقسام مصر مرموزة فى صورة النيل ملونة تارة باللون الازرق وتارة باللون الاحمر وبها ثمانية صفوف من العمد بكل صف أربعة وكلها من جنس العمد التى بالرحبة الكبيرة وعلى

جزئها الجنوبى اسم رمسيس الرابع وقد اختلسه رمسيس السادس ونسبه لنفسه وقد بنى بها الرومانيون محرابا بين العمودين الاخيرين على يسار الطرقة الاصلية وعليه كتابة رومانية

رحبة (هـ) أو الكنيسة القبطية لما دخل دين المسيح بن مريم بارض مصر تحولت هذه الرحبة الى كنيسة وتشوهت صور جميع معبوداتها ومحيت كتابتها بوضع طبقة من الجبس عليها وتكسرت أساطينها وأزيلت وكانت ثمانية واستعوضت بعمودين من الجرانيت أمام المحراب وتقدم الكلام على ذلك

أروقة (و ز ع ط) جميع نقوشها دينية ويظهر أنه كان فى نقطة (ط) سلم يصعد الى أعلى المعبد بدليل أثر الصعود والنزول الموجود على الجدارين

فسحة (ك) يبلغ كل ضلع من أضلاعها ١٠٫٧٥ أمتار وبها أربع أساطين ارتفاع كل واحدة منها تسعة أمتار وجميع نقوشها دينية

فسحة (ك) كان لها سبع حجرات وثلاثة عمد وأزيلت ولم يبق بها شئ يذكر

فسحة (ل) وتعرف باسم (فسحة اسكندر المقدونى) كان بهذه الفسحة أعمدة وبنى فى مكانها بيت العبادة وجميع نقوشها دينية وفى نهايتها على الجدار الشرقى والغربى صورة السفينة المقدسة لمعبود أمون ومقدم هذه السفينة ومؤخرها مزينان بصورة رأس كبش وبها عقد أو قلادة منضدة الاسماط وفى الحائط الشرقى صورة الملك قابض على صولجان الملك مع مسوقة ويقرب الى معبوده الفخذ الايمن قربانا فقدمه من جملة حيوانات منها الثيران والعجول والمعز والغزلان ثم نصوص ربانية تفيد المدح والتعظيم له

أما رواق الاسكندر فمزين من داخله وخارجه بنقوش يستفاد منها أن هذا الملك أى الاسكندر يقدم القرابين الى المعبود أمون ويرافقه أحد المعبودات مثل موت أو أمنت وعلى حائط الرواق من الخارج صورة سيقان نبات البردى وفوقها أشخاص وهى رمز على مديريات مصر تأتى بمحصولاتها

وعلى سمك جدار الباب اسم الاسكندر وبأعلى الحائط من الداخل نقوش تعريبها (اسكندر بنى لابيه أمون رع مسكنا كبيرا من الحجر وجعل بابه من خشب السنط المطعم بالذهب كما كان أيام جلالة الملك أمنحتب)

وكان سقف هذا الرواق ملونا باللون الازرق على هيئة السماء ومزينا بالكواكب المرسومة باللون الاصفر وبعض هـذه الالوان باق الى الآن وفى الوسط صورة نسور كثيرة ناشرة أجنحتها وبمخالبها ريشة طويلة وعلامة الحياة الابدية

فسحة (م) (أوقاعة ميلاد الملك أمنحتب) يوجد بوسط هذه الفسحة ثلاثة أعمدة وفى الجهة الشرقية وجهة أربع حجرات أو خزانات وليس فى كتابتها فائدة أما النقوش التى على باقى الجهات فتدل على أن هذا المكان يماثل الهياكل الصغيرة التى توجد عادة بجوار معابد البطالسة وتسمى معابد الولادة وتعرف باسم (ممیزی) (أونیفونیوم) وكتابة الحائط البحرى صارت فى حالة رديئة وكادت أن تزول بيد أنه يرى عليها صورة أمنحتب يقود عجولا الى المعبودة موت ورجال تقدم سفينة محمولة على عربة بدون عجل وبوسطها صورة قرص الشمس والملك يذبح غزالا وهو قابض على قرنيه أما الحائط الغربى فعليه من النصوص الغريبة ما يذهل العقل وقد شاهدها شمبليون الشاب فى سياحته بمصر وتكلم عليها وهى منقسمة الى ثلاثة أنهار ويلزم المتأمل لها أن يبتدئ بالنهر الاسفل ويمر من اليسار الى اليمين فيرى فى النهر الاول المعبود خنوم (رأس الكبش) جالسا أمام المعبودة ايزيس وهو يصنع صورة انسان وصورة طيفه معا (وقد سبق الكلام على الطيف) ويقول له انك ستصير ملكا على مصر وأميرا على الصحراء وتكون جميع الاراضى فى قبضتك وتطأ بقدميك التسعة أقواس (الامم المتبربرة أصحاب القوس والنشاب) وجميع معانيها عجيبة ومدلولاتها غريبـــة وقد تركناها لما بها من الخرافات الفادحة ومن أراد الاطلاع عليها فعليه بكتاب المعلم دريسى مساعد وأمين مصلحة حفظ الآثار المصرية الذى ألفه باللغة الفرنساوية فى وصف معبد الاقصر صحيفة ٦٩

فسحة (ى) تشابه هذه الفسحة التى قبلها وكأنها تتمة لها ونصوصها على وشك الزوال وكل معانيها ترجع الى جلوس الملك على سرير الملك كما أن التى قبلها ترجع معانيها الى خلقته وولادته ونشأته وشبيبته وبها ثلاثة أبواب أحدها يفضى الى فسحة (ل) وثانيها الى فسحة (م) وثالثها الى دهليز (ع) الآتى بيانه ووصف هـذه الاماكن لا يهمنا بل يهم علماء الآثار ولذلك ضربنا عن ذكرها صفحا

نقطة (س ع ف ص) أما نقطة (س) فكانت فسحة عرشها محمول على صفين من

الاساطين بكل صف ستة أعمدة ينتهى دهليزها يفضى الى فسحة (د) التى هى المحل الاقدس الواقع فى نهاية المعبد ونقوشها دينية عادية وأما نقطة كل من (ع ف ص) فدهاليز وبكل واحد ثلاث حجرات وقد انهدم بعضها كلية

غرفة (ن) كان لهذه الغرفة بابان وسد أحدهما مدة الرومان ونقوش الحائط الشرقى توهم أن هـذا المكان كان معدا لحفظ الادوات والمهمات اللازمة للعبد وعلى الحائط الشمالى صورة الاحتفال المتقدم ذكره فى فسحة (م) والملك يقدم أربعة عجول لها ألوان مختلفة ثم يهز هراوة (عصا) أمام الاربع صناديق السرية المزينة بريش النعام وألوان هذه النقوش لم تزل ظاهرة

فسحة (د) هـذا المكان هو المحل الاقدس للعبد وكانوا يضعون فيه صورة الاله الاعظم داخل حجرة لا يسوغ لاحد غير الملك أن يدخلها وكانت مصنوعة من حجر واحد ومبنية فى هذا المكان ومحلها الآن ظاهر به لانهم لم يهتموا باصلاح الحائط والعمد التى كانت مثبتة فيها بعد نزعها منها والنقوش التى هنالك جميعها دينية أما الاربعة عمد التى بها فلونة بالازرق ومزينة الى نصفها بالنقوش وعليها اسم الملك أمنحتب صاحب المعبد مكتوب باللون الاصفر

غرفتا (س ت) أما غرفة (س) فهى على شكل غرفة (ن) ولا يعلم حقيقة الغرض من بنائهما لان العلوم لم تزل مضنة بكشف سر جميع هذه الاماكن ويوجد على عين نهاية المعبد ويساره سبع وعشرون حجرة مهدومة وجميعها مجهول الغرض منها لانا لم نطلع لغاية الآن على سبب وجود أمثالها ولاندراس معالمها لم نعثر لها على كتابة أما عدد الحجرات التى كانت جهة الغرب فثلاث عشرة وأما التى كانت جهة الشرق فاربع عشرة ويمكن أن كل واحدة منها كانت مخصصة لمعبود بعينه والكتابة التى على بعض أبوابها الباقية الى الآن لا تفيد الا بعض مسائل دينية متعلقة بالملك صاحب المعبد والله أعلم

انتهى باختصار من كتاب المعلم داريسى

الدرس السادس عشر

(فى تربية الدواب ونبات البردى وعمل الورق منه)

أما تربية الدواب أو السوائم والطيور فكانت نصب عين الامة ومنتشرة فى جميع القطر لانه كما لا يخفى عليها مدار ثروة الاهالى أرباب الاطيان والمشتغلين بالفلاحة والتجارة فكانوا يهتمون بشأنها ويحسنون تربيتها ويستخدمون لها الحكماء البياطرة والخدم ولكل نوع منها رعاة خاصة كالمعز والاوز والغنم ولكل فرقة من الرعاة رئيس مسؤل عنها وكانوا يتغالون فى حسن تربيتها سيما الثيران فانهم كانوا يعتنون بها زيادة عن باقى الحيوانات لما لها من المنفعة وقال بعضهم انما اهتم المصريون بتربية هذا النوع زيادة عن غيره للتفاخر بنطاحها وتحسين نوعها والابتهاج برؤيتها وكان رئيس الرعاة مكلفا بتمرينها على النطاح واذا حضر الرعاة أو رؤساؤهم لدى سيدهم لتلقى الاوامر وقفوا أمامه باحتشام وهم واضعون يدهم اليمنى على كتفهم الايسر علامة على الطاعة وكمال الامتثال أما يدهم اليسرى فرسلة تشير بالاحترام والظاهر أن سكان الوجه البحرى كان لهم شغف عظيم بتربية هذه السوائم المختلفة الانواع لاتساع أراضيهم وخصوبة مراعيهم وكثرة الكلأ عندهم خلافا للوجه القبلى فانه كما لا يخفى واد بين جبلين لا يقوم بحاجة كثرة الماشية ومما يدل على كثرتها والاعتناء بها لوحة وجدت فى أحد المقابر بجوار الاهرام مرسوم عليها صورة صاحب القبر كأنه على قيد الحياة واقف يتفقد أحوال ماشيته وهو متمنطق ومتقلد بشريط عريض ينزل من كتفه الايسر الى خاصرته اليمنى وبيده عكاز طويل وفوق رأسه راية من القماش المزدوج يحملها خادم ليقيه حر الشمس وبجواره جرو من ابن آوى صغير قد استأنس وصار داجنا وفى عنقه قلادة أو عقد وأمامه خدم أو رعاة تسوق أنواع الحيوانات وفوق كل فريق منها رقم واضح به كميته وفى مقدمة الجميع قطيع من الحمير تقدمها جحش صغير وعددها ٨٦٠ وعلى كتف الراعى عكاز عليه جلد حمار مات فى الغيط ليطلع سيده على صحة موته ثم يتلو ذلك قطيع من الغنم وكميته ٩٧٤ وخلفه راع حامل فى يده سلة بها رأس حيوان بلا قرون يظهر من حالها أنها رأس ذئب ثم يتلوه سرب من البقر وعدده ٨٣٤ ثورا ثم ٢٢٠ ما بين بقرة وعجل ثم يتبعه قطيع من المعز وعدده ٢٢٣٤ ووجد على حجر فى مقبرة أخرى لاحد أغنياء مصر الوسطى أن عدد حميره كان يبلغ ١٣٠٤

وبقره ٨٣٠ ويظهر أن بقر الملك كان من أجود الانواع واكتشف بعضهم فى مقبرة لاحد وجوه مدينة منفيس صورة خدم وحشم يقدمون قربانا الى الميت سيدهم من محصول أرضه ونتاج ماشيته مثل التمر والتين والعجول والاوز والغزال والفاكهة والازهار ومنهم من يقود ثيرانا عظيمة الجرم منها الابيض والاحمر والاسود وفى أعناقها قلائد بهرزينة على شكل نبات البشنين ومنها اثنان من لونين مختلفين موسومان (مدموغان) على فخذهما الايسر بعلامتين مربعتين سوداوتين مكتوب فى احداهما (المنزل الملوكى نمرة ٤٣) وفى الاخرى (المنزل الملوكى نمرة ٨٦) وربما كان هذا الرقم يدل على عدد الثيران التى كانت من نوع كل ثور عليه هذه الوسمة ومن ذلك يظهر أن ذوى الثروة كانوا يسمون ماشيتهم ويكتبون عليها أسماءهم وعددها

وكان من عاداتهم أنهم يرسمون صاحب المنزل واقفا متكئا على عصا طويلة علامة على الحكم ليمتاز عن باقى خدمه وحاشيته ودلالة على التصرف المطلق فى عائلته ومنزله وقد رأينا فى لوحة عصير العنب صورة الخادمين المنكبين على وجههما أمام سيدهما وهو يعزرهما ويهددهما بالضرب والجلد لما ارتكباه من الجناية ووجد فى مقبرة أخرى صورة رئيس الرعاة يبلغ سيده عن راع ذبح عجلا ويقدم له أعضاءه اثباتا على صحة قوله والراعى يدافع ويجادل عن نفسه ثم طرحوه وجلدوه أمام سيده

ومن المعلوم أنه كلما كثرت الماشية عند قوم كثرت ثروتهم بشرط توفر الكلأ والمرعى والا كانت عيلة وفاقة بدل أن تكون سعادة وميسرة وبالجملة كان الاغنياء منهم متمتعين بالترف والرفاهية والاموال وليس ذلك الا ثمرة أتعابهم ونتيجة نشاطهم وحسن ادارتهم واقتصادهم وكدحهم لاكتساب ما يجلب لهم الشرف والسعادة وكانوا يتفرغون بعد شغل يومهم الى ترويض النفس بسماع الآلات المطربة ورنة الاوتار والاغانى أو مشاهدة رقص الغوانى ويقيمون الافراح والولائم تنشيطا للروح أو يتسلون بالالعاب المتنوعة كالشطرنج والضامة وغيرهما (انظر الشكل الآتى)



(لوحة ١)



(لوحة ٢)

(اللوحة الاولى) بها أربعة رجال يلعبون الشطرنج أو الضامة (واللوحة الثانية) بها ثلاث
نساء راقصات واثنتان يلعبان بالاكرة وستة يضربن على الاوتار والرباب والدف والاخيرة
منهن تشبب بشبابة مزدوجة وعلى رأس بعضهن أكاليل بأشرطه و بجوارهن غلام صغير
بيده غصن يرقص به و بالتأمل فى ذلك وفيما تقدم تعلم أنهم تفننوا فى كل شئ وما تركوا
صغيرة ولا كبيرة الا وسلكوا ضروبها ومارسوا حلوها ومرها واكتشفوا سهلها
ووعرها وأن جميع الناس مقلدون لهم فى كثير من الامور

وربما اندفع القارئ الى الوهم بان عدد المواشى المرقومة فى مقابر أغنيائهم به تحريف عمدوه
لمجرد المبالغة والاطراء بغناهم أو أن الامر التبس على المترجمين فردا لهذا الوهم نذكر نبذه
وجيزة مما البعض الانكليز من المواشى ببلاد أوستراليا لخصناها من كتاب القوتة بوفوار
فى سياحته ببلاد أوستراليا حيث قال ما ملخصه

لما كنت بمدينة ملبورن (احدى عواصم أوستراليا) تعرفت بالمعلم كابل الانكليزى فعرض
على السفر الى محل اقامته بساحل نهر مورآى بوسط صحراء المروج التى بها مواشيه فلبيت
دعوته وركبنا سكة الحديد وقطعنا خمسين فرسخا وكانمر بوسط مروج لانهاية لآخرها وبها
من السوائم والدواب ما يخرج عن الحصر لكثرتها وفى ٣١ يوليه سنة ١٨٦٦ تركنا سكة
الحديد وركبنا العربة وقطعنا بها السباسب والفدافد وفى أثناء ذلك كنا نخترق سهولا بها
كثير من بقر الوحش الضال فى ذلك الفضاء الواسع وكان السراب أو الآل (هو ما يظهر وقت
القيلولة فى السهول الرملية على هيئة بحر أو مدن أو غير ذلك) يعظم تلك الثيران فى أعيننا
وتارة كان يضاعفها فيجعل الواحد اثنين أو أكثر وأخرى كان يعكس وضعها فيجعل رأسها
أسفل ورجليها أعلى كأنها معلقة فى الفراغ تسير وهى منكسة وطورا كنا نرى على البعد
بحيرة قد عكس ماؤها ما على شاطئيها من الاشجار وكلما دنونا منها بعدت عنا كأنها تهرب
أمامنا ومازلنا سائرين حتى جن علينا الليل فنزلنا من العربة وأكلنا ما تيسر ثم التف كل
واحد منا فى ردائه ونام على الارض المرطوبة بلا فرش وغطاء فاحتاط بنا جيش من الحشرات
المغرمة بمص الدم وهجمت على أجسامنا ووقعت فيها نهشا حتى سكرت من خمر دمنا وكنا
بين ذلك نستجير ولا مجير وفى الغد ركبنا العربة وسرنا حتى وصلنا محل اقامته فى تلك البرارى
المنفردة فرأيت منزله مصنوعا من الخشب به ثلاثة أروقة مسقوفة بقشر خشب الاكلبتوس

(المعروف عندنا بشجر الكافور) وله هيئة موحشة جدا وأخبرنى أنه يسكنه من نحو الثلاث عشرة سنة وأنه عزم على العودة الى بلاده بعد ستة أشهر لانه صار غنيا جدا وله من الثيران والبقر آلاف مؤلفة ومن الخيل ما يقرب من الالف وما عنده غير خمسة عشر رجلا لحفظ جميع هذه المواشى التى ترتع فى هذه المروج النضرة الى أن قال وأخبرنى ذات يوم أنه يريد أن يرسل الى مدينة ملبورن ثمانمائة ثور ليبيعها بها كى توزع على مراكز شركات استخراج الذهب التى هنالك فركبنا الخيل وكنا ثمانية وبيد كل واحد منا سوط يبلغ طوله نحو الثلاثة أمتار ذو يد قصيرة وخرجنا الى المروج نجمع الثيران التى كانت ترتع بها وفى ظرف خمس ساعات جمعنا منها نحو الالفين ما بين ثور وبقرة ثم انتخبنا منها كل سمين مكتنز اللحم حتى أتينا على الثمانمائة وأفردناها فى ناحية وأقمنا عليها الحرس ولما دجى الليل أضرمنا النار حولها الى الصباح وكانت طائفة من الرجال تدور بالخيل طول الليل لتمنعها من الفرار الى المروج ثانيا وقد أخبرنى صاحبها أنه يرسل رجاله فى كل سنة الى النزلات البعيدة ليشترى منها العجاف المهازيل عن كل رأس خمسون أو ستون فرنكا فيقصدون الجهات التى ليس بها الكلأ متوفرا ويأتون بالبقر المهزول فيتركها ترتع فى هذه المروج المخضلة العشب فتسمن فى مدة قصيرة ثم يبيعها بعد حول بنحو مائة وخمسة وسبعين فرنكا فأفوقها وقد بلغ جميع ما اشتراه بهذه الحالة نحو خمسة عشر ألفا ما بين ثور وبقرة بمبلغ سبعمائة وخمسين ألف فرنك وباعها بمليونين وستمائة وخمسة وعشرين ألف فرنك فربح من ذلك مليونا وثمانمائة وخمسة وسبعين ألف فرنك أعنى اثنين وسبعين ألفا وثلثمائة ثلاثة وثلاثين جنيها مصريا وما عدا ذلك فلا ألف بقرة من خيار هذا النوع أعدها للنتاج ومائة فرس من جياد الخيل أعدها لهذه الغاية وقد استنتجت مما سلف أنه سيكون عنده فى هذه السنة من نتاج الحيوانات نحو خمسة آلاف من العجول فيكون جميع ما عنده من صنف البقر خمسة عشر ألف رأس ثم استرسل المؤلف فى الحساب والمكسب وضريبة الميرى التى يدفعها عن هذه المروج الى أن قال ما قولك أيها القارئ فى خمسة عشر ألف ثور وسبعمائة وخمسة عشر كيلومتر مربع من الارض جميعها مروج محاطة بالاخشاب تسقى بنهرين بلا مشقة وكلفة فضلا عما له من الخيل أ بعد هذا يكون غنى ومع ذلك فقد سمعت أن هنالك ناسا لهم من الدواب أضعافا مضاعفة زيادة عما لهذا الرجل المذكور انتهى باختصار

ومن تحول فى أرض مصر علم أنها ضاقت عما كانت عليه أيام الفراعنة رغما عن زيادتها السنوية من فيض النيل (راجع الدرس الاول) لانى رأيت سنة ١٨٩٣ فى شمال مديرية الدقهلية والغربية والبحيرة أراضى فسيحة يسير فيها المسافر أياما وليالى ليس بها حيوان ولا أثر انسان وكلها قفراء سبخة غير صالحة للزرع والسكن وقد علمت أنها كانت فى غابر الازمان معمورة لانى رأيت بها أثر المدن والعمارة ولم تزل اطلالها القديمة وكيمانها العتيقة باقية الى الآن وبها كثير من الآجر (الطوب الاحمر) والحجارة تأخذ منها البلاد القريبة مما تحتاج اليه لبناء المساكن والسواقى والمساجد وغير ذلك وبعضها باق على حالته الى الآن لبعده عن البلاد المسكونة ووجدت بها كثيرا من بقايا المعابد القديمة والتماثيل المكسورة مما يدل على أنها كانت فى تلك الاعصار عامرة آهلة بالناس ولا يتأتى ذلك الا اذا كان هنالك صلاحية للزراعة وجودة فى معدن التربة تقوم بمعاش السكان وتكفيهم وفى سنة ١٨٩٢ رأيت فى جملة جهات بالصعيد آثار أسوار عريضة جدا مبنية باللبن (الطوب النى) ممتدة بجوار الجبل الشرقى والغربى فعلمت بأول نظرة أنها بنيت لتصد منع الرمال عن الارض الزراعية ولما تسلطت يد الزمن على تلك الاسوار وهدمتها زحف الرمل من مكانه وكسا الارض بثوب أغبر فاقفرت ولحقت بالصحراء المجاورة لها بعد أن كانت خضراء يانعة ذات مدن وبلاد وبذلك ضاع من مصر كثير من أرضها فضاقت عما كانت عليه كما ذكرنا

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن هذه الاسوار هى بقايا ما بنته دلوكة العجوز حول مصر لما خافت على ابنها ويا للعجب كيف تكون عجوزا ويكون لها ولد صغير تخاف عليه وقال المقريزى نقلا عن أبى القاسم بن عبد الملك ان دلوكة المذكورة كان عمرها مائة وستين سنة وأنها بنت السور وأحاطت به جميع أرض مصر كلها المزارع والمدن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرسة ومسلحة وجعلت فى كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أى جهة كانت فى ساعة واحدة وفرغت من بنائه فى ستة أشهر راجع صحيفة ١٩٩ من الكتاب المذكور

وهذا القول ساقط لانى رأيت عرض السور يبلغ نحو الثلاثة أمتار فأ كثر وارتفاعه فى بعض المحلات نحو الاربعة أمتار ولاشك أنه كان أعلى من ذلك وكيف تيسر لملوكها المذكورة أن تبنيه على جميع مصر وتحفر خلفه خليجا وتعقد عليه القناطر وما فائدة الخليج حينئذ وتم جميع ذلك فى ظرف ستة أشهر مع عدم وجود الرجال لانهم غرقوا فى البحر مع فرعون ولم يبق على زعمهم بمصر الا العبيد والاجراء

ومن أنفع ما وصل الينا من مصنوعات القدماء ومدخراتهم ورق البردى لما اشتمل عليه من العلوم والاعتقادات والصنائع والغزوات وكانوا يصنعونه من النبات المعروف بهذا الاسم ويرسلونه الى الآفاق ضمن تجارتهم الواسعة لشدة الاحتياج اليه فى الممالك القديمة المتمدنة وكان يشتغل بعمله فريق عظيم من الامة ولهم المعامل والورش الكثيرة بمدينة طيبة ومنفيس وغيرهما من المدن فكان هذا الصنف من أهم صنائعهم وكان طول نباته يبلغ أحيانا الى عشرة أقدام يعلوه هداب كالشعر لا فائدة فيه وسمكه من أسفله نحو بوصتين فأ كثر (البوصة جزء من اثنى عشر جزأ من القدم) وكيفية عمل القرطاس منه هو أنهم كانوا يقطعون طرفى الساق لعدم صلاحيتهما ويشقونه نصفين طولا وهو مركب من قشر يغلف بعضه فيفصلونه بنحو مخص وكلما كان الغلاف أقرب الى المركز كلما اشتد بياضه وحسن ورقه ثم يجففونه فى الشمس بنشره عودا عودا ثم يعطنونه ويدقونه ويجففونه ثانيا ثم يفرشونه بجوار بعضه كالحصير ويدهنونه بالغراء القوى ويضعون فوقه طبقة ثانية منه بحيث تكون متعاكسة أو متصالبة مع الاولى ويدقونها بلطف فتنفرطح الاعواد وتملأ الاخلية والفراغ الذى بينها ثم تكبس وتجفف جيدا وتدهن بزيت التربين أو ما يقوم مقامه ليكتسب المدونة والملودة ثم يصقلونه فيصير ناعم الملمس حسن المنظر ويكون به صلابة كافية فيصنعون منه الصناديق والعلب والسلات والاحذية بدل الجلد وغير ذلك أو يدخرونه للكتابة أو للتجارة

وفى دائرة المعارف النمساويه (الانسكلوبوديه) ما نصه البردى نبات كان ينبت فى الترع والمستنقعات بمصر وبلاد افريقا وفلسطين وجزيرة صقلية وكان قدماء المصريين يزرعونه ويأكلون جذوره وقلب سيقانه أو يدخلونها فى مصنوعاتهم فيضفرون منها أحذية (مداسات) أو يفتلونها حبالا أو يصنعونها ورقا وغير ذلك وكيفية عمله هو أنهم كانوا

يشقون الساق الى شظيات ويشقون الشظيات الى شظيات أخرى ثم يضعونها متعاكسة على بعضها ويجرون عليها جملة عمليات فتصير ورقا وقد انعدم هذا النبات الآن من مصر اه

ويوجد الآن فى أطلال المدن القديمة أدراج وملفات ربما بلغ طول الدرج الواحد منها ثلاثين قدما فأكثر مكتوبة بالقلم القديم العامى أو البرباوى ومن الاسف أنه بتوالى الازمان عليه ضاعت مرونته وتصلب بحيث ان أدنى ملامسة تتلفه فينكسر وطالما أتلفت يد الجهلة أوراقا منه كانت محصلا للمعارف من ذلك ورقة (تورينو) التى أضرمت فى قلب علماء الآثار نار الحسرة لانها كانت تتضمن ترتيب جميع ملوك مصر لغاية العائلة الثامنة عشرة وما وصلت الى العلماء حتى صارت جذاذا وأفلاذا

وقال ماريت باشا فى كتابه دليل المتفرج (ولم يصب ورقة تورينو ما أصابها الى أن صارت فى أسوأ حال يرثى لها لما كنا كحاطب ليل أو راكب العشواء لا يهتدى الى سواء السبيل وكنا اكتفينا بها عن جدول مانيطون الكاهن المصرى الذى لعبت به يد التحريف والمسخ فى الكتابة ووضعنا كل ملك من ملوك العائلة الثانية والثالثة فى مكانه بلا تردد ولا شبهة لانها كانت قائمة للملوك الذين تعاقبوا على سرير الملك من أول الملك منا لآخر ملك ذكرها والظاهر أنها ما كانت تتجاوز العائلة الثامنة عشرة ومذكور فى أولها ما قاله مانيطون ان الآلهة حكمت مصر قبل قيام الدولة الملوكية الاولى ولا يعلم ما بعد هذه العبارة فانظر كم كانت فائدة هذه الورقة واحكم بمقدار ما نجم عن تكسيرها من الاسف والحرمان من الفوائد الجمة فانها تمزقت كل ممزق وضاع منها أربع أو خمس قطع وما بقى صار هشيما حتى بلغ مائة وأربعا وستين قطعة ولا يمكن ترتيبها واحكام وضعها كما كانت وبذلك ضاعت فائدتها وسقطت أهميتها انتهى باختصار) وقال فى موضع آخر ما ملخصه (أوصيكم أيها السائحون الزائرون للآثار المصرية أنكم لا تضيعون فرصة بدت لكم فى شراء الورق البردى لانه أنفس آثار تقتنى فان مجموعة الرقاع التى جمعها المعلم هرّيس بالاسكندرية كانت بهذه الصفة واعلموا أن الست أورينى ما وصلت الى هذه السمعة التى دوت شهرتها ببلاد الانكليز الا بواسطة ورقة اشترتها صدفة من يد فلاح بمصر وهى الآن بمتحف لندره وبالجملة لا يمكن خدمة العلم بأكثر من المحافظة على هذا الورق ونزعه من يد الفلاح الذى يتهاون به ويجهل حقيقته ينتهى أمره الى التلف عاجلا أو آجلا اه ملخصا)

أقول وطالما وجدت أوراق من هذا النوع وباعها الجاهل ببعض دريهمات فرح بها ثم صارت تعلو قيمتها فى يد كل بائع من الافرنج حتى وصلت الى حد لا يتصور وانتفع بها العلماء وغيرهم وأحرزتها الدول فى دار تحفها وترجمت الى جملة لغات وعرف منها الطب القديم والالهيات وغير ذلك من العلوم التى كانت عند القوم وقد استعمل الناس الآن لفتح هذا الورق طريقة مناسبة بدون أن يحصل له أدنى تلف وهو أن يؤتى بالدرج منه ويعرض الى بخار الماء الساخن فيتندى وتلين صلابته فيفتح شيأ فشيأ مع الراحة الى أن يتم فتحه ويلصق على قماش أو ورق قوى فلا يصيبه بعد ذلك شئ

وكانت هذه القراطيس متداولة فى كثير من الممالك الاجنبية فقد وجد منها كتب وأسفار مكتوبة باليونانية والرومانية وأوراق عليها معاهدات وامتيازات محررة من بعض ملوك فرنسا والباباوات بايطاليا وجميع ما وجد منها بتلك البلاد لا يضاهى ما يوجد الآن ببلاد مصر المحفوظة فى الخوابى والجرار بقبور الموتى مسدود عليها بالاحكام مشتملة على الاشغال الادارية والعلمية والدينية وضروب مختلفة من المواضيع منها ما يشتمل على ما يسمى بكتاب الاموات أو قوائم مساحة الاراضى أو جوابات ومراسلات أو ملفات للدعاوى والخصومات التى اقيمت أمام محاكمهم أو حجج العقار وكل ما يكون مستندا لاحد المتعاقدين من الاتفاقات المدنية فهذه الاوراق عبارة عن دفترخانة القدماء ومنها ما يصعد تاريخه الى زمن موسى عليه السلام أو الى ما قبله وبمقارنة هذه القراطيس بأمتن الاوراق المتداولة فى أيامنا نجد بينها بونا بعيدا فى القوة والصلابة ومنها نوع يعرف باسم الورق الملوكى وهو رقيق ناعم أبيض جيد مصنوع من غلاف قلب النبات وكان يستعمل لكتابة الامور ذوات البال ثم نوع آخر متوسط الجودة كان يستعمل لكتابة الاشياء العادية والدينية ومازال استعمال هذا الورق شائعا بمصر وغيرها الى أن عرف الناس عمله من الخرق والقطن

وفى القاموس الفرنساوى أن صناعة الورق من الخرق دخلت بفرنسا فى القرن العاشر من الميلاد وأهمل عمله الى آخر القرن الثامن عشر أعنى قبل الآن بنحو مائة سنة فقط أى فى زمن الثورة بفرانسا وفى دائرة المعارف النمساوية ما نصه لم تدخل عندنا صناعة الورق المتخذ من الخرق الا فى سنة ١١٩٠ للميلاد أتت الينا من دولة العرب وكانت أتت لهم من سمرقند وأصلها من بلاد الصين اه وأول من أدخل هذا الصنف فى دولة الاسلام هو

الخليفة هارون الرشيد خامس خلفاء بنى العباس وكان ذلك فى القرن الثامن بعد الميلاد أى قبل الآن بنحو ألف سنة

وذكر بعض علماء الآثار أن نبات البردى انقطع من مصر لعدم لزوم استعماله بها كباقى النباتات التى انقطعت منها ولا يوجد منه الآن الا فى بلاد الحبشة التى هى وطنه الاصلى والظاهر أنه كان يشتمل على مادة سكرية أو طعم لذيذ بدليل قول المؤرخين انه كان مستعملا فى صناعة الورق وفى الاكل قبل أن يدخل قصب السكر بمصر وروى هيرو أن الوجه البحرى كان يمتاز بنبات البردى كما امتاز الوجه القبلى بالبشنين وقال هيرودوت ومن محصولاتها أى مصر نبات البردى وفى كل سنة يحصدون خلفته من المستنقعات ويرمون رأسها ويأكلون سيقانها نيئة وطولها بعد قطع رأسها نحو ذراع أو يبيعونها فى الاسواق أما المترفهون وذووا الثروة فلا يأكلونها الا بعد شيها فى الافران اه

ولما رأى ذلك بعض قدماء المؤرخين لقبهم بأكلة البردى ومن زار المتحف المصرى أو باقى المتاحف التى باوربا وجد بها أروقة برمتها مشحونة بهذه الرقاع المتفاوتة فى الطول والعرض محفوظة فى دواليب من الزجاج أو فى ألواح منها معلقة على الجدار وعليها من الرسم والنقش والاشكال والالوان والبهجة والنضارة ما يبهر العقل ويحير الفكر

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وقال شمبليون الشاب رأيت ببلاد فرنسا درجا من الورق البردى يشتمل على مدح رمسيس الاكبر وغزواته البعيدة وجميع نصه مسجع فى صورة محاورة ما بين هذا الملك ومعبوداته وهو فى غاية الاهمية لما به من الفوائد التاريخية الجمة وقد سمح لى الزمن القصير الذى خصصته لمطالعته أن أتيقن من أنه أحد كنوز التاريخ المصرى لانى استنبطت منه اثنتى عشرة مملكة خضعت لهذا الفاتح منها مملكة الايونيين والأيونيين والليقيين واللوقيين (وكلهم بقسم آسيا الصغرى) والسودان والعرب وغيرهم ومنصوص بها أنه أسر رؤساء تلك الممالك وضرب عليها الجزية فنقلت هذه الاسماء كما هى باعتناء وهى مكتوبة بالخط الايراطيقى المصرى (القلم الدارج العامى) وما فعلت ذلك الا لاقارن أحرفها بأحرف نفس هذه الاسماء المكتوبة بالقلم البربائى ان كانت لم تزل باقية على الهياكل المصرية بمدينة طيبة وان وجود هذه الورقة غنيمة عظيمة بل لقية ثمينة وهى مؤرخة فى شهر بؤنه فى السنة التاسعة من حكم هذا الملك

ثم ان المذكور جاء بعد ذلك الى مصر وأخذ يستطلع الآثار و يتتبع نصوصها حتى وجد هذه الاسماء بعينها مكتوبة على أحد الجدر الاثرية بالمدينة المذكورة لكنها أوشكت أن تزول بالكلية (هكذا يكون الاشتغال بالعلم والا فلا) ولما عاد الى بلاده عاود الورقة وترجمها فكان ملخصها ان السيتيين (وهى أمة متوحشة كانت تسكن الشمال الغربى من قسم آسيا) تحزبوا على قتال المصريين وانضم اليهم جملة قبائل وعشائر ممن كان يسكن آسيا الغربية وآسيا الصغرى منهم الاونيون والليقيون وغيرهم فقام رمسيس خطيبا بين جنده يحرضهم ويشجعهم على قتال عدوهم فأجابوه بالدعاء وطيبوا خاطره ووعدوه ببذل الجهد فى ملاقاته ثم زحف بهم وساجل خصمه فى القتال وكان يقاتل معهم وهو لا يغفل عن تشجيعهم وحثهم الى أن تم له النصر فصاح قائلا ها أنا قبضت على رئيس الاعداء أقلعوا عن القتال وكفوا عن الحرب ثم أقام الجند مهرجانا عظيما أشهروا فيه سلاحهم ولقبوا ملكهم بأسمى الالقاب الفرعونية

الفصل التاسع

(الرحلة العلمية فى آثار الكرنك من مدينة طيبة)

اعلم أن آثار الكرنك تحتاج فى وصفها الى مجلد ضخم لانها أكبر وأعظم جميع الآثار المصرية وهى واقعة فى الشمال الشرقى من معبد الاقصر وبينهما نحو نصف ساعة تقريبا وقال ماريت باشا فى كتابه مرشد السياح ان أطلال الكرنك أغرب خراب يراه الانسان على وجه الدنيا ولذا يجب زيارته لكن اذا حاولنا أن نستخرج منه وصفا أو نتيجة أو تعيين غرض لعز علينا المطلب وطاح مسعانا مع الرياح وأخطأ سهمنا المرمى لان وحدة المبانى تفرقت وجمع شملها تشتت بما جنته عليها يد الايام فضلا عما طرأ عليها من المبانى والترميمات مدة تلك الاحقاب الخالية ومع ذلك لا تخلو من الفوائد العلمية التى هى نصب عين علماء الآثار أما السائحون الذين يرون بها هؤلاء الاطواد الشامخة وتلك الاطلال الدارسة فلا يخرجون منها الا وقد ذهب بهم العجب كل مذهب حائرون فى أمرهم مندهشون مما عاينوا ثم يغادرونها وما تحصلوا منها على شئ غير الغرابة والعجب لانهم

كلما زادوها نظرا زادتهم عجبا وكلما استنبطوا منها معنى أيقنوا أن هنالك معانى ومهما أرادوا الوقوف على حقيقتها علموا بعجزهم وكلما زودوا الطرف منها أوقعهم فى الحيرة اه ومساحة هذه الاطلال تبلغ نحو ألف فدان وبها من الهياكل والابراج والعمد والمسلات والجدر والصخور والاسوار والصيرات المقدسة والنقوش والتصاوير والرموز والتماثيل والوقائع الحربية والتواريخ ما يذهل العقل ويجعل اللسن أعزل والقلم مغزل وبالجملة مهما كتبت البراعة وأفرغت حقيبة البراعة فانها لا تستطيع أن تأتى بتفاصيل هذا القول المجمل ولا تقوى على وصف ذلك الطلل المهمل الذى مزقته يد الزلازل وفرقته كوارث النوازل وهل لغير المصريين مبان صبرت على كيد الزمان وتجرعت غصة الملوان حتى وصلت الينا وياليت شعرى هل هى رسل مرسلة من لدن أهل تلك الازمان لتنبئنا بما كان فى قدرة الانسان ولقد حارت الافهام وضلت الاوهام فى كيفية نصب هذه الاساطين البالغة مائة أربعة وثلاثين وكل واحد منها كالبرج يبلغ ارتفاعه نحو السبعين قدما وقطره أحد عشر قدما وعليها تيجانها الفخمة التى كانت تحمل سقفها المنقوش بالقلم القديم وجميعها من الصخور الجافية فاحكم رعاك الله بما كان للمصريين من القوة والاقدام وتذليل كل أمر صعب وما كان الغرض من مثل هذا العمل ومامقدار المدة التى استحضروا فيها تلك الصخور وكيف قطعوها و بأى طريقة أحضروها وأى آلة رفعتها وكيف كان بناؤها ومامدته

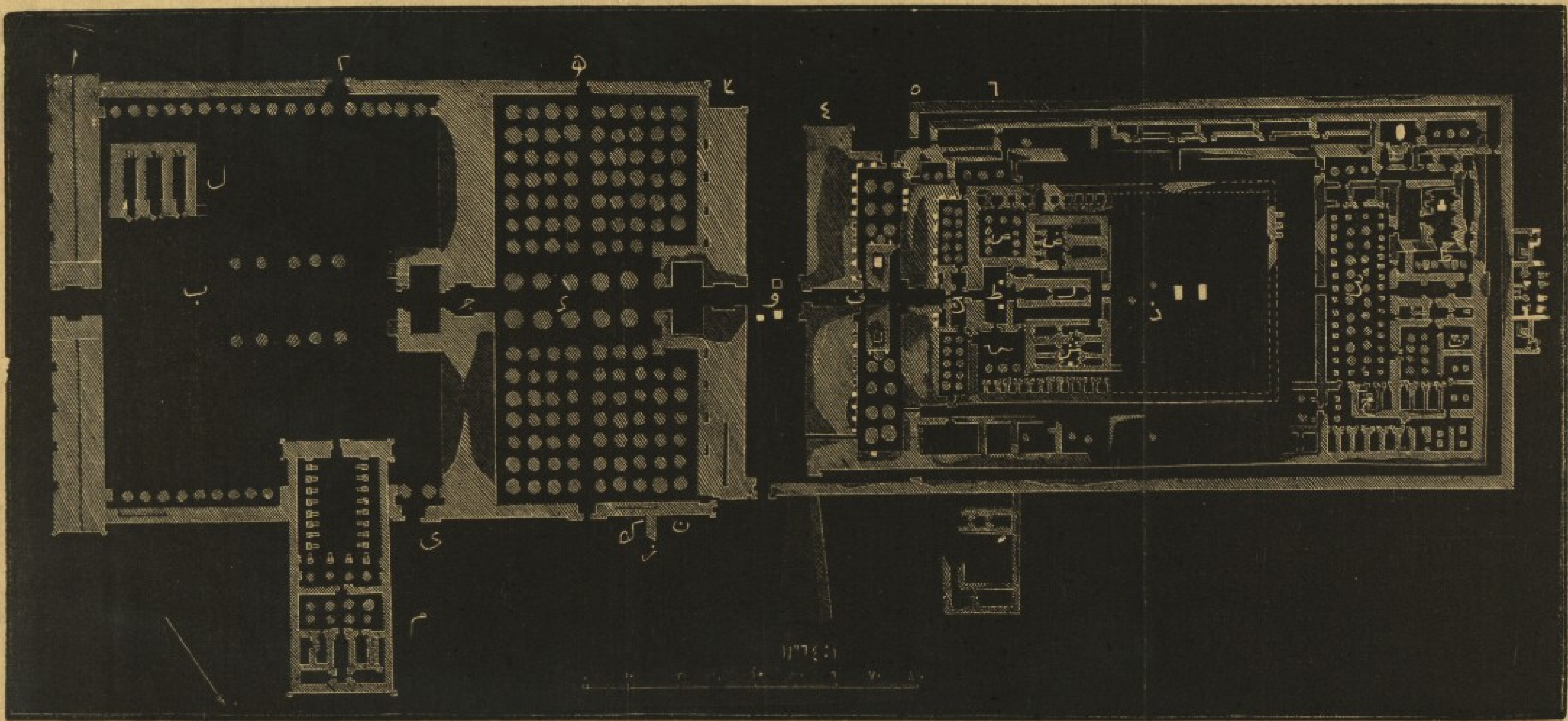
أما ما عليها من النقوش فقد أتوا فيه بالمرقص والمطرب بل بالمدهش والمغرب وكم أدمجوا فى خلالها من أفكار مبتكرة وأدرجوا فى سطورها من ضمائر مستترة أشغلت أفكار علماء الآثار وكل من يعانى حل المعانى فتارة كانوا يرسمون صورة الهيجاء والملك فوق عربته كبرج شاهق وصدر خيله فوق آلاف من العدو وأخرى كانوا يصورونه كطود شامخ والاعداء فى حذاء ركبته أو يجعلونه كشخص هائل الخلقة قدوطأ بقدميه رأس رؤساء القبائل أو وطأ بقدميه جماعة وبيده متهيئة لطعن آخرين (راجع شكل صحيفة ٥٦ من هذا الكتاب) وربما رسموه على صورة بحر يجر خلفه كثير من الامم التى خضعت له أو جعلوه فى هيئة جسيمة قابض بيده اليسرى على شعر كثير من أعيان الاعداء وملوكهم وهم جاثون على ركبهم امامه وفى يده اليمنى مقمعة يضرب رأسهم بها أنظر الشكل الآتى المنقول من

معبد ابسمبل أو يقود خلفه كثيرا من الرؤساء وهم موثوقو اليدين من خلفهم والاغلال في أعناقهم وغير ذلك مما يحير الافكار

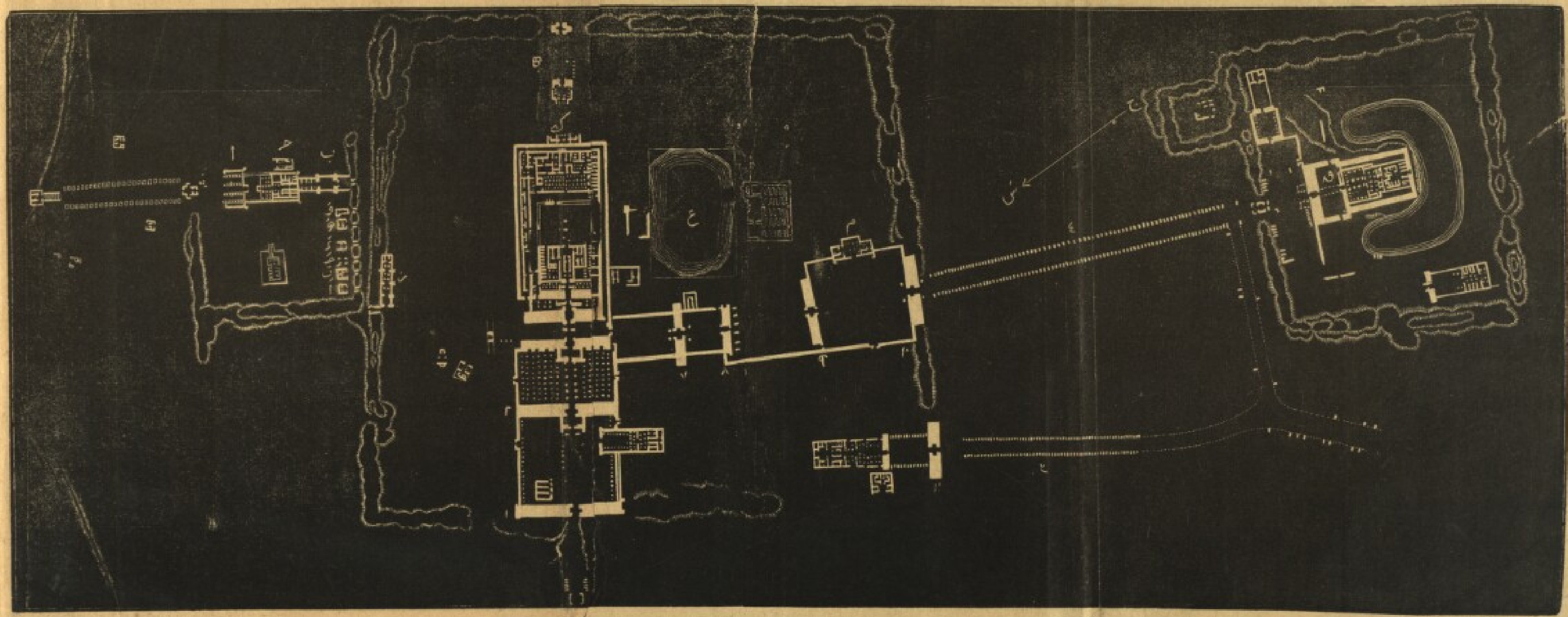
أما الهياكل التي بهذه الجهة فكثيرة ومتفرقة في خراب تلك البقعة وأحسن الطرق لزيارتها هو ما ذكره ماريت باشا وغيره وهو أن يخرج الانسان من قرية الاقصر ويتجه الى الشمال الشرقي ويقصد الطريق المشار اليه في الرسم بنمرة ٣ وهو طريق محاط باصنام لها رأس كبش وجثة أسد رابض وعليها اسم الملك أمونوفيس الثالث (دع مانب) كما تقدم في ذكر معبد الاقصر ثم يمر بوسطه معبد خنسو المرموز له بحرف (ت) ومنه يتوصل الى أبراج معبد أمون المشار اليها بنمرة ١ ثم يقصد المعبد نفسه ويمشي فيه الى الشرق ثم ينعطف الى جهة اليسار حتى يصل المعبد الواقع على يساره المرموز له بأحرف (أ ب ج) ثم يعود الى الجنوب ويميل قليلا الى الشرق أي الى جهة اليسار حتى يصل نقطة (ك) ومنها الى البحيرة المرموز لها بحرف (ع) ثم الى أبراج نمرة ٨ المشهورة بتماثيلها الجاثية ثم يسلك الطريق المشار اليها بنمرة ٤ والمحاطة بالاصنام ذوات رأس الادمي وكلها من عمل الملك هوروس (هورمحب) حتى يصل معبد المعبودة موت المرموز له بحرف (ن) والى هنا انتهى وصف الطريق المرسوم بهذه الاحرف في اللوحة العامة لاطلال الكرنك أما وصف هذه الاماكن بوجه الاختصار فهو

أولها معبد خنسو وهو من بناء الملك رمسيس الثالث وأبراجه اللطيفة تنسب الى بطليموس المدعو أورجيطه (أي الرحيم سمي بذلك من باب التهكم والسخرية) وعليها صورة الشمس بجناحيها أما الباب الثاني المقابل لهذه الابراج فهو لدولة البطالسة أيضا فاذا دخلنا منه وجدنا الملك أورجيطه المذكور متقمشا بثياب يونانية وقائما بتقدم قرابينه كفراعنة مصر الى المعبود خنسو الذي نسب اليه هذا المعبد ثم نجد بعد ذلك رحبة ليس بها عظيم فائدة غير صورة كل من رمسيس الثالث والرابع والثالث عشر وهم قائمون بعبادة هذا المعبود ثم يلي ذلك فسحة بها ثمانية من العمد وعلى حائطها حادثة ما وقع نظيرها في تاريخ مصر وهي اغتصاب الكاهن حرحور الملك مصر وكتابة اسمه في خانة ملوكية لكنه لم يلبس التاج ولم يتلقب بالالقاب الفرعونية فاذا دخلت الرواق الذي يليه وجدته قد تم له الامر ووضع ثعبان الملك على جبهته وهو عنوان على السلطنة وتلقب بالالقاب الملوكية وكتب اسمه

(لوحة ٢ المعبد الاكبر وهو معبد أمون مأخوذ من كتاب بيديكر)



(لوحة ١ تشتمل على عموم أطلال الكرنك مأخوذ من كتاب بيديكر)



فى خرطوشين كباقى الملوك ثم ترى على الابراج اسم الكاهن الاكبر المدعو بنتم مكتوبا فى الخانات الملوكية أيضا لانه صار ملكا بعده ومن ذلك استنتج علماء الآثار ضعف دولة الفراعنة فى آخر العائلة المتممة للعشرين وهى دولة الرمامسة (أنظر لوحة ١ المرسوم بها عموم أطلال الكرنك ولوحة ٢ المرسوم بها المعبد الاكبر وهو معبد أمون)

(ثانيها) المعبد الاكبر (معبد أمون) وطول محوره من الشرق الى الغرب يبلغ ٣٦٦ مترا وعرضه ١٠٦ أمتار فاذا أضفنا اليه جميع ملحقاته الواقعة بجواره من الشرق والغرب يبلغ طول محوره ٨٠٨ أمتار وأحسن طريق أن يدخل المتفرج من بابه الغربى المشار لابراجه بنمرة ١ وهناك يرى الحوش المرموز له بحرف (ب) (أنظر رسم هذا المعبد فى لوحته الخاصة به) أما الابراج فمن بناء دولة البطالسة لكنها لم تتمها وهى عمارة جسيمة جدا يبلغ طولها ١١٣ مترا وعرضها ١٥ مترا وارتفاعها ٤٥,٥٠ مترا وجميعها خال من النقوش والزينة وظن بعض علماء الآثار أنهم كانوا عزموا على أن يجعلوا عليها رسوما هائلة فابتدؤا بان يرسموا عليها خطوطا بالالوان ليحددوا بها تلك الصور التى أرادوا حفرها فى الحجر ولكن لم يتيسر لهم أن يتموا هذا المشروع فبقيت كما هى ومن صعد عليها رأى جميع الاطلال أسفله أما السور الشمالى والجنوبى من الحوش المتقدم ذكره فمن بناء الملك شيشاق رأس العائلة البوبسطية (نسبة الى تل بسطه وهى العائلة الثانية والعشرون) ونصب به الملك طهراقه الاتيوبى (الحبشى من العائلة الخامسة والعشرين) صفين من الاعمدة الضخمة جعل تيجانها على هيئة النواقيس المحفوفة بما يشابه ورق الكاس الزهرى وحولها النبات المائى وفوق كل واحد قاعدة مكعبة كانت جلسة لتمثال المعبودات غير أن الملك ابساميطيقوس الاول (من العائلة الصاوية وهى السادسة والعشرون) جعل اسمه على هذه العمد مكان اسم صاحبها ونسبها لنفسه

أما البانى للابراج والباب المرموز لها بنمرة ٢ فهو الملك رمسيس الاول ولم يكن للمعبد باب عام غيره من جهة الغرب الى أن بنى الملك شيشاق الحوش الذى نحن بصدد وصفه وآثار هذه الابراج القديمة لم تزل باقية الى الآن وكان لرمسيس الاكبر على هذا الباب القديم تمثالان متقنا الصنعة قائمان كأنهما يمشيان أحدهما على يمين الداخل وقد هشمت رجله الامامية والثانى على يساره أى على يسار الداخل وقد خر على الارض ومتى كان الانسان

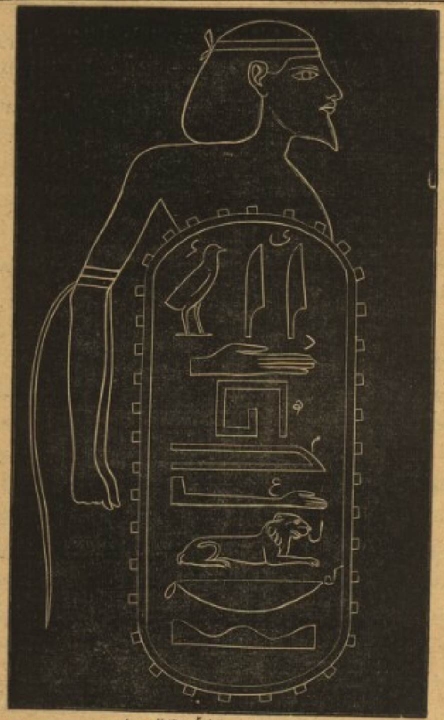
(٢٦)

في حوش المعبد وظهره الى الباب نمرة ١ كان على يساره آثار المعبد الصغير المرموز اليه بحرف (ل) وهو منفصل عن جميع المبانى وليس له علاقة بهذا الحوش وهو من بناء سيتى الثانى أو منفطة (مرنبتح) (من العائلة التاسعة عشرة) وحجره رملى وأبوابه الثلاثة من حجر الكوارس الرملى الاحمر وعليه اسم المعبود سات ولما بناه أرصده الى ثالوث مدينة طيبة وهو أمون وموت وابنهما خنسو كما تقدم فى ذكر معبد الاقصر وفى أحد أروقته صورة السفينة المقدسة للمعبودة موت مع ابنها خنسو والملك سيتى الثانى أو منفطة يقدم لها البخور وبجوار ذلك صورة الملك المذكور يقدم الى معبوده أمون صورة إلهة الحق فاذا خرج الانسان منه وجعل وجهه الى الباب المشار له بنمرة ٢ كان على يمينه المعبد المشار له بحرف (م) وهو من بناء رمسيس الثالث (من العائلة العشرين) وهو معبد عظيم قائم بذاته لكن اذا نسبناه الى معبد الكرنك لم يكن الا كزاوية أو بيعة صغيرة وطول محوره ٥٢ مترا وأبراج بابه انهدمت من أعلاها وله حوش واسع يرى به الداخل عن يمينه ثمانية أساطين يعلوها صورة أوزيريس وعن يساره مثلها وفى صدر الحوش أربعة من الاساطين كانت تحف مجازا يفضى الى رحبة صغيرة بها ثمانية أعمدة وتيجانها على شكل أكمام نبات البردى وهذه الرحبة توصل الى المحل الاقدس وتماثيل هذا المعبد تشابه التماثيل الكائنة فى معبد الرمسيوم بمدينة (أبو) وسوف يأتى الكلام عليه وعلى ظاهر الابراج نقوش وكتابة تفيد ممنونية الملك رمسيس الثالث من معبوداته التى أباحت له الظفر بالاعداء وعلى الجناح الشرقى أى الايسر من الابراج صورة هذا الملك وهو متوج بتاج الصعيد فقط وقابض على شعر ثلاثة صفوف من الاعداء وهم جاثون أمامه ويضربهم بمقمعة بحيث تصيب جميع رؤسهم فى آن واحد وأمامه المعبود أمون يقدم له سيف النصر ومن تأمل فى هؤلاء الصفوف علم أن اثنين منها رمز على أهالى الجنوب (بلاد اتيوبيا وما جاورها) والصف الثالث رمز على أهالى الشمال (بلاد الشام وما حولها) وعلى الجناح الغربى أى الايمن منها نجده متوجا بتاج البحيرة وفى سمك فتحة الباب تراه يستلم علامة الحياة من معبوده أمون وعلى الحائط الايمن من الابراج صورة الحرب والقبض على الاسارى أما داخل المعبد فقدم ومفعم بالانقاض وعلى اليسار فيما يلى الجدار شرقا صورة تقديم القربان وهناك مكتوب ما نصه أمر رمسيس الثالث فى شهر بينى (بؤنه) من السنة السادسة عشرة من حكمه أن

يقدم قربان الى أبيه أمون رع على مائدة من الفضة ومن المأكولات مما يطبخ من القرابين الخ أما رحبة الاعمدة المرموز لها بحرف (ك) فهى أكبر رحبة فى جميع آثار القطر المصرى حيث يبلغ طولها نحو ١٠٣ أمتار وعرضها ٥٢ مترا وذلك بقطع النظر عن سمك سورها ويرى بها اسم الملك سيتى الاول (من العائلة التاسعة عشرة) وهو أقدم اسم ملك وجد بها وظن بعض علماء الآثار أنها من بناء رمسيس الاول أما سيتى المذكور فأتمها وزينها وكانت هذه الرحبة مع اتساعها مسقوفة بالصخور وجميعها ظلام لا يدخلها الاضوء ضعيف من مناور كان عليها برامق من الاحجار لم يزل بعضها باق الى الآن وكان جميع السقف والجدر مستورة بالنقش والقلم البرباوى وبوسط جداريها شمالا وجنوبا بابان كبيران يفضيان الى هاتين الجهتين ولا بد أنها كانت أعجب جميع مبانى الدنيا بعد الاهرام فان المتفرج يخال أعمدتها وسلاتها غابة بديعة من الاحجار الملساء القائمة بهندام كأحسن ما يكون وقال بعض العلماء اذا كان هنالك مبان غريبة فلا شك أن تكون هذه الرحبة وقد اهتم بها جملة ملوك بذلوا فيها أقصى عنايتهم منها الملك رمسيس الاول وسيتى الاول ورمسيس الاكبر وغيرهم وبها لهذا الاخير بعض تماثيل وتشغل من الارض نحو خمسة آلاف متر مربع وقال المعلم بديكر الالمانى فى الجزء الثانى من كتابه مرشد سائحى الالمانيين الى آثار مصر ان هذه الرحبة تسع جميع كنيسة مريم العذراء التى بمدينة باريس Notre Dame وبها مائة وأربعة وثلاثون عمودا من أعظم ما يكون تحمل سقفا من الصخور أما صفا الاساطين التى بوسطها فيبلغ عددها اثنى عشر عمودا وهى أعلى وأضخم من باقى الاساطين التى حولها حيث يبلغ قطر كل واحد منها ٣,٥٦ أمتار ومحيطه ينوف عن العشرة أمتار وارتفاعه ٢١ مترا وقطر تاجه ٣,٣٤ أمتار واذا تحلق بالعمود الواحد منها ستة رجال واضعين يدهم فى يد بعضهم لا يكادون يحيطون به وأما باقى الاعمدة فيبلغ محيطها نحو ٨,٤٠ أمتار وارتفاعها ١٣ مترا وتيجانها على شكل أكمام نبات البردى ولكن من الاسف أننا نرى بها كثيرا من هذه الاساطين قد طاحت به الايام فانقض أو مال أو وقع تاجه من قمته أو آل الى السقوط أما عرشها نخر على الارض وان لم تتداركها عين الحكومة أو المحسنين من الزائرين لاصبحت كأن لم تغن بالامس ولكن ماذا تصنع الحكومة أو الحكومات الاجنبية فى بناء قام به جملة دول من الفراعنة مدة

سطوتهم وامتداد شوكتهم وتسخيرهم لمن جاورهم من الامم مع وفرة الوسائط من مال وآلات والذى أعلمه أن أعظم دولة ببلاد الافرنج تعجز عن ترميم معبد الكرنك واعادته لما كان عليه الا فى الزمن الطويل أما العمد فكل واحد منها مركب من جملة صخور منحوتة بهندام لطيفة الشكل والهيئة وعلى كثير منها اسم رمسيس الثانى وفى أعلى الستة صفوف التى جهة الشمال اسم سيتى الاول وفى أسفلها اسم رمسيس الرابع وفى أعلى باقى العمد اسم رمسيس الثانى وفى أسفلها اسم رمسيس الرابع وعلى بعضها اسم رمسيس الثالث والسادس والثالث عشر وعلى بعضها اسم رمسيس الثانى وهو ملقب بانه ملك الصعيد والبحيرة وسيد الخافقين وابن الشمس وصاحب التاج وغير ذلك وأحسن طريقة لرؤية جميع هذه الرحبة بما اشتملت عليه هو أن يقف الانسان على بابها بين الابراج المشار لها بنمرة ٢ وينظر من بين صفى تلك الاعمدة الضخمة المارة بوسطها

فاذا خرجنا من الباب الجنوبى رأينا على ظاهر الجدار المرموز له بحرف (ح) نقوشا محفورة فى الحائط تدل على واقعة حربية كانت بين المصريين وأهل فلسطين انتصر فيها الملك شيشاق أول ملوك العائلة الصاوية فترى على يمين الباب صورة هذا الملك وهو متوج بالتاجين ورافع يده بجمجمة يضرب بها فوجا من الاسارى الجاثين أمامه ولهم لحية دقيقة من أسفلها وهم رافعون اليه يد الابتهال وأمامه صورة معبوده أمون بتاجه المضاعف وهو فى صورة امرأة قابضة بيدها على القوس وجعبة النشاب والاسلحة وهى تناولها اياه وترى نحو مائة وخمسين شخصا لم يظهر منهم غير رؤسهم أما جسمهم فمستتر خلف شكل قطع ناقص أو شرافة كأنها قلعة أو مدينة وبجوار ذلك كتابة تذكر أن الآلهة هى التى يسرت الى شيشاق الاستيلاء على هذه المدن فيعلم من ذلك أن هذه الشراريف عبارة عن المدن التى استولى عليها ويرى على القطع الناقص التاسع والعشرين اسم يوده معلك أو يهودا ملك وهو موثوق اليدين خلفه (انظر شكله الآتى)



(صورة (يوده معلك) أى ملك اليهود)

الاحرف التى على صدره وبطنه هى حرف الياء وهى سكينان قائمان ثم الضمة وهى شكل فرخ الدجاج (كتكوت) ثم الدال وهى شكل كف انسان ثم الهاء وشكلها صورة حصير الجبن مطوية نصف طية ثم الميم وهى شكل ملقاط أو مائة مفتوحة ثم العين وهى شكل ذراع انسان بكفه ثم اللام وشكلها على هيئة أسد رابض ثم الكاف وشكلها كاناء بأذن أما العلامة الاخيرة فهى علامة اشارية لا ينطق بها الا انها تدل على الجبل بمعنى أن هذا الاسير من مملكة أجنبية ذات جبال

وجزم شمبليون الشاب أن هذه الصورة عبارة عن ملك اليهود المدعو رحبعام بن سيدنا سليمان عليه السلام الذى غلبه شيشاق ملك مصر وقال انه أتى به أسيرا مع باقى هذه الاسارى المرسومين بجواره وفى الواقع قد دلت التوراة على أن شيشاق المذكور غزا مملكة اليهود وسار من مصر الى القدس الشريف فى جيش مؤلف من ألف ومائة عربة حربية وستين ألفا من الجنود المصرية وطوائف كثيرة من مشاة المغاربة والنوبة وغيرهم فاستولى على جميع قلاع فلسطين ودخل مدينة القدس الشريف وسلب أموال المسجد الاقصى الذى بناه سيدنا سليمان عليه السلام وكذا أموال القصور الملوكية حتى الدروع السليمانية المصوغة من الذهب وغير ذلك وقال بروكش باشا ان يهودا ملك المرسوم على معبد الكرنك هو كباقى الاسماء المذكورة بجواره عبارة عن بلاد فلسطين التى استولى عليها هذا الفاتح ومن ثم لا نرى دليلا قطعيا يؤيد رأى شمبليون الشاب من ان هذه الصورة هى عين رحبعام المذكور ونرى على بعض الصور أسماء كثيرة عبرانية يفهم منها أنها مدن أو عائلات يهودية اذ نرى الاسم الاخير من الصف الاول ينطق ريت وفى الصف الثانى اسم تاناخ وشونم ورحوب وهفرايم وأدولام ومهنايم وجبيون (وهى مدينة جبيون التى كانت فى ملك اليهود) وبيت هورون وكدموت وأبولون وغير ذلك

فاذا اتبعنا الجدار وسرنا معه الى الشرق وجدناه يتقاطع مع جدار آخر فاذا علونا عليه واستقبلنا جهة الشمال كان عن يميننا أى على الجدار المرموز له بحرف (ت) صورة قصيدة بنتاؤر الشاعر الذى مدح بها رمسيس الاكبر وذكر فيها نصرته على أمة الخيتاس الهيتيين فى وقعة حربية كانت فى السنة الخامسة من حكمه وقد مر ذكرها وكان عن يسارنا أى على الحائط المرموز لها بحرف (ك) ما بقى من نصوص تجريدة أخرى جردها الملك المذكور على الامة المذكورة وهى مجردة عن التاريخ وكان أمامنا أى على الحائط المرموز له بحرف (د) صورة الصلح المبرم ما بين رمسيس وملك الخيتاس المدعو (ختاسار) راجع صورة هذه المعاهدة فى كتاب العقد الثمين تأليف حضرة أحمد بك كمال نمرة ١٠٧

فاذا غادرنا هذه الجهة وتحولنا نحو الباب الشمالى الذى برحبة الاعمدة المرموز له بحرف (هـ) وخرجنا منه الى الخارج ونظرنا الى ظاهر الحائط رأيناها قد لبست لطول العهد ثوب البلا وتلك لا حول ولا بد أننا نجد على بعض بقاياها أنفس شئ يؤثر عن مدة الملك سيتى الاول

حيث نرى صورة وقائعه الحربية فى آسيا الغربية مع أمة الرمنن (الارمن) وأمة الشاسو (عرب البادية) وأمة الخارو (لعلها بلاد الخابور جهة العراق) وأمة الروتنو (الاشوريون أو الكلدان ببلاد الموصل أو أرض جزيرة ابن عمرو) وأمة الخيتاس (جهة أرض فلسطين) ومن نقوشها نعلم أن الملك سيتى توجه الى بلاد آسيا وأسرع الكرة الى بلاد الارمن ودخلها فدوخها وخضع له أهلها حيث نراهم يقطعون أشجار غاباتهم ليصنع منها سفن له أو ليمهدون طريقا لعربته بوسط جبالهم وآجامهم ونرى نصوصا على بعضها ما صورته كان سعادته أمامهم كأسد احتد بالغضب وهاج فهجم عليهم وجعلهم رمما بوسط أوديتهم عائمين فى دمهم اهـ

ثم نرى أحوال الواقعة والمصاف وانهزام العدو وشتات شمله ورجلا فارا من الموت رافعا يديه بالضراعة وعلى رأسه نحو قلنسوة ونرى فى جهة أخرى صورة الفشل الذى وقع فيهم وقد رشقهم المصريون بنبالهم فارتموا على الارض وما فر من كل عشرة آلاف منهم غير واحد ليخبر بما عاينه من قتال المصريين ويطير الخبر الى باقى البلاد البعيدة فاذا تحولنا الى الحائط الشمالى رأينا نقوشها منقسمة الى قسمين أعلى وأسفل ففى الاعلى (فى نهاية الحائط من جهة اليسار) صورة الجنود المصرية وقد استولت على قلعة نينوى (عاصمة الاشوريين وهى بلدة يونس عليه السلام) وصورة نهر الدجلة ولاهلها وجوه قبيحة قد ولت الادبار واختفت خلف الاشجار والملك فوق عربته بوسط المعركة (قد أزيل الحجر المرسوم عليه رأس الملك وخيل عربته) وقد هجم على اثنين من الاعداء وهما فوق عربتهما وهو يرميهم بالنشاب (جزء من الحائط مهدوم) وعلى بقيته صورة الملك يوثق بيديه بعض الاعداء ويجر آخرين خلف عربته وعلى يمين هذا الرسم صورته تسحب أربعة من الاسارى وتجر صفين من الاعداء وبين هذين الصفين كتابة مفادها ان هذه الاسارى هم أعيان أمة الروتنو ووجوه البلاد (أى الكلدان) (ثم هدم بالحائط)

وبعد ذلك صورة الملك رافع يده اليمنى يجر بها الاسارى وهم مغلولون فى حبل مع أنه قابض بيده اليسرى على ذلك الحبل مع قوس له وهذه الاسارى من سكان الشام العليا وهو يجرهم أمام ثالوث طيبه (أى أمون وموت وخنسو) ويقدم لهم منحة نفيسة من الفضة والذهب واللازورد وغير ذلك من الاحجار والمعادن النفيسة

أما الرسم الاسفل ففيه صورة الملك (جهة اليسار من الحائط الشمالى) راكبا على عربته الحربية وجاعلا ظهره الى أهل آسيا (أمة الخارو) ويمر على جملة قلاع لعله هو البانى لها لتكون محطات للمياه اللازمة لجيشه لانك ترى بجوار بعضها صورة بحيرة من الماء العذب وبازاء ذلك صورة الملك فوق عربته بوسط المعركة وقد احاطت به أمة الشاسو (عرب البادية) فصار يرميهم بالنبل وهم يقعون حوله ومن فر منهم تحصن فى قلعة تسمى قلعة كنانه وبالقرب منها صورة خليج السويس أو الترعة المالحة الفاصلة ما بين قسم آسيا وأفريقيا كأنها كانت موجودة من أيامه وهو أمر غريب أما باقى الرسم فيدل على أن الملك قد عزم على العودة الى الاوطان وقد ركب عربته وخيله تجمع عن السير وتعربد خلفه العربة وهو قابض بيده اليسرى على أعنتها مع القوس ويهز بيده اليمنى سيفه المسلول مع أنه قابض بها على حبال مقرون فيها عصبة من الاسارى تمشى صفوفا نصفها أمامه ونصفها خلفه ثم تراه كأنه وافى محطة بالصحراء وبجوار حافر الرجل الخلفية لفرسه صورة قلعة اسمها مجدل (لعلها مجدله) وبين قوائم الخيل صورة قلعة أخرى تعرف باسم قلعة السباع ثم تراه دخل أرض مصر وهو مظفر منصور ووقف عند قلعة تسمى (وات ء ان ستى) ثم وصل الى قلعة أخرى تسمى (تازام اف ام با) ثم انتقل الى غيرها وتسمى (باما) ثم وصل الى بلدة قد ضاع اسمها وهو يقود أفواجا من الاسارى المختلفى الاجناس وهناك أتت له رجال دولته وأعيان مملكته لتهنئته بسلامة القدوم فوافته بجوار نهر به كثير من التماسيح وتراه فى جهة أخرى قد قبض على شعر فوج من الاسارى ليقتلهم أمام معبوده وهذا الرسم كثير الوجود على آثار الصعيد وقد اخترنا منه ماهو مرسوم على معبد ابسمبل ببلاد النوبة ليكون انموذجا لغيره

(انظر الشكل الآتى)

(صورة رمسيس الاكبر قابض على شعر كثير من رؤساء القبائل المختلفة الاجناس المتباينة الوجوه التى تمردت عليه وشقت عصا طاعته ليقتلهم بضربة واحدة أمام معبوده هرماخيس الذى يقدم له الحسام)



وجميع ما ذكرناه لغاية الآن لاشىء بالنسبة لما هو مرسوم على تلك الآثار لاننا لو أردنا التفصيل لاحتجنا الى كتابة جملة أسفار ولنؤجل وصف باقى هذا المعبد الى الدرس الآتى

الدرس السابع عشر

(فى اعتقاد المصريين فى منشأ العلوم وذكر هرمس والتنجيم وكتاب الموتى والسحر والطلاسم والحواة)

نقل مؤرخو اليونان عن تاريخ قدماء المصريين أن الله عز وجل أمر هرمس الهرامسة أو المثلث المعروف بهرمس الاول أن يكتب جميع العلوم بالقلم السرى ففعل وأودعها بطون الاسفار والكتب وكان يسكن السماء وهو أول من عرف الله ومجده أما هذه الكتب فبقيت مجهولة الى خلق العالم ثم جاء الطوفان وأغرق الارض ومات كل من عليها ولما عمرت ثانيا كانت الناس على فطرتهم الاولى لا يعرفون شيأ من ضروريات معيشتهم فأرسل الله لهم هرمس الثانى وهو عبارة عن هرمس الاول متجسدا فى صورة انسان ولما هبط الى الارض أخذ يعلمهم ما يحتاجون اليه لانهم كانوا يهيمون على وجوههم كالوحوش فى الفلوات لا يمكنهم التفاهم والتعارف الا بصياح سازج مختلط متقطع فبدأ بتعليمهم النطق بالكلام ووضع أسماء المسميات وبين لهم طريقة التعارف فيما بينهم ثم اخترع أحرف الهجاء ولقنهم اياها ورتب لهم الهيئة الاجتماعية وسن أصول الدين ومحافله ودون قواعد علم الفلك والرياضة والهندسة ووضع الارقام الحسابية واخترع الكيل والميزان وكل ما يعود عليهم بالمنفعة ولم يقتصر على ذلك بل علمهم ما يترضون به مثل الموسيقى ونحوها فاخترع لهم عودا ركب به ثلاثة أوتار فقط وعلمهم الالعاب الرياضية والبهلوانية والنقش والرسم وبالجملة كل فن نافع وكل شئ مريض للجسم والروح فلذا صاروا أسرى احسانه وعبيد عرفانه فهذا هو ما رواه أفلاطون الحكيم وبلوتارك وغيرهما

وقالوا انه لما هبط الى الارض ألف بها كتبا كثيرة وأسلمها الى طائفة القسس وجعلهم أمناء عليها وكانت مكتوبة بغير اللغة والخط اللذين ألف بهما كتبه الاولية ثم أودع هذه الطائفة من غامض العلوم ما لم يبح لغيرهم بها وحتم على كل فرد من أفرادها معرفة ما بهذه الكتب كلها أو بعضها حسب ما تقتضيه وظيفته بين أمثاله وذويه أما عددها فكان اثنين وأربعين كتابا تشتمل على جميع أصول الحكم والنصائح وأركان الدين وقواعد العبادة وترتيب الحكومة وعلم الفلك والجغرافية وتحنيط الاموات وهو الذى حنط أوزيريس معبودهم بعدما قتله تيفون إله الشر كما فى الشكل الآتى



(صورة هرمس أو السنوسيفال يحنط أوزيريس)

وبالجملة كتب بها جميع الفنون والمعارف على اختلافها كما نسبوا اليه جميع الاختراعات النافعة التى اخترعتها الكهنة وقالوا ان وظيفته ادارة أحكام أهل الارض والقمر وتسجيل أعمال المخلوقات يوم البعث والميزان بجهنم (راجع صحيفة الاثنين وأربعين قاضيا) وقال جامبليك ان كتبه بلغت بمصر عشرين ألف كتاب وقال مانيطون المصرى أكثر من ذلك فيستفاد بداهة مما ذكر أن لفظة هرمس كانت رمزا على الطائفة الكهنوتية والعلوم نفسها ليس شيأ آخر والظاهر أنهم نسبوا اليه اختراع كل شئ كما نسبنا اختراع جميع الاشياء الى ادريس عليه السلام وكل كلام مستحسن أو حكمة مفيدة أو شعر رائق الى على كرم الله وجهه وكل فضيلة الى سيدى جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه وكل شئ غريب الى صنعة الجن ومن قول أبى العلا المعرى

تضل العقول الهبرزيات رشدها * ولا يسلم الرأى القويم من الافن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما * رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وعبارة التواريخ نرى أن لكل أمة فيه اعتقادا مغايرا لمن عداها لكنهم اتفقوا جميعا على أنه هو المخترع للاشياء كلها أو أجلها فيعرف عندنا باسم ادريس عليه السلام وعند اليهود باسم أخنوخ وعند الكلدانيين وغيرهم باسم هرمس

وفى دائرة المعارف النمساوية (الانسكلوبودية) مانصه هرمس هو عطارد بن المشترى والمعبودة مايه وكان اليونان يعتقدون أنه إله الرعاة والمراعى والمروج والاعشاب وكان مبجلا ببلاد أركاديا (مملكة من بلاد اليونان القديمة) ويعتقدون أنه إله الخيرات الناتجة من الارض ومن الجبال وإله الطرق والمسالك ودليل الارواح فى الدار الآخرة وهو الذى اخترع زمارة الراعى والعود بأوتاره وأول من علم الفصاحة والالعاب البهلوانية كما كان رسول أبيه المشترى الى الآلهة وكانوا يرسمونه فى هيئة شاب ظريف على رأسه قلنسوة السفر وفى عقبيه جناحان وفى احدى يديه عصاة الراعى وفى الاخرى مخلاة أما الرومان فكانوا يقولون انه رب التجارة اه وفى القاموس الفرنساوى هرمس هو عطارد ابن المشترى وهو رب الفصاحة والتجارة والسرقة اه

وتقل المقريزى عن كتاب البنية والاشراف كان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوة هرمس قبل ظهور النصرانية فيم على ماوجب رأى الصابئة فى النبوات من أنها ليست

بطريق الوحى بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وقال فى موضع آخر نقلا عن ساعد اللغوى من كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو أول من تكلم فى الجواهر العلويه والحركات النجومية وهو أول من ابتنى الهيا كل ومجد الله فيها وأول من نظر فى علم الطب وألف لاهل زمانه قصائد موزونة فى الاشياء الارضية والسماوية وقالوا انه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تصيب الارض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبنى الاهرام والبرابى التى فى صعيد مصر الاعلى وصور فيها الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال فى موضع آخر انه اختلف فى أمر هرمس البابلى فقيل انه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وأنه كان لترتيب عطارد وباسمه سمى عطارد باللغة الكلدانية هرمس اه

وذكر علماء الآثار أن هرمس ونوت وسيروس وانوبيس وسونيس وسينوسيفال جميعها أسماء لمعبودهم توت وهو كوكب الشعرى اليمانية أو كلب الجبار وتعددت أسماؤه لكثرة وظائفه فكانوا يرسمونه على صورة انسان له رأس قرد أو كلب أو ابن آوى أو الطائر أبيس ولكل واحد وظيفة خاصة به وكان هذا النجم معظما عندهم جدا حتى قالوا ان ظهوره مع طلوع الشمس وقع فى مبدأ خلق الدنيا وبناء على ذلك نسبوا اليه دورة زمنية مقدارها ألف واربعمائة وستون سنة وهى المدة المحصورة بين مرتين من ظهور هذا الكوكب مع الشمس فى أول يوم من شهر توت الذى هو أول سنتهم الزراعية لانه يتأخر دقيقة فى كل يوم أو ست ساعات فى كل سنة أو يوما كاملا فى كل أربع سنين أو شهرا كاملا فى كل مائة وعشرين سنة أو سنة كاملة (٣٦٠ يوما) فى كل ١٤٦٠ سنة وهذا الدور يعرف عندهم بالدور النجمى لهذا الكوكب الذى كثيرا ما نراه مرسوما على آثارهم الفلكية بالصعيد وقال شمبليون الشاب رأيت هذا الكوكب مرسوما على سقف معبد الرمسيوم (سيأتى الكلام عليه فى الرحلة بالقرنه) فوق شهر توت المصور فى هيئة امرأة على رأسها ريش طويل وهى المعروفة عندهم باسم (ايزيس توت) وهذا الرسم شائع على أغلب الآثار

هنالك لانه يوجد فى سقف مقبرة منفطه الاول وبمنطقة فلك البروج المربعة التى كانت بمعبد دندره وأن جميع الآثار تشهد أنها هى كوكب الشعرى اليمانية كما أنى رأيته فى معبد كوم امبو مرسوما على هيئة بقرة رابضة فى سفينة وبجوارها علامة الكوكب (شكل النجمة المرسومة فى البيارق العثمانية المصرية) وبين قرنيها كوكب كبير وهو الموجود أيضا فى معبد دندره واسنا وتارة كانوا يرسمون البقرة والمعبودة (ايزيس بوت) فى لوحة واحدة مع بعضهما الى أن قال وكل ما لا يوجد عليه صورة هذا الكوكب الذى هو عبارة عن شهر بوت فلا يكون أثرا فلكيا اه

وكانوا يعرفون علم التنجيم وأخذ الطالع حيث جرهم علم الفلك الى القول بالنجوم وتأثيرها فى العوالم وجميع الكائنات وقال سيسرون الخطيب الرومانى (والمتوفى سنة ١٠٦ قبل الميلاد) ان قدماء المصريين امتازوا بمعرفة علم التنجيم وهو علم الكلدان المبنى على رصد النجوم يوميا فكان ينبئهم عما يحصل للانسان فى مستقبل أيامه وقال هيرودوت ان المصريين اخترعوا جملة علوم منها علم التنجيم وهو معرفة ما يحصل للانسان مدة حياته من خير أو شر وكيف يكون عقله وأخلاقه وموته وذلك متى عرفوا يوم ميلاده اه وتعلمه الرومان منهم واشتغلوا به ومنهم سرى الى جميع الممالك حتى انه لم ينقطع من مملكة فرنسا الا من نحو المائتى سنة

ونقل اليونان عن المصريين أن الله لما خلق العالم كان القمر بالسرطان والشمس بالاسد وعطارد بالسنبلة والزهرة بالميزان والمريخ بالعقرب والمشترى بالقوس وزحل بالجدى وقد اشتغل به فى دولة الاسلام كثير من العلماء والحكماء وكان لهم من طرف الخلفاء الخلع والرواتب والجوائز سيما أيام عبد الله المأمون بن هرون الرشيد العباسى فانه اجتمع عليه كثير من أهله وأخذ عنهم وكان له مشاركة فيه ولما مات بطرسوس قال فيه بعضهم

هل علوم النجوم أغنت عن المأ * مون شيأ أو ملكه المأنوس
خلفوه بساحتى طرسوس * مثلما خلفوا أباه بطوس

وفى بعض التواريخ قال أبو معشر الفلكى أخبرنى محمد بن موسى المنجم الجليس لأبو الخوارزمى قال حدثنى يحيى بن أبى منصور قال دخلت الى المأمون وعنده جماعة من المنجمين ورجل يدعى النبوة وقد دعى له المأمون بالعصى ولم تحضر بعد ونحن لا نعلم فقال لى

ولمن حضر من المنجمين اذهبوا وخذوا الطالع فى دعوى الرجل فى شئ يدعيه وعرفونى ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه ولم يعلمنا المأمون انه متنبى قال فحملنا الى بعض تلك الصحون فأحكمنا أمر الطالع وصورنا موضع الشمس والقمر فى دقيقة واحدة وسهم العادة منها وسهم الغيب فى دقيقة واحدة مع دقيقة الطالع والطالع الجدى والمشترى فى السنبلة ينظر اليه والزهرة وعطارد فى العقرب ينظران اليه فقال كل من حضر من القوم ما يدعيه صحيح وأنا ساكت فقال لى المأمون ما قلت أنت فقلت هو فى طلب تصحيحه وله حجة زهرية عطاردية وتصحيح الذى يدعيه لا يتم له ولا ينتظم فقال لى من أين قلت هذا قلت لان صحة الدعاوى من المشترى ومن تثليث الشمس وتسديسها اذا كانت الشمس غير منحوسة وهذا الطالع يخالفه لانه هبوط المشترى والمشترى ينظر اليه نظر موافقة الا أنه كاره لهذا البرج والبرج كاره له فلا يتم التصديق والتصحيح فقال المأمون لله درك أنت ثم قال أتدرون من الرجل فقلنا له لا قال هذا يدعى النبوة فقلت يا أمير المؤمنين أمعه شئ يحتج به فسأله فقال نعم معى خاتم ذو فصين ألبسه أنا فلا يتغير منه شئ يحتج به ويلبسه غيرى فيضحك ولا يتمالك من الضحك حتى ينزعه ومعى قلم شامى آخذه فأكتب به ويأخذه غيرى فلا ينطلق أصبعه فقلت يا سيدى هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملهما فأمره المأمون بعمل ما ادعاه فقلنا له هذا ضرب من الطلسمات فما زال به المأمون أياما كثيرة حتى أقر وتبرأ من الدعوى ووصف الحيلة التى احتالها فى الخاتم والقلم فوهب له المأمون ألف دينار فلقيناه بعد ذلك فاذا هو أعلم الناس بعلم النجوم ثم قال أبو معشر لو كنت حاضرا مكان القوم لقلت أشياء ذهبت عنهم كنت أقول الدعوى باطلة لان البرج منقلب والمشترى فى الوبال والقمر فى المحاق والكوكبان الناظران فى برج كذاب وهو العقرب

وقيل ان أحد الملوك فى زمن أبى معشر غضب على أمير من أعيان دولته وأراد الايقاع به فاختفى من وجهته وشدد الملك فى طلبه فلم يقف له على خبر فأمر أبا معشر أن يأخذ عليه الطالع ليعلم أين مكانه ففعل ثم قال يا مولاى رأيت عجبا وهو أنى رأيت المطلوب جالسا على جبل من ذهب بوسط بحر من دم محيط به سور من نحاس فكذبه الملك وأمره باعادة أخذ الطالع ففعل وكانت النتيجة عين الاولى فتعجب الملك من ذلك واشتاق لمعرفة الحقيقة وأعطاه الامان فحضر لديه وسأله عن مكانه مدة غيبته فقال يا مولاى لما اختفت من أبى معشر

أن يدل على ملأت طستا من نحاس بالدم وجعلت بوسطه هونا من ذهب وجلست عليه فتعجب الملك من حذاقته وعلو مكانة أبى معشر فى التنجيم

وهـذا العلم ليس من الحقيقة فى شئ حتى قال أحد مشاهير الفلكيين من الافرنج ان علم الفلك خلف والدا مجنونا لا يعتد به ومما يدل على فساد مبناه أن أحد الملوك أراد الخروج الى الصـيد فنهاه أحد المنجمين عن ذلك وأخبره أن الطالع منحوس وأنه يخشى على الملك من الخروج الى الجبال فى مثل هذه الايام الا اذا حل القمر بالقوس فتكدر الملك من ذلك واغتم وبينما المنجم يوسع له فى النصح ويحذره من الخروج واذا بغلام تركى وجيه المحيا وسيم الطلعة دخل عليه متقلدا بقوسه فقال له أحد الظرفاء من جلسائه يا مولاى قد حل القمر بالقوس فانهض لحاجتك فقام الملك من فوره الى الصـيد فغنم شيأ كثيرا وعاد سالما ولم يحل به نحس المنجم

أما كتاب الموتى فكان يصنع من الورق البردى ويوجد الآن على هيئة ملفات أو صحف بجوار الميت أو بين فخذيه وهو كثـير الوجود بأرض مصر وفى متاحف الممالك الاجنبية وهو كتاب مقدس عندهم ربما بلغ طوله الى ثلاثين قدما فأكثر ويختلف عرضه من قدم الى اثنين مكتوب به جملة فصول وأبواب تذكر سفر الروح بعـد فراقها جسم صاحبها وما تكابده من العقبات والمهالك والمخاوف مدة هـذا السفر الطويل حتى تتصل بعالم الارواح الطاهرة ان كانت أهلا لذلك والا فالسجن والعـقاب وغير ذلك مما هو مدون به وتارة يكون عليها كيفية تحنيط الاموات ونقلها الى المقابر أو استغاثات الى كل واحد من الاثنين وأربعين قاضيا المرسومين فى لوحة محكمة أوزيريس أو يكون عليها أجوبة لاسئلة مفروضة تقولها الروح لمن يسألها أو أدعيـة وطلب المغفرة وتمحيص الذنوب أو تزكية النفس وانها كانت راضية مرضـية وهاك انموذجين من ذلك الاول منهما (تقدست ياصاحب الحق والعدل تقدست ياعظيم ياصاحب الحق والعـدل قد أتيتك معترفا لك بكل خضوع انى ما اقترفت صغيرة ولا كبيرة فى جانب مخلوق وما أهنت الارامل ولا كذبت فى المحاكم ولا كلفت صانعا بشـغل أكثر من عمله اليومى ولا كنت كسلانا ولا متوانيا ولا خاليا من الشـغل فى الحياة الدنيا ولا ارتكبت المعاصى المنهى عنها ولا أجعت أحدا ولا أبكيت له عينا ولا قتلت مخلوقا ولا أمرت بفعـله ولا أخذت دثار الاموات

ولا اكتسبت من حرام ولا طففت المكيال والميزان ولا غيرت حدود الاطيان والمزارع ولا غششت أحدا فى كفة الميزان ولا طردت الحيوانات المقدسة عن مراعيها ولا اقتنصت الطيور المنهى عنها ولا حولت المياه عن مجاريها وانى طاهرة زكية زكية)

الثانى (نجنى من الفتانات ياحاكم فى يوم الفصل واسمح للميت بالقرب منك لانه ما عصاك ولا شهد بالباطل بل عاش فى الحق وأكل الحلال وأطعم الجائع وأروى الظمآن وكسى العارى وأعطى سفينة لمن أتعبه السفر وذبح القرابين وأخرج الصدقات عن الاموات فنجه من المهالك ولا تحكم عليه بالعذاب ياسيد الاموات لانه طاهر الفم واليد)

وكانوا يجعـلون مع كل ميت كتابا من ذلك ليصرف عنه السوء والمخاوف وأغلبها كانت تكتب بيد الميت قبـل وفاته أو بمعرفة أقاربه أو الكهنة وتارة كانت القسوس تبيعها للناس وجميعها مكتوب بالقلم العامى القديم

وكثير من هـذه الملفات عليـه نقوش وألوان محكمة الصـنعة نقل أغلبها الى بلاد الافرنج وزينوا به دار تحفهم ويوجد بتحف لوفر بفرانسا ملف لكاهن مصرى يدعى (بيوتق) كان قاضيا فى احدى المحاكم المصرية وهو مصور بثياب بيض جالس على كرسى بوسط حجرة مزينة بأحسن زينة يقدم القرابين الى معبوده اوزيريس وخلفه أمه واخته وأسـفل ذلك نصوص مأخوذة من كتاب الموتى بها أدعية تقال عـند الدفن وبعـد ذلك صورة الاحتفال وجثـة الكاهن المذكور محنطة موضوعة على نعش بوسـط سفينة محمولة على عربة يجرها أربع ثيران وأمه تمشى خلفه وشعرها مرسل على ظهرها وأكتافها بلا اعتناء وثيابها ملونة بالحداد تنوح على ابنها ثم امرأتان لابستان ثيابا حمرا احداهما فى صورة المعبودة نفتيس جالسـة عند رأسـه والاخرى فى صورة ايزيس جالسـة عند قدميه وبجوار العربة قسيس من الكهنة متشح بجلد النمر وباحدى يديه مجمرة وبالاخرى اناء الخمر ثم أربع رجال يقودون عربة عليها صندوق أسود على هيئة تابوت به القـدور الحافظـة لاحشائه المحنطة (وهذه القدور تعرف عند علماء الآثار باسم كانوب) والمعبود أنوبيس (ابن آوى أو الذئب) جالس على هذا الصندوق ثم نساء من أهل الميت وأقاربه يمشين خلفه مرخيات الشعور قد سخمن ثيابهن ووجوههن بالطين والرماد ينحن عليه ويندبنه وهيئة أذرعتهن تشير الى ذلك ثم تلوا الجميع رجال من أقاربه وأحبابه عليهم شـعار الحزن أيضا وفى يد كل

واحدهراوة طويلة وترى فى رسم آخر بجوارهذا كأن النعش وصل الى قبرمفتوح وأمه واقفة بازائه تودعه آخر وداع له وفوق رأسه كاهن اوزيريس السالف ذكره يتمم واجب وظيفته ولله در المصور الذى أمكنه اظهار داخل هـذا القبر بالرسم حيث جعـل به سلما يفضى الى فسحة صغيرة منقوش بابها باللون الاصفر وبها محراب وكرسى بساند وباب آخر يفضى الى رواق يتصـل برحبة كبيرة بها مصطبة عليها جثة المتوفى ثم سرداب مواز لهذه الرحبـة به قدور الاحشاء والصدقات التى قدمت له بعد الموت وفى جهة أخرى من الورق قد رسم به صورة الميت بثياب بيض قائما يعبد معبوداته ثم صور المعبودات التى تحضر وقت التحنيط وتحت كل واحد كتابة تنبئ عن وظيفته ثم صورة الميت قائمة تعبد اوزيريس وخلفه المعبود أنوبيس وكأن الميت قد حضر الى المحكمة أمام الاثنين وأربعين قاضيا وهو يبتهل اليهم وتراه بعد ذلك واقفا أمام أوزيريس يضرع اليه وبجواره ميزان الحق وباحدى كفتيه ريشة العدل التى يوزن بها القلب وبازائه كلب جهنم أوملك العذاب ثم تراه بعـد ذلك مصورا قد صار مع الابرار فى أعلى عليـين حيث سفينة الشمس وقد جلس فى سفينة تسبح فى السماء بالشراع وبجواره زوجته

أما السحر وعمل الطلاسم فكانا مستوطنين بمصر من قديم الزمان وذكر المؤرخ تاسيت الرومانى كثيرا من العجائب السحرية التى كانت تحدث بمدينة الاسكندرية مدة اقامة الامبراطور (وسبازيان) بها وكذا العجائب والاستدراجات التى كانت تظهر على يد هذا الامبراطور بها حيث قال انه كان يبرئ الاعمى ويقيم السطيح وكان (أرنوفيس) الساحر يستخدم الشياطين ويشير الى السماء فتمطر وقال (أوريجين) الساحر الاسكندرى تعلمت من كهنة مصر بعض كلمات مصرية استخدمت بها الشياطين وبعض كلمات فارسية أطعت بها كل عات من المردة وهذه الكلمات لا يعرفها الا العلماء وقال القديس (جيروم) ان أحد العذارى أصابها مس من الشيطان وكان يعشقها شاب بمدينة غزة فلما حضرت ذات يوم الى منزله استهوتها المردة فغارت فى الارض تحت عتبة المنزل ولم يقف لها أحد على خبر الى أن جاء (هيلاريون) الساحر وكتب عزيمة على صفيحة من المعدن كان تلقنها من قسس مدينة منفيس وبعد أن عزم ظهرت الشابة على وجه الارض

وكان استعمل عمـل السحر بمصر مدة موسى عليـه السلام وذكر المؤرخون أنهم سحروا

الحبال والعصى وقلبوها الى حيات وكانوا قبـل ذلك يقلدون كل معجزة ظهرت على يده عليه السـلام فانه لما ضرب النيل بعصاه وصار دما صنعوا مثله ولما دعا بالضفادع وخرجت من النهر صنعوا أيضا مثله لكنهم عجزوا عن أن يخرجوا من التراب بعوضا كما فعل وقد وجد على بعض الآثار اسم الطلسم مكتوب باللغـة القـديمة فى حكاية أخت زوجة رمسيس وكان أصابها مس من الجن وهى حكاية نفيسـة راجعها فى كتاب توفيق الجليل وفى مقدمة ابن خلدون ما ملخصه وفى المغرب صـنف من هؤلاء المنتحلين لهـذه الاعمـال السحرية يعرفون بالبعاجين فيشيرون الى الكساء أو الجلد فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لان أكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم مستترون بذلك فى الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هـذه وأخبرونى أن لهم وجهة ورياضـة خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب الى آخر ما قال راجع ذلك فى الفصل الثانى والعشرين من الكتاب المذكور

وفى الخطط الجديدة أنه كان فى هذه المدينة (يعنى مدينة قوص) قوم لهم معرفة تامة بصيد الثعابين والحيات والعقارب بواسـطة عزائم وأقسام سحرية يقرؤنها عليها ويسلطونها على من يشاؤن فتتبعه بكل جهد ولا ترجع عنه الا اذا أمرت بالرجوع ويؤيد ذلك ما حكاه المقريزى عن الامير (تكباى) حاكم قوص فى زمن السلطان محمد بن قلاوون أنه أوقف ذات مرة ساحرة أو حاوية وأمرها أن تريه شيأ من عجيب صناعتها فأخبرته أن سرها الاكبر أن تسحر العقارب وتحركها لمن شاءت فاذا سمت لها شخصا ذهبت اليـه ولا تتعداه فتلدغه وتهلكه فقال لها أرنى ذلك وأرجوك أن تجربى فى فأتت بعقرب وتلت عزائمها عليها ثم أطلقتها فانطلقت وراءه وهو يروغ منها بجهات شتى حتى كادت تلدغه فهرب منها وجلس على كرسى وسـط حوض مملوء بالماء فوقفت على حافتـه تراود نفسها فى خوضـه ثم جرت على الحائط ومشت بالسقف حتى صارت موازية لرأسه ثم رمت بنفسها فسقطت بالقرب منه وقصدته فبادر اليها بضربة فقتلها ثم أمر بقتل تلك المرأة

وبالجملة فان أمر العزائم السحرية المستخدمة للثعابين والعـقارب كان من قديم الزمان فى أرض افريقية وفى بعض تراجم التوراة أن ثعبانا أصم مفقود السمع لا تؤثر فيه العزيمة

يدل على قدم هذا الفن وقال فى موضع آخر ومن أعجب ما رأى ويسمع أن الحواة يجلبون الثعابين بأنغام الآلات قال الناقل انه حضر عندى (أى ببلاد الهند) ذات يوم أحد الحواة وأخبرنى أن فى منزلى ثعابين وطلب الاذن فى اخراجها فاذنت له بعد أن جردته من ثيابه وفتشت سلته فلم أجد فيها غير عقرب كبير أسود قدر الكف ففى الحال أخذ زمارته وهى عبارة عن جوزتين من جوز الهند فى رأسها ماسورتان وفى أسفلها كذلك وزعق بها زعقة مهولة توقف شعر الرأس وكنت بقربه أنظر اليه لا أفارقه ومعنا كثير من أهل البيت والجيران فلما وصلنا الى ركن الجنينة غير نغمة الزمارة بنغمات متتالية نحو خمس دقائق واذا هو يشير الى شئ أرانا اياه ثم طاطا ومسكه بيده فاذا هو حية من أشنع الحيات ذات السم القاتل طولها نحو قدمين ونصف وفى حال مسكها قرصته قرصة أسالت الدم من أصبعه من دون أن يلتفت الى ذلك ووضعها تحت شجرة وجعل يزمر كالاول ثم مسك حية أخرى لكنها ليست فى السم كالاولى وبعد أن وضعها فى السلة أخرج جذر النجا وعرك به محل القرصة وقد نظرت الى الجذر وأمعنت النظر منه (أقول هذا الجذر لا يوجد الا ببلاد الهند وهو نافع لقرص الثعابين ولا يعرفه الا حواة تلك البلاد) وفى تلك اللحظة قيل لنا ان فى شق تحت شجرة ثعبانا لم يمكن أحدا الى الآن أن يقرب منه فذهبنا مع الحاوى الى الشق فأخذ يزمر زمنا ثم أدخل يده فى الشق فأخرج حية طولها نحو خمسة أقدام ونصف وقد قرصته فى قبضة يده ورأينا محل القرصة بجراحة تشبه قطع السكين والدم يسيل منه والحية لم تهجع بل كانت تعنفه بقوة وشدة وتحاول قرصه مرة أخرى فرمى بها الى الارض فرفعت رأسها وهجمت عليه فمسكها من رأسها وثبتها فى الارض بعصى معه وفتح فاها بخشبة وأرانا أسنانها ثم قلعها ورماها فصارت بلا أسنان ثم أخذ يزمر وأخذت الحية ترقص على النغمات وتمايل يمينا وشمالا وترتفع بصدرها وتهبط الى الارض فاذا مشى تبعته واذا التفت التفتت فكانت كأنما الحاوى طلسم عليها وقد كمل للحاوى فى زمن قليل من الجنينة والمنزل ست حيات وقد حصل له فى نحو ساعة جملة قرصات استعمل فيها الدلك بجذر النجا ولم يحصل له أدنى ضرر والى الآن لم يصر وقوف أهل العلم على خواص هذه الجذور (راجع ذلك فى الجزء الرابع عشر نمرة ١٣٣)

والظاهر أن الحواة يقلدون بصفيرهم أصوات الثعابين فيصفرون للانثى بصوت غليظ يشبه

صوت الذكر وللذكر بصوت رفيع يشبه صوت الانثى فيخرجان للسفاد فيقبض عليهما بهذه الحيلة

وقال شمبليون فيجاك اشتهر حواة المصريين من قديم الزمان بمسك الثعابين والافاعى من المنازل كما تصطاد الناس الفيران والجرذ بدون حذر فيمسكونها من الفراش وغيره ويقال ان سمها لا يؤثر فى جسمهم ماداموا من نسل هذه الطائفة اه

وقرأت فى بعض كتب الجغرافية الطبيعية أن بجزيرة سيلان (سرنديب) نوعا من أخبث الثعابين لا يدنو منه أحد الا أتلفه فى الحال يعرف باسم أبى نظارة لوجود صفرة بعينيه تشبه النظارة يقصده حواة الهند لصيده ومتى دنت منه وثب عليها فترمى فى وجهه مسحوق عرق النجا فيقع فى الحال مغشيا عليه فيأخذونه وهذه الجذور لا يخرجونها الغير طائفتهم ولو بذل لهم الانسان فيها ما بذل وتارة يبيعونها مغشوشة بأغلى الاثمان ضنا بها ويوجد ببلاد الهند نوع من الثعابين كالنخلة يدعى البوا يلتف على الثور العظيم فيكسر أضلاعه ثم يلعقه بلسانه فيفرز عليه مادة غروية ثم يبلعه مع أن غزال المسك الضئيل يقتله بظلفه (حافره) لانه متى دنا منه وثب الغزال عليه وضربه على رأسه فيفلقها لخاصية فيه وأخبرنى بعض أمراء الانكليز وكان حاكما بالهند أنه ركب ذات يوم على فيل وخرج يتريض بالجبل مع أحد رفقائه فنظرا على بعد شيأ متدليا من فرع شجرة ولما دنيا منه وجداه ثعبانا مغشيا عليه لا يبدى حراكا فأطلق أحدهما عليه الرصاص فأصاب رأسه ووقع على الارض ميتا وله بطن كبيرة ففتحها واذا بها قرد لم يتغير منه شئ كان اصطاده من الشجرة وبلعه والله أعلم

الفصـــــل العاشر

(الرحلة العليـــة فى باقى وصف معبد الكرنك)

ثم نعود الى المعبد ونمر بين البرجين المرموز لهما بحرف (د) وهناك نرى برج أمنحتب الثالث (أمونوفيس الثالث من العائلة الثامنة عشرة) وهو المعروف بنمرة ٣ وكان هذا البرج وجهة المعبد قبل بناء رحبة الاعمدة والذى قرره علماء الآثار أن البرج نمرة ١ ينسب لدولة البطالسة ونمرة ٢ لرمسيس الاول ونمرة ٣ لامنحتب الثالث ولم يبق من هذا الاخير الا اطلال أتت عليها الايام وجميع بقايا نصوصه الكائنة على الجهة الجنوبية

الشرقية تفيد أنها كانت جدولا كتبه هذا الملك لحصر جميع ما سلبه فى حربه من أهل آسيا ووهبه الى معبد أمون بمدينة طيبة (يعنى هــذا المعبد) وأعده لترصيع المحل الاقدس منه وذلك عقب رجوعه سالما من تلك الجهة وكان شيأ كثيرا ما بين أحجار كريمة نادرة الوجود ومعادن نفيسة

أما البرج المبين بنمرة ٤ فمن بناء تحوتمس الاول (طوطوميس الاول من العائلة المذكورة) وقد أخنت عليــه الايام بحيث لا يكاد يعرف له أثر الآن كما أن البــاب الذى قبله من بناء تحوتمس الرابع ثم صار اصلاحه أيام الملك سبا كون (من العائلة الخامســة والعشرين الســودانيــة) وكان أمام هــذا البرج مسلتان وقعت احداهما ويرى على كل وجه من القائمة ثلاثة أنهار من الكتابة النهر الاول منها يشتمل على أسماء وألقاب الملك طوطوميس الاول أما النهران اللذان بجواره فعليهمــا اسم الملك رمسيس الســادس ويظهر من حال الكتابة أنه تلاعب باسم رمسيس الرابع وكتب اسمه بدله فى خاتمه الملوكية وكان هو أيضا كتب اسمــه بلا وجه حق على هــذا الاثر أما المسلة المكسورة فيرى على بعض قطعها المتفرقة اسم الملك طوطوميس الثالث

فاذا فرغنا من هذا المكان يممنا فسحة الاربعة عشر عمودا المرموز لها بحرف (ف) وينسب بناؤها وبناء الابراج المحيطة بها من الشرق والغرب الى الملك طوطوميس الاول وهنالك أقامت بنته الملكة حعتشبسو (حتزو) مسلتين عظيمتين قد خرت احداهما وتكسرت وبقيت الاخرى قائمــة وتعرف بمسلة حتزو وهى أكبر مسلة وجدت الى الآن على وجه الارض لان مسلة المطرية لا يزيد طولها عن ٢٠,٢٢ ومسلة الاقصر الموجودة الآن بمدينــة باريس تبلغ ٢٢,٨٠ ومسلة مارى بطرس برومه ٢٥,١٣ ومسلة مارى حنا برومه أيضا ٣٢,١٥ ومسلة حتزو تبلغ ٣٣,٢٠ وجميع الســائحين الذين يأتون الى هذا المكان يتعجبون من حسن وضــعها على قاعدتها وهندام شكلها كما أن محورها ينطبق على محور المعبد نفســه ويستفاد من دقة صنعتها ووضعها على نصابها أنهم كانوا يستعملون وسائط ميكانيكية ولهم أعظم يد فى الهندســة وصبر على مباشرة الاعمال الجسيمة كما كان لهم قدرة على عمل أحسن الاشياء وأدقها وقد اشتهرت هذه الملكة بالغزو وتجشم المشاق كالطوطوميسيين والامونوفيسيين ملوك العائلة الثامنة عشرة الذين هم كنبراس فى تاج

التواريخ المصرية وكان حكمها قبل الميلاد بنحو ١٦٦٠ سنــة أما ما عليها من الكتابة فألقاب ملوكية وعناوين فرعونية ومدح للملكة المذكورة وفى أسفلها سطر أفقى يدور حول أربع جهاتها يعلم منه أولا أن قمتها أى رأسها الهرمية الشكل كانت مغشاة بالذهب الخالص الذى غنمته من حرب الاعداء ثانيا أن جميع المسلة المذكورة كان مطليا بالذهب وبامعان النظر يظهر أن قاع كتابتها أملس وفى سطحها حرشة وخشونة أو تضاريس يعلم منها أنه كان مدهونا بالخافق الابيض المبطن للطلية الذهبية ثالثا أنها صنعت هى وزميلتها فى مدة سبعة أشهر من ابتداء تفصيلهما فى الجبل لغاية نصبهما فى مكانهما أما التماثيل الملتصقة بالكرانيش فهى صورة طوطوميس الاول مصنوعة على هيئة المعبود أوزيريس بمعنى أنه ملك العصر الرحيم بالناس وكانت مرتكزة على برج نمرة ٥ وهدمت

ثم نصــل الى فسحة الثمانية عشر عمودا المرموز لها بحرف (ع) وهى من بناء طوطوميس الاول أيضا واسمه مكتوب على العمودين الكثيرى الاضلاع المتصلين بالبناء على يمين الداخل ويساره وقد تم بناؤها مدة ابنه طوطوميس الثالث وليس بها كبير فائدة

ثم نستقبل قسما من المعبد رمزنا الاماكنه باحرف (ط ص ص ر ش ض) ومركزه فسحة (ر) وهى أى الفسحة من بناء طوطوميس الثالث وقد جددها فيلبس أرتيدا (أخو الاسكندر وتقدم ذكره) ولذا لا يوجد بها غير اسمه أما فسحة (ط) فبها البرج نمرة ٦ الذى هو أصغر جميع أبراج المعبــد وآخرها وهو أصغر من البرج نمرة ٥ الذى هو أصغر من البرج نمرة ٤ وأكبرها البرج نمرة ١ وكان لجميعها أبواب تفضى الى الخارج ويرى على الوجه الغربى من البرج نمرة ٦ صورة جم غفير من الاسارى المقرنين فى الحبال والاشطان وأيديهم موثوقة من خلفهم وهم منقسمون الى طائفتين كل واحدة مائة وخمسة عشر أسيرا وفى عنق كل واحد مجن أو ترس على شكل قطع ناقص مكتوب بالقلم القديم أما الطائفة الاولى التى على اليمين فرمز على مائة وخمسة عشر اقليما استولى عليها طوطوميس الثالث فى احدى غزواته جهة الجنوب ببلاد السودان وهى تنقسم الى ثلاثة أقسام أولها بلاد الكوش السافلة الدنيئة أو بلاد أثيوبيا وبها ثلاثة وأربعون اسما القسم الثانى بلاد البون (وقال ماريت هى بلاد السومال وقال مسبرو هى بلاد اليمن) وبه ثلاثة وأربعون اسما جغرافيا القسم الثالث بلاد ليبيا

أما الفرقة الثانية التي جهة اليسار فرمز على مائة وخمسة عشر اقليما استولى عليها المذكور فى احدى غزواته جهة الشمال وفى السطر الافقى من أعلى عبارات عامة وترجمتها (جدول بلاد الروتنو العالية التى حصرها جلالته (طوطوميس الثالث) فى مدينة مجدا الحقيرة وأتى جلالته بأولادها أسارى وهم أحياء الى قلعة شوهن بطيبة فى أول غزوته المنصورة وذلك بناء عن أمر أبيه أمون الذى أرشده الى أحسن الطرق) وكانت هذه الغزوة هى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من وقائعه الحربية بعد جلوسه على منصة الحكم أما البلاد التى عرفت على الآثار باسم بلاد الروتنو العالية فنها (نمرة ١ كدش المعروفة باسم قدوس بقرب حمص) (نمرة ٢ مجدو المعروفة باسم مجدله) (نمرة ٦ بيت تبوات) (نمرة ٩ يوتا) (نمرة ١٣ دماس المعروفة باسم دمشق) (نمرة ١٩ بيروت) الخ وأغلبها واقع ما بين البحر الابيض المتوسط ونهر الاردن أو الشريعة وهى عبارة عن جميع أرض كنعان الشهيرة فى الازمان السالفة بما فيها بلاد فينيقيا فبناء على ذلك تكون المائة وخمسة عشر اسما عبارة عن خرطة جغرافية للارض الموعودة قبل خروج بنى اسرائيل من مصر بنحو مائتين وستين سنة وقبل وقوعها فى يد يوشع بن نون عليه السلام بنحو ثلثمائة سنة

فاذا جاوز الانسان هذا البرج والتفت على يساره رأى أمامه بقايا أسطر من نصوص طويلة تبتدئ من أول الحائط وقد هدم الناس بعضها لاغراضهم الذاتية مع أن هذه الكتابة من أنفس النصوص التى وجدت على معبد الكرنك لانها تقص بوجه الايجاز جميع الغزوات التى باشرها طوطوميس المذكور من ابتداء السنة الثانية والعشرين من حكمه الى السنة الاربعين منها ومذكور بها أربع عشرة تجريدة حربية ونرى الكاتب استعمل الدقة فى بيان الغنائم التى اكتسبها الملك من الاعداء والجزية التى ضربها عليهم ثم أخذ يسرد عدد الاسارى والخيل والمواشى وسن الفيل والابنوس والاخشاب النفيسة والاحجار الكريمة والعربات الحربية والاسلحة وأثاثات المنزل والادوات المنزلية والحبوب والخمر والعسل والروائح العطرية التى ارسلت الى مدينة طيبة

وقد نسب تاسيت المؤرخ جميع هذه الغنائم الى رمسيس الاكبر من باب السهو والغلط وقد تلقفها من أفواه القسس فيها أو سهوا عن اسم الملك صاحبها

وقال بعض علماء الآثار ان نقطة (د) هى المحل الاقدس للمعبد وليس الامر كذلك

لان المحل الاقدس كان بوسط الحوش المشار اليه بحرف (ذ) مبنى بحجر البلاط قبل طوطوميس وغيره بعدة قرون اذ يصعد تاريخ بنائه الى زمن أوزرتسن الاول من العائلة الثانية عشرة ولا شك فى أن شهرة هذا المكان وأقدميته وزخرفته بأنواع الزينة جلبت له الويل وجرت عليه ذيل الوبال عند ما دخل المتغلبون على مصر فى هذه المدينة وجاسوا خلال ديارها وهم شاهرو السلاح فهدموه عن آخره وجعلوا عاليه سافله وهناك ترى عمودين أو ثلاثة مكتوبا عليها اسم أوزرتسن الاول وترى فيما يلى الشرق من هذا الحوش رواقا أو مجازا بيناه بحرف (غ) ينسب بناؤه الى طوطوميس الثالث وبه كثير من الحجرات والقاعات التى كانت معدة للعبادة وحفظ الاشياء المقدسة اللازمة لاشهار المواسم الدينية أو لحفظ الادوات الضرورية للصناعة ولتقديم القرابين وكلها فى آخر المعبد جهة الشرق وكان الزفاف يمر بهذا المجاز الى الحوش ونرى فى القاعة المبينة بحرف (ظ) تبليطة عليها صورة إله المواشى وإله الازهار اللذين كانا معظمين عند أمة الروتنو العليا وأمة أخرى كانت تسكن اقليما يدعى (تانتر) أى الارض المقدسة وقال ماريت باشا هذه الارض غير معلومة الآن ويمكن أن تكون فى نهاية شبه جزيرة العرب جهة الجنوب أو على الخليج الفارسى وليس لصورة هذين المعبودين شبيه فى باقى المعابد المصرية وكان بين أساطين هذا الرواق تمثالان من حجر الجرانيت الوردى وقد نقلا الى المتحف المصرى

ثم نجد على اليمين حجرة صغيرة أشرنا اليها بحرف (ث) وعليها اسم الاسكندر الثانى ابن اسكندر الاكبر الذى تولى الملك وهو طفل بعد موت أبيه وقتل فى حداثة سنه وما بها من النقوش يدل على أنها كانت هدمت وتجددت فى أيام هذا الملك القاصر وكان هناك حجرة أخرى رمزنا لمكانها بحرف (ع) سبق فكها وحملها الى بلاد فرنسا وتعرف باسم رواق الاسلاف وقد تقدم ذكرها والى هنا جف المداد عن وصف معبد الكرنك بوجه الاختصار

(لمحة على أطلال هذا المعبد وما حوله من الخراب)

قد يرى الزائرون حول هذا المعبد آثارا متكومة ومبانى متهدمة تدهش العقول وتأخذ بمجامع القلوب وتحير الالباب وقد نسبها بعضهم الى فعل الزلازل وانما هى التى أخوت هؤلاء الشواهق الى الارض وقال آخرون بل هذا هو أثر ما فعله بطليموس لاطيروس عند ما وقعت هذه المدينة فى قبضة جبروته بعد حصارها ثلاثة أشهر وقال آخرون بل نشأ هذا

من عدم تمكين البناء وتوطيد أساسه ونسبه غيرهم الى فعل النيل ورشحه السنوى ودخول الاملاح فى مسام أحجاره وأساسه فتحللت وذابت وانقضت على بعضها وهذا هو الارجح فان دكة أرض المعبد الاكبر منخفضة عن سطح ماء النيل وقت شدة فيضه بنحو ١٫٩٠ متر وفى سنة ٩٢ رأيت رشح الماء قد عم أرضه وعلا عليها نحو متر ولونه أصفر داكن مشحون بالاملاح والقلويات وهكذا فى كل سنة حتى تآكلت أحجاره ووهنت دعائمه وبليت محاسنه واختل تركيبه وتساقطت أحجاره وانقضت جدره وتزعزعت أركانه وخرت أساطينه التى طالما قاومت يد الدهر وصبرت على حر الزمان وتقلب الملوان ورأيت بعضها وقد ذابت قواعدها ولم يبق منها غير نحو الربع وصارت تلك العمد الهائلة كأنها معلقة فى الفراغ على غير أساس حتى كنت أخشى أن أمر بجوارها ورأيت بعضها وقد ارتكز على غيره فأماله معه فعلمت أنه انصدم فيه عند وقوعه فاختل منه مركز ثقله ورأيت كثيرا منها قد هوى الى الارض ولابد أن يتم خراب هذا المعبد فى أمد قريب وقد طالت حسرتى على ما حصل لرحبة الاعمدة التى به كما حصل لباقى حيشانه والله يرث الارض ومن عليها واليه المصير

والى هنا انتهى وصف المعبد الاكبر المرسوم فى اللوحة الثانية

ثم نتوجه الى الشمال ونخترق هذا الخراب ونمر ما بين برجى نمرة ٣ و ٤ فنرى أمامنا محرابين صغيرين على يسار الطريق وهما من مدة العائلة السادسة والعشرين وليس فى رؤيتهما كبير فائدة للزائرين أما المعبد المرتكز على سور المعبد الاكبر المرموز له بحرف (ز) من رسم اللوحة الاولى فهو من بناء طوطوميس الثالث وزاد فيه سبا كون الاتيوبى وبعض ملوك البطالسة مبانى أخرى ونرى فى الجهة الخلفية من هذا السور ستة معابد صغيرة منهدمة وهى المشار اليها بأحرف (أ ب ج د هـ و) وأبوابها مصنوعة فى السور نفسه ومدة بنائها محصورة ما بين العائلة الثانية والعشرين والسادسة والعشرين أما المعبد الواقع جهة الشمال الشرقى منها المرموز له بأحرف (ع ط ى) فمن بناء أمونوفيس الثالث وقد بناه لثالوث مدينة طيبة وقد تقدم ذلك وغيرت البطالسة وضع الجهة المرموز لها منه بحرف (ع) حسبما يقتضيه ذوق وقتهم وكذا غيروا رحبة الاعمدة التى كانت به كما غيروا وجهة الباب الشمالى وكان رمسيس الاكبر أقام على هذا الباب مسلتين من

بحر الجرانيت ولم يبق منهما الآن هناك غير أحجارهما المطروحة على الارض أما المعبد نفسه فقد درسته نوازل الايام وبلغ خرابه نهاية التمام وليس به الآن غير بابه الواقع فى الزاوية الجنوبية الغربية وبعض جدر لا يكاد يتجاوز ارتفاعه مترا فاذا علمنا ذلك عدنا الى الجنوب وقصدنا البحيرة المشار اليها بحرف (ع) وهى التى كانت تسير فيها السفن المقدسة مدة المهرجان وسبق الكلام عليها عند ذكر معبد الكرنك ودندرة وهى أى البحيرة من عمل طوطوميس لانه وجد فى بعض النصوص ما يفيد أنه حضر بنفسه فى أول يوم من حفرها وقد علم الآن أنها كانت تمتلئ من رشح النيل وما كان لمياهها مصدر غيره أما الاربعة أبراج المشار اليها بنمرة ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ فقد سرى اليها الدمار أيضا وجميعها واقع على الطريق الواصل من المعبد الاكبر الى معبد المعبودة موت المشار اليه بحرف (ن) وقال ماريت باشا ان انحراف محورها عقدة لم يتيسر الى الآن حلها وقال داريسى أمين المتحف المصرى فى معبد الاقصر ان انحراف محوره كان سببا لاعتدال الطريق الواصل منه الى معبد الكرنك ولعل هذا مثله والذى بنى البرجين المشار اليهما بنمرة ٩ و ١٠ هو الملك هوروس (هورمحب) كما أن البانى للبرج نمرة ٨ هى الملكة حتزو أما برج نمرة ٧ فمن بناء طوطوميس الثالث ولكل من رمسيس الاول ورمسيس الثانى والرابع والسادس بناء فى هذه الابراج وكان على أبوابها تماثيل هائلة مزينة بها وتهشمت وما بقى منها صار فى حالة يرثى لها من التلف ولرمسيس الاكبر تمثالان من حجر جيرى منصوبان أمام الوجهة الشمالية من البرج نمرة ١٠ وكان أمام الوجهة الجنوبية من البرج نمرة ٨ ستة من هذه التماثيل الهائلة أما التماثيل التى جهة الغرب فلم تزل ظاهرة والاول منها صورة طوطوميس الثانى وهو جالس على كرسيه والثانى منها صورة أمونوفيس الاول وقد سبق الكلام عليه ويرى على قاعدة التمثال الثالث اسم الملك طوطوميس الثالث

ويوجد بين البرجين نمرة ٩ و ١٠ معبد صغير بوسط حائط السور وهو المرموز له بحرف (م) وله بناء خاص به ولا يعلم الى الآن الغرض منه وتاريخ بنائه يصعد الى زمن أمونوفيس الثانى وبه مركز دينى كانت الكهنة تقف عنده وقت الزفاف وتتلو مدائحهم وقصائدهم

ثم نتوجه الى معبد موت المشار اليه بحرف (ن) وهو فى آخر خراب الكرنك من جهة الجنوب وقد تم خرابه وكلما شاهد علماء الآثار ما آل اليه أمره من الدمار وعلموا أنه كان

معبداً قائماً بذاته تام المنافع الدينية من سور وأبراج وتماثيل وأصنام أبى الهول ومحاريب وبحيرة كلما اشتد أسفهم على ما أصابه من الدمار والذى أسسه هو الملك أمونوفيس الثالث وجعله فى آخر الهيا كل التى بالكرنك من جهة الجنوب كما أنه شيد معبد أمون وجعله فى آخر هؤلاء الهيا كل من جهة الشمال وكان به أى بمعبد موت كثير من الاصنام الجالسة بجوار بعضها صفوفاً بحيث ان أذرعتها تكاد أن تتماس وهى على شكل انسان برأس أسد وكلها مصنوعة من حجر الجرانيت الاسود وحجمها واحد تقريبا ويقال انه كان بهذا المعبد خمسمائة صنم من هذا النوع انتهى ملخصا من كتاب ماريت باشا و بيدبكر وغيرهما من علماء الآثار

الدرس الثامن عشر

(فى أقدمية القلم المصرى واشتقاق جميع الاقلام منه وتاريخ الخط العربى وفائدته)

قد أكثر العلماء قديما وحديثا من البحث عن أقدمية الاقلام وهل اشتقت من بعضها أم تواردت بها الافكار عند جميع الامم القديمة وقال صاحب العقد الفريد فى الجزء الثانى روى عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن ادريس أول من خط بالقلم بعد آدم عليهما السلام اه وقال بعض المؤرخين ان أصل جميع الاقلام هو القلم الفينيقى أى السورى لان قدموس السورى هو أول من أدخل الكتابة عند قدماء اليونان وقال آخرون بل الذى أدخلها عندهم هو بلاميد السورى وعلى كل حال فمن أين أتى لاهل سور هذه الاحرف وهل هى من معقولهم أم من منقولهم فان قالوا من معقولهم كلفناهم بالدليل وان قالوا من منقولهم قلنا من أين ومتى وخلاصة القول أن هذا المبحث عثرة فى طريق العلماء وفيه طال جدالهم وتشعبت أقوالهم وتضاربت آراؤهم وتفرقت مذاهبهم وتعارضت فيه الادلة فسقط المعلول بسقوط العلة حتى ان بروكش باشا أنكر كلية وجود قدموس قائلا ان هذا الاسم لم يكن له مسمى قط من بنى آدم وقال انه لا يعلم لهذا الآن من أدخل الاحرف الابجدية فى بلاد اليونان أما لفظة قدموس فأتت من لفظة قم التى هى علم على بلاد المشرق أى مصر وملحقاتها ولما حصلت المخالطة بين بلاد المشرق واليونان انتقلت اليهم الاحرف الابجدية فتعلموها وصاحوا قائلين قد أتى قم الينا وأدخل عندنا أحرف الكتابة يريدون بهذا الاسم منفعة بلاد المشرق لا المشرق نفسه فيكون من باب اطلاق المحل وارادة الحال فيه وهى الكتابة أو المنفعة ثم بتوالى الايام حرفوه ثانيا وأضافوا له حرف السين جريا على عادتهم فصارت قوس ثم أبدلوا أحد المتجانسين بحرف الدال تسهيلا للنطق وقالوا قدموس أدخل عندنا أحرف الكتابة والمراد بذلك بلاد المشرق وهى مصر وملحقاتها أما متأخرو الافرنج فقد اتفقوا على أن المصريين هم أول من خط بالقلم بدليل ما وجد من النقوش البربائية مدة العائلة الرابعة أى زمن بناء الاهرام حيث كانت جميع الامم غارقة فى بحر الجهالة هائمة فى أودية الخشونة ولم يكن لسوريا ولا لغيرها من البلاد اسم يذكر ولا خبر يؤثر وبقى القلم محصورا فى القطر المصرى مستعملا بين الكهنة وغيرهم

الى آخر العائلة الرابعة عشرة أى الى زمن الخليل ابراهيم عليه السلام وقد قالت الكهنة انهم تعلموه من هرمس أى ادريس عليه السلام وهو مطابق للحديث الشريف (راجع الدرس الماضى وما قالوه فى هرمس) وبقى المصريون منفردين بمعرفته مدة ألف وثمانمائة سنة أعنى الى مدة اغارة الرعاة عليها وكانوا أخلاطا من همج الناس كما علمت فتعلموا الكتابة واختارت طائفة منهم الاحرف الابجدية فقط أخذوها من القلم الدارج المصرى وتركوا جميع صور المقاطع الصوتية لصعوبتها فى الرسم ولما أجلاهم المصريون عنها سكنت تلك الطائفة ببلاد فينيقيا فعلموها لمن كان بها قبلهم بعدما نقحوها على حسب ما تقتضيه لغتهم والدليل على ذلك شدة المشابهة بين الطريقتين أى بين القلم الدارج المصرى والقلم الفينيقى أو السورى القديم كما ستراه مبينا فى جدول الاحرف الآتى وبتداولها فى تلك البلاد انتقلت الى باقى الكنعانيين فهذبوها حسب لغتهم بالاضافة أو الحذف والتغيير فى بعض الاحرف بدليل شدة المشابهة بين الطريقتين أيضا واشتق منها الخط الارامى والتدمرى (نسبة الى مدينة تدمر) ثم الخط العبرى ولما كان السوريون أو الصيداويون أصحاب تجارة واسعة يزاولون السفر و يترددون على جميع البلاد والممالك ولهم فى جميعها مراكز تجارية عظيمة احتاجوا لاستخدام عمال من كل جنس لضبط تجارتهم وادارة الاعمال فاضطروا رغما عنهم لتعليمها فانتقلت بواسطتهم الى جميع الآفاق وتقحها كل أمة حسب ما تقتضيه لغتها حتى صارت الكتابة عامة فى جميع الممالك المعروفة قديما أعنى انها انتشرت ما بين بلاد الهند والمغول الى بلاد فرنسا واسبانيا (الاندلس) وهذا القول هو المعتمد عند علماء الآثار الآن والذى حملهم على الاذعان اليه والقول به عدم وجودهم خطا قديما فى غير مصر قبل دخول عرب العمالقة بها

أما الخط العربى وبالاخص الكوفى فقد اشتق من القلم البربانى نفسه بدون واسطة الكنعانيين أو الفينيقيين وقد زادوا فيه ما يلزم وحذفوا منه ما يستغنى عنه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن أول من وضع الكتابة العربية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أقول وهذا مطابق لاول حكم العمالقة بمصر سيما وانه كان لاهل آسيا مواصلة معهم خصوصا بلاد العرب وعن عمر بن شبة بأسانيده أن أول من وضع الخط العربى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وهم قوم من الجبلة الآخرة وكانوا نزولا مع

عدنان بن أدد وهم من طسم وجديس وانهم وضعوا الاحرف على أسمائهم فلما وجدوا حروفا فى الالفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف وهى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين وفى القاموس فى حرف بجد وأبجد الى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكوا يوم الظلة(١) فقالت ابنة كلمن

كلمن هــدم ركنى * هلكه وســط المحله
سـيد القوم أتاه الـ * ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهـــم * دارهـــم كالمضمحله

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها بالروادف اهـ

أقول والذى يظهر لى أن هذا القول مشكوك فى صحته بمعنى أنه لم يكن هناك رجال من طسم وجديس اسمهم أبجد وهوز وحطى وكلمن الخ وضعوا هذه الاحرف العربية جمعوها من أسمائهم وسوف نأتى بالدليل بعد مقارنة الاحرف ببعضها فى الجدول الآتى أعنى فى آخر هذا الدرس وغاية ما يقال ان الواضع لها قوم من حمير أو ممن كان قبلهم ببلاد اليمن أو عرب العمالقة نفسهم حينما كانوا بأرض مصر نقلوها من القلم البربانى واستعملوها فى بلاد اليمن قبل انتشارها فى باقى الممالك بمدة طويلة بدليل قوله تعالى حكاية عن بلقيس ملكة سبا ببلاد اليمن قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم أى مختوم وهذا يوافق آخر الدولة المتممة للعشرين وكان الخط اذ ذاك حميريا وهو المعروف بالمسند وقال بعضهم ان الخط كان حميريا وانتقل من اليمن الى الانبار والحيرة (ببلاد العراق) فتكوف ومن الحيرة انتقل الى أهل الطائف وقريش والذى تعلمه من أهل الانبار هو حرب بن أمية بن أخت أبى سفيان ثم تعلم منه جماعة من أهل مكة ثم جاء الاسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انسانا منهم على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله وكانت خطوطهم بدوية غير مستحكمة الجودة لكنها كانت حسنة بقدر بداوة البلاد وبقى الخط العربى الكوفى مستعملا مدة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ثم مدة

(١) وقوله الظلة وعذاب يوم الظلة قالوا غيم تحته سموم أو سحابة أظلتهم فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما لحقهم من الحر فأطبقت عليهم اهـ قاموس

الامويين وتعرّب فى آخر أيام العباسيين وأخذ فى التحسين شيأ فشيأ حتى وصل الى الدرجة التى هو عليها الآن وذلك انه لما قضت العرب فتوحاتها العظيمة وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة وتدوّنت الدواوين للاموال والرسائل احتاجوا لاستعمال الخط ثم انتشرت العرب فى الاقطار والممالك وافتتحوا افريقا والاندلس واختط بنو العباس بغداد فترقت الخطوط بتقدم الحضارة وطما بحر العمران فى الدول الاسلامية وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية وتنافس أهل الاقطار فى ذلك ثم جاء الوزير الكاتب ابن مقلة فنقله من الكوفى الى العربى وضبطه وكان خطه فى الحسن غاية وفى الاتقان آية وفيه يقول الوزير الفقيه أبو عبيد الله البكرى

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته * ودت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا * والورد يحمر من ابداعه خجلا

ثم تلاه أبو على الحسن بن هلال المعروف بابن البواب فزاد فى تعريب الخط ثم تلاه ياقوت المستعصمى فأكمله وجعل لقوانينه ضابطا فقال

أصول وتركيب كراس ونسبة * صعود وتشمير نزول وارسال

ثم جاء من بعدهم حلبة أخرى ولكن لم تزد فيه شيأ غير التحسين كالشيخ حمد الله والحافظ عثمان

وبذلك صار الخط صنعة من جملة الصنائع وصار للحروف قوانين فى وضعها وأشكالها معروفة بين الخطاطين

وفضل الخط أكبر من أن يحصيه لسان أو يحصره انسان لانه من أشرف الصنائع وهو أجل ما تميز به الانسان عن الحيوان وهو انسان عين العبادات والمعاملات وتذكار الماضى والآن فالقلم لا ينطق ولكن يسمع المغرب والمشرق وقالوا انه أحد اللسانين بل القلم ينوب عن اللسان واللسان لا ينوب عنه ولولاه ما تدوّنت دواوين ولا تمصرت أمصار ولا أقيمت أحكام ولا عرف العدل وأصحاب الاقلام هم الائمة الاعلام وقال الحريرى فى القلم

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام

ويكفيه شرفا قوله تعالى (ن والقلم وما يسطرون) وقوله تعالى (الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) ويكفى الكتاب شرفا أن عليا كرم الله وجهه كان كاتبا للوحى ثم صار خليفة ومروان كان كاتبا لعثمان رضى الله تعالى عنه ثم صار أيضا خليفة ولله در ابن نباتة الدمشقى الفاضل وأوضح السبيل حيث قال الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ماقدر ورسم الى أن قال فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومفتاح باب اليمن المجرب وسفير الملك المحجب فان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت أسرة الكتب فانما هو ملكها وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو أمامها المتلفع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج درر ها من ظلمات مداده المنفق فى تعمير الدول محصول أنفاسه المتحمل أمورها على عينه ورأسه المتيقظ لجهاد الاعداء والسيف فى جفنه نائم المجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم الجارى بما أمر الله من العدل والاحسان فكأنما هو لعين الدهر انسان وطالما قاتل على البعد والسيف فى القرب وأوفى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبعث جحافل السطور فالقسى دالات والرماح ألفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها والحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب العلم والعلم وساحب ذيل الفخار فى الحرب والسلم الى آخر ما قال راجعه فى كتاب خزانة الادب فى ذكر التغاير وقال بعضهم يمدح كاتبا

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

ويكفى الكاتب مدحا ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من خط وحاط وفرس وعام فذاكم الغلام ورأيت فى بعض كتب الادب أن رجلا قال لجماعة الجاهل بالخط نصف انسان ومن لم يعرف العوم نصف انسان والاعور نصف انسان وكان بالمجلس رجل توفر فيه جميع ذلك فقال اذا يلزم لى نصف انسان حتى أكون معدوما من الدنيا يعنى بذلك أنه صار بهذه العيوب فى القوة السالبة أى تحت الصفر ناقص نصف انسان فاذا تحصل عليه صار صفرا أى معدوما من بين الناس وقال المأمون لابى العلا المنقرى بلغنى أنك أمى وأنك لا تقيم الشعر وأنك تلحن فى كلامك فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقنى

(٣٠)

لسانى بالشئ منه وأما الامية وكسر الشعر فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشئ الشعر فقال له المأمون سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى رابعا وهو الجهل أما علمت يا جاهل أن ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى أمثالك نقيصة اه

أقول وقول المأمون ان ذلك فى النبى الخ يشير الى أنه لو كان صلى الله عليه وسلم يعرف القراءة والكتابة لصار متهما فى أنه ربما طالع كتب الاولين وعرف ما بها من العلوم فلما أنزل عليه القرآن الشريف المشتمل على كثير من العلوم وتلاه على قومه وهو أمى كان ذلك من المعجزات الباهرة وهذا هو المراد من قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له

لا تجزعن من المداد فانه * عطر الرجال وحلية الكتاب

وقال المؤيد كتاب الملوك عيونهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الناطقة والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة وهى صناعة جليلة تحتاج الى آلات كثيرة اه وأول من حول الحساب من الرومية الى العربية هو عبد الملك بن مروان الاموى وسبب ذلك أن سرجون بن منصور الرومى كان كاتبا لمعاوية ثم ليزيد ابنه ثم لمروان بن الحكم ثم لابنه عبد الملك الى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ورأى منه عبد الملك بعض التفريط فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل ان سرجون يدل علينا بصناعته وأظن أنه رأى ضرورتنا اليه فى حسابه فما عندك فيه حيلة فقال بلى لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية قال افعل قال أنظرنى أعانى ذلك قال لك نظرة ما شئت فحول الديوان فولاه عبد الملك جميع ذلك ومن ثم تسابقت أرباب الاقلام فى ضبط قواعد الكتابة والحساب وترتيب الدفاتر وتجاروا فى ميادين الانشاء وبوبوا الابواب وانقسمت أقلام الادارة والجباية وهى المالية وتنافسوا فى وضع أحسن الطرق وأسهلها فضبطت أموال المملكة بوجه أدق وأرق ومسحت الاراضى وارتبطت الضريبة أو الخراج وبذلك انتظم حال الملك وأول من دوّن الدواوين هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولفظة ديوان كلمة فارسية أصلها دوان ومعناها شياطين جمع دو بمعنى شيطان ولفظة آن علامة الجمع بالفارسية كلفظة مبتديان جمع مبتدى وياوران جمع ياور ومعناه المغيث أو المساعد وكلفظة ضابطان

جمع ضابط وغير ذلك والسبب فى هذه التسمية أن كسرى ملك العجم أمر كتابه بعمل شاق وضرب لهم أجلا فدخل عليهم ذات يوم فرآهم فى حركة ونشاط وقد أنجزوا ما أمروا به فقال وهو متعجب من مهارتهم دوان بفتح الدال أى يا شياطين أو انكم شياطين فصار هذا الاسم من وقتها علما على كتبته ثم بتمادى الايام صار علما عليهم وعلى مكانهم ثم صار بعد ذلك علما على مكان الادارة والاحكام لان فيه الكتبة ثم استعمل عند العرب واتسع به نطاق الانشاء وتفننوا فى ضروبها ووضعوا لكل شئ قانونا حتى برى الاقلام وانتخاب نوعها والمداد ونوعه والقرطاس وجنسه   أما الكتبة وانتخابهم فكانوا يفضلون كل مربوع القامة طويل الانف كث اللحية قصيرها أى غزير شعرها وما مدحوا الكتبة فى أشعارهم وتركهم الا بهذه الحلية ولا ذموهم وهجوهم الا بضدها فمن ذلك قول بعضهم يمدح كاتبا

لحية كثة وأنف طويل * واتقاد كشعلة المصباح

والفضل فى ذلك لعبد الحميد الكاتب أيام مروان الجعدى المنبوذ بالحمار آخر خلفاء بنى أمية وما جاءت الدولة العباسية الا وكان فن الكتابة والحساب بحرا زاخرا وكان للعلماء مشاركة فيهما فقد قيل ان أبا جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس غضب على أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه لامتناعه عن قبول القضاء وأراد عقابه على ذلك فأمره أن يعد كل يوم ما يصنعه الفعلة من اللبن والآجر (أى الطوب الاحمر والنى) قبل دخولها فى بناء مدينة بغداد فامتثل لذلك وأمر رحمه الله العمال أن يرصوا له فى آخر كل يوم ما يصنعونه ثم يأتى قبل المساء ويقيسه ويمسحه فيعرف مكعبه ومقدار ما به من اللبن أو الآجر ومن ذلك يظهر أنه كان إماما فى الهندسة كما كان إماما فى الفقه والتوحيد وياحبذا لو اقتدت علماؤنا بهذا الامام فى ذلك ثم ابتذل حجاب تلك العلوم فصارت شائعة بين جميع الناس حتى السوقة سيما أيام المأمون بن هارون الرشيد

وفى العقد الفريد لابن عبد ربه قال أبو جعفر البغدادى حدثنى عثمان بن سعيد قال لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة قال لعمرو بن مسعدة ما زلت تسألنى فى الرجى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا(1) يأكلها خضما(2) وقضما(3) ولم يوجه الينا

(1) قوله فى سرة الدنيا أى فى أعمر مكان منها

(2) الخضم الاكل مطلقا أو بأقصى الاضراس أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشئ الرطب كالقثاء

(3) القضم الاكل بأطراف أسنانه أو أكل اليابس (كأنه يقول يأكل كيف يشاء)

بدرهم واحد أخرج اليـه من ساعتك فقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستخدما على عامل خراج ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين فقلت أخرج اليه يا أمير المؤمنين فقال احلف لى أنك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فأمرت ففرش لى زلالى (١) بالطبرى (٢) وحشى بالثلج وطرح عليه الكر (٣) ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل ودير العاقول اذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا شحاذ فان قعد معك آذاك فلم ألتفت الى قوله وأمرت الغلمان فأدخلوه فقعد فى كوثل الزورق (٤) فلما حضر وقت الغـداء عزمت أن أدعوه الى طعامى فدعوته فجعل يأكل أكل جائع بنهامة (٥) الا أنه نظيف الاكل فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى ما يستعمل العوام مع الخواص ان يقوم فيغسل يده فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت ياهذا ما صناعتك قال حائك الكلام (٦) فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى فقال لى جعلت فداك قد سألتنى عن صناعتى فأخبرتك فما صناعتك أنت قال فقلت فى نفسى هذه أعظم من الاولى وكرهت أن أذكر له الوزارة فقلت أقتصر له على الكتابة فقلت كاتب قال جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف فكاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب والمقصور والممدود وجملا من العربيـة وكاتب خراج يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والاشول (٧) والدسوق (٨) والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج أن يعرف حساب التقدير وشيات (٩) الدواب وحلى الناس وكاتب قاض يحتاج أن يكون عالما بالشروط

(١) قوله زلالى جمع زليه وهى البساط و يفرش أى يبطن
(٢) الطبرى قماش ضيق النسيج منسوب الى طبريه
(٣) قوله الكر أى مكان أو حوض يجعل فيه الماء ليصفو والمعنى أنه ملأ البط بالثلج وجعل فوقها حوضا ليصفو ماؤه و يبرد
(٤) قوله كوثل الزورق أى مؤخر الزورق أى سفينة صغيرة وهو القارب عندنا الآن
(٥) قوله بنهامة أى بشراهة
(٦) قوله حائك الكلام أى منشؤه والحائك هو النساج الذى ينسج القماش
(٧) قوله الاشول جمع أشل على وزن أصل مقدار من الزرع أى مقياس والاشول الحبال التى يقاس بها
(٨) قوله الدسوق جمع دسق وهو الحوض المملوء بالماء يستعمل فى حساب المكعبات
(٩) شيات جمع شية وهى العلامة ومنه قوله تعالى لا شية فيها

والاحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث وكاتب شرطة يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول (١) والديات فأيهم أنت أعزك الله قال قلت كاتب رسائل قال فأخبرنى اذا كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب وكان له أم فتزوجت فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه قلت والله ما أقف على ما تقول قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت (٢) عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذ كنت تحب العدل والبر وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم قراح (٣) قاتل (٤) قثيا (٥) كيف كنت تمسحه قال كنت أضرب العطوف (٦) فى العمود (٧) وأنظر كم مقدار ذلك قال اذا تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته (٨) قال اذا تظلم السلطان قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت قلت كاتب جند قال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تكتب حليتهما قال كنت أكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم (٩) قال كيف يكون هذا ورزق هذا مئتا درهم

(١) قوله العقول جمع عقل وهى الدية
(٢) قوله بثثت عمالك أى فرقتهم ونشرتهم فى الجهات
(٣) قوله قراح أى أرض معدة للزرع والغرس
(٤) قوله قاتل أى داخل
(٥) قوله قثيا القاأو أرض طيبة تطيف به الجبال (أى أرض مراح) كأنه يقول رجل له أرض صالحة للزرع متداخلة فى أرض السلطان
(٦) العطوف أى القاعدة أو ربع الارض والعطوف الدواخل المنعطفة
(٧) العمود أى الارتفاع أو الربع الثانى للارض كأنه يقول اضرب القاعدة فى الربع والمعنى أنه اذا ضرب القاعدة فى الارتفاع يكون ظلما على صاحب الارض لان القاعدة بها عطوف ومنحنيات فتزيد المساحة عن أصلها مع أن الحدود ثابتة فيضطر صاحبها أن يدفع الى السلطان قيمة ما زاد فى المساحة
(٨) قوله امسح العمود على حدته أى يفرض أن الارض الداخلة فى أرض السلطان لها قواعد وأرباع مركبة من خطوط مستقيمة فيأخذ مساحة العمود الذى فرض أن قاعدته خط مستقيم وبذلك تنعدم المحنيات وتسقط من المساحة فيكون فى ذلك ظلم على السلطان
(٩) الاعلم هو المشقوق الشفة العليا

ورزق هذا ألف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا فتظلم صاحب الالف قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض فقال فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعا فيه فقالت هذه هذا ابنى وقالت هذه هذا ابنى كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى قلت والله لست أدرى قال فلست بكاتب قاض فأيهم أنت قلت كاتب شرطه قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة(1) فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة(2) قلت ما أعلم ثم قلت أصلحك الله فسر لى ما ذكرت (قال) أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان أحكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد خار الله لك فى قبضها اليه فان القبر أكرم لها والسلام وأما القراح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف(3) فمن ثم بابه وأما احد واحد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا أحد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى أحد الاشرم وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فأيهما كان أخف فهى صاحبة البنت وأما الشجة فان فى الموضحة خمسا من الابل وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد لصاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا (قلت) أصلحك الله فما نزع بك الى هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فالفيته معزولا فقطع بى فأنا خارج أضطرب فى المعاش قلت ألست ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وأدخل الحمام فطرحت عليه شيأ من ثيابى فلما صرت الى الاهواز كلمت الرحبى فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فلما صرت الى أمير المؤمنين قال ما كان من خبرك فى طريقك فاخبرته خبرى حتى حدثته حديث الرجل فقال هذا لا يستغنى عنه فلاى شئ يصلح قلت هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة

(1) شجة موضحة أى جرحه فى رأسه جرحا أوضح العظم أى أظهره
(2) شجة مأمومة أى بلغت أم رأسه
(3) قوله تضرب واحدا فى مساحة العطوف أى تأخذ متوسط العطوف أى نحولها الى خطوط مستقيمة وكان الاصوب أن يقول له تقسمها الى أشكال هندسية وتمسح كل شكل على حدته ثم تجمعها على بعضها فيكون الناتج عبارة عن مساحة الارض

قال فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة فكنت والله ألقاه فى الموكب النبيل فينحط عن دابته فأحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك أفدتها

ومن ذلك نعلم ما كان لعلماء ذلك العصر من القدم الراسخ فى ضروب الانشاء والتحريرات وأخذ المسائل والاحاطة بدقائق اللغة العربية وعلم الطب فضلا عن علم الفقه والاحكام الشرعية مع فقرهم واحتياجهم الى القوت وما ذلك الا لكثرتهم وابتذال العلوم بينهم وياليت شعرى ماذا كان يقترح هذا الفقير من المسائل على الوزير لو كان قال له انى نحوى أو فلكى أو مؤرخ أو نساب أو موسيقى أو جغرافى أو مفسر أو راو للحديث أو غير ذلك

ولنرجع الى ما كنا فيه من اشتقاق جميع الاقلام من القلم البربانى ونبين كيف وصلت هذه الاقلام الينا والى غيرنا من باقى الامم على اختلاف أنواعهم وتباين أوضاع خطوطهم فنقول

قد ظهر لعلماء الآثار أن المصريين هم أول من خط بالقلم وكانت خطوطهم فى أول أمرهم عبارة عن صور الاشياء نفسها مجردة عن الاحرف وكان كل انسان ينطق بها حسب ما يريد كما أننا لو أردنا أن نعلم الناس أن جنديا يشرب خمرا ففى هذه الحالة يلزمنا أن نرسم رجلا يحمل سلاحا وبيده كاس وأمامه زجاجة فكل من رأى ذلك علم بداهة أنه جندى يشرب خمرا ويمكنه أن يعبر عن هذا المعنى بأى عبارة أراد كأن يقول هذا جندى يشرب خمرا أو هذا مقاتل يجتلى بنت الكرم أو بنت العنب أو هذا عسكرى يتعاطى الراح أو هذا مجاهد يرتشف الصهباء أو هذا حربى يحسو القرقف أو الخندريس أو غير ذلك مع أن الرسم واحد لم يتغير وهذا يقرب عما هو مستعمل الآن فى بلادنا فانا نرى على أبواب بعض المنازل صورة مساجد ورجال وخيل وابل منها ما على ظهره ذخائر ومنها ما على ظهره هوادج أو صورة المحمل الشريف أو الوابور وخلفه العربات أو البحار وفيها السفن أو صورة وحوش وكل ذلك اشارة الى أن صاحب هذا المنزل قد حج كأنه يقول انى خرجت من بلدى مع قافلة الحجاج وذهبت بالوابور أو بالسفينة فى البحر وقطعت فيافى وجبالا بها وحوش ووصلت الى مكة وطفت بالبيت الحرام ومن المعلوم أن كل من رأى هذا الرسم يعلم أن صاحب المنزل قد حج ويمكنه أن يعبر عن ذلك بأى عبارة أراد كأن يقول ان صاحب هذا المنزل قد حج الى بيت الله الحرام أو يقول ان رب هذه الدار قد قضى الفريضة أو يقول ان

الساكن فى هـذا البيت قد توجه الى مكة المكرمة وأدى ماعليه أو بقول غيرذلك وفى القرن السابع عشر من الميلاد وجد بعض الناس فى خان بمدينة باريس قرطاسا من الورق به صورة منزل قد رسم على جداره صورة تركى له لحية كثة حمراء طويلة وبازائه رجلان أحدهما راكب والآخر راجل وكأن الشمس قد أثرت فى لحاهما وكل ذلك اشارة الى أن هذا المنزل عبارة عن خان ينزله الاغراب والمسافرين

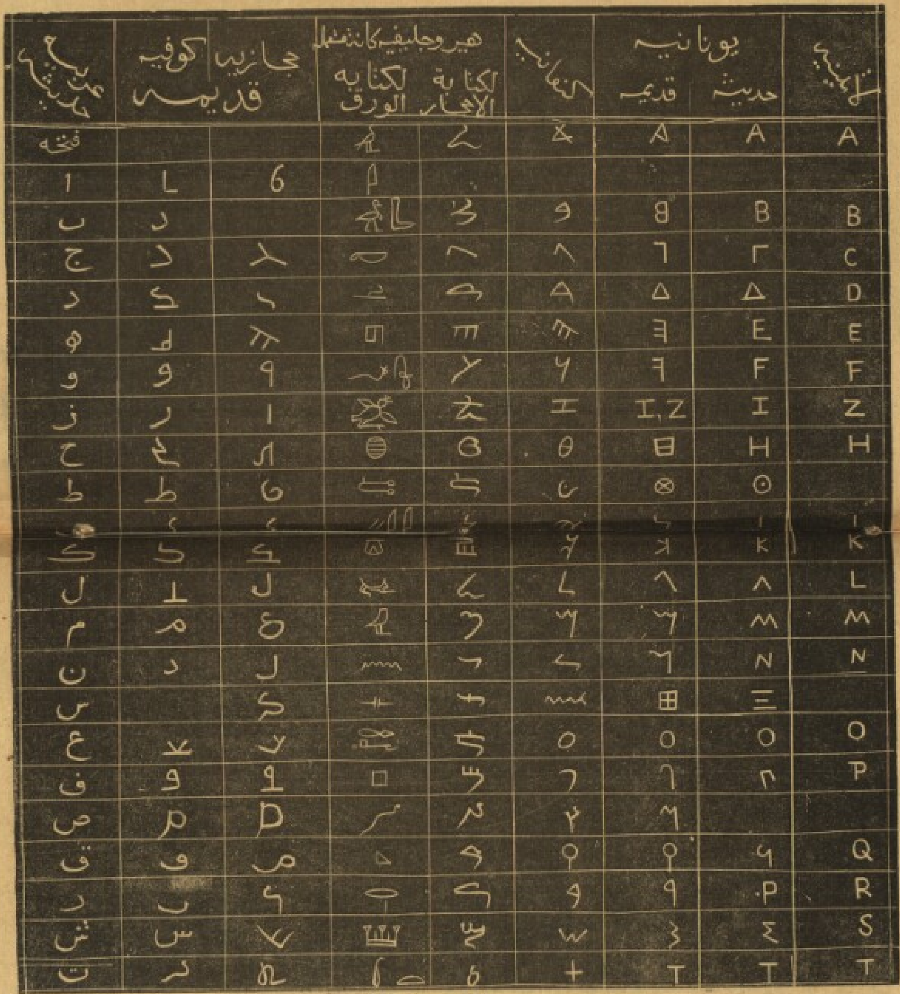
وهذا يقرب من كتابة المتوحشين من قدماء أمريكا فانها كانت رسوما خالية عن الحروف فكانوا يرسمون ما يتعلق بشأن أهل الجبال باللون الاحمر وما يتعلق بسكان الحضر باللون الابيض وكانوا اذا أرادوا الاخبار عن رحيل قوم من مكان الى آخر رسموا على الاحجار صور رجال وكأن معهم خيامهم وركائبهم واذا كان مبدأ الارتحال من شاطئ بحيرة أو بركة مثلا رسموها ورسموا بجانبها أقدام المرتحلين وحوافر ركائبهم وخيامهم فكل من رأى هذه الصور علم أنه كان فى هذا المكان قوم وارتحلوا بخيامهم وركائبهم ويمكن أن يؤدى هذا المعنى بأى عبارة أراد ولاشك أن هذه الطريقة كانت مبدأ اختراع الكتابة عند المصريين مع أننا لم نقف على شئ من ذلك ثم بتمادى الايام اختصروا تلك الصور بعدما استبدلوها بشئ آخر وهو انهم أخذوا أول أحرف الاسماء ورسموا صورة مسمياتها كحرف الراء مثلا فانهم رسموه على شكل فم الانسان لان الفم عندهم ينطق رف فأخذوا صورة الفم وجعلوه حرف الراء وكحرف القاف فانه على شكل رضفة الركبة واسمها قى فرسموا الرضفة وجعلوا هذا الرسم علما على حرف القاف وكالهمزة فقد أخذوها من أول اسم النسر وجعلوه أى النسر دلالة عليها وقس على ذلك

وكانوا تارة يكتبون من اليسار الى اليمين وتارة من اليمين الى اليسار وتارة من أعلى الى أسفل وتكون الاسطر فى هذه الحالة محصورة بين خطوط رأسية ولاجل القراءة تنظر الى صور الكتابة فاذا رأينا جميع رؤسها متجهة الى جهة اليسار علمنا أن الكاتب ابتدأ من جهة اليسار فلنقرأها من اليسار الى اليمين واذا كانت متجهة الى اليمين علمنا أن الكاتب ابتدأ من جهة اليمين فلنقرأها من هذه الجهة أما فى الكتابة فلك الخيار اما من اليمين أو من اليسار

وهاك جدول حروفها الابجدية وما اشتق منه

جدول رسم الاحرف العربية والبربائية والافرنجية القديم منها والحادث
مأخوذ من أحد النشرات العلمية لبروكش باشا

(تابع صحيفة ٢٤٠)



(١) (٢)

(تنبيه) الصواب أن خانة (١) هي لكتابة الاحجار وخانة (٢) هي لكتابة الورق لا كما ذكر أعلاه

(ملحوظة) كان الكنعانيون وقدماء اليونان يكتبون من اليمين الى اليسار وما أثبتناه بهذا الجدول الاندفع تردد بعض الناس فى صحة توليد هذه الحروف من بعضها وكان ابتداء قلم المصريين من قبل بناء أول هرم فى الديار المصرية وانتهاؤه فى زمن الرومان

ولنتكلم الآن على الاحرف البربائية كل واحد على حدته وكيفية النطق به وما اعتراه من التغيير عند كل قوم بوجه الاجمال فنقول

(الحرف الاول الفتحة المصرية والعربية)

وهى أول الاحرف الافرنكية قاطبة (a) وقد اتخذوا هذا الحرف من هيئة نسر واقف قد ضم جناحيه وما صدروا حروفهم به الالانهم كانوا يقولون ان النسر هو ملك الطير قاطبة فكانوا يرسمونه أول أحرفهم كأنه ملك جعل جيشه صفوفا ثم وقف أمامهم كالقائد لهم فاعتراه بعض تغيير ونقص حتى صار على ماتراه فى العمود الثانى ثم اعتراه بعض تغيير فصار على ماتراه فى العمود الثالث ثم اعتراه بعض تغيير فصار على ماتراه فى العمود الرابع ثم الخامس ثم السادس أما الفتحة العربية فعبارة عن ظهره فقط

(الثانى حرف الالف المصرية والعربية)

وهو عبارة عن مدية أى سكين كما تراه فى الجدول وهو ساقط من اللغة الافرنكية للاستغناء عنه بالحرف السالف ذكره أما فى العربية فقد تغير جملة مرات حتى صار على ماهو الآن

(الثالث حرف الباء)

هذا الحرف له شكلان . أحدهما على شكل قدم انسان بساقه ومنه اشتق حرف الباء العربية بعد حذف ساقه ثم اعتراه بعض تغيير وحذف حتى صار على ماهو عليه الآن .
والثانى على هيئة طائر قائم قد ضم جناحيه وفى حوصلته ريش منتشر كما فى حوصلة الديك الرومى ولا يعلم نوع هذا الطير وكانوا يجعلونه رمزا على الروح ومن هذا الطائر اشتق حرف الباء الافرنجيه بعد ما اعترى الاصل جملة تغييرات

(الرابع حرف الجيم أو الكاف)

وهو على شكل اجانة أى إناء بأذن صغيرة ونطق به المصريون كافا أما الكنعانيون فنطقوا به جيما وكان السميتيون ينطقون به تارة جيما وتارة كافا ثم اعتراه تغيير عند كل قوم حتى

وصل الى الافرنج وله شكل مخصوص وهو المعروف عنـدهم بحرف (C) أما العرب فيظهر أنهم غيروا فيه تغييرا بيّنا حتى صار كما تراه فى الجدول

(الخامس حرف الدال)

وهو على شكل أصبع السبابة ممتدا على حدته مع الابهام حالة فتحهما فتحا خفيفا وقد اتفقت جميع الامم على النطق به دالا بعد أن غيروا شكله بالتـدريج كما تراه فى الجدول أما العرب فقد أبقوه على حاله الى الآن أنظر دال القلم الكوفى

(السادس حرف الهاء)

وهو على شكل حصـيرالجن مطوية نصف طيه وهو باق فى القلم الكوفى على حالته الاولية لم يعتره الا تغيير خفيف أما باقى الامم فقد حرفوه شكلا ونقطا وهو المعروف عند الافرنج الآن بحرف (E) وكان المصريون ينطقون به كهاء خفيفة تخرج من أقصى الحلق أما الكنعانيون فنطقوا به كهمزة مفتوحة تخرج من وسط الحلق

(السابع حرف الواو العربية والفاء الافرنجيه)

أما حرف الواو العربية فمأخوذ من شكل حبـل معقود من وسطه وأحد طرفيه مرسـل بانحناء وهذا الحرف لم تسـتعمله باقى الامم فى كتابتهم لعدم احتياجهم اليه وأما حرف الفاء الافرنجيه فمأخوذ من صورة حيـة زاحفة على وجه الارض ولها قرنان فى رأسها وقد اتفق القدماء على النطق به كفاء عربية وربما كان حرف الواو العربى مأخوذا من حرف الفـاء المصرية لان شكله يقرب جدا من شكله سـيما وأن قدماء المصريين كانوا ينطقون أحيانا بهذا الحرف كفاء مائلة الى الواو والله أعلم بالحقيقة

(الثامن حرف الزاى)

هـذا الحرف على شكل طائر صغير لاصق بالارض وناشر جناحيـه يلوح عليه أنه عاجز عن الطيران وينطق به زاى عند جميع الامم القديمه أما شكله فاعتراه تغيير حتى كاد أن يخرج عن أصله بالكلية سيما عند العرب

(التاسع حرف الحاء)

لهـذا الحرف شكل على هيئة خرزة بئر وكان النطق به عنـد المصريين يشبه دوى ريح أو نفخة أو دوى ضربة سـيف فى الهواء واستعمله الكنعانيون رسما ونطقا كأصله

أما اليونان فغيروا صورته وتعذر النطق به عليهم فنطقوا به كهمزة مفتوحة ولما سرى الى اللاطينيين حرفوا شكله وغلطوا فى نطقه فصار كهاء خفيفة فرجع بذلك الى حالة قريبة من نطقه الاول وهو المعروف الآن بحرف (h) أما العرب فنطقوا به حاء عربيـة بعـد ما حرفوا شكله جملة مرات

(العاشر حرف التاء المصرية أو الطاء العربية)

هذا الحرف له مشابهة قوية بماشة أو ملقاط وفى رأس كل شعبة منه نحو أكرة صغيرة وعلى الشعبة العليا عمود صغير والنطق بهذا الحرف عند المصريين كتاء عربية تقرب من التاء ومن هـذا الحرف أتت الطاء العربية أما اليونان والكنعانيون فنطقوا به تاء كأصله ولم يستعمله اللاطينيون لعدم احتياجهم اليه واستغنائهم بغيره

(الحادى عشر حرف الخفضة النائبة عن الياء العربية)

هـذا الحرف مركب من شرطتين متوازيتين مائلتين جهـة اليسار قليلا يدلان على خفض الحرف الذى قبلهما ولا خلاف فى النطق به بين الجهور وهو المعروف عند الافرنج بحرف (i) وكان للمصريين حرف آخر ينطق ياء عربية وهو مركب من سكينين قائمتين بجوار بعضهما ولا أدرى من أى شكل من هـذين النوعين أتى حرف الياء العربيـة ولعلها أتت من الخفضة لانها أقرب أنظر الياء المرجع

(الثانى عشر حرف الكاف أو الجيم)

وهو على شكل سلة مقوسة القاعدة منفرجة ضيقة من أعلاها مغطاة الفم داخلها شئ هرمى الشكل والنطق بهذا الحرف عنـد المصريين يخرج من بين الكاف والجيم وأما اليونان فنطقوا به كافا خالصـة ووافقهـم كل من الرومان والعرب على ذلك وهو حرف الكاف الافرنجية (k)

(الثالث عشر حرف اللام)

هذا الحرف على شكل أسد رابض ومن المسـتغرب أن لفظة أسد فى أغلب اللغات يدخل فى أولها حرف اللام كقولهم فى العربيـة ليث ولبوة وأدخله الكنعانيون فى كتابتهم بعـد ما حرفوا صورته واستعمله اليونانيون ثم اللاطينيون برسم خط الكنعانيين تقريبا أما العرب فقلبوا وضعه ولا خلاف بين جميع الناس فى النطق به ومن ذا يدرى أن أصـل هذه اللام أسد رابض

(الرابع عشر حرف الميم)

هذا الحرف على شكل بومة قد ضمت جناحيها وهى التى يتشاءم منها سكان المشرق ويقولون انها نذير الموت أو الخراب وتنطق ميما عند الكنعانيين واليونانيين واللاطينيين والعرب لكنهم اختلفوا فى رسمها أما العرب فلم يحدثوا بها شيأ غير حذف رجليها مع بقائها على حالها ومن ذا الذى يهجس بخاطره أن هذا الحرف مأخوذ من صورة طائر شنيع المنظر محزن

(الخامس عشر حرف النون)

وهو على شكل خط الماء أو على هيئة أمواج متتالية ناشئة عن حركة سفينة فى اليم والنطق به متفق عليه عند جميع الامم وأما أصله فقد تحرف عند الكنعانيين واليونان وبعض أصله باق الى الآن عند اللاطينيين

(السادس عشر حرف السين)

وهو شكل متراس أو ترباس للابواب والنطق به كالسين العربية لكن يمتاز بتعطيشه وقد تغير هذا النطق عند الكنعانيين واليونان فنطقوا به كس (x) بهمزة مكسورة خفيفة ثم كاف ساكنة خفيفة ثم سين ساكنة أيضا أما السين الافرنكية المعروفة بحرف (S) فمنقولة من حرف كان عند المصريين على هيئة حديقة ذات نخل صغير وكبير وهو حرف الشين عندهم وأما السميتيون فكانوا ينطقون به تارة كحرف سين وتارة كحرف شين أما العرب فلم يحدثوا فى هذا الترباس شيأ ونطقوا به كأصله

(السابع عشر حرف العين)

وله عند قدماء المصريين صورتان احداهما على هيئة ذراع انسان ممدود مفتوح الراحة كأنه يطلب شيأ والآخر على هيئة حربة أو رمح والنطق بكلتا الصورتين عندهم كعين خفيفة وهذا النطق يكاد أن يكون متعذرا عند افرنج زماننا وقد غير شكله الكنعانيون بشكل بيضاوى ووافقهم باقى الملل عليه ولما تعذر عليهم النطق به حسب أصله نطقوا به كصوت ساذج مائل الى الضمة وهو المعروف عند افرنج زماننا بحرف (o) نقلوه من اللاطينيين برمته أما العرب فأخذت راحة كف الذراع وأحدثت به تغييرا خفيفا ونطقت به عينا عربية بعد ما نحتت نطقه عن أصله

(الثامن عشر حرف الباء الفارسية أو الفاء العربية)

وهو فى الاصل على شكل شباك مربع الاضلاع وقد غير شكله الكنعانيون واليونان بشكل آخر مع اتفاقهم على النطق به كباء فارسية وبقى شئ منه فى الباء اللاطينية وهى حرف (P) الافرنكية أما العرب فتعذر عليهم النطق به لعدم وجوده فى لغتهم فقلبوه الى الفاء ونطقوا به فاء عربية بعد ما صغروه وجعلوه رأسا لهذا الحرف

(التاسع عشر حرف الذال أو الصاد العربية)

وهو على شكل ثعبان له ذنب طويل وكان النطق به عندهم يخرج من بين التاء والزاى وكان مستعملا عند الكنعانيين واليونان وساقط عند اللاطينيين للاستغناء عنه أما العرب فحرفوا شكله ونحوا نطقه ونطقوا به صادا عربية

(العشرون حرف القاف)

وهو على شكل مثلث قائم الزاوية وينطق به عند المصريين قافا خفيفة واستعاره الكنعانيون فغيروا شكله ورققوا نطقه ثم استعاره الاقوام الآخرون فغيروا نطقه مع بقاء شكله ونطقوا به كافا صريحة كما تراه فى عمود الاحرف أما العرب فلم يحدثوا فى شكله شيأ (وهو عبارة عن رأس القاف عندنا) ونحوا نطقه حسب ما تقتضيه اللغة العربية

(الحادى والعشرون حرف الراء)

هذا الحرف على هيئة فم انسان باسم الثغر وكانوا يستعملونه بهذه الصورة فى كتابة البرابى أما فى كتابة الاوراق فرسموه على هيئة شدق انسان به أخدود وقد تغيرت صورته عند كل قوم مع المحافظة على النطق به أما العرب فلم تحدث به شيأ غير قطع الشفة العليا منه

(الثانى والعشرون حرف الشين)

وهو على شكل حديقة ذات نخل صغير وكبير منبق أى مصفوف على خمسة صفوف وأما النطق به فشين عربية وقد بيناه فى حرف السين فراجعه أما العرب فأخذت هذا الشكل وقطعت من نخله صفين وتركت الباقى وهو عبارة عن اسنان هذا الحرف ونطقوا به كأصله

(الثالث والعشرون حرف التاء أو الثاء العربية)

وبه تمت الحروف الهجائية عند المصريين وهو على شكل نقطة سائلة ممتدة طولا واستعمله الكنعانيون فى الرسم على شكل صليب ثم تناوله اليونان واللاطينيون بهذه الصورة

تقريبا بعد أن غيروا نطقه الاصلى بتاء عربيـة وهو المعروف الآن بحرف (t) أما العرب فأخذوا حرف تائهم من حرف التاء المصرية الذى هو على هيئة نصف دائرة بقطرها ثم حذفوا منها جزأ يسيرا وأبقوا الباقى على حاله أما حرف الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين المعروفة بالروادف فهى من اختراع العرب وقد مر ذلك

ومن تأمل فى الاحرف المصرية والكنعانية واليونانية واللاطينية والافرنجية والاحرف العربية بجميع أنواعها ماعدا الروادف وجدها مطابقة لبعضها مطابقة تامة فى النطق والترتيب وقد علمنا أن الجميع اشتق من القلم المصرى بدليل المشابهة الواقعة بينها كما هو مبين فى الجدول فهل بعد ذلك يقال ان أبجد وهوز وحطى الخ هم الواضعون للاحرف العربية فاذا سلمنا بأنهم هم الواضعون لها فن الذى رتب أحرف باقى الاقلام على ترتيب أحرف أبجد وهوز وبذلك لا نسلم لعمر بن شبة فيما ادعاه الا اذا كانت الاحرف العربية هى أصل جميع الاقلام بما فيها قلم المصريين وهو محال سيما وقد اختلفت الروايات ما بين عمر المذكور وصاحب القاموس فقال الاول ان أبجد وهوز الخ كانوا نزولا مع عدنان بن أدد وهم من طسم وجديس والذى نعلمه أن هاتين القبيلتين كانتا من قوم عاد ومساكنهم الاحقاف فيما بين عمان وحضرموت من أرض اليمن وقال الثانى انهم ملوك مدين وكلمن رئيسهم فكيف يكونون ملوكا ويحكمون مع بعضهم على قرية صغيرة وأين مدين من عمان وحضرموت فان الاولى ببلاد العرب والثانية بأقصى بلاد اليمن مما يلى خليج عمان والله أعلم بحقيقة الحال

الفصـــل الحادى عشر

(فى الرحلة العليـــة جهة القـــرنه وما حولهـا)

فاذا تركنا الجهة الشرقيـة وقطعنا النيل وتحولنا نحو الغرب قاصـدين قرية القرنه التى هى النصف الغربى من مدينة طيبه وبينها وبين قرية الاقصر نحو الساعتين أو الساعة حسب أيام الفيض والتحريق فاول ما نرى بها معبـد القرنه الواقع فى نهايتها الشمالية بالقرب من طريق بيبان الملوك وهو من بناء سيتى الاول ابن رمسيس الاول وأبى رمسيس الثانى بناه لاحياء ذكر أبيه بعد موته وكان بناؤه مدة بنائه معبد العرابه المدفونه وجعل وضعه غربيا منه

وكان شيد له أبراجا كباقى المعابد لكنها أزيلت الآن كلية ولم يبق من أثرها غير بعض أحجارها المطروحة هناك وهذا المعبـد يقرب من أن يكون مصطبة جعلها بانيه لاجتماع أقاربه وذويه به فى أعيادهم ومواسمهم وكان من عادة القوم أن يجعلوا فى كل مصطبة بئرا لدفن موتاهم بها خلافا لهذا المكان لان قبر الملك فى بيبان الملوك بعيدا عنه وقال بعضهم انهم فعلوا ذلك لتكون جثة الملك رمسيس الاول بمعزل عن الاحياء من رعيته لعلو شرفه حيا كان أو ميتا

ومتى دخل الانسان من الباب الوسط فى فسحة الستة أعمدة وعبر الى الرواق الثالث جهة اليمين رأى على أحد الجدر صورة الملك سيتى البانى لهذا المعبـد ورأسه متقنة الصنعة جدا كأعظم صورة لها بمعبد العرابة والظاهر أن هـذا الملك مات ولم يتمه فجاء ابنه رمسيس الثانى وأتم ما بقى به وجعله تذكارا لابيه سيتى الذى جعل ما بناه تذكارا لابيه رمسيس الاول كما ذكرنا ثم نترك هذا المكان ونقصد الفرجة على معبد الرمسيوم فنسير على الخط الفاصل ما بين الارض الزراعيـة والصحراء بحيث يكون كل من ذراع أبى النجا والعصاصيف ومقابر الشيخ عند القرنه عن يميننا وكان هذا المعبد يدعى سابقا باسم سراى ممنون أو قبر أوزيمندياس والذى سماه باسم الرمسيوم هو شمبليون الشاب الفرنساوى عند سياحته بمصر وبقى هذا الاسم علما عليـه الى الآن أما البانى له فهو رمسيس الثانى ابن سيتى الاول السالف ذكره وهما من ملوك العائلة التاسـعة عشرة بدليـل أنك ترى اسمه منقوشا على أغلب جدرانه وأصـل الفكرة فى بنائه هى أصل الفكرة فى بناء معبد القرنة بمعنى أنه جعله مكانا لاجتماع أقاربه به بعـد موته وجعل له أبراجا نقش عليـه بعض مآثره وقد طاحت الايام بمحاسنها وهـدمت أغلبها ونقوش البرج الاول منها قد لبست ثوب البلى بحيث لا يمكن مشاهدتها الا فى ساعة معلومة من النهار أعنى متى كانت أشـعة الشمس مائلة على سطحه وجميعها تدل على أغرب وقائعه الحربيـة فى بلاد الشام فترا مصورا كأنه بجوار نهر يدعى (أورونتو) وهو شاهر سـلاحه يقاتل أمة الخيتاس (الهيثيين) ومن تحزب معهـم على قتال مصر وكانت هـذه الواقعة بقرب مدينـة (كدش) وترى فى الرسم أن جميع عساكره المصريه ولت الفرار خوفا وجبنا من لقاء العـدو فثبت هو بمفرده فاحاط به العـدو وأخذ عليـه جميع الطرق فاندفع بعربتـه وسط عرباتهم وقتل رؤسائهم بيده بدليل ما هو مذكور هناك

(المقتولون هم رؤساء أمة الخيتاس الحقيرة) حتى قنط العدو من النصر وولى مدبرا وقطع النهر المذكور وهو فى خبال طائش العقل كل ذلك وجنده بعيد عنه متفرقون فى الاودية لا يعلمون بشئ من هذا وتراه فى جهة أخرى قد اقتحم الهيجاء وخاض الصفوف وهجم على الجموع بمفرده والتحم معهم فى القتال وقد احتد بالغضب ففرق جمعهم وبدد شملهم واندفع بعربته فداست خيله الاعداء بسنابكها وهرس العجل كثيرا منهم فصارت الارض مستورة بالقتلى بعضهم مطعون بحرابه وبعضهم مرشوق بنباله وبعضهم وثب الى النهر فغرق به وتراه فى جهة أخرى جالسا على كرسيه وقد عاد له ضباط جيشه الذين كانوا تخلوا عنه وقت الكفاح ليهنئوه بالسلامة فقابلهم بالملامة والتعنيف وأسمعهم الزجر والتوبيخ وهاك بعض عبارته (قد أخطأتم جميعا فى التخلى عنى وأنا بين الاعداء وحدى أساجل لفيفهم وأطارد ألوفهم وما رأيت أحدا منكم أشدد به أزرى أو يشركنى فى أمرى ولو لم يثبت قدمى لكان عدمكم وعدمى) الى آخر ما قال

(وقد سبق ذكر هذه الواقعة عند ذكر أبراج معبد الاقصر) أما البرج الثانى من هذا المعبد فلم يبق منه الا بعض اطلال كأنها منصوبة بالقدرة على أساس قد ركع بناؤه وصدت أركانه ووهنت جدرانه وهو باق على هذه الحالة من أيام الحملة الفرنساوية بمصر لانهم رسموه فى مدتهم بحالته الراهنة وها هى علماء الآثار تنذر كل يوم بسقوطه وكان يتوصل منه الى رحبة محاطة بأعمدة مربعة مرتكز عليها صورة رمسيس المذكور متصف بأوصاف أوزيريس بمعنى أنه مات وحنط فمن ذلك يعلم أن هذا المكان كان عنوانا على العبرة بالموت وما يؤل اليه الانسان بعد النعيم فى حياته وكان أمام البرج مما يلى الشرق صنم هائل وهو أكبر جميع الاصنام التى أخرجتها يد الصناعة المصرية من صخرة واحدة من الجرانيت لان طوله يبلغ سبعة عشر مترا ونصفا وثقله نحو واحد مليون ومائتين وسبعة عشر ألفا وثمانمائة واثنين وسبعين كيلوغراما أعنى ألفا ومائتين وثمانى عشرة طونولاته وهو على صورة رمسيس المذكور لكنه تكسر ولم يبق منه الا بعض أجزائه وتشوه وجهه ومتى رأى الانسان هذا التمثال الهائل اندهش لبه وجالت جيوش الحيرة فى عقله وقال وهو متعجب كيف قدر القدماء على مباراة عمل كهذا فما أصدق صبرهم وأقوى عزمهم وأقدمهم على عمل كل مستحيل عند غيرهم ويا للعجب كيف قطعوه من مقطعه باسوان وأى قوة نقلته

الى هذا المكان وما كان الغرض من ذلك هل أعدوه لتزيين هذا المعبد أم لشهرة الملك بانيه أم للمباهاة بقوتهم لمن يأتى بعدهم أم لاظهار حسن صنعتهم فى تناسب الاعضاء ثم العجب أيضا من القوة التى كسرته وألقته على وجه الارض

وفى سنة ١٨٩٢ توجهت لمشاهدته فرأيته مصنوعا من الحجر الازرق ومطروحا على ظهره كأنه صخرة هائلة أو كتلة من الجبل فوقفت بجواره ورفعت يدى صوب كتفه فكان بينهما نحو متر ثم تسلقت فوقه ووقفت على رقبته ونظرت الى الارض فرأيت بينى وبينها نحو مترين ونصف وهو سمك جسمه لا عرضه كما لا يخفى ورأيت طول أذنه تقرب من متر وترى على الناحية التى كان مرتكزا عليها هذا التمثال كثيرا من الوقائع التاريخية منها واقعة حربية كانت مع هذا الملك وأمة الخيتاس أيضا وهو بوسط الاعداء وهم محدقون به وقد نشر الرمم على الارض وفيهم سائس خيل ملك الاعداء المدعو (جراباوزا) وقائد عساكر رماتهم المدعو (ربسوتا) وقد أصابه سهم فوقع على الارض يجود بنفسه والاعداء تشتت وقصد بعضهم نهر (أورنتو) السالف ذكره وهم منهزمون فألقوا أنفسهم فيه وترى على الشاطئ الآخر منه أحد رؤساء العدو كأنه غرق ونشلوه الى الساحل وقد امتلأ ماء فنكسوه بجعل رأسه أسفل ورجليه أعلى ليقئ الماء الذى دخل جوفه وغير ذلك مما لا يمكننا حصره فى هذا المختصر وبالجملة فبه كثير من الوقائع الحربية والعبادات ومعبودات طيبة والملك أمامهم يتقرب اليهم بأنواع العبادات وفيه قوائم بها أسماء العائلة الملوكية من رجال ونساء ثم لوحة فلكية وفى آخر هذا الاثر رحبة بها أعمدة وتيجانها على هيئة أزهار ذابلة تفوق بلطفها تيجان الاساطين الضخمة التى برحبة أعمدة معبد الكرنك

فاذا علمنا ذلك عممنا صوب طودى ممنون اللذين أجمع علماء الآثار على أنهما كانا أمام برجين لاحد المعابد ولم يبق الآن منه ولا منهما أثر ولا عين وأخذت أحجارها لحرقت وتحولت الى جير وعميت مواضعها وصارت أرضا زراعية أما التمثالان فالسبب فى بقائهما هو عدم صلاحية حجرهما لعمل الجير لانه من الصوان المشوب بالزلط العقيق الغير صالح لذلك ويستنتج من فخامة منظرهما وجلالة هيئتهما أن المعبد كان غاية فى الحسن واتقان الرونق بقدر ما لهما من العظمة وطلاوة الهندام وجميعها من عمل أمونوفيس الثالث (أمنحتب من العائلة الثامنة عشرة) ولا ريب فى أن تدميره حرم تاريخ مصر من فوائد مهمة كانت توضح لنا أيام الملك بانيه المعدود من فحول ملوك مصر وتزيد تاريخه ظهورا

وكل واحد منهما جالس على قاعدة حجرها من نوعه بحيث يتصور الرائى أنهما حجر واحد وارتفاعهما يبلغ ١٩,٦٠ مترا وقال ماريت باشا ان هذا الارتفاع يعادل ارتفاع أعظم منزل بمدينة باريز يكون به خمس طبقات مركبة فوق بعضها فاذا طرحنا ارتفاع قواعدهما لبلغ طول كل واحد ١٥,٦٠ مترا وقد غاصا فى الارض نحو ١,٩٠ وهما على صورة الملك المذكور وهو جالس على تخت ملكه أما التمثالان الصغيران المرتكزان على القاعدة فأحدهما صورة أمه والآخر صورة زوجته واشتهر الصنم الشمالى فى الازمان السالفة باسم طود ممنون ودوت هذه الشهرة عند اليونان والرومان وقصده السائحون من كل مكان الى مابعد استيلاء رومه على ملك مصر بنحو قرنين وسبب ذلك أن هذين الصنمين كانا معروفين باسم صنمى أمونوفيس الثالث الى السنة السابعة والعشرين قبل الميلاد فحصلت زلزلة شديدة خر منها الجزء الاعلى من التمثال الشمالى وصار مطروحا على وجه الارض الاغبر منبوذا بالعراء الاقفر منزويا فى زوايا النسيان لا يعبأ به انسان وبينما هو على هذه الحالة اذ ظهرت منه حادثة عجيبة هرع اليها الناس من كل مكان وهو انه صار يسمع منه عند طلوع الشمس صوت طويل ممتد فتزاحموا على سماعه وقصده الناس على اختلاف طبقاتهم ولما سمعوا طنينه وشاهدوا رنينه صار كل منهم يهرف بما لا يعرف ويقول ما لا تقبله العقول ثم اتفقوا أخيرا على أن هذا الصوت هو أنين ممنون يسلم على أمه المسماة (أورور) أى الفجر

وفى القاموس الفرنساوى أن ممنون هو شخص خرافى كان اليونان يعتقدون صحة وجوده حتى قالوا انه ابن تيتون ملك مصر وبلاد اتيوبيا وأمه أورور (الفجر) فارسله أبوه المذكور لانقاذ مدينة تروادة حينما حاصرها اليونان وضيقوا عليها فتوجه لها وظهرت منه شجاعة وبسالة فى حربهم حتى انه قتل أنتيلوك بن نسطور أحد ملوك اليونان وفجعهم بجزع لهذا المصاب أخلاوس فارس اليونان وسندهم فدعاه للكفاح والتحم معه فى الحرب وقتله به فشق ذلك على أغلب الممالك ونعته الناس وأقاموا له التماثيل فى بلادهم تذكارا لشهامته فى الحرب ولما بلغ أمه أورور (الفجر) خبر مصرعه ناحت عليه وتوجهت الى جوبتير (كوكب المشترى) أبى الآلهة وهى تسكب العبرات وشعرها مرسل على أكتافها بلا اعتناء وترامت على قدميه وترجته أن يمنح ابنها المقتول ما يمتاز به على سائر الناس فرثى جوبتير لحالها وأجاب طلبها ولما أحضروا جثة ابنها ممنون للحرق ظهرت منه الخوارق للعادات

وكثير من المعجزات غير أن جميع ذلك لم يطفئ لهيب حزنها عليه وصارت تندبه فى كل يوم من الفجر الى طلوع الشمس وترسل عليه صيب دموعها وشآبيب عبراتها فدموعها هى الندى الذى ينزل كل يوم على وجه الارض من الفجر الى طلوع الشمس ومن ذلك أتت الاستعارة المستعملة الآن عند الافرنج فى قولهم دموع الفجر (أى الندى) أما الشهرة التى حصلت له بعد قتله فقد أتت من التمثال المشهور الذى نصبه له المصريون فى مدينة طيبه عاصمة بلادهم بعد قتله حيث كان يسمع منه بعد طلوع الشمس صوت رنان لطيف وهو السلام الذى كان يسديه لامه التى قامت بفرائض الحداد والحزن عليه هذا ما قاله اليونان فى خرافاتهم أما حقيقة هذا التمثال فهو للملك أمونوفيس الثالث اهـ

وفى دائرة المعارف النمساوية (الانسكلوبودية) ما ملخصه ممنون هو ابن تيتون ملك بلاد أتيوبيا وأمه الفجر وقتله اخلاوس أمام سور مدينة تروادة أما التمثال المعروف بهذا الاسم فهو للملك أمونوفيس الثالث ويوجد الآن باطلال مدينة طيبة بمصر وهو من حجر واحد معدنه مركب من اخلاط كثيرة ومن شأنه أنه متى حصل تغير فجائى فى الجو بظهور الشمس حدث من الهواء الذى دخل فى مسامه ليلا صوت رنان فلذا قال القدماء ان ممنونا هو صاحب هذا التمثال الذى يهدى السلام فى كل صباح الى أمه الفجر اهـ

والذى حمل اليونان على اعتقاد هذه الخرافة هو أن هذين التمثالين كانا موضوعين فى أحد أخطاط مدينة طيبة المدعو ممنونا وكان المشاع على ألسنة اليونان وقتئذ أن ممنونا هو الذى بنى هذا الخط فلما سمعوا هذا الصوت قالوا ما ذكرناه ثم انتشر أمره فاتاه الناس من جميع الافاق وهرعوا اليه من كل مكان ليسمعوا صوته العجيب ويتأكدوا من سلامه على أمه وقال بروكش باشا ان اليونان كانوا يعتقدون ان ممنونا المذكور هو اله الليل وابن الفجر وهو صاحب هذا التمثال فلما قتل فى ساحة الحرب صار هذا التمثال يئن عليه وينوح فى كل يوم وقت طلوع الشمس أى عند انتهاء مدة حكمه وهى الليل فقصده الناس ليسمعوا أنينه على صاحبه اهـ فكانوا يرثون لحاله وينقشون شهاداتهم على سيقانه ويضعون عليها أسماءهم حتى أفعموها بالكتابة والشهادات وبقى الحال على ذلك مدة قرنين وأكثر الى ان جاء القيصر سبتيموس سواريوس الرومانى وسمع أنينه وهو مطروح على الارض فظن أنه لو أقامه وأجلسه على قاعدته كما كان لتغير أنينه بخير منه وسلم على أمه وهو جالس على كرسيه أولى من سلامه وهو معفر بالتراب فأجلسه وانتظر سماع صوته فلم يسمعه لانه أمسك كلية عن

السلام أو النوح وسكت الى الابد لان الشرخ الذى كان يخرج منـه ذلك الصوت امتلأ بالمونة ومن تأمل الآن لسـيقانه علم من بقايا الكتابة التى عليها كثرة الشهود والزائرين ورأى تواريخهم وخطوطهم مكتوبة باليونانية أو اللاطينيه وأقدم شهادة عليها كتبت فى زمن نيرون الطاغية قيصر دولة رومه وأحدثها كانت فى زمن القيصر سبتيموس سواريوس وبلغ عدد ما عليها من الشهادات المؤرخة بحكم القيصر أدريان سبعة وعشرين شهادة وذلك غير الشهادات التى لم تؤرخ وأغلبها عبارات نثرية بسيطه منها هـذان (أناسابين أوغسطه زوجة القيصر أوغسطى سمعت مرتين صوت ممنون كل مرة كانت فى الساعة الاولى من النهار) الثانية (أناورتالينوس وزوجتى بوبلياموسيس سمعنا صوت ممنون مرتين فى شهر بشنس من السنة الثالثة فى الساعة واحدة ونصف من النهار ١ هـ) وكانوا فى بعض الاحيان يكتبون شهاداتهم بالشعر ولم نتعرض لها اكتفاء بما ذكرناه

ثم ظهر لعلماء الطبيعة أن هذا الصوت كان ينشأ من رطوبة الليل والهواء البارد الكامنين فى شقة فيه عند مقابلتهما بحرارة الشمس فان الهواء يتمدد بحرارتها فيخرج منه فيحدث هذه الطنة ولاشك أن الرنين الذى سمعته فى أحجار معبد دندره هو من هذا القبيل وبالتأمل فى الجزء الاعلى منـه يرى به بعض تصليحات بأحجار معشقة ليست من معدن حجره تدل على أنه كان سقط على الارض وتكسر ثم أعيد ثانيا والله أعلم

ثم تصول الى المكان المعروف بدير المدينة فترى هناك معبدا صغيرا بناه بطليموس فيلوباطور (أى محب ابيه) وأتمه خلفاؤه وهو واقع فى وهدة من الارض خلف المكان المعروف الآن بقرنة مرعى ومن المحقق أن بطليموس المذكور بناه ثانيا بعد انهدامه لانه كان موجودا أيام أمونوفيس الثالث أما الذى أسسه فكان شخصا من الاهالى يدعى أمونوفيس أيضا على اسم ملك عصره وكان أبوه يدعى هابو وبعد ما أتمه أرصده على معبودة الحق وسماه (حافاق) وكان من عادة أهل طيبة انهم متى أرادوا دفن موتاهم مروا بهذا المعبد ودخلت الكهنة فى دهليزه وتلت بعض أدعية كانت على زعمهم تخفف الحساب عن الروح ويرى اسم البانى له فى جميع جهاته ويرى فى حائط الرواق الجنوبى لوحة بها صورة ما يؤول اليه أمر الروح وقد جرت عادة الافرنج الآن أنهم يقصدون هذا المعبد ليشاهدوا اتقان وجهته المحفوظة الى الآن كأنها بنيت بالامس وليروا شباكه العجيب المصنوع فى الجانب الجنوبى فى أحد دهاليزه

الدرس التاسع عشر

(فى الاحرف الابجدية والمقاطع وبعض نصوص بربائية والخانات الملوكية)

كانت العرب فى صـدر الاسـلام يزعمون أن الخط البربائى ألغاز لايمكن حلها لانقراض أهلها وقال غيرهـم انه طلاسم وأرصاد على مطالب وقال آخرون انه رموز على اسرار خفيـة وتوهم المولعون بعلم جابر بن حيان أنه رموز على عمل الذهب والفضـة وتركيب العقاقير وكيفية التكليس والتصعيد وقال غيرهم انه رموز كهنوتية أو نصوص كفرية وذهب بعض الافرنج انه التوراة والمزامير وبالجملة فقـد تشعبت المذاهب واختلفت المذاهب وتفرقت الاقوال واقتدا بالعرب غيرهم فكانوا يخبطون فى قولهـم خبط عشواء ومنهـم من كان يدعى معرفته من نصارى الصعيد فكان اذا كلفوه بترجمة شئ منه أمعن أولا فيه نظره ثم خبط فيـه بما جادت به قريحته من الافك والبهتان بما يناسب حال الوقت أو ملك العصر من ذلك أن أحد المزارعين بالصعيد وجد ورقة من البردى مكتوبة بهذا القلم فعرضها على رجل من النصارى كان يدعى معرفته وترجاه أن يوقفـه على ما بها فتناولها منه وبعـد أن قلب نظره فيها مدة قال له اعلم أن صاحب هـذه الورقة كان مزارعا وانه يوصى بعـدم الكثرة من زراعة الكتان والحث على الكثرة من زراعة الشعير حيث يقول فيها (يازارع الكتان يكفيك فدان ويازارع الشعير ازرع كثيرا الخ) فصدقه هذا الجاهل وفرح بما سمع وظن أنها من الحكمة التى هى ضالة المؤمن وغير ذلك كثير مما لم نتعرض لذكره هنا ويوجد الآن بمصر وغيرها جماعة يزعمون أن هذا القلم لم يزل مجهولا وبابه مغلوقا وان جميع ما ألفـه علماء الآثار وكل ما استنبطوه منه تاريخا كان أو غيره ليس الا أكاذيب حكوها وترهات حاكوها وانها ليست من الحقيقة فى شئ مهما أقمت لهم الادلة على صحة ذلك القلم وذكر ماريت باشا فى أحد مؤلفاته ما ملخصـه لم نزل نرى كل يوم جماعة من الافرنج يزعمون بقلبهم السليم ان هذا القلم ليس الا ألغازا عرضها أصحابها على من يأتى بعدهم لتكون نسيا فى عجازهم عن حلها ليظهر فضلهم وما قالوا ذلك الا لتقليدهم لقدماء اليونان والرومان أصحاب الاقلام المعدودين فى حلبة ميادين الانشاء فان ديودور الصقلى ذكر أن اليد اليمنى المبسوطة الاصابع تدل فى كتابة المصريين على الطلب والاحتياج أما اليد اليسرى المطبوقة فتدل

على الحفظ والاعتناء والوقاية وقال بلوتاركه كانت صورة السمك عندهم تدل على البغض والحقد وانهم رسموا فى حائط هيكل صا الحجر المرصد على آلهة الحكمة صورة طفل وشيخ فان وعقاب وسمكة وفرس البحر وجميع ذلك أشكال رمزية وترجمتها يامن يأتى الى الدنيا ويامن هو على وشك الخروج منها الله يبغض الوقاحة لان صورة الطفل عندهم علامة على ابتداء الوجود وصورة الشيخ علامة على الفناء وصورة الرخ أو العقاب معناها الله وصورة السمك معناها الكراهة لانه يسكن البحر وفرس البحر معناها الوقاحة وقال غيره كان العقاب أو الرخ يدل على الطبيعة لانه أنثى بلا ذكر وكانت النحلة رمزا على الملك أو السلطان لانه هو الشغال المتفقد أحوال الرعية فهو يسوسهم بالحلاوة أو بالشوكة أى تارة بلطفه وتارة بعنفه وعلى كل فاذا ملنا الى قول بلوتاركه وسلمنا له فيما ادعاه لانسلم له فى أنه كان ألغازا وانا لانجرى مع هؤلاء القوم فى ميادين هذه السفسطة مهما أثبتوا ومهما زعموا لانه انكشف لنا والحمد لله الغطاء عن الحقيقة وحصحص لنا الحق كالشمس فى رابعة النهار ولا ينكره الا كل مكابر أو جاهل ومن ذا الذى يتصور أو يجول بخلده أن الالغاز تكون قاعدة لكتابة مملكة بأسرها قوية الشوكة مدة خمسة آلاف سنة كما أنه لايهجس بخاطرى أن هؤلاء الافاضل كانوا يجهلون أن القلم البربائى يتركب من أحرف أبجدية وان تلك الصور التى ذكروها هى مقاطع صوتية أو صور اشارية لاصور رمزية غير أنهم قصدوا تخليد هذا التخريج ليروى عنهم ضمن تواريخهم اهـ

ومازالت هذه الروايات وأشباهها يتناقلها الخلف عن السلف من الافرنج ويتلقونها قضية مسلمة الى أن ظهر شمبليون الشاب فأماط القناع وأبان الخفاء وانفك المشكل وقال الباشا المشار اليه ليس بهذا القلم اشكال ولا الغاز ولا رموز لانه كباقى الخطوط يقرأ ويكتب ويلفظ به وان هذه الصور هى أحرف هجائية أو مقطعية ولا أدرى ما الداعى للحكم عليها بأنها ألغاز حيث كانوا يجهلون حقيقتها ومتى عرف الانسان أن صورة النسر هى الفتحة وصورة قدم الانسان بساقه هى حرف الباء وصورة البومة هى حرف الميم وذراع الانسان الممدود هو حرف العين الخ أمكنه أن يقرأه بكل سهولة أما اللغة فهى أصل اللغة القبطية المعروفة الآن المتداولة فى كتب القبط مكتوبة بقلم غير قلمها الاصلى اهـ

وأظن أن الذى أخر استكشافه الى زمن شمبليون الشاب هو أنه كان من عادة المصريين

أن يكثروا فى كتابتهم من استعمال صور المقاطع الصوتية فاشتبه الامر على من شمر لاكتشافه ساعد الجد نخار عزمه وفترت همته لما وقع فى حيص بيص فتنصل منه ولم ينل خفى حنين قائلا مالى وما ألغز به كهنة مصر لاخفاء أسرار علومهم وديانتهم صيانة لها عن سفلة قومهم وضنا بها على من يأتى بعدهم لكى لايكون عليهم مغمز ولا مطعن ولا انكار على ما اقترفوه فى دينهم أو دنياهم أو غير ذلك مع أنه من البديهى أن هذا القلم ما كتبوه الا ليقرأه غيرهم وأن من عرف شيأ هان عليه فك معضلاته وقد رأيت بعض الافرنج يقرأه كما يقرأ أحدنا فى الكتب العربية بلا توقف أو تلعثم ورأيت من يترجمه بمجرد نظره اليه ولم يقرأ منه حرفا واحدا كما لو كان مكتوبا بتلك اللغة التى كان يترجم بها وبعضهم يعرف عمر الكتابة وفى أى زمن كانت وفى مدة أى ملك وماذاك الا لشدة تضلعهم من معرفتها وكثرة اشتغالهم بها حتى صار فى حكم لغتهم الاصلية وألفوا لها القواميس ووضعوا لها الاجروميات وضبطوا قواعدها وتراكيبها فصارت كباقى اللغات القديمة أى اللاطينية واليونانية القديمة وها هى كتبها تطبع الآن وتباع فى بلاد أوروبا بأبخس الاثمان وها هى جمهورية فرانسا ترسل الى مصر حينا بعد حين طلبة من شبانها ليتعلموها وتنفق عليهم ما يحتاجونه حتى مصاريف سياحتهم بالصعيد وقد نبغ منهم علماء أفاضل كما نبغ من باقى ممالك أوروبا كبلاد الانكليز وألمانيا والنمسا وغيرهم حتى صارت شائعة بين علماء الآثار بعد أن كان يشار لمن يعرفها بأطراف البنان وتعقد له الخناصر وتحنى له الرؤس عند سماع اسمه وها هو عندهم كل يوم يزيد ومن ذا الذى كان يمر بفكره أن اسم بطليموس وكليوباطره يكون مفتاحا لتواريخ وعلوم قديمة ويزيل خرافات وأوهام كانت ضاربة أطنابها مدة ألف وخمسمائة سنة على عقول الناس قاطبة وسببا لشهرة الملوك المصرية الذين كانوا مجهولين الى زمن شمبليون المذكور أعنى الى سنة ١٨٢٦

وكيفية اكتشافه هو أن المسيو بوسارو الضابط الطوبجى الفرنساوى كان يحفر خندقا بالقرب من ثغر رشيد سنة ١٧٩٧ ليتحصن به من عدو مع بعض عساكر الحملة الفرنساوية فوجد به حجرا موجودا الآن ببلاد الانكليز مكتوبا بثلاثة أقلام وهى القلم البربائى والديموطيقى أى القلم المختصر الدارج المصرى واليونانى ونصها واحد وهو حكم أصدرته كهنة منفيس فى حفلة عامة ضمنته تعظيم بطليموس ابيفانوس (أى الماجد) وكان القلم

البرابى لذلك العهد مستورا بالحجاب ومختوما عليه بخاتم القدرة فحاول جماعة ممن يعرف اليونانية فك معماه لكنهم انقلبوا بلا ثمرة بعد العناء والتعب مع أن بعضهم حام حول حماه وكاد أن يجتلى محياه ثم جاء شمپليون الفرنساوى وأخذ يمعن النظر فيه ويقدح زند فكره فلاح له أن اسم بطليموس وكليوباطرة المكتوبين باليونانية فى خانة ملوكية موجودان أيضا بالبربائية والديموطيقية فعلم أن نص الثلاثة أقلام واحد وأخذ يقارن أول حرف من اسم الملك المكتوب باليونانية من المكتوب بالبربائية والثانى بالثانى والثالث بالثالث وهكذا حتى عرف جميع أحرف الملك والملكة ثم أخذ يقارن بين الاحرف وبعضها حتى تثبت من معرفتها جيدا ثم صار يراجع اليونانية مرة والبربائية أخرى فكان يستدل بالمعلوم على المجهول ونحى هذا النحو فأصاب المرمى ولم يمض عليه زمن كبير حتى كملت له الاحرف الهجائية المصرية فقال فى نفسه ما فائدة الكتابة ان لم أعرف اللغة نفسها ولذا انكب على المطالعة والتفرس فى الاشكال والاشارات ومدلولاتها فكان تارة يصيب وتارة يخطئ الى أن صار عنده المام بما تيسر منها وطالع اللغة القبطية وقارن الاسماء بعضها الى أن انفتح له مغلق الباب فكتب كراسة أودعها الاحرف الابجدية وبعض الصور المقطعية وعرضها على علماء أوربا فأكبروه وكانوا ما بين مصدق ومكذب وما زال هو يبذل الجهد ويطالع أسماء الملوك الخفيفة التى على آثار الصعيد ويقيد كل شاردة وكان له فى كل يوم فائدة جديدة فانتقل الى ترجمة الجمل وغاص بعقله فى تركيب اللغة وكلما كانت تزداد معارفه فيها كلما كانت تزداد أخصامه فحقد عليه العلماء بأوربا ممن كان يزعم معرفة اللغة القبطية حتى ان بعضهم ما سمحت نفسه أن ينظر فيما كتبه والذى نظر فيه شمر لتكذيبه ساعد جده وبقى الامر على ذلك الى أن مات سنة ١٨٣٢ مسيحيه فأكثروا فيه من الوقيعة ولم يشف الموت غليل صدورهم منه وكان ألف أجرومية ومختصر تاريخ مصر ورتب الاحرف الابجدية والصور المقطعية والاشارية فقام من بعده جماعة من العلماء فى ممالك مختلفة وبذلوا ما فى وسعهم للوقوف على حقيقة ما ألفه ثم أخذوا يتممون مشروعه وأتوا مصر وجالوا فى البرابى ونقلوا وترجموا وفتشوا ونقبوا وضبطوا وقيدوا ودونوا وبوبوا ورتبوا وصنفوا وألفوا ورسموا فلاحت لهم شمس المعارف واجتنوا باكورة أثمار تعبهم فرسموا خريطة مصر بأسمائها القديمة ثم قام غيرهم من بعدهم وألفوا المؤلفات الضخمة

بعد ما رتبوا أسماء الملوك فتألفت الجمعيات فى أغلب ممالك أوربا ودرت عليها الارزاق والاموال وها هى رسلهم فى كل سنة تراوحنا وتغادينا حتى ملؤا دار تحفهم ودار كتبهم بما تحصلوا عليه من مصر وبما استخرجوه واستنبطوه من البرابى وغيرها

أما الاحرف الابجدية فقد سبقت فى الجدول ولم يسقط منها غير حرف الضبة الذى على شكل فرخ الدجاج لكنك تراه مكتوبا فى شكل يهو دامالك فراجعه فى صحيفة (٢٠٥)

أما المقاطع التى نوهنا بذكرها وتعرف بالعلامات المقطعية فهى أشكال مأخوذة من صور الاشياء المشاهدة والطيور والحيوانات وأعضاء الانسان

لكننا نقول بالاختصار هنا انها تتركب من حرفين أو أكثر أو تكون عبارة عن حرف واحد مثل أم قم نفر خبر س سا نن الخ وربما نطق بجملة منها بنطق واحد كمقطع قا مثلا فانه يؤدى اما بصورة ثور واما بصورة رجل رافع ذراعيه واما بذراعين مرفوعين وتارة يكون للصورة الواحدة جملة مقاطع صوتية متغايرة كصورة المحراث مثلا فانها تنطق مر ومعناها المحراث وتارة تنطق ما أو م وبالتعود يعرف الانسان جميع ذلك ولاجل السهولة لفهم المعنى اتخذوا صورا أخرى تسمى بالصور الشخصية أو العينية أو النفسية كتبوها خلف الاسماء أو الافعال لتوضحها وتزيل الالتباس عنها وبذلك حصلت سهولة فى معرفة اللغة المذكورة وكيفية ذلك أنهم اذا أرادوا أن يكتبوا اسم الماء (مو) كتبوا ميما ثم ضمة بعدها والا كتبوا صورة مقطعية تؤدى هذا النطق بعينه ثم أتبعوها بالصورة العينية وهى صورة نفس الماء كيلا يلتبس المعنى على القارئ بمسمى آخر يكون مشتركا فى هذا اللفظ والا كتبوا صورة الماء وحده فكل من رآه نطق به مو والا كتبوا ميما ثم ضمة وأتبعوهما بصورة الماء فهذه أربع طرق كانت مستعملة عندهم لتأدية النطق والمعنى معا وهى اما كتابة الاحرف الهجائية وحدها واما مقطع يقوم مقامها فى النطق متبوعا بصورة الماء واما الاحرف الهجائية متبوعة بصورة الماء واما صورة الماء فقط وجميعها ينطق مو فضلا عن قرائن الاحوال الدالة على المعنى

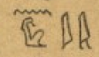
فعلى ذلك تنقسم الصور الى قسمين أحدهما ينطق والآخر لا ينطق فصورة الماء بعد الاحرف الهجائية أو المقطعية لا تنطق وتسمى حينئذ صورة نفسية أى نفس الماء

أما اذا كتبت وحدها نطقت مو وصارت مقطعا معنويا وقس على ذلك أغلب الصور النفسية أو العينية وعلى ذلك كانوا يرسمون صورة سبع دلالة على هذا الحيوان بعد كتابة اسمه اما بالاحرف أو بالمقاطع وصورة الجبل دلالة عليه وصورة المدينة دلالة عليها بعد كتابة اسمها وكلها صور نفسية أو عينية وهكذا وشذ عن ذلك بعض صور كالعقاب أو الرخ فان معناه الام والبطة أو الاوزة ومعناها الابن والنحلة ومعناها ملك الوجه البحرى وهـذه الاشارات قليلة العـدد جدا وتسمى صور معنوية وهناك صور أخرى لا تنطق أصـلا بل فائدتها تعيـين المعنى للقارئ منها انهم كانوا يرسمون صورة جلد بذنب للدلالة على جميع الحيوانات من ذوات الاربع وصورة رجل وضع يده على فمه للدلالة على الفكر والتأمل أو الكلام أو العشق أو شئ آخر مما يتعلق بحركة النفس وقواها ومنها صورة كتاب مطوى للدلالة على العلوم أو الاشياء المعنوية ومنها صورة رجل جاث على ركبتيه ورافع يده للدلالة على أسماء الاعلام فصورة الجلد والرجل الواضع يده على فمه والكتاب والرجل الجاثى تسمى بالصور الاشارية أى التى تشير الى الغرض المطلوب

والنتيجة ان هـذا القلم عبارة عن أحرف أبجدية وصور وهى أربعـة أقسام قسمان ينطقان وهما المقطعية والمعنوية وقسمان لا ينطقان وهما العينية كصورة الماء بعد كتابة اسمه والاشارية وقد عرفت الجميع بيد أن الانسان اذا نظر لهذه الاشكال والصور يجدها من أول وهلة كأنها عقدة يصعب أو يعسر حلها لكن بامعان النظر وتكراره وبمساعدة العلامات الاشارية والمعنوية والعينية أو النفسية يجدها سهلة ويهون عليه فك معماها شيأ فشيأ سيما من كان يعرف الصور المقطعية معرفة جيدة وله دراية باللغة القبطية التى هى فرعها ومتى وصل الانسان الى هذه الدرجة جزم بيقينه انها ليست بطلاسم ولا بسحر كما توهمه الكثير من الناس

ملحوظة – اذا كان عندهم اسم له جملة معان كلفظة العين عندنا فانها تدل على الباصرة والينبوع والذهب والجاسوس ففى هذه الحالة كانوا يرسمون العين الباصرة بعد الاسم اذا أرادوا هذا المعنى والا فصورة الماء اذا كان ذلك هو مرادهم والا فالذهب أو الجاسوس اذا أرادوا واحدا منهمـا وهاك عبارة صغيرة مركبة من جملتين بهمـا أحرف أبجدية ومقاطع صوتية وصور نفسية وصور اشارية نقلناها من كتاب المعلم مسبرو وهى من قصيدة

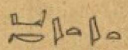
طويلة مقولة عن لسان معبود طيبة أمون رع يخاطب بها طوطوميس الثالث أحد ملوك العائلة الثامنـة عشرة وجدت مكتوبة على حجر جرانيتى أسود جهة الكرنك ونقل الى المتحف المصرى وقد حذفنا صدرها وأتينا بالمنظوم منها وأوله


اى ا ن ا

الاول مقطع صوتى وهو عبارة عن سكين بقدمين ينطق أى وهى دلالة على الحركة والثانى والثالث حرفان أبجديان والرابع صورة المعبود أمون رع وهو عبـارة عن المتكلم وحده الواقع فاعـلا وينطق أ فيكون نطق الجميع (أى أنا) والاول والثانى معناهما الذهاب والنون علامة الماضى والاخير علامة مقطعية ونفسية معا والمعنى ذهبت


دو ا

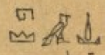
الاول مثلث متساوى الساقين داخله هرمة وهو مقطع صوتى ينطق (دو) ومعناه الاعطاء مضافا الى المتكلم المفرد وهو المعبود وتقدم نطقه والمعنى أعطى أنا


ت ا ت ا ك

جميع هذه الاحرف أبجدية ماعدا الخامس فانه علامة اشارية تشير الى الضرب ولا ينطق بها وتدل على القوة والقهر والغلبة لانها صورة ذراع انسان قابض على قضيب أو سوط ونطق الجميع تاتاك والكاف ضمير المفرد المخاطب ومعناها تضرب أنت

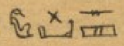

اورو

كل واحد من هـذه الطيور الصـغيرة مقطع صوتى ينطق (أور) وتكررت لاجل الجمع وعلامته الضمة فتكون (أورو) ومعناها أكابر أو عظماء وهم مفعول للضرب


تسا هـ

الاول صورة مقطعية صوتيـة تنطق (تسا) والثانية القصة ثم الهاء كما علمت ثم صورة نفسية لا تنطق لانها صورة الجبل فيعلم من ذلك ان لفظة تساه علم على بلاد بها جبال وهى سواحل أرض كنعان مضافة الى الاكابر

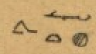
والى هنا صارت الجملة الاولى تامة لانها تركبت من فعل وفاعل ومفعول ومضاف اليه فتكون الترجمة أنا أتيت أمنحك أو أعطيك تضرب أكابر تساهى

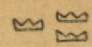

الاول والثانى حرفان أبجديان وهما السـين والشين ثم علامة القوة وتقـدمت ثم المعبود الفاعل وتقـدم أيضا أما صورة الصليب فللوزن فقط ونطق الجميع سشا ومعناه أنا أرمى لان بها علامة القوة


السـين والتاء أبجديان وهما ضمير جمع الغائبين يعود على الكبراء أى أرميهم أنا


الاول مقطع صوتى ينطق (خر) والثانى حرف الراء وهو أبجدى وأتى به لعدم الالتباس فى المعنى ومعناه تحت أو أسفل


الاول والثانى عبارة عن مقطع صـوتى واحد وهـما رجلان مقطوعان من فخذيهما وينطقان (رت) ومعناه رجلان والكاف ضمير المخاطب وتقدمت والمعنى رجلاك


الاول فرع شجرة وهو مقطع صوتى ينطق خت وزيد عليه خاء وتاء لعدم الالتباس فى المعنى ثم قدمان فى حركة المشى للدلالة على الحركة ومعنى خت عقب أو بعد وتأتى بمعنى مع


كل واحدة من هؤلاء الثلاثة علامة مقطعية تنطق (ست) أى جبل وتكررت لاجل الجمع وعلامته الضمة فتكون (ستو) أى جبال أو أرض جبلية


السـين والنون أبجديان وهما ضمير الغائبين يعود على الاكابر أى جبالهم والثلاثة خطوط بعدهما علامة على الجمع ولا تنطق

والى هنا تمت الجملة الثانيـة بجميع أجزائها والمعنى أرميهـم أى الكبراء تحت قدميك عقب بلادهم أى عقب ما أرمى بلادهم الجبليـة تحت قدميك أو أرميهـم مع بلادهم الجبلية تحت قدميك ياطوطوميس وباضافة الجملة الثانية الى الاولى تكون العبارة أنا أتيت لامنحك تضرب أكابر أو رؤساء بلاد تساهى وأرميهـم مع بلادهم تحت قدميك

أما النطق بها فهو أى أ ن أ دو أ تناك أورو تساهى سناست خر رت ك خت ستوسن وبالتأمل فى هذه العبارة نجد أن صورة كل من الارجل والمعبود والقوة والجبال ساعدت على فهم المعنى وعينت المراد منها وبها استقام الكلام وتمت الفائدة وها هى ترجمة القصيدة بعد حذف صدرها

١ أتيت ومنحتك تضرب أكابر بلاد تساهى (سواحل كنعان) ورميتهم تحت قدميك مع بلادهم وأريتهم جنابك كسيد الانوار تضىء على رؤسهم مثلى
٢ أتيت ومنحتك تضرب سكان آسيا فأسرت امراء قبائل الروتنو (تقدم ذكر موضعهم) وأريتهم جنابك وأنت متمنطق شاكى السلاح تقاتلهم على عربتك
٣ أتيت ومنحتك تضرب بلاد الشرق حتى وصلت الى مدن الارض المقدسـة (بيت المقدس) وأريتهم جنابك مثل كوكب سشت (لعله الثريا) اذ يقذف النار ويجود بالنـــدى
٤ أتيت ومنحتك تضرب بلاد المغرب حتى صار جميع بلاد كيفا وأسى فى وجـل منك وأريتهم جنابك فى صورة ثور شاب شديد مزين بالقرون لا يثبت أمامه أحد
٥ أتيت ومنحتك تضرب كل البقاع فصارت بلاد ماتان ترجف فزعا من حضرتك وأريتهم جنابك مثل تمساح مهول ساد على البحار لا يدنو منه أحد
٦ أتيت ومنحتك تضرب سكان الجزائر فصار جميع أهل البحار فى فزع من صوت حربك وأريتهم جنابك كمنتقم وقف على ظهر فريسته
٧ أتيت ومنحتك تضرب قبائل التاهنو فاستوليت على جميع جزائرهم وأريتهم جنابك كأسد ضار مهيب رابض على رمم موتاهم بوسط أوديتهم
٨ أتيت ومنحتك تضرب أقاليم المياه حتى صار جميع من حول البحر الاعظم مكتوفا بين يديك وأريتهم جنابك مثل ملك الطير اذ يحوم وينقض فيأخذ ما يشتهى
٩ أتيت ومنحتك تضرب الذين هم فى (وهنا كسر بالحجر) حتى ان أمة الهيروشا (بلاد البشارية) صارت طوع يمينك وأريتهم جنابك مثل ابن آوى فى الجنوب الخفيف السير الذى يقطع الممالك ولا يشعر به أحد
١٠ أتيت ومنحتك تضرب أمم بلاد أنو (بلاد النوبه) فصارت أمة الرمنن فى قبضتك وأريتهم جنابك فى صورة أخوين لك وذراعاهما يحيطان بك اهـ

وهذه القصيدة النفيسة المعنى ضرب من الاشعار العربية التى كانت مستعملة عند العرب منها قول المهلهل يرد على الحارث بن عباد وكان المهلهل قتل ابنه بجيرا فقال

قربا مربط المشهر منى * لكليب الذى أشاب قذالى
قربا مربط المشهر منى * لاعتناق الكماة والابطال
قربا مربط المشهر منى * ان تلاقت رجالهم ورجالى
قربا مربط المشهر منى * لقبيل سفته ريح الشمال

وهى طويلة والمشهر اسم فرسه

ولا يخفى ما فى هذه القصيدة المصرية من الفوائد التاريخية التى اقتضت الايام عنها وامرى كم يكون الاسف على ضياع أمثالها أو تحويل أحجارها الى جير أو بيعها للاجانب أو تكسيرها و بناء المنازل بأحجارها

أما الخانات الملوكية المعروفة عند علماء الآثار باسم الخراطيش جمع خرطوش فهى على شكل قطع ناقص تقريبا ذى قاعدة وهى كثيرة الوجود على المعابد والاحجار والجعل أو الجعران وهذه الخانات قاصرة على كتابة أسماء الملوك والملكات فتارة تكون مزدوجة وتارة مفردة فاذا كانت مزدوجة كتبوا فى الاولى لقبه وفوقه نحلة وحجنة وتنطق سوتن سخت ومعناهما ملك الصعيد والبحيرة وكتبوا فى الثانية اسمه وفوقها اوزة وصورة الشمس وينطقان سارع أى ابن الشمس وربما كتبوا فوق اللقب شيأ من العناوين الملوكية نحو سلطان البرين أو صاحب الارضين أو صاحب التاجين المتوج بتاج العقاب والثعبان وغير ذلك وعادة يكونان قائمين بجوار بعضهما على قاعدتيهما وتارة يكونان أفقيين فوق بعضهما ولهؤلاء الخانات فائدة جليلة وهى معرفة عمر الاثر الذى هى به و بضياعها تصير الحادثة مجهولة الفاعل والتاريخ معا ان لم يكن هناك قرائن أحوال أخرى تدل عليها ولهذه الخانات فائدة أخرى وهى انه بمجرد نظر الانسان اليها ومعرفة صاحبها يتذكر من أول لمحة تاريخ صاحبها وحالة مصر فى أيامه وما حصل بها من خير أو شر وبذلك يكون دائما مستحضرا على تاريخها القديم حافظا له وهاك صورة العناوين الملوكية التى كانت تكتب عادة على الخانات الملوكية أو بجوارها

(صورة العناوين الملوكية الكثيرة الاستعمال على الآثار والورق البردى)


سخت ملك البحيرة سوتن ملك الصعيد وتكتب على العنوان الملوكى


س رع ابن الشمس وتكتب على الاسم الملوكى


موت نب صاحب العقاب بفتح العين ع رع نب صاحب الثعبان


نب تاوى صاحب الارضين وهما الصعيد والبحيرة

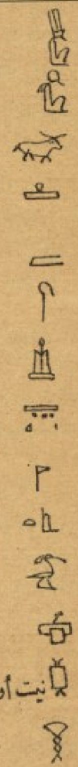

نوتر الاله


نفر الطيب

(جدول المقاطع الصوتية الداخلة فى أسماء الملوك الآتى بيانهم)

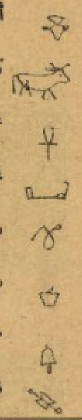
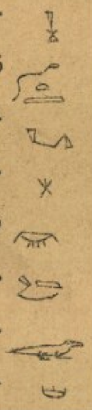
	من		دد
	نفر		أن
	رع		حع
	خع		خبر
	قا		نب
	أوسر		ج

(تابع جدول المقاطع الصوتية الداخلة فى أسماء الملوك الآتى بيانهم)

أحع	أمون المعبود
تحوتى أوتوت إله العلوم	فتاح المعبود
مس	با
هور المعبود هوروس	حوتب
حب	م
سر	حق
عا	أن اسم مدينة الطريه
مر	تا
سو	نوز
معت الهة العدل	أست
ست معبود	خو
سا	سا
سوتب	نيت أو نت معبودة
رع الشمس	وح

(تابع جدول المقاطع الصوتية الداخلة فى أسماء الملوك الآتى بيانهم)

أب	سن
قا	زتا
عنخ	خو
نخت	سب
روت	نوب
ب	ما
منخ	سبك
فوع	حم

(ملحوظات)

١ تبتدئ الخانات الملوكية أو الخراطيش من اليسار الى اليمين
٢ الخانات القريبة من بعضها تدل على اسم الملك ولقبه أو ألقابه
٣ الارقام الموضوعة فوق الخانات يدل الاول منها على ترتيب اسم الملك والثانى على ترتيب العائلات نحو رمسيس ٢-١٩ أى رمسيس الثانى من العائلة التاسعة عشرة
٤ قال حضرة احمد بك كمال ان رمسيس الحادى عشر هو رمسيس الثانى وعلى ذلك يكون عدد الرعامسة أحد عشر هذا ما ظهر من الاكتشافات الجديدة

جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر الكثيرى الوجود
على الآثار أخذناها من كتاب العلم بيديكر الالمانى

٥ أتـــا — ٥ ددكارع — ٤ منقورع أو مقاريـنوس — ٤ خفرع أو كفرن — ٤ خفو أو خيوبس — ٤ سنفرو — ١ منـــا أو منيس



١٢ – ١ امنمحمت — ١١ أنتف — ٦ نفركارع — ٦ پپى رع مرى — ٦ تتـــا



١٢ – ٣ أوسرتازن — ١٢ – ٢ أوسرتازن — ١٢ – ٢ امنمحمت — ١٢ – ١ أوسرتازن

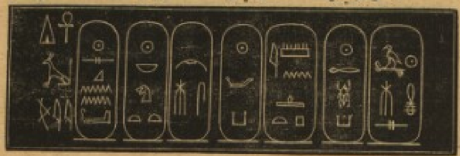


(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

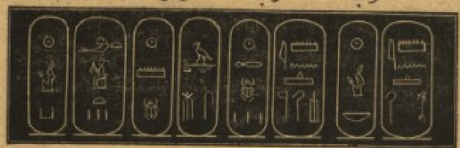
أبابى عاالقـه — ست شلاق أو سلاتيس عاالقه — ١٣ سبك حوتب — ١٢-٤ أمنمحمت — ١٢-٣ أمنمحمت



١٨-١ تحوتمس أو طوطوميس — ١٨-١ أمنحوتب أو أموتوفيس — ١٨ أحمس أو أحموزيس — ١٧ رسقان



١٨-٣ أمنحوتب — ١٨-٢ أمنحوتب — ١٨-٣ تحوتمس — ١٨ حترو أو حمتشسو



(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

١٩-١ (محبوبفتاح) سيتى — ١٩-١ رمسيس — ١٨ حورمحب أو هوروس — ١٨-٤ أمنحوتب خوناتن



الامير خوس — محبوب أمون سيزاسو (سيزوستريس) — ١٩-٢ رمسيس

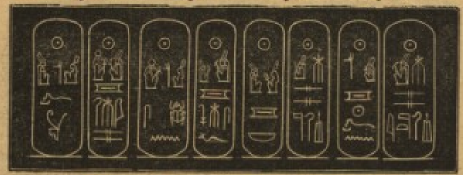


٢٠-٣ رمسيس — منفطا مرنفتاح — ٢٠-٢ سيتى

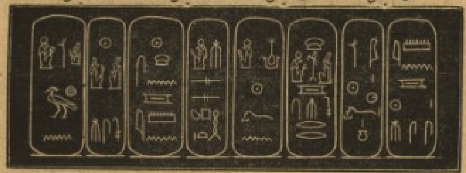


(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

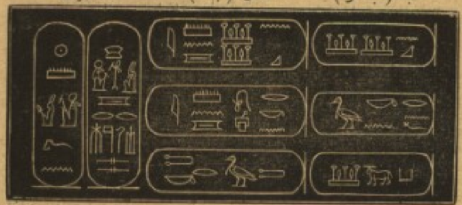
٢٠-٧ رمسيس — ٢٠-٦ رمسيس — ٢٠-٥ رمسيس — ٢٠-٤ رمسيس



٢٠-١١ رمسيس — ٢٠-١٠ رمسيس — ٢٠-٩ رمسيس — ٢٠-٨ رمسيس



٢٣-٤ شيشونق ٢٤ بوكوريف (بوخوريس) ٢٥ شبكا (سباكون) — ٢٢-١ شيشونق ٢٢ أوسرقون ٢٢ تكلوت (تجلات) — ٢٠-١٢ رمسيس



(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

٢٥
شهرة الملكة أمينيرتيس

٢٦-٢ بسامطيق — نقطاه — ٢٦-١ بسامطيق — ٢٥ بعنخى أو بيانكى



٢٧ خشريش أو اكزرسيس — ٢٧ دريوس — ٢٧ تاريوس أو داريوس* — ٢٧ كمابت أو كمبيز — ٢٦ أحمس أو أمازيس — ٢٦ واح ابرع أو ابرياس

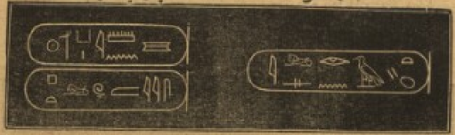


٣٣-١ بتولماوس أو بطلميوس — ٣٢ فيلبوس أريدا — ٣٢ الكسندرس أو اسكندر الأكبر — ٣٠ نخت نف أو نقطانبو — ٢٨ أمن روت أو أمرتيوس



(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

٣٣ الملكة أرسنوه — ٣٣-٢ بتولماوس فيلادلفوس



٣٣-٥ بتولماوس أو ابيفانوس — ٣٣-٤ بتولماوس أو فيلوباطور — ٣٣-٢ الملكة برنيقه — ٣٣-٣ بتولماوس



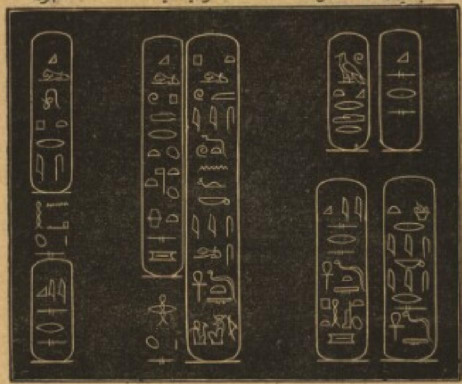
٣٣-٥ كليوباطره محبوبة قيصر — ٣٣-١٠ بتولماوس أو سوطير ٢ أو لطيروس ٢ — ٣٣ ستملكات باسم كليوباطره — ٣٣-٩ بتولماوس أو فسكون



(تابع) جدول أسماء الفراعنة والبطالسة وغيرهم ممن حكم مصر

٣٤
أوتكراتور قيصر
وهو لقب لكل الامبراطرة
طيباريوس أوغسطس

٣٣-٦
كليوباطره وابنها قيصرون المرزوق طامن يوليوس قيصر واسمها بصفة أنها وصية عليه
كليوباطره وابنها
الوصية عليه
كليوباطره
المشهورة



٣٤ تراجان ٣٤ دوميسيان ٣٤ وسباريان ٣٤ نيرو ٣٤ كلوديوس ٣٤ كاليغولا ٣٤ فليوس ٣٤ أنطونيوس ٣٤ أدريان



الفصل الحادى عشر

(الرحلة العلمية فى معبد رمسيس الثالث)

ثم ننتقل الى مدينة أبو أوهبو وهى التى يراها الزائرون على البعد متى وصلوا الى الشاطئ الغربى من النيل فتظهر لهم جهة الجنوب كأنها تل أسود به قطع من المبانى المهدومة التى تكلست من الحريق وصارت صفراء ذهبية اللون وجميع ذلك عبارة عن أطلال المدينة القبطية التى كانت بنيت حول معبد رمسيس الثالث عند سقوط دين الجاهلية بمصر وهى مشهورة بآثارها العجيبة وأهم ما بها معبدان أحدهما يعرف باسم طوطوميس وتيجان أساطينه لها شكل الازهار وكلاهما قائمة فى الرحبة الاولى منه ويظهر من حالة نقشه وانحطاط درجة خطه أن مدخله وأبراجه الناقصة بنيت فى زمن الرومان فضلا عن أننا نرى فى رحبته اسم طيطوس قيصر وأدريانوس قيصر وانطونيوس قيصر أمبراطرة رومة أما احدى جهتى الباب الذى بوسط هذين البرجين فبنيت فى زمن بطليموس لاطيروس (أى الارقط) والثانى فى زمن بطليموس أوليطيس (أى الزامر)

ثم نرى بعد ذلك حوشا صغيرا وفى آخره برج لطيف الهندام عليه اسم طهراقه الاثيوبى (من العائلة الخامسة والعشرين) ثم الملك نقطنبو الثانى (آخر من حكم من الفراعنة وهو من العائلة الثلاثين) وليس هما البانيين له وانما وضعا اسمهما ظلما بلاحق على ما بناه غيرهما من الملوك ونرى بطليموس لاطيروس (الارقط) اختلس اسم نقطنبو الذى كان اختلس اسم طهراقه ونسبه لنفسه

ومتى جاوز الانسان هذا المكان صار فى المعبد الاصلى وعليه اسم طوطوميس الاول أما اسم طوطوميس الثالث فشائع على أغلب جدرانه ومن ذلك نعلم أنه اشتمل على جملة أسماء لجملة ملوك تعاقبوا على تخت الديار المصرية فى أزمان مختلفة حتى انك ترى عليه اسم بطليموس فسكون (أى البطين وهو الثامن من ملوك البطالسة) وبذلك صار أمر هذا المعبد غريبا لان عوامل الاختلاس كانت تصادفه فى كل حين وربما أتى له ذلك من التصليحات أو الترميمات التى اعترته مدة هؤلاء الملوك فى تلك الازمان الطويلة أما الغرض من بنائه فمجهول الى الآن

ثم تحول الى معبد رمسيس الثالث وهو أحد المبانى الفرعونية العجيبة التى سمعت بها مصر مدة عنفوان شبابها وقد اشتهر صيته وطارت سمعته لفخامة مبناه وهيئة مجموع أماكنه وأهمية ما به من التواريخ المصرية وأسلوب كتابته وزينة نقوشه وتنوع لوحاته بحيث ان الزائرين لا يخرجون منه الا وهم فى دهشة مما رأوه به من لطفه وغرابته وهو قسمان يفصلهما حوش كبير

القسم الاول ويعرف عند علماء الآثار باسم سراى رمسيس الثالث وهو ما يقابل الزائرين عند دخولهم من الباب ويظهر من حاله أنه كان مسكنا ملوكيا وهو عبارة عن برجين مربعين وجدرهما الاربعة مائلة على بعضها بالهندام نحو المركز العام وشبابيكهما محاطة من الخارج بزينة خاصة غريبة سيما الجهة الشمالية أما تفاصيل هذه السراى فجديرة بامعان النظر وفى الدور الاعلى رفارف تحملها أسارى من الحجر مبطوحون أى مطروحون على بطونهم كانت معدة لتثبيت أطراف القماش الذى كانوا ينشرونه ليستر مجاز المدخل ويقى وجهة الباب الشرقية من الشمس وفى بعض الاروقة الداخلة رسم خاص وهو صورة رمسيس الثالث جالس فى منزله بين عائلته وواحدة من بناته تقدم له باقة من الازهار وكأنه يلعب الضامة مع الثانية ويأخذ فاكهة من الثالثة وهو يلاطفها ويشكرها على ذلك ومن نظر الى ما هنالك من الرسم أيقن أن هذا الملك كان عالما بالتواريخ معتنيا بالرسم والتصوير فانه جعل نفسه فى أول المدخل كغالب منصور يقود الاسارى ويقدمهم الى معبوداته والعجب كل العجب من المصور الذى أعطى لوحة كل أسير هيئة جنسه بعدما قسمهم الى قسمين فجعل أسارى الجنوب أى بلاد اتيوبيا وليبيا على الجهة الجنوبية من المدخل وجعل أسارى الشمال على الجهة الشمالية منه وكل واحد منهم جاث على ركبتيه ويداه موثوقتان من خلفه وأسارى الجنوب هم

١ (رئيس بلاد كوش الحقيرة) مرسوم فى هيئة العبد مع أن هيئة هذه الامة تقرب من هيئة المصريين ولا يعلم السبب الذى أوجب هذا التغيير فى أصل خلقته

٢ هدم بالحائط

٣ هدم بالحائط أيضا ويظهر من بقايا الرسم أن الاسارى كانوا من بلاد كوش أيضا

٤ (رئيس بلاد ليبو) وله لحية دقيقة من أسفلها وذؤابة شعره مرسلة على أذنه وهو رئيس بلاد ليبيا الواقعة غرب مصر

٥ (رئيس بلاد تورس) وسكانها من جنس الكوشيين أى فى الانوف ولثيابهم هداب مرسل

٦ (رئيس المشواشيين) وهو ضخم الوجه كبيره وقومه قسم عظيم من الليبيين كانوا يسكنون سواحل افريقا الشمالية

٧ رئيس بلاد تروا

أما أسارى الشمال المرسومون على الجهة الشمالية من مدخل السراى فهم

١ (رئيس أمة الخيتاس الحقيرة أخذ أسيرا بالحياة) ووجهه ممتلئ باللحم ليس له لحية وفى أذنيه أقراط كبيرة وعلى رأسه قلنسوة كابسة ينزل منها نحو طيلسان على ظهره وكانت هذه الامة تسكن جهة الشام من قسم آسيا بالقرب من نهر (أورنتو)

٢ (رئيس بلاد أمرو الحقيرة) ووجهه مستطيل ولحيته دقيقة وهو ملك العموريين الذين كانوا يسكنون الشاطئ الغربى من بحيرة لوط أو البحر الميت

٣ (رئيس بلاد تكارى) وكان قومه يسكنون بقرب بلاد الشركس ولما هزمهم رمسيس الثالث انضموا مع المنهزمين وطلب الجميع أن يسكنوا الناحية الغربية من حدود مصر فصرح لهم الملك بذلك وقد ذكر بطليموس الجغرافى جميع هؤلاء القبائل فى أحد مؤلفاته

٤ (رئيس بلاد الشرتنه الواقعة على ساحل البحر) وذكرهم بطليموس باسم خرتى ويظهر أنهم سكان بلاد سلسيا ببر الاناطولى بقسم آسيا على شاطئ البحر الابيض المتوسط فى شمال خليج اسكندرونه الآن

٥ (رئيس أمة شازو) وكانت معروفة من قديم عند المصريين ومذكورة فى تواريخهم وكانت تسكن الصحراء الممتدة بجوار برزخ السويس وتعرف فى التوراة باسم الايدوميين

٦ (أمة الطورشا الساكنة على البحر) وقال بعضهم ان هذه الامة كانت تسكن بجوار جبل الطوروس (جبل الجودى) مما يلى ساحل البحر

٧ (رئيس أمة البو) أو البوزاتا وقال بعضهم انهم أمة البلسج (أصل سكان بلاد اليونان) وظن غيرهم أنهم أمة الفلسطين (هى أمة كانت تسكن آسيا الصغرى وهى فرع من أمة البلسج أتت من جزيرة كريت ثم توطنت بعد ذلك ما بين البحر الابيض المتوسط وبلاد الشام وكان من مدنها غزة وعسقلان وأشدود وغيرها

فمن ذلك يؤخذ أن مصر فى زمن رمسيس الثالث حاربت فى آن واحد جميع هؤلاء الاقوام وهم الكوشيون بأقسامهم وكانوا هجموا عليها من جهة الجنوب ثم الليبيون بأقسامهم وكانوا هجموا عليها من جهة الغرب ثم الخيتاس (الهيتيون) والترويون والعموريون والتكاريون والشرتنه والسازو وكلهم هجموا من جهة الشمال والشرق وجميعهم هجموا عليها من البر ثم الطورشا والبرزا وكانا هجما عليها من البحر يعنى أن مصر حاربت فى عصر هذا الملك النبيل السودان والمغرب والحجاز والشام وبر الاناطولى وسكان سواحل البحر المتوسط وقهرتهم جميعا فى آن واحد وكبحت طمعهم فعادوا بالخيبة والنكال لم ينالوا منها خيرا بعد ما أسرت رؤساءهم وملوكهم وغنمت جميع ما كان معهم حتى نساءهم وأولادهم ولو كان هؤلاء الاحزاب يتحزبون الآن على أعظم دولة لاوقعوا بها الدمار ولكن الله يقلب الليل والنهار ولا يقع فى ملكه الا ما يريد

ويستنتج من هذه العمارة ومن هذا الرسم سؤال مهم وهو هل كانت هذه السراى حقيقة مسكنا لهذا الملك وهل كانت جميع السرايات الملوكية مبنية على هذا النمط وهل كان لكل معبد سراى مبنى بالحجر المنحوت كالمعبد نفسه ومنقوش بالكتابة مثله فان قلنا بالايجاب لزم أن يكون بمصر جملة سرايات ملوكية كهذه مع أن الامر بخلاف لاننا لم نجد لغيرها أدنى أثر فى جميع أرض مصر وعلى ذلك لا يمكننا حل هذا الاشكال لاننا كلما حاولنا فكه ازداد خفاء سيما وقد علمنا أن الملوك ما كانت تسكن بالمعابد والغالب على الظن أن هذا المكان ما كان مسكنا لهذا الملك ولا لغيره من الملوك

وبالتأمل فى وضعه وانفراده بالقرب من الصحراء وهندسة بنائه يصبو الانسان الى القول بان الغرض الوحيد منه هو بناء هذه الابراج التى تعرف باسم أبراج النصر لان ما عليها من الكتابة والنقوش موجود نظيره على جميع الابراج بالاقصر والكرنك والرمسيوم وان الملوك ما شيدوها على حدود المدينة الا لتكون حصونا أو قلاعا ومعاقل للدفاع وقت

الحرب كما تكون أثرا ضامنا لتخليد نصراتهم على أعدائهم وعلى ذلك تكون هذه الحصون آثارا حربية للملوك أرباب الغزو لا آثارا مدنية ومما يقوى هذا القول هو أننا نرى على السور العام وبرجى السراى شراريف تشعر بان هذا المكان كان حصنا يتترس الجند بشراريفه وقت مهاجمة الاعداء والله أعلم بحقيقة حاله

القسم الثانى هو المعبد الحقيقى ويمتاز بابراجه الشامخة وهو كالسراى بمعنى أنه أثر لرمسيس المذكور بناه مدة حياته وزينه بكل زينة وجعل أبراجه للتفرج غاية والتفكر آية لما حوته من بديع الصنعة والتواريخ منها لوحات عظيمة مؤرخة فى السنة الحادية عشرة والثانية عشرة من حكمه تنبئنا بالوقائع الحربية والتجريدات التى جردها هذا الملك الجليل لسلامة الوطن من الاعداء كقتال أهل ليبيا والمشواشين وباقى الامم التى زحفت على مصر من سواحل البحر الابيض المتوسط وجبال آسيا الغربية التى اتخذت قلبا وقالبا على الايقاع بها ويرى على وجهة البرج من جهة الشمال صورة الملك وبيده مقمعة وهو متهئ لان يضرب بها فوجا من الاسارى الجاثين على ركبهم الرافعين اليه يد الضراعة والابتهال ومعبوده (أمون هرماخيس) يناوله نحو بلطة ويمدحه بخطبة ترجمها العلامة شباس وصورتها أيها الابن الذى خرجت من أحشائى أنت الذى أنطقك بحبى أنت ملك الخافقين أنت رمسيس الثالث رب السيف على وجه الارض ها أنا جعلت قبائل بتى بلاد النوبة تحت قدميك وأحضرت لك رؤساء الممالك الجنوبية يحملون لك أولادهم على ظهورهم كباقى المحصولات النفيسة الخارجة من بلادهم تقتل منهم من تشاء وتعفو عمن تشاء وقد وجهت وجهى الى الشمال وحففتك بعجائب فعلى وجعلت تاتشر (أى الارض الحمراء) تحت قدميك فاكسر بأصابعك كل من لم يسلك منهم جادة الصواب واقلب الهيروشاو بسيفك المنصور وقد أحضرت لك الامم الذين ما سمعوا بمصر يحملون حقائبهم (صناديقهم) المفعمة بالذهب والفضة واللازورد الحقيقى وكل الاحجار الكريمة وكل ما يخرج من تانوتر (الارض المقدسة) جعلته أمام وجهك الحسن فاختر منه ما تشاء ثم وجهت وجهى الى الشرق وحففتك بغرائب فعلى وأوثقت جميع سكانه بين يديك وجمعت لك كل محصول مملكة بون (أرض الحجاز) فصار فى حضرتك كل محصول أراضيها وكل نباتها العطرى ثم وجهت وجهى الى الغرب وحففتك بغرائب فعلى فاضرب بلاد تاهنو الذين يأتون اليك وهم ركع يعبدونك ويقعون فى جريهم من صوتك المخيف اه

ثم نجد بعـد ذلك حوشا محاطا من أحد جوانبه باساطين ضخمة ذات تيجان الهاهيئة أكمام البشنين الذابلة وبالجهة الثانية دعائم مربعة عليها تماثيل جاثية على هيئة رمسيس الثالث فى زى المعبود أوزيريس وفى الجدار الجنوبى لوحة عظيمة عليها صورة أمون وموت والملك رمسيس يقدم لهما ثلاثة صـفوف من الاسارى الذين أتى بهم من أهل آسيا وبالصف الاسفل منها أمة البوروزاتا وبالصف المتوسط أمة تعرف باسم تعانا وونا ومعها أمة أخرى من الشراكسة التى استوطنت فى بلاد ليبيا ذكرها بطليموس الجغرافى باسم تيتليا وبالصف الاعلى أمة تدعى شكرشا وهى أمة ثالثة من جهـة جبال القوقاز ظن بعضهم أنهم هم الشراكسة وقد تحرف اسمهم على مدى الزمن وقال بروكش باشا ان هذه الامة طائفة من سكان ليبيا كانت أتت لمحاربة مصر مع من أتى من الاحزاب ولما هزمت سكنت جهة ليبيا وعلى الحائط الشمالى كتابة نفيسـة اشتغل بها العالم الشهير روجه وحل معانيها وأظهر حقيقة ما بها من التواريخ وليس فى الخمسة عشر سطرا العليا منها عظيم فائدة لانها ألقاب ملوكية وعناوين سلطانية ولا يهمنا ذكرها أما التواريخ والوقائع الحربية فتبتدئ من أول السطر السادس عشر وهى تتضمن غزوات هذا الملك مع أمة الخيتاس (الهيتيين) وأمة كاتى وأمة كركاشا وسكان أراتو وأروتا الذين انضموا مع أمة بوروزاتا وأمة التكارى والشكرشا وأمة تعاناوونا وأمة الاواشاشا وهجموا على مصر وأرادوا الاستيلاء عليها وكان المصاف بين الفريقين فى البحر فى أحد مصبات النيل وقد ضربنا صفحا عن ذكر تفاصيل هـذه الواقعة المهولة اذ ليس هذا كتاب التاريخ ومن ذلك تعلم أن زمن هذا الملك كان زمن محن لكن قام لحماية الوطن أحسن قيام ودفع صولة جميع هؤلاء الاحزاب الذين كانوا دائما يتوعدون مصر بالقدوم ويهددونها بالهجوم

فاذا غادرنا هذا المكان ودخلنا من الباب المصنوع من حجر الجرانيت ألفينا حوشا عظيما معـدودا من أنفس الآثار المصرية قد أحيط من أربع جهاته بعتابة أو مجاز مسـتور بالنقش والكتابة الملونة اللطيفـة وفى المجاز الشمالى والجنوبى أساطين عظيمة لتيجانها شكل أكمام البشـنين أما المجاز الشرقى والغربى فعمده مربعة كان يرتكز عليها تماثيل الملك المذكور وبهـذا الحوش كثير من هشيم تلك العمد المطروحة على الارض وحجرها رملى وبقى بها الى الآن ثلاثة أو أربعة عمد قائمة على أصلها والسبب فى هذا الخراب هو أن

النصارى حولوا هذا الحوش الى كنيسة عند دخول الدين المسيحى بمصر أما الكتابة التى على المجاز فكثيرة جدا ولا يسعنا التكلم عن شئ منها فى هـذا المختصر ويرى الانسان على يساره وهو داخل صورة الحرب والكفاح ويجب على المتفرج أن يتعود على رؤية صورة الملك الهائلة فانه مصور كاعظم ما يكون بالنسبة لغيره وهو راكب على عربته وقد اندفع بها بوسط الاعداء وهم يولون أمامه مدبرين وقال بعض العلماء ان هذه الامة من أهل ليبيا وترى لوجوههـم فى آخر اللوحة سماجة أو بساطة يستغرب منها النظر ولا يستحسنه والاعداء تقع على بعضهم من شدة الوجل والخوف وعلى الحائط الجنوبى لوحة أخرى مصور بها ضـباط الجيش المصرى وقواده يأتون بالاسارى الى ملكهم المنصور وبجوارهم كتابة تذكر أن عددهم بلغ ألفا والقتلى ثلاثة آلاف وبجوارها كتابة أخرى تذكر تفصيل الواقعة غير أنها تلفت لتقادم العهد عليها حتى محيت معالمها أما اللوحة الثالثة ففيها صورة الملك وهو محفوف بعساكره وعائد الى مصر يتقـدمه لفيف من الاسارى المقرنين فى الاصفاد وترى باللوحة الرابعـة صورته أيضا وهو يقدم الاسارى الى معبوداته بعـد دخوله مدينة طيبة وهذه اللوحات الحربية تشغل جميع الجزء الاسـفل من الجهة الشرقية والجنوبية والشماليـة من الحوش المذكور أما الجزء الاعلى ففيه رسم وأشكال مهمة لا تنقص قيمتها عن قيمة الاربع لوحات السالفة الذكر وهى تستحق النظر وتكلم عليها شمبليون الشاب الفرنساوى أبو علماء الآثار وهاك نص عبارته هـذه الاشكال عبارة عن رمسيس الثالث وهو خارج من سراياته يحمله المزين بأجمل زينة يحمله اثنا عشر ضابطا وهو متحل بالحلية الملوكية وعليه أبهة كبار الملوك ورأسه محلاة بريش النعام قد جلس على تخت لطيف فوق المحمل واستتر بأجنحة تماثيل من الذهب كانت عندهم رمزا على الحق أو العدل وبجوار تخته صورة أبى الهول وهو رمز على العقل والقوة ثم صورة أسد الدالة على القوة وشدة البأس وحول المحمل ضباط يحملون مراوح أو مظلات وحوله شبان من أولاد الكهنة يحملون قضيب ملكه وجفير قوسـه وباقى علاماته الملوكيـة وحول المحمل تسعة من أمراء العائلة الملوكية وأكابر الدولة الذين ترقوا من الطائفة الكهنوتية يمشون صفين ثم عساكر تحمل قاعدة المحمل والمدرج يحف الجميع فرقة من الجند وأمام الملك طائفة من رجال الدولة المختلفى الدرجات يمشون بانتظام ويكون المغنون أو المرتلون أمام

الموكب تتلوهم الموسيقى وبها المزمار والطبل والنفير ثم أهل الملك وأقاربه وفيهم كثير من الكهنة ثم ابنه البكرى ثم قائد العسكر يمشى أمام الملك ويبخره وبعد ذلك ترى الملك أتى الى معبد هوروس ودنى من المحراب وسكب الخمر وحرق البخور ودخن واثنان وعشرين كاهنا يحملون تختروانا مزينا وبه صنم المعبود يسير بين المراوح والمظلات وأغصان الازهار والملك يمشى على قدميه أمام التختروان وهو متوج بتاج مصر السفلى فقط يتقدمه ثور أبيض وهو رمز على معبودهم أمون هوروس أو أمون رع وهو زوج أمه (أى زوج أم الملك على حسب اعتقادهم) وكاهن يبخر قدام الثور وفى أعلى اللوحة صورة زوجة الملك مرسومة وهى شاخصة لهذا الاحتفال الدينى وبمجرد ما يتجاوز صنم المعبود عتبة الهيكل يعلن أحد الكهنة بالادعية الخاصة بذلك ويتقدم تسعة عشر كاهنا يحملون العلامات السرية وهى الاوانى المقدسة وموائد القرابين وجميع أدوات العبادة ويمشى سبعة من الكهنة أمام الجميع يحملون على أكتافهم تماثيل صغيرة وهى صور الملوك السالفين أجداد الملك كأنهم يحضرون زفاف حفيدهم المنصور اه

أما الاربعة طيور المرسومة هناك فهو انهم كانوا يعتقدون أنها المردة أولاد أوزيريس الحامون عن الاربع جهات الاصلية (أى المشرق والمغرب والشمال والجنوب) وكانوا يقولون ان الكاهن الاعظم السيطرة عليهم وهو الذى يسرحهم الى هذه الاربع جهات ليخبروا من بها من السكان أن رمسيس وضع على رأسه تاج الصعيد والبحيرة كالمعبود هوروس أما باقى الرسم فقال عنه شمبليون السالف الذكر انه عبارة عن الملك قد توج بالعلامة المسماة بشنت وأخذ يتلو آية الشكر لمعبوده ومعه ضباط معيته وأمامه طائفة من القسس والموسيقى المقدسة ثم ترى بعد ذلك كأنه يحصد جرزة من القمح بمنجل من ذهب وعلى رأسه خوذة الحرب كأنه خارج من سرايته ثم يستأذن فى الرواح باراقة الخمر لدى معبوده أمون هوروس الذى دخل فى محل قدسه وبجوار الملك الثور الابيض وتماثيل أجداده قائمون على قواعدها وزوجته مصورة كأنها تشاهد جميع ما يفعله ثم كاهنين أحدهما يعزم ويزمزم والآخر يبتهل وهو يرتجل اه

ثم تتوجه الى الحائط الجنوبى من الخارج فترى عليه صورة جدول به أسماء الاعياد التى كانت تقام فى هذا المعبد وليس لذكرها فائدة هنا أما على الحائط الشمالى من الخارج

فقد تطرقت له الايام بالدمار لكنه فى الاهمية بمكان حتى ان الزائرين يتخيلون أنهم فى متحف مصرى جليل يتركب من عشر لوحات مرتبة التنظير لتظيره وعليه الوقائع الحربية التى حدثت فى السنة التاسعة من حكم هذا الملك وكانت بينه وبين أهل ليبيا وأمة التكارى وهاك بيانها

اللوحة الاولى بها سير الجنود وترتيبهم وصورة الاسلحة المصرية التى كانت مستعملة عندهم فى ذلك العصر

اللوحة الثانية بها واقعة حربية هائلة كان النصر فيها للمصريين على أعدائهم أهل ليبيا الذين هم من نسل أمة تماهو وفيها الملك يقاتل بنفسه والقتلى أمامه لاتعد ولاتحصى

اللوحة الثالثة بها المصريون قتلوا اثنى عشر ألفا وخمسمائة وخمسة وثلاثين عدوا وقواد الجيش تقدم الاسارى الى الملك

اللوحة الرابعة بها الملك قام خطيبا بين ضباط عسكره يستفزهم على القتال والعسكر حاملة سلاحها متهيئة للمشى والهجوم على العدو وتفاصيل هذه اللوحة عجيبة فللمتفرج أن يمعن النظر فيها

اللوحة الخامسة بها سير العساكر مرة ثانية وهى تمشى صفوفا أما النص الذى عليها فمدح للملك وللمعبودات

اللوحة السادسة بها واقعة حربية ونصرة ثانية والاعداء المرسومون بها هم التكارى والملك يرميهم ويقلبهم فوق بعضهم ويهجم على معسكرهم فتفر منه النساء والاطفال على عربات تجرها الثيران

اللوحة السابعة بها سير جديد وكأن الجنود المصرية اخترقت مسبعة أى أرض ذات سباع (لعلها احدى الاراضى الواقعة على احدى السلاسل الجبلية الخارجة من جبل لبنان) والملك اقتنص سبعا وجرح آخر ولعل هذا المكان هو الذى قتل به الملك أمونوفيس الثالث المائة أسد وعشرة المذكورة على أحد الجعارين الموجود الآن بالمتحف المصرى حيث يذكر به أنه قتل بيده مدة العشر سنين الاول من حكمه مائة أسد وعشرة

اللوحة الثامنة هى اللوحة الوحيدة فى جميع الآثار المصرية لانه مرسوم عليها كيفية حرب البحر فى تلك الازمان وكانت الملحمة بالقرب من الساحل وفى مصب أحد الانهار وترى

أسطول التكارى انضم الى أسطول أمة الشرتنة وهجما على الاسطول المصرى وحصل هيجاء غير واضحة البيان فيها غرقت سفينة من العدو فانكسرت وصعد قاعها فى الهواء أمام رمسيس وعساكر الرماة فكانوا على الساحل يساجلون العدو ويرشقونه بالنبل والنشاب

اللوحة التاسعة بها كأن الجنود عائدة الى الاوطان ثم وقفوا عند حصن يدعى (رمسيس حق أن) وهناك يحصون القتلى بواسطة عد أيديهم التى قطعوها منهم فى ميدان الحرب والاسارى تمشى صفوفا أمام الملك وهو يخطب أمام أولاده وقواد جيشه

اللوحة العاشرة بها الملك كأنه دخل مدينة طيبة وهو يرفع أيادى الشكر لمعبوداته التى منت عليه بهذا النصر وبها خطاب منه لمعبوداته وخطاب منهم اليه ثم خطاب من الاسارى اليــه وهم رافعون أكف الضراعة ويبتهلون له كى يرأف بهم ويطلق سراحهم لينشروا فضل شجاعته وشدة بأسه زمنا طويلا بين الناس الذين لم يروه

فينتج مما ذكرناه أن هــذا المعبد هو أحد الآثار المصرية المهمة جدا مع أننا لم نتكلم عليه الا بوجه الايجاز واذا أردنا الوقوف على غرض الملك من شأنه لم نجد له تأويلا الا ما قلناه فى معبد الرمسيوم ومن دقق النظر علم أن انتخابه لهذا المكان وجعله معبدا على ساحل الصحراء بالقرب من المقابر لم يكن بلا سبب قد خفى علينا الآن والله أعلم بالغرض منه

أما المقابر الموجودة بهذه الجهة فليس فى رؤية أغلبها كبير فائدة بيد أننا لم نر بأسا من الالماع بذكر أهم ما بها وأولها مقابر ذراع أبى النجا وهى الآبار المنبوشة والآكام المتراكمة فوق بعضها الواقعة عن يمين الانسان متى كان فى معبد القرنة وقصد معبد الرمسيوم وهى أقدم مقابر حفرت بمدينة طيبة لان بعضها يصعد تاريخه الى زمن العائلة الحادية عشرة والسابعة عشرة وأول الثامنة عشرة وقد سبق ذكر ذلك فى الرحلة العلمية عند الكلام على مدينة طيبة ومن هذا المكان تحصلت مصلحة الآثار المصرية على المصاغ الثمين المنسوب للملكة عاحوتب وليس فى رؤية هذه المقابر فائدة عظمى للزائرين

فاذا جاوزنا هــذا المكان الى الجنوب وصلنا الى مقابر العصاصيف وتنسب الى العائلة التاسعة عشرة والثانية والعشرين والسادسة والعشرين وكان من عادة القوم فى ذلك العهد أن يجعلوا موتاهم فى حجرات بهــذه المقابر أو فى عمق مترفا كثر وليس لها آبار كذراع أبى النجا وسقارة وغيرهما ومن البديهى أن المتفرج لا يتيسر له مشاهدة جميع هــذه

الا ما كن مالم يكن معه خبير من أهل تلك الجهة أو رسم عام لان كل كتاب ألفه علماء الآثار فى وصــفها لا يفيد غير مسائل عامة للاماكن المهمة ومن الباقى لهــا وما كان غرضه بذلك وتفسير بعض النقوش والنصوص وغير ذلك من الاشياء التى لابد منها

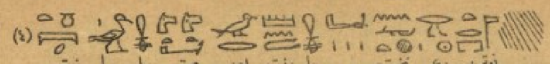
أما مقابر قرنة مرعى ومقابر الشيخ عبد القرنة فواقعة بالقرب من هذا المكان وكلها من أيام العائلة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة الطيبية (راجع جدول العائلات) وجميعها منحوت فى سفح الجبل وفى سيفه وأبوابها مفتوحة الى كل ناحية من رآها من البعد ظن أنها حوانيت خربة معلقة فى الجبل يعلو بعضها بعضا بلا ترتيب تمتد الى أمد بعيد ولبعضها وضع خاص يبدو لعين الرائى أنها مزاغل جعلت فى طوابى أو استحكامات بالجبل فاذا دنى منها وجدها أروقة منحوتة يتصل بها قاعات جعلوها لاجتماع أهل الميت وأقاربه فى الاعياد ثم آبار تفضى الى حجرات صغيرة تكون بها الاموات وقد سبق ذكر نظيرها عند الكلام على مقابر سقارة وفى الغالب يكون بها نقش وزينة أو كتابة تنبئ بما كان للميت من الخيرات والنعيم والعيشة الرغدة وهو مصور كأنه على قيد الحياة محاط بخدمه وحاشيته وحوله آلات الطرب وهو بين عائلتــه وتارة تراه قائما على رأس عماله وهم يباشرون زراعة الارض وغير ذلك ولنقتصر من هــذا على مقبرة هوى بضم الهاء وكسر الواو ولو أن نقوشها أوشكت أن تزول لكثرة عبث الايدى بها وكان هوى المذكور من رجال الدولة الثامنة عشرة وهو مرسوم بها ملقب بلقب أمير بلاد الكوش أى حكمدار السودان وتراه قائما كأنه أتى لاستلام وظيفته وأمامه أفواج من الناس المختلفى الاجناس والالوان ولكل واحد سيمة وتقاطيع خاصة به قد أحضر بعضهم له زرافات وثيران ذوات قرون طويلة تنتهى بما يماثل راحة اليد وبعضهم يقدم له حلقات من الذهب وسبائك من النحاس ومن جلود الحيوانات المفترسة والمراوح ذوات الايدى الطويلة وريش النعام وفى لوحة أخرى مرسوم كأنه عاد من مأموريته ببلاد الروتنو (بلاد الاسوريين أو الكلدان) وتمثل لدى الملك سيده الجالس على كرسيه ليقدم له وكلاء الامم أو رسلهم وعليهم نحو ما آزر زاهية اللون قد التفوا بها جملة مرات فأغنتهم عن الثياب ومعهم عبيد أو موال عراة الاجسام ما لهم غير ستر ينزل من خاصرتهم الى ما دون سوآتهم بيض الوجوه المشربة بالحمرة ولهؤلاء القوم لحية مرسلة دقيقة من أسفلها وهم وقوف يقدمون الى الملك هدايا منها الخيل والسباع وسبائك من المعادن النفيسة والاوانى المصوغة من الذهب والفضة لها شكل غريب جدا

وفى هذه السنين الاخيرة اكتشفت مصلحة الآثار بواسطة الحفر على كثير من هذه المقابر المزينة بالرسم والكتابة الملونة الدالة على ما كان لمصر من الجاه والثروة منها مقبرة ركارع وهى فى الحسن غاية وبالبهجة آية منقوش على حيطانها صورة رجال أتت من بلاد (بون) بلاد اليمن والحجاز كأنهم دخلوا مصر فى موكب يحملون معهم برسم الجزية النسانيس والعاج وغير ذلك من نفائس بلادهم ثم صورة رجال أتت من سواحل الشام والبحر الرومى يحملون هدايا من محصول بلادهم ليقدموها الى ركارع المذكور فيقبضها منهم باسم الملك طوطوميس الثالث ملك ذلك العصر وفى الرواق الاخير صورة عمل الطوب وفتل الحبال وتطريق المعادن وتشييد البناء وغير ذلك من الصنائع التى كانت جارية تحت مباشرة هذا الامير وتراه وهو مسافر لمناظرة جميع هذه الاشغال فى زورق (سفينة صغيرة) ثم جدول القرابين التى كانت تقدم له بعد موته وبذلك صار لهذه المقابر أهمية كلية غير أن أهل القرنة تسلطوا على بعضها فأخذوا من نقشها ورسمها ما شاء الله اقتلعوها من الجدر وباعوها للسائحين فصارت مشوهة بعد أن كانت تسر الناظرين فكأنها ما انكشف حجابها الا لتكون طعمة لهم ولذا اضطرت مصلحة الآثار أن تجعل على أغلبها أبوابا من الحديد لتحفظ ما بقى بها وأناطت بحراستها الخفراء والحراس ورتبت لهم الرواتب

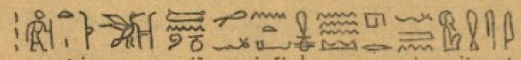
فاذا عرفنا هذا عدنا الى مقابر العصاصيف السالف ذكرها وملنا الى الغرب فنرى هناك مقبرة كبيرة جدا تعرف باسم مقبرة بتامينوفيس وهى ظلام يسكنها الخفاش كباقى المغارات والكهوف الكبيرة المظلمة ولها رائحة كريهة نفاذة لما بها من خرئه ورجيعه حتى ان الانسان الذى لم يتعود على شم مثل هذه الرائحة لا يستطيع الدخول فيها ويظهر من حالتها أنها احترقت فى الازمان السالفة وبالقرب منها باب معقود بالآجر (الطوب الاحمر) وله وضع غريب سيما عقد القبة التى عليه بيد أن أهل القرنة عبثت بهما فاتلفوهما وحولوا ما بهما من الاحجار الاثرية الى جير وباعوا كل ما استحسنوه الى تجار الانتيكة بالاقصر أو الافرنج الذين يأتون فى كل سنة لزيارة الآثار بالصعيد وقال ماريت باشا ان هذا المكان اعتراه من الدمار فى هذه الايام الاخيرة ما لم يعتره مدة ثلاثة آلاف سنة وبذلك صار مهملا لا يمكن وصفه لانه تحول الى أطلال بالية وأقدم قبر فى هذه البقعة كان فى أيام العائلة السادسة والعشرين وأحدثها كان فى أول دولة البطالسة



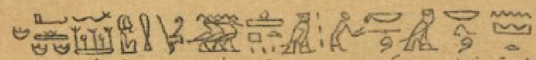
تابع (٣٦)

(٤)


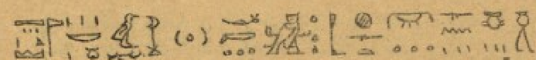
نوتر پر رع نختو ما منت اور بحتى ما سا نوت
الملك الشمس الشرقية القوى مثل منت (معبود) شديد البطش مثل ابن نوت (معبود)



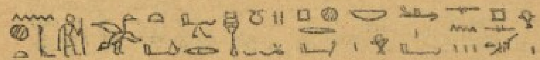
اس حنف م نهـــر ما نتعف تنو رنپت سرو
(الآن) سعادته فى (بلاد) نهر (ارض الموصل) مثل عادته فى ختام السنه وانابرؤسه



ن ست نب يو م كو م حنپيو باوو ن حنف شع حمتو
البلاد جميعهم اتوا بالخضوع بقلوب صافيه الى سعادته من البلاد البعيده

(٥)


اتو سن نب خستب سعنلت خونحت نب نوتر تا
يعاونــــ ذهبا ولازورديا وفيروزجيا وخشبا زكى الرائحه جميعه من ارض الحجاز



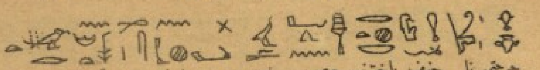
حرپت من رع نب حر خير نوف حع ر دوث پ سر ن بختن
على ظهـــرهم كل واحد يتسابق ثانيه كاف واخر امير بختن



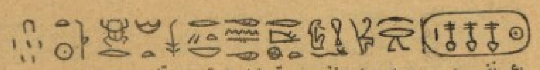
انتو انفوفـــ دوثف ستنف اورت حع ارو حر ساوش
يحمل بجزياتــه واعطى ابنته الكبيره امام الذين خاضعين

(٦)

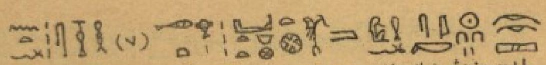

حنف حر دج خرف اون ست نفر ر عا اوت
الى سعادته وطالبين (الرضا) منه وكانت بنت جميلة الى الغاية العظمى



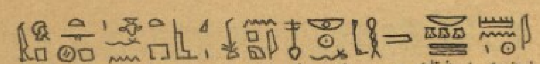
حرحى نا حنف راختنب حعن اود ن خبس سوتزحت اورت
على قلب سعادته زيادة من كل شئ هاهو امر ان تلقب (باسم) الملكه الكبيره



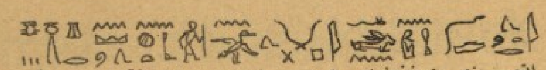
رع نفــرو سپر ن حنف ر قم ارض ارق نب سوتزحت خبر رنپت دوا
شمس البهــاء (وطا) وصل سعادته الى مصر صنع لها كل ما يصنع الى ملكه (وطا) صارت سنة ١٥

(٧)


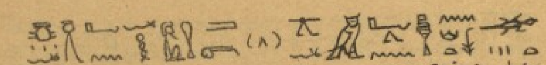
با اون هرزن ش اسك حنف م اوس نخت عت حر ارث حســو نتف
باؤنه يوم ٢٢ كان سعادته فى طيبه الصامه يفعل تسبيحا للأب



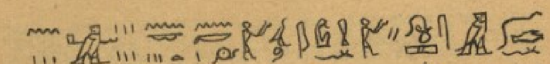
امون رع نب نس تاوى م حبف نفر ن اپ ريس ست حنيف ن تسب تپ ابى
امون رع سيد تخوت القطرين فى عيـــده الليل طيبه الجنوبيه من صميم قلبه ثانى مره



اتو زد ن حنف اوت اپ ن پ سر ن بختن ابو خر اتو
اتو يقولون لسعادته يوجد نجاب من طرف امير بختن اتى ومعه هدايا

(٨)


عشطو ن سوتزحت حعن م سبف م رج حنف حعن اتوف
كبيرة الى الملكه تأمر باحضاره امام سعادته مع هداياه



زدف م سوشى حنف او ن ك رع ن ثمر بت مسع ن
فقال بتضـــرع الى سعادته السلام لك يا شمس الاقوام الشمالية القوس اعطنـ

عنخ رك حعن زدف سن تا مبح خنف نفف زد خر
للحياة عندك فقال (وهو) ساجد فى الارض امام سعادته (وما) يكرر القول عند

خنف اى ٦ ن ك (٩) الى نبحر بنتترشت سنوتك اورت ن
سعادته (قائلا) اتيت اليك (١) مولاى وبك بخصوص بنتترشت تمتك الكبيره

سوتحت رع نفرو من اور عنخ م حعس امعت اتو
الملكه شمس البهاء مرض اصابت اعضائها فلتأمر بان ترسل

خنك رخ خت ر ما س حعن زدن خنف ان نا ثت نت رخخ
سعادتك بعالم روحانى لاجل ينظرها فقال سعادته ائتونى بعالم من المدارس

(١٠) قنبت و ث خن نوت نفت حرعا زد ن خنف مع
(١) الطائفة الكهنوتية التى بداخلها فاتوا اليه عاجلا فقال سعادته لها

ت رع عث ترتن راسم تن سد ثن اسك ان نا
نوديتم لكى انكم تسمعون القول ها قد حضرتم الى ائتونى

اوب تو م حتيف عن م زبعوف م قبتى اى ا نسو ن عنو سوتن تحوت
بفقيه عالم بقلبه ويكتب باصابعه من جمعيتكم فاتوا بالكاتب الملوكى (العمو) تحوت

م حب م بح خنف اتون خنف شم اى ف رابختن خنع اب
محب امام سعادته فامر سعادته ان يمشى الى بختن مع الجواب

بن رابو ار ن رخ خت رابختن قم نف بنترشتى م
هنا ولما وصل الفقيه الى بختن وجد بنترشتى فى

(١) كسر بالحجر

خو خرت خوى قم نف (١٢) سو ...... ى ن
احوال المصابين بالجنى ووجد نفسه (ضعيفا) عن

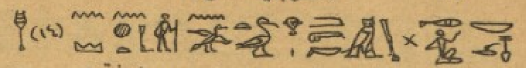
خر خنعف اون سر ن بختن نم ...... م حن م زد انف
الحرب معه وكان امير بختن كرر (ارسال الجواب) عند سعادته قائلا يامولاى

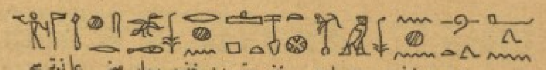
نب ا ام اتو خنف رع ان تو نوتر ...... (١٣) رلخند
وسيدى ليامر سعادته ان يؤتى بالمعبود (فوصل الجواب) الى سعا

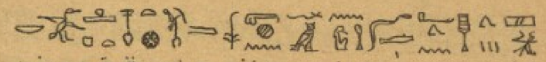
منن رنبت زت سن بشن خنف راحب امن رع اور خنف م پرن اوس
ته فى سنة ٢٣ شهر بشنس فى عيد المعبود امون رع وكان سعادته فى معبد طيبه

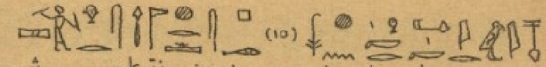
حعن نم ن خنف م بح خنسو م اوس نفرحتپ م زد پ
فاعاد الى سعادته امام خنسو طيبه نفرحتپ قائلا

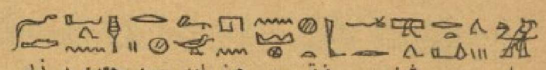
(٣٧)

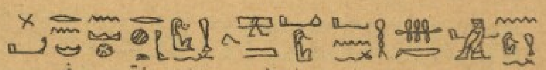
(١٤)

نفرتب ارا نم م بحك حر ست ن پ سر ن بختن حع
ان سيد الحسن جعلنى اعيد امامك بخصوص بنت امير بختن

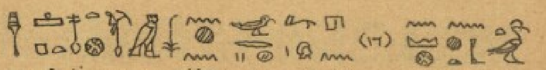

ن ست ن خنسو م اوس نفر حتپ ر خنسو پ ار سخر عا نوتر عر
فمشى الى خنسو طيبه نفر حتپ لاجل خنسو فاعل النصائح الكبير المعبود مزيل

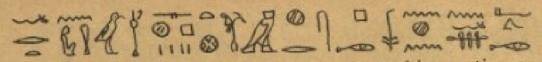

شما حعن زد ن خنف م بح خنسو م اوس نفر حتپ پ نب
الضرر فقال سعادته امام خنسو طيبه نفر حتپ (ايها) السيد

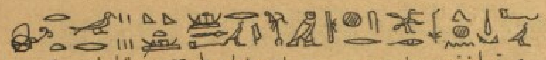
(١٥)

نفر اوو ار دوك حرك ر خنسو پ ار سخر نوتر عا عحر ش
الجليل مر بان تعلى وجهك الى خنسو فاعل النصيحة للمعبود الكبير مزيل الضد

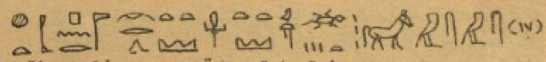

ما رت دو شمف ر بختن هن اور سب حعن زد
رر لاجل ان يجعل شبيه الى بختن فيكن للمرض مرة ثانية فقال

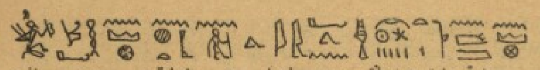

نخف مع سك حعنف دوا شم خنف ربختن رغم
سعادته اجعل بركتك معه (فاك خنسو) انا ارضى بمشي حضرته البختن لاجل يخلص

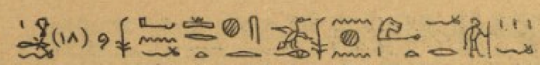
(١٦)

ست ن بختن هن تپ اورسپ نخنسو م وس نفرحتپ حع
بنت بختن ويكن دفعة واحدة للمرض مرة ثانية لخنسو طيبه نفرحتپ

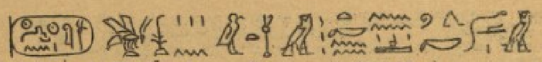

ار نف س ن خنسو پ ار سخر م اوس سپ افت اتو حنف رت
باركه فى خنسو فاعل النصيحة فى طيبه اربع مرات وامر حضرته على

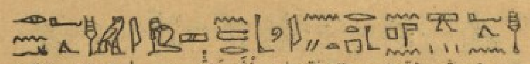

ع نسا خنسو پ ار سحر م اوس ارا م عا قفت توا اور رت
الفور فامر خنسو فاعل النصيحة فى طيبه فى سفينه كبيرة وخمسة صنادل كبار وعربه

(١٧)

سسم سمـــو عشتو من تت ابتت سبر نوتر پن ربختن
وخيـــل كثيرة من المشرق والمغرب وسار المعبود هذا الى بختن


ن قم رنپت وع ابدو افتو حعن اىا ن سر ن بختن خنع منفبو
فى مدة سنه وخمسة اشهر فجاء امير بختن مع عسكره

(١٨)

ف سرف ر حعت ن خنسو پ ار سخر رت عنف سو حر خنف
ووزيره الى امام خنسو فاعل النصائح وانطـــرح على بطنه


م زد ايوك ن حتپ تك تن م اتو ن سوتن سخت اوس ما ع ستپ ن رع
قائلا انت اتيت الينا لكى سلامك علينا كما أمر ملك الصعيد والبحر (رمسيس ميامون)


حعن شم نوتر پن ر بت نتى اوو پنشرش ام حع ارنف
فمشى المعبود هنا الى البيت الذى فيه بنتشرش وفى الحال صنع

(١٩)
س ن ست ن پ سر ن بختن نفر س حرع حعـــن رذ ن
طلبها الى بنت امير بختن فشفيــــت فى الحال وقال

خوت پن تى خنس م بح خنسو پ ار سخـر م اوس اى ا
الجنى هذا الذى معها امام خنسو فاعل النصيحة فى طيبه اتيت

ث م حتپ نوترعا سخــر شمـا ود ما تك پو بختن خنسو
بسلام (ايها) للمعبود الكبير طارد الضرر (اعلم ان مدينتـك هى بختن وعبيدك

(٢٠)
ك پو رسف نوك پو خنك اوو ر شمهات ايو
هم ناسها وانا هو عبدك سر بالذهاب فى المكان الذى اتيت

ا ام ر بقع حتب حتيك حر ايوك حرس مع اتو حنك ر ارهو
سنة لاجل يشرح قلبك من بحيئك بخصوصها (اى الاقامة) ولتأمر حضرتك بعمل يوم

نفر حعن ا حعن پ سر بختن حعت ن هن ن نوترين رپ حن نوتر
عيد الى و الى امير بختن فسلـــم للمعبود هذا الى الكاهن

(٢١)
م زد مع ار پ سر ن بختن عب عاعت م بح
فقالا ليعمل امير بختن قربانا عظيما امام

خوت پو ار اون نن ار خنسو پ ار سخــر م اوس ح
للجنى هذا وبينما كان هذا يفعله خنسو فاعل النصيحة فى طيبه

عن پ خوت اووپ سر ن بختن حع خنــع منفو ا
مع الجنى كان امير بختن واقفا مع عسكره

(٢٢)
اوف ستت بع اور خنــع حعن ن ارنف عب عت م بح خد
فى خوف شديد جدا وعند ذلك صنــع قربانا كبيرا امام

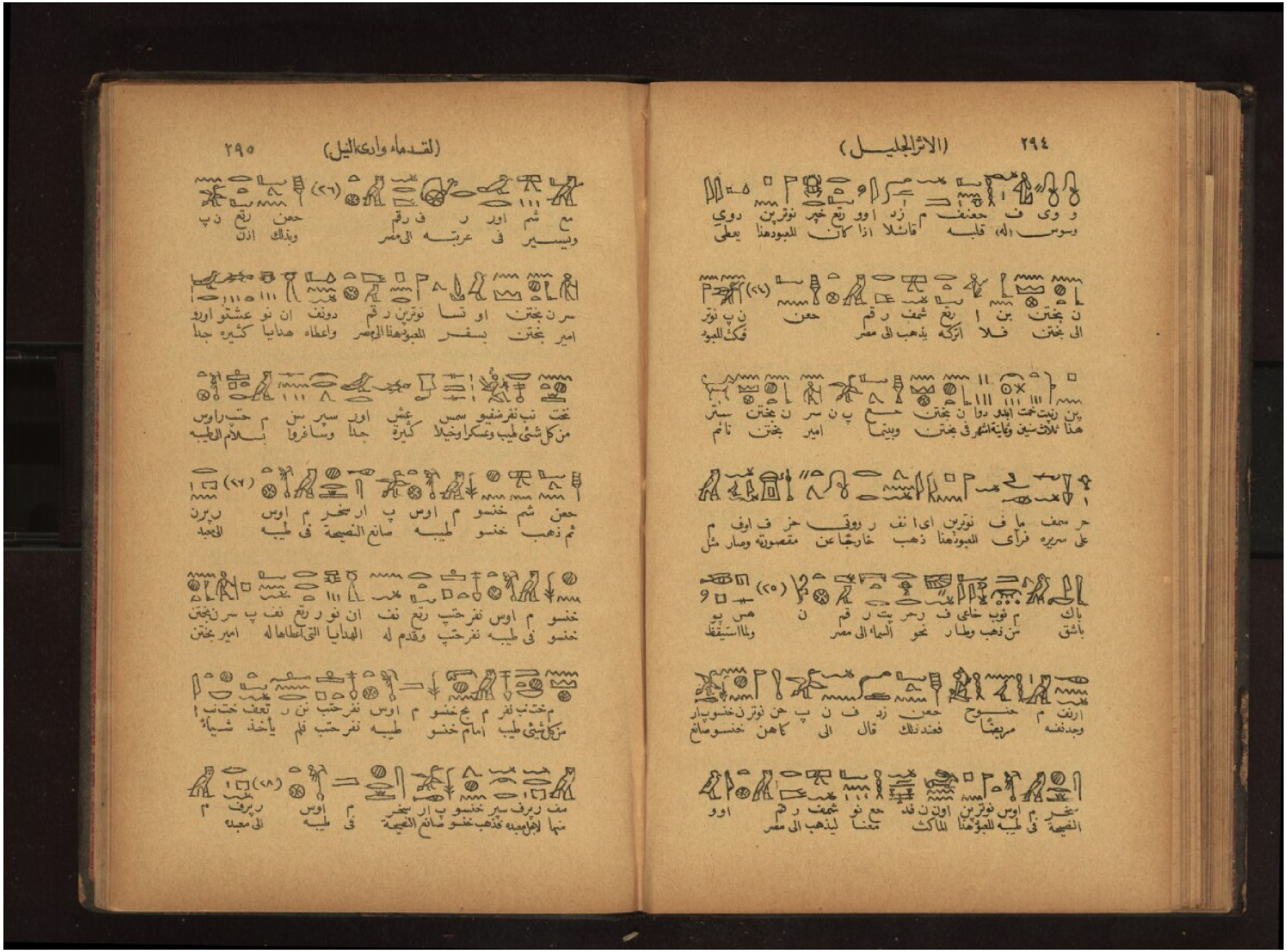
سو پ ار سخر م اوس خنع پ خوت ن پ سر ن بختن ن حرار هر
خنسو صانع النصيحة فى طيبــه (وامام) للجنى تعلق امير بختن وعمل يوم

نفر حرو حع شم نف پ خوت م حتپ ر بيت مرف م اتو
عيد لذلك فذهب للجنى بسلام الى المكان الذى اراده حسب امر

(٢٣)
ن خنسو پ ار سخر م اوس اون پ سر ن بختن جر
خنسو فاعل النصيحة فى طيبه فصار امير بختن فى

نهم رع اور خنعس نب نتى م بختن حعن
سرور عظيم جدا والناس اجمعين الذين فى بختن م

تابع (٢٧)



و وى ف حعنف م زد اوو رنع خپر نوترين دوي
وسوس (له) قلبـــه فقائلا اذا كان للعبودهنا يعطى

(٢٤)
ن بختن بن ا رنع شمف ر قم حعن ن پ نوتر
الى بختن فلا اتركه يذهب الى مصر فمك للعبود

پن رنپت خمت ابلعد دوا ن بختن حــــع پ ن سر ن بختن ستر
هذا ثلاث سنين وثمانية اشهر فى بختن وبينما امير بختن نائم

حر سمف ما ف نوترين اى ا نف ر روقـــب حز ف اوف م
على سريره فرأى للعبودهنا ذهب خارجا عن مقصورته وصار مثل

(٢٥)
باك م نوب خاى ف رحر پت ر قم ن هس يو
باشق من ذهب وطار نحو السماء الى مصر ولما استيقظ

ارتف م خنسوح حعن زد ف ن پ حن نوتر ن خنسو پ ار
وجد نفسه مريضا فعند ذلك قال الى كاهن خنسو صانع

مخر م اوس نوترين اوت ن فد حع نو شمف ر قم اوو
النصيحة فى طيبه للعبودهنا الماكث معنا ليذهب الى مصر

(٢٦)
مع شم اور ر ف رقم حعن رنع ذ پ
ويسير فى عربتـــه الى مصر وبذلك اذن

سر ن بختن او تسا نوترين ر قم دونف إن نو عشتو اورو
امير بختن بسفر للعبودهنا الى مصر واعطاه هدايا كثيرة جدا

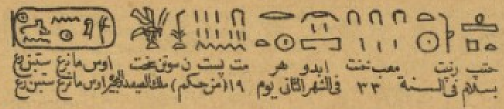
غت نب نفرضفو سمس عش اور سپر سن م حتب راوس
من كل شئ طيب وعسكرا وخيلا كثيرة جدا وساغروا بسلام الطيبه

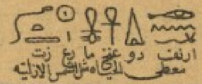
(٢٧)
حعن شم خنسو م اوس پ ار سخر م اوس ر پرن
ثم ذهب خنسو طيبه صانع النصيحة فى طيبه المعبد

خنسو م اوس نفرحتپ رنع نف ان نو ر رنع نف پ سر ن بختن
خنسو فى طيبه نفرحتپ وقدم له الهدايا التى اعطاها له امير بختن

م خت نب نفر م بح خنسو م اوس نفرحتپ نن ر تعف خت نب
من كل شئ طيب امام خنسو طيبه نفرحتپ فلم يأخذ شيئا

(٢٨)
سف رپرف سپر خنسو پ ار سخر م اوس ر پرف م
منها لاجل معبده فذهب خنسو صانع النصيحة فى طيبه الى معبده





بيان للمقاطع الصوتية التى وجدت فى هذه الحكاية



مجمـــل

حكاية رمسيس الحادى عشر أو الثانى عشر أو الثانى وزوجته شمس البهاء بنت أمير بختن واختها المسماة بنت رش أو بنت نترش أو بنت رشتى التى أصابها مس من الجن وجدت مكتوبة على حجر بمعبد خنسو بالقرنة فأخذه أحد الفرنسيس وجعله فى دار كتبهم بمدينة باريس

المقـــــدمة

(١) هوروس الثور القوى مشيد وموطد الممالك مثل المعبود توم هوروس الذهب القاهر بسيفه الغالب على الامم التسعة (أصحاب القوس والنشاب) ملك الوجهين ورب الارضين (أوس مارع إستبنرع) ابن الشمس من أحشائها (أمن مررع مسس) «أى رمسيس ميامون» (٢) سيد تخوت القطرين وطائفة القدسين قاطبة المولى المحسن محب أمون رع وابن هوروس وسلالة هرماخيس الشهير الجليل السيد المطلق ملك مصر وحاكم فنقيا (٣) المولى القابض على التسعة أقوام أصحاب القوس والنشاب من وقت ظهوره الى الدنيا حليف النصر القوى الجاش المقدام الثور الملك المقدسى الشمس المشرقة صاحب القوة كالمعبود (منتو) شديد البطش مثل أبيه المعبود (توت)

الحـــــكاية

(٤) لما كان سعادته فى أرض نهر (وهى أرض الجزيرة أو بلاد الموصل أى بلاد الكردستان) كعادته السنوية أتت اليه أمراء البلاد الاجنبية خاضعين له عن طيب خاطر يحملون اليه الجزية من البلاد القاصية من ذهب ولازورد وحجر دهنج (٥) وخشب زكى

(ملحـــوظات)

الاول — جرى أغلب علماء الآثار الآن على ان هذا الملك هو رمسيس الثانى

الثانية — مدينة بختن المذكورة فى هذه الحكاية قال بعضهم هى فى بلاد افستان وقال بروكش باشا انها مدينة بكتريان أى همذان ثم قال فى موضع آخر أن مكانها مجهول الآن وقال بعضهم غير ذلك وأقول قد ظهر لى انها مدينة بغداد لان مكانها كان يعرف قديما باسم بغدان (راجع القاموس وشرح المقالة الثالثة عشر البغدادية من مقامات الحريرى للشريشى) كان لفظة بغ اسم لصنم وهو متفق عليه عند العرب وفى اللغة القديمة سيما وان الواقعة كانت بالقرب من هذه المدينة

الثالثة — الارقام الموضوعة تدل على عدد الاسطر البربائية التى فى الاصل

الرائحة جميعه من بلاد الحجاز وكانوا يحملون جزيتهم على ظهورهم وكل واحد كان يجتهد أن يسبق رفيقه ليقدم جزيته للملك فجاء أمير بختن وأعطى جزيته وجعل بنته الكبيرة في مقدمتها (٦) وكانت نادرة في الجمال فوقعت محبتها في قلب الملك ولقبها الست الملوكية وسماها (رع نفرو) أي شمس البهاء ولما عاد الى مصر صنع لها من الاحتفال ما يليق بأمثالها الملكات وفي الثاني والعشرين من شهر أبيب سنة ١٥ من حكمه توجه الى مدينة طيبة عاصمة البلاد (٧) وبينما هو مشتغل في طيبة الجنوبية بتلاوة التمجيد في العيد الجليل للاب أمون سيد تخوت الملك اذ أتوا اليه وأخبروه ان نجابا أتى من طرف أمير بختن بهدايا كثيرة (٨) الى الملكة فأمر باحضاره ولما تمثل بين يديه قال بخشوع السناء لك يا شمس التسعة أمم أصحاب القوس والنشاب أعطني الحياة عندك ثم سجد على الارض وقال أتيتك أيها الملك العظيم يا مولاي بخصوص (بنت نترش) اخت الملكة شمس البهاء (أي سلفتك) (٩) حيث أصابها الضر ودخل في أعضائها فلتأمر سعادتك بعالم روحاني ينظرها وفي الحال أمر سعادته باحضار علماء الاسرار من مدرسة القس الملوكية (١٠) فأتوا اليه على الفور فقال سعادته أتدرون لماذا أحضرتكم انما أحضرتكم هنا لتسمعوا وتعوا ائتوني من جمعيتكم هذه بعالم فقيه يكتب باصابعه فاحضروا له الكاتب الملوكي (١١) المدعو (تحوت ام حب) فامر سعادته أن يتوجه صحبة النجاب الى مدينة بختن فلما وصل اليها وجد (بنترشتى) في حالة من أصابه مس من الجن ووجد نفسه (١٢) عاجزا عن مطاردته فعند ذلك أرسل أمير بختن الى ملك مصر نجابا ثانيا يترجاه أن يرسل المعبود خنسو لبرى (بنت رش) (١٣) فوصل الخبر في غرة بؤنة سنة ٢٦ من حكم الملك الموافق موسم أمون وكان الملك في طيبة فاعاد النجاب على سعادته القول في شأن خنسو طيبة الجليل المتين قائلا أيها السيد المحسن أنا كرر أمامك بخصوص بنت أمير بختن (١٤) فمضى الى خنسو الجليل المتين لاجل خنسو النصوح الكبير المقدس طارد الضرر وقال سعادته أمام خنسو طيبة الجليل المتين أيها السيد المحسن لو أمرت خنسو (١٥) النصوح المقدس الكبير طارد الضرر أن يمشى الى بختن ليزيل الضرر في هذه الدفعة الثانية ثم قال سعادته وأن تجعل بركتك معه (فقال خنسو طيبة) أنا أرضى بسفر حضرته الى بختن ليخلص بنت بختن (١٦) ويسكن الضرر مرة ثانية ثم حف خنسو النصوح بالبركة أربع مرات وأمر سعادته أن

خنسو النصوح يسافر في سفينة كبيرة وخمس سفائن صغيرة وأن يأخذ معه عربة (١٧) وخيلا كثيرة تمشي من الغرب والشرق (أقول ان النتيجة من هذه العبارة الطويلة التي أولها السطر الثالث عشر وآخرها نهاية السطر السابع عشر هي أن أمير بختن أرسل النجاب الى ملك مصر فطلب منه أن يرسل معه المعبود فتوجه الملك الى خنسو معبود طيبة وترجاه أن يرسل الصنم خنسو الى بلاد بختن فرضي المعبود بذلك وحفه ببركته ثم سافر هو والكاهن والنجاب في سفينة كبيرة الخ) فلما وصل خنسو (أي الصنم والكاهن) الى المدينة التي فيها (بنترش) بعد سنة وخمسة شهور حضر أمير بختن ومن معه لاستقباله وسجد (١٨) على الارض وقال له قد ابتهجنا بنجاز أمر رمسيس ميامون ثم أحضروا خنسو الى المكان الذي فيه (بنترش) وكتب خنسو (أي كاهن الصنم) الطلاسم فشفيت البنت (١٩) لوقتها ونطق الجني عليها أمامه قائلا مرحبا بالمعبود الكبير طارد (٢٠) الضرر اعلم أن بلاد بختن لك وسكانها عبيدك وأنا أيضا عبدك وها أنا أذهب (٢١) الى حيث جئت لينشرح صدرك بنجاز المقصود الذي أتيت من أجله فقال خنسو (أي الكاهن عن لسان حال الصنم) ليصنع أمير بختن قربانا عظيما أمام هذا الجني ووقتما كان خنسو يتلو العزائم على الجني كان أمير بختن وعساكره في رعب شديد (٢٢) ثم صنع قربانا عظيما أمام خنسو والجني لاشهار يوم مهرجان لهما ثم ذهب الجني الى حيث أراد حسب أمر خنسو النصوح (٢٣) وفرح أمير بختن وكل الناس في بختن فرحا شديدا ثم ان أمير بختن وسوس له قلبه قائلا اذا كان هذا المعبود هدية الى بلاد بختن فلا أتركه يرجع (٢٤) وبذلك مكث في بلاد بختن ثلاث سنين وتسعة أشهر وبينما أمير بختن نائم على سريره اذ رأى في منامه أن المعبود خرج من مقصورته وانقلب باشقا من ذهب ونشر جناحيه وطار الى مصر (٢٥) فانتبه من نومه ووجد نفسه مريضا فقال لكاهن خنسو ان المعبود يريد فراقنا وأمر أمير بختن بعودته الى مصر وأعطاه هدايا كثيرة فلما وصل بالسلامة الى طيبة (٢٧) توجه الى معبد خنسو ووضع أمامه الهدايا العظيمة التي اهداها اليه أمير بختن فلم يأخذ منها شيأ وبعد ذلك عاد خنسو النصوح (٢٨) الى معبده في اليوم الثالث عشر من أمشير سنة ٣٣ من حكم الملك رمسيس ميامون معطى الحياة ومخلد الذكر اه

الفصل الثانى عشر

(الرحلة العلمية فى الدير البحرى و بيبان الملوك)

ثم نتجه الى الغرب قاصدين معبد الدير البحرى الواقع فى نهاية هذا الوادى فنرى على يميننا
بالقرب من الطريق مقبرة كان بها رئيس كهنة أمون وجملة كهنة مصرية معها كتب
قديمة ونحو خمسين تمثالا من تماثيل أوزيرس وكثير من الصناديق المثلثة (أى ثلاثة
صناديق داخلة فى بعضها) وكلها فى غاية الزخرفة وهى من العائلة الحادية والعشرين
والذى اكتشفها هو المعلم جريبو مدير المتحف المصرى سابقا وكان ذلك فى ١٣ فبراير
سنة ١٨٩١ ولما توجهت لرؤية هذا المكان فى يوم ٢٨ يوليو سنة ٩٤ رأيت بئرا يبلغ
عمقها ١٥ مترا يتصل بها سرداب يتجه الى الجنوب نحررت قياسه فبلغ ثمانين مترا
ثم ينتهى برواق منحوت فى الحجر وهو الذى كان به هؤلاء الكهنة

فاذا اتجهنا الى الغرب رأينا فى آخر الوادى على اليسار أعنى فى جنوب الدير البحرى وهدة
بسيف الجبل كالدرج مبسوطة كان بها ذلك الكنز الثمين الذى عثر عليه محمد احمد
عبد الرسول أحد أهالى القرنة ولشهرة هذا الكنز فى كتب الافرنج آثرنا تلخيص خبره
اقتطفناه من كتاب المعلم والسن الانكليزى ومن أفواه بعض الثقاة وهاك بعض ما قاله
المعلم المذكور

ان محمد أحمد عبد الرسول أحد أهالى القرنة كان اكتشف على خبيئة كبيرة بها توابيت
فرعونية كثيرة على أغلبها خانات ملوكية تدل على أسماء الملوك أصحابها وان هذا الرجل
السعيد الذى لعب زهر بخته فى طالع الاقبال كان ماهرا فى صيد الانتيكات واقتناصها من
كناسها ولما أشرقت له شمس هذا الكنز الثمين كاد أن يطير فرحا لكن لم تمض عليه برهة
زمانية الا وانقلب سروره حزنا لانه أيقن بعجزه عن نقل هذه التوابيت الملوكية الجسيمة فعمى
مكانها وعاد الى منزله وصار يضرب أخماسا لاسداس وأسلمته الوساوس الى سلطانها
والهواجس الى شيطانها وأخذت الحيرة تجول فى صدره ثم فاء له عقله فأطلع اخوته وابنه
على جلية أمره فانطلقوا ليلا الى الكنز وكشفوا عن المكان ونزلوا فيه بعد ما أوقدوا
مصابيحهم وسلبوا منه ما أرادوا ثم خرجوا منه وعموا مكانه ثانيا وصاروا يترددون اليه
فى كل حين ويختلسون ذخائر الملوك والاوانى المقدسة وأدراج البردى والفصوص

وكل طرفة فريدة فى بابها وكل غالى القيمة خفيف الحمل يخفونه فى عبابهم وتحت ثيابهم
فكانوا كما قال الشاعر

يرون بالدهنا خفافا عيابهم * ويرجعن من دارين بجر الحقائب

وبقوا على ذلك دهرا طويلا يتممون خراب هذا الكنز ويسلبون ذخائر الملوك الى ان فشى
أمرهم بانتشار تلك النفائس فى أوربا حيث دوت شهرتها وتداولتها الايدى وتنبه لها علماء
الآثار فى كل مملكة لانهم كانوا أيقنوا أن مثل هذه الاشياء الملوكية يعز وجودها ويندر
العثور على مثلها وكان المعلم كمبيل الضابط الانكليزى تحصل كغيره على كتاب من كتب
ذلك الكنز فبادر بتقديمه الى المعلم مسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية ليطلعه عليه وكان
وقتئذ فى أوربا فأول ما وقع نظره عليه أكبره وعلم ان مثله لا يكون الا فى مقابر الملوك فأسرع
الكرة الى مصر ليستطلع الخبر ويستقصى الأثر وبمجرد ما وصل اليها توجه نحو الصعيد
حتى أتى الاقصر وأخذ يستنشق الاخبار ويستلفت الانظار حتى أخبره أحد سائحى
الافرنج انه اشترى من عائلة محمد أحمد عبد الرسول بعض أشياء ملوكية فبادر باخبار
مديرية قنا وصار القبض على المذكورين وايداعهم السجن وجرى التحقيق نحو الشهرين
لقوا فيهما شدة وبأسا لكنهم تجلدوا وصبروا على ما أصابهم وجحدوا بالكلية أمر هذه
اللقية وتبرؤا من جميع ما نسب اليهم فأجرت المديرية كل ما قدرت عليه من التهديد
والارهاب وكل ذلك لم يجد ثمرة فأطلقت سراحهم بعد معاناة الاين على يد المرحوم داود
باشا المدير ثم وقع فشل وشقاق بين الاخوة وتأجج وهج الشر بسبب هذه اللقية ونفخ
المفسدون فى نار الفتنة حتى كاد أن يقع بينهم ما لا تحمد عقباه فخاف محمد أحمد عبد الرسول
على نفسه اذ كان فى زمن الاستبداد وعلم انه غير ممكنه التصرف فى شئ بعد الذى حصل له
من الحكومة ومن اخوته واحتال عليه بعض الناس واستمال عقله فجنح الى فض المشكل
وقطع الالسنة فأرسل الى المديرية ونظارة الاشغال تلغرافا يخبرهما بصريح الحالة وأرسلت
المديرية تلغرافا الى مصلحة الآثار تخبرها بذلك فعينت من طرفها اميل بك بروكش
وأحمد بك كمال وغيرهما فسافر الجميع من مصر فى أول شهر يوليه سنة ١٨٨١ افرنكية
ونزلوا بالاقصر وأحضروا محمد أحمد عبد الرسول فأحضر لهم بعض الاوراق البردية
والانتيكات التى كانت بمنزله بعدما أطلع المديرية على الكنز ولما فحصوه وجدوه عبارة عن

حفرة يبلغ عمقها أربعين قدما تفضى الى دهليز غير منتظم يبلغ طوله مائتين وعشرين قدما ينتهى برواق مربع طول كل ضلع منه خمسة وعشرون قدما مترعا أى مملوءا بأكفان الموتى وأجسامهم المحنطة المودوعة فى التوابيت بعضها كان مطليا بالذهب وكشطت طليته ووجدوا كثيرا من الاوانى الصينية والخشبية وأوعية من الصفر أو النوح المعروف الآن باسم البرونز ثم قدور الكانوب (التى كانوا يضعون فيها أحشاء الموتى) وكاسات من الفرفورى وخيمة مصنوعة من جلد الغزال وغير ذلك من الاشياء الملوكية وأنعمت عليه حكومتنا السنية بمبلغ خمسمائة جنيه انكليزى ذهبا وباشرت رجال المصلحة اخراج هذه الاشياء ونقلها الى النيل وشحنها فى السفن الى قرية الاقصر وبقى العمل على ذلك مدة أسبوعين ثم شحنوها فى سفينة بخارية الى المتحف المصرى وكان وقتها فى بولاق وبالتحرى علم أن أيدى اللصوص سطت على أمتعة الملك طوطوميس الثالث كما سطت على أمتعة غيره من الملوك

وقال مسبرو ان الذى وضع هؤلاء الملوك وما معهم من التحف فى هذا المكان ونقلهم من مقابرهم الكائنة فى بيبان الملوك وغيره هو (أ أبوث) ابن الملك شيشاق الذى كان قبل الميلاد بنحو ٩٦٦ سنة لما خشى عليهم من سطوة اللصوص الذين قوى حزبهم فى ذلك العصر حتى كان يمكنهم مقاومة الحكومة

وقال المعلم والس فى كتابه والاسف كل الاسف من أن هذا الكنز لم يقع الا فى يد أجهل الرعاع الذين تاجروا فيه غنيمة باردة وياحبذا لو كان اكتشافه على يد بعض الناس المتنورين الذين يعرفون قيمته حتى كانوا لا يتصرفون فى شئ منه أقول نعم ان محمدا احمد عبد الرسول قد أساء فى العمل حيث فتح بعض التوابيت وأخذ ما بها من الاشياء الثمينة وكان الاحرى له أن يسلمها الى مصلحة الآثار وهى تكافئه بأضعاف ما أخذ منها وله جزيل المنة أو يبيعه لها فتشتريه منه بكل ممنونية لكن لا أدرى ما معنى تأسف حضرة المعلم والس لعله أسف على اكتشافه بمعرفة الوطنيين ولعله كان يود أن يكون ذلك على يد الاجانب المتنورين حتى كانوا يستخلصونه لانفسهم وينقلونه الى بلادهم أو يبيعونه الى الحكومة المصرية بالاثمان الطائلة وهيهات ان فعلوا أما أنا فآسف على الاشياء التى تبددت وتفرقت فى كل مملكة من بلاد الافرنج وكنت أود لو بقى هذا الكنز وغيره مستورا فى مكانه الى أبد الابدين ودهر

الداهرين لا يراه الجهلة ولا المتنورون حتى يبلى فى مكانه وهاك جدول توابيت الملوك التى وردت الى المتحف المصرى بعد السرقة والتبديد

(العائلة السابعة عشرة)

تابوت وجسم الملك سوكن ان رع

تابوت مرضعة الملكة نفرت آرى رع وكان فيه مومية ملكة تدعى ان حابى

(العائلة الثامنة عشرة)

تابوت وجثة الملك أحميس الاول

تابوت وجثة الملكة أحميس نفرت أرى

تابوت وجثة الملك امنحتب الاول

تابوت وجثة الامير سا أمن

تابوت وجثة الاميرة سا أمن

تابوت وجثة الكاتب سانورئيس الخاصة بمنزل الملكة نفرت أرى

جثة زوجة الملك سات قامس

تابوت وجثة بنت الملك مشنت تم هو

تابوت ام الملك أعق حتب

تابوت الملك طوطوميس الاول الذى اغتصبه بيناتم

تابوت وجثة الملك طوطوميس الثانى

تابوت وجثة الملك طوطوميس الثالث

تابوت وجثة شخص مجهول الاسم

(العائلة التاسعة عشرة)

جزء من تابوت الملك رمسيس الاول

تابوت وجثة الملك سيتى الاول

تابوت وجثة الملك رمسيس الثانى

(العائلة العشرون)

جثة الملك رمسيس الثالث فى تابوت نفرت أرى

(العائلة الحادية والعشرين)

أم الملك المسماة نانامت
تابوت وجثة هراهيرنا رئيس كهنة أمون
تابوت وجثة بانام الثالث رئيس كهنة أمون
تابوت وجثة نات فتاح عنخ قسيس أمون
تابوت وجثة الكاتب نبزانى
تابوت وجثة الملكة مات قرع
تابوت وجثة الاميرة أوستم شبك والاميرة تازى خنسو

وكلها نقلت الى المتحف المصرى وفى سنة ١٨٨٣ مسيحية ظهرت رائحة كريهة فى تابوت الملكة مشنت تم هو فدفنت وفى سنة ١٨٨٥ ظهرت رائحة كريهة فى تابوت الملكة أحميس نفرت أرى فدفنت أيضا ومثل ذلك حصل فى جثة الملك سوكن إن رع وبهذا الاكتشاف المهم ظهر الى العيان جسم رمسيس الثانى أى الاكبر الذى بقى محجوبا لاتراه العيون نحو ثلاثة آلاف ومائتى سنة كباقى كبار الملوك الفاتحين مثل طوطوميس الثالث وسيتى الاول ورمسيس الثالث وغيرهم من فراعنة مصر

وفى ٢٨ من شهر يوليه سنة ٩٤ توجهت الى الاقصر وأحضرت محمد أحمد عبد الرسول المذكور وتلوت عليه جميع ما كتبته فى هذا الكتاب من خبر اللقية وسألته عما اذا كان هناك شئ يخالف الحقيقة فاجابنى أن جميع ما هو مذكور صحيح لا مرية فيه ثم توجهنا سوية الى قرية القرنة وأطلعنى على مكان اللقية فاذا هو فى بقعة لا يتصور العقل أن يكون بها شئ

أما الدير البحرى فهو من بناء الملكة حتزو المعروفة على الآثار باسم (حعت شبسو من العائلة الثامنة عشرة) جعلته مرتكزا على شاهق من الجبل قائم كالجدار تقريبا وفى ناحيته الشرقية طريق مسلوك صعب الارتقاء يفضى الى الوادى المعروف باسم بيبان الملوك وسيأتى الكلام عليه فى هذه الرحلة عن قريب وبالتأمل فى جميع جدر المعبد نجد عليه خراطيش أى نانات ملوكية متنوعة توجب حيرة المتأمل لان كل من رآها ظنها أسماء لملوك كثير مع أن الامر بالعكس اذ جميعها أسماء وألقاب لهذه الملكة التى تلقبت

بجملة ألقاب مدة حياتها حيث اشتركت فى الحكم مع أخيها طوطوميس الثانى وصارت من بعده وصية على أخيها القاصر طوطوميس الثالث فكانت تحكم باسمه ولما بلغ أشده أشركته فى الحكم مدة حياتها فكانت تغير ألقابها حسب الاحوال والظروف فلذا صار لها جملة عناوين وأسماء ملوكية

أما وضع هذا المكان فغريب جدا حتى ان كل من رآه لم يظنه معبدا لمخالفته للاصول التى اتبعها القوم فى بناء معابدهم وكان أمامه صفان من أصنام أبى الهول قد درست الايام معالمها ثم مسلتان لم يبق منهما غير جلسة صارت جذاذا

وهذا المعبد عبارة عن جملة حيشان كل واحد يعلو عن الذى قبله فيها مجازات متدرجة الى الشرق وآخرها متصل بالجبل وبناؤها بالحجر الابيض الجيرى ولم يبق منها الآن الا بعض جدر والسبب فى ذلك هو أن التجارة والجيارة تعودوا من قديم الزمان على أخذ أحجارهم من مبانى العصاصين أو العساسيف لقربهم منهم فان لم يجدوا مطلوبهم بها تحولوا الى معبد الدير البحرى فكان ذلك سببا فى بقاء تلك الاطلال الى الآن ويقال ان الذى هندس بناءه وزينه بالرخام والمرمر كان رجلا معماريا ماهرا يدعى سنموت فاحبته الملكة لنشاطه وصارت ترقيه الى أن جعلته رئيس كتاب أشغالها ويظهر أن هذا المعبد بقى بعد صاحبته مهجورا الى أيام العائلة الثانية والعشرين ومن ثم اتخذوه مدفنا لموتاهم فقد وجد فى أحد أروقته (المرسوم به صورة هاتور فى هيئة بقرة ترضع الملكة المذكورة) أجسام محنطة موضوعة فوق بعضها الى السقف والطبقة الاخيرة أى العليا كانت من زمن اليونان والتى قبلها أى التى أسفل منها أقدم منها وهكذا أما الطبقة الاولى فمن مدة العائلة السادسة والعشرين

فاذا أتى الانسان من الشرق أعنى من الجهة المنخفضة للمعبد رأى كثيرا من اللوحات الحربية متفرقة على تلك الجدر المتهدمة فلذا يعسر علينا أن نجزم بان لهذه اللوحات رابطة ببعضها لما اعتراها من التلف والدمار ففى أحدها أى فى الرواق الشرقى صورة الجنود المصرية وهى سائرة تحمل سلاحها تتقدمها النفير والضباط وبيدهم أغصان الاشجار والبيارق والاعلام التى أيادبها خرطوش الملكة حتزو ولا ريب فى أن ذلك عبارة عن عودة العساكر المصرية الى الاوطان بعد نصرتهم فى غزواتهم وعلى بعد نحو مائة متر من هذا

المكان الى الغرب نجد فسحة مستطيلة مرتفعة عن مستوى الارض بها أحد وعشرون عمودا منهدمة ماعدا البحرى منها يظهر من حالها أنها كانت ايوانا وبجدارها الغربى والجنوبى صورة البحر وبه السمك ظاهر والعساكر صفوف على شاطئه (لعله البحر الاحمر) وكأن أهالى بون تركت منازلها ذوات القباب البيضاء وأتت بمحصول أرضها وصنائعها فترى بعضهم يكوم البخور وبعضا أكماكا كصبرة الحنطة وبعضهم يحمل أشجارا بصلابتها وبالوانهم وسلاحهم وثيابهم منظر جدير بالنظر اليه وكأن الاسطول المصرى رسى على تلك السواحل ثم ترى كيفية شحن السفن وترتيب طرود البضائع والحوابى والجرار والحيوانات كل نوع فى مكانه ثم سير السفن مع بعضها بالاشرعة والمجاذيف ثم تراها كأنها وصلت الى مدينة طيبة وصار احصاء جميع ما بها وهناك ترى سير القردة المعروفة باسم سينوسيفال والنمور والزرافات والثيران ذوات القرون القصيرة وجميعها يمشى واحدا واحدا ثم السلاسل الذهبية والعقود والاساور والخناجر والبلط والمعبود آمون حاضر يشاهد ذلك ويهنى الملكة بما فعلته وتراها جالسة على كرسيها وبها لحية مرسلة كالرجال اشارة الى أنه كان لها عزم الرجال أرباب الصولة وقال بعضهم كانت اللحية عندهم تحرم رسم الملكات الحاكمات الا باللحاء

وفى أحد الاروقة جهة الجنوب صورة سفن مصرية تجرى فى النيل وتشق عبابه وفى أسفل اللوحة جنود مصرية تسير لكن لا نعلم هل كان جميع ما ذكرناه ارسالية واحدة أم جملة ارساليات كما أسلفنا وبالقرب من هذا المكان أقفاص كثيرة خلفها باب يفضى الى رواق به رسم لهاون زاه نضر يسر الناظرين وعلى كل جانب من الرواق أو المجاز الذى فى آخر الهيكل صورة الملكة حتزو ترضع ثدى المعبودة هاتور المصورة فى هيئة بقرة حسنة الشكل كأحسن بقرة أخرجها قلم الرسم المصرى

وترى فى آخر المعبد تقريبا أعنى خلف الباب المعقود بحجر الجرانيت لوحة ثانية أوضح بيانا من الاولى لكن لم يبق بها غير آخرها من أسفل يعلم منها أن الملكة حتزو أرسلت جندها الى بلاد بون (بلاد اليمن والحجاز) الشهيرة بالعطر والاشجار ذوات الرائحة الزكية والذهب وخشب الابنوس والمحصولات المشغولة لتستولى على أموال تلك البلاد كى تقدمها هدية الى معبد طيبة ويظهر أن هذه التجريدة الصغيرة لم تصادف فى سيرها مشقة ولا عناء لان

سكان تلك البلاد أتت طوعا أو كرها صحبة الاسطول المصرى كى تقدم الى هذه الملكة خالص عبوديتها

وفى أوائل سنة ١٨٩٤ مسيحية أجرى المعلم نافيل الحفر فى الدير البحرى (وهو أحد علماء الآثار المرسلين الى مصر من طرف جمعية الآثار المصرية التى ببلاد الانكليز) فانكشف له أماكن أثرية مهمة فى الجهة الشمالية من المعبد ولما توجهت لزيارتها فى ٢٨ يوليه سنة ٩٤ وعزمت على أخذ وصف ما بها وادرجه فى هذا الكتاب أخبرنى حسن افندى حسنى مفتش آثار الاقصر والقرنة أن مصلحة حفظ الآثار أعلمته بانه لا يمكن أحدا من كتابة أو ترجمة شئ منها الا من بعد نقل ورسم ما بها بمعرفة المعلم المذكور اذ هو المكتشف لها فلذا اكتفيت بذكر وصفها العام بدون تعرض لذكر ما بها

أما وصفها العام فهو أولها رحبة واسعة بها رواكى من الجهة الشمالية والغربية فقط محمولة على عمد جميعها من الحجر الجيرى ولعرشها كرانيش بارزة لطيفة وعدد العمد التى فى الشمال خمسة عشر عمودا خالية من الكتابة وعدد العمد التى جهة الغرب اثنا عشر عمودا لها شكل كثير السطوح تحمل سقفا ملونا بالازرق به صورة النجوم بلون أصفر وجميع نقوش الجدار الغربى بديعة اللون والصنعة وهى صورة المعبودات وما يهدى اليهم من القرابين وفى الجنوب من هذا المكان ايوان به اثنان وعشرون عمودا مربعا كانت تحمل سقفا مثل الذى قبله عليها نقوش دينية وعلى الجدار الغربى تصاوير وأشكال تخبرنا بكيفية حمل وولادة وتربية الملكة حتزو صاحبة هذا المكان وان المعبودات كانت بشرت أمها بها وغير ذلك فعلى هذا تنقسم نقوش الدير البحرى الى قسمين قسم تاريخى وقسم دينى والله أعلم والى هنا انتهى وصف هذا المعبد بوجه الاختصار

فاذا عرفنا هذا انتقلنا الى بيان الملوك أو باب الملوك وهو واد فى الجبل الغربى به بعض مقابر للملوك العائلة التاسعة عشرة والعائلة العشرين وكلها منحوتة فى الجبل غائرة فيه وأقرب طريق له هو أن يمر الانسان بمعبد القرنة ويتجه الى الشمال الغربى ويمر بوسط واد أغبر أقفر ليس به عود أخضر قد تعرج بين جبال قاتمة المنظر محزنة الهيئة من رآها ظن أن نارا أصابتها فاحترقت واسودت صخورها وهذا الوادى واقع على بعد ست كيلومترات من النيل وهناك يرى طريقه تتشعب الى طريقين ينتهى أحدهما بواد صغير جهة الغرب به مقابر لبعض

الملوك التى حكمت مصر فى آخر عهد العائلة الثامنة عشرة وليس فى رؤيته فائدة للزائرين ولذا صار متروكا لا يقصده أحد أما الطريق الاصلى فيميل الى الجنوب الغربى وينتهى بالمقابر التى نحن بصددها وجميعها دهاليز منحدرة تغوص فى الجبل الى أغوار مختلفة البعد ظلامها حالك لا يمكن رؤية ما بها الا بواسطة المصابيح والشمع أو السلك المغنيسى وكان من عادتهم أنهم متى وضعوا جثة الملك فى مقبرته بها سدوا عليها الباب وساووا الارض بعضها وبالغوا فى طمس معالمها وتعمية مسالكها ولكى لا يصل اليها أحد بنوا لكل ملك عمارة بعيدة عن قبره جعلوها لاجتماع أهله وأحبابه وأعيان دولته وكانوا يأتون اليها فى أعيادهم ومواسمهم وقد أتت الايام على تلك العمائر فأبادتها ودرست معالمها ولم تترك منها الا ما كان ضخم البناء متينه (راجع ما قلناه فى معبد القرنة والرمسيوم)

وما كان يعلم من المقابر المذكورة لغاية سنة ١٨٣٥ مسيحية الا نحو أحد وعشرين قبرا واكتشف ماريت باشا بعد ذلك بمدة أربعة مقابر وليس جميع ما هنالك مقابر ملوكية بل بعضها لاكابر رجال الدولة ووجوههم وقال استرابون الجغرافى انه يوجد فيما يلى معبد ممنونيوم أى معبد الرمسيوم نحو أربعين قبرا منحوتة فى الجبل كالمغارات جليلة الصنعة جديرة بالفرجة اهـ ولا يلزم لغير علماء الآثار الا رؤية أعظمها وهى

أولها وأحسنها مقبرة سيتى الاول أبى رمسيس الثانى أو الاكبر وتعرف بنمرة ١٧ وتسمى باسم قبر بلزونى لانه أول من اكتشفها وتمتاز عن غيرها بالكبر والزينة وحسن المنظر ولما اكتشفها المذكور فى أوائل هذا القرن وجدها مفتوحة وكانت جميع نقوشها تامة وألوانها زاهية كأنما نقشت ليومها لكن أهل القرنة والزائرون من الافرنج تسلطوا عليها بالتلف والعوار فشوهوا محاسنها وألبسوها ثوب البلى وحفر المتفرجون أسماءهم المتوغلة فى باب النكرة خلال تلك النقوش النضرة فعبس لها وجه تلك المناظر الباسمة وشق ذلك على علماء الآثار وأوجست المصلحة خيفة من أن يتم دمارها فجعلت لها ولغيرها أبوابا من الحديد ورتبت لها الخفراء وقال ماريت باشا ما ملخصه ان التلف الذى حصل فى هذا المكان وهو من أعز الآثار المصرية منسوب بلا ريب الى تجار الانتيكة والسائحين الذين لم يكترثوا بالعلم ولا بأهله فيشترى هذا السائح الجاهل من ذلك البائع الخائن لوطنه تلك النفائس التى اقتلعها وأتلف مكانها فيدفع له فيها ثقلها ذهبا عينا ومهما أولنا أفعال هؤلاء المدمرين لم نجد لها تخريجا غير الضرر بالعلم وليس لما فعلوه دواء اهـ

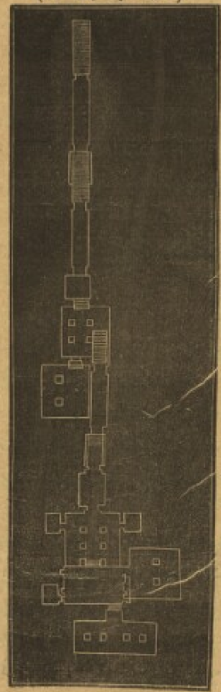
ومتى وضع السائح قدمه فى هذا القبر وجد أولا احدى وثلاثين درجة قائمة أى منحدرة ثم يرقى مزلقان بالجبل وعلى نحو العشرين مترا بابا آخر خلفه مزلقان ثان ويتوغل فى ذلك الظلام الحالك حتى يتخيل أنه دخل فى عالم جديد فيوقد الشمع والمصابيح وينحدر فى تلك الدهاليز الطويلة وينظر يمينا ويسارا فلم يجد أثرا لتلك اللوحات المفرحة التى اعتاد على رؤيتها فى مقابر سقارة وبنى حسن وغيرها ولم يشاهد صورة المقبور جالسا بين عائلته حسب العادة ولم ير أمتعة منزلية ولا سفنا تجارية ولا زراعة وطنية ولا اسواما تسعى ولا غزلانا ترعى ولا عذارى ترقص ولا صيادا يقنص ولا شيئا مفرحا مما كانوا يرسمونه فى مقابرهم حسب العادة التى كانت جارية عندهم بل يرى منظرا هائلا وهميا تخيليا يقشعر منه البدن ويقف عنده شعر الرأس حيث يرى صورة المعبودات فى مناظرها الغريبة وهيآتها المختلفة وأشكالها المتباينة وصورة حيات وأفاعى هائلة مرهوبة تزحف فى كل مكان قد وثبت على أبواب الغرف والمقاصير المحفورة هنالك وهى فاغرة فاها تنفث السم ثم صورة المجرمين منهم المعلق برجليه وهو يشوى فى نار جهنم بعد ما قطعت رأسه ومنهم المقرونون فى الاصفاد وهم حفاة عراة يساقون الى عرصات الموقف أو الى النار ومنهم من يقذف بها والسفن المقدسة حاملة للارواح الطاهرة تجرها الآلهة وفى بعض الجهات صورة المذنبين وهم منكبون على وجوههم فى السجن والمعبودة بشت (رأس الاسد) تقطع رؤسهم بسيفها أمام معبودهم أمون

وبالجملة يرى الانسان هنالك صورة الحشر والنشر والبعث والحساب والعذاب ويرى الارواح وهى تعض بنانها حسرة وندامة على ما اقترفته فى دنياها ولات حين مناص ثم الفتانات وكلاب جهنم وكل ما يحدث يوم الفزع الاكبر من الاهوال والمخاوف التى تخفق لها القلوب وترجف منها الافئدة هنالك يعترى الزائرين وجل وتنقبض نفوسهم ما لم يتثبتوا ويعلموا أنها اعتقادات دينية رسمها القوم فى هذا القبر الملوكى زجرا للنفس كى تتم لها السعادة الابدية بعد معاناة المحنة الدنيوية

وجميع الرسم الموجود فى هذا القبر من بابه الى قاعه يدور على هذا المعنى لانهم كانوا يعتقدون أنه لا محيص للروح من الحساب والعذاب ومعاناة الشدائد وقطع العقبات الى أن تتطهر من كل رجس أصابها فى حياتها أما المقاصير فهى المنازل أو العقبات

السماوية والحيات الزاحفـة على أبوابها هى الحفظة أو الخفراء الموكلون بحفظها وان الروح لا يمكنها أن ترقى من منزلة الى أخرى الا اذا برهنت على براءتها مما يدنسها وانها كانت بارة حنفية نقية نقية أما النصوص المنقوشـة هناك فقصائد ومدائح للمعبودات تنشدها الروح متى مثلت بين يديهم لامتحانها ومتى ظهرت براءتها أمامهم صارت فى حياة أبدية وانتهت كل محنتها وألحقت بالآلهة وطافت الملكوت والعوالم العـلوية حيث الكوكب والنجوم وبالاختصار نقول ان كل ما هو منقوش على هـذا القبر عبارة عن سفر الروح بما تقاسـيه من الشـدة الى أن تصل للنعيم المقيم فترى الرسم يتدرج به من ابتداء مفارقة الروح جسمها و يترقى شـيأ فشيأ فى كل جهة فما يصل الى الفسحة الاخيرة ذات الاربعة عمد الا وصارت الروح فى الحيـاة الابدية خالدة لا تموت مرة ثانية

(صورة مقبرة سيتى الاول)



ولمـا كشف المعلم (بلزونى) هذا القبر كان به تابوت نفيس من المرمر موضوع فى الفسحة الاخيرة من القبر فأخذه الانكليز ونقلوه الى متحفهم وهو الآن ضمن مجموعة الآثار المنسوبة الى المعلم (سلوان) ويرى فيها أى فى الفسحة سرداب غائر فى الجبـل وليس به شئ يعتد به وعمق هذا القبر مائة وخمسـون قدما وطوله خمسمائة قدم وهو منحوت فى الجبل بالميل كالمزلقان به مقاصير صغيرة

ويرى فى أحد الاروقة على اليمين كيفيـة مبادى الرسم وهو تحديده أولا بالخطوط ثم تلوينه بعـد ذلك بالالوان ويظهر أن هـذا القبر ما كان تم عمله

أما جثة الملك صاحبه وهو سيتى الاول فقد وجدت مع جثث الملوك التى عثر عليها محمد أحمد عبد الرسول فى الدير البحرى وقد سبق ذكر ذلك فى هذه الرحلة

(ثانيها نمرة ١١) وهى مقبرة رمسيس الثالث و يعرف عنـد الافرنج باسم قبر بروس (Bruce) وهو سائح أتى الى مصر فى هذا القرن وتفرج على آثار تلك الجهة وهو أول من رأى من الاجانب هذه المقبرة وأذاع صيتها بين النـاس فى أوربا فنسـبوه اليه كما يسمونه بقبر الالاتيـة وعلى قدر ما يوجد بقبر سيتى الاول من الدقة فى الرسم والاتقان ولطافة الصنعة على قدر خمول رسم هذا المكان مع ان صاحبه رمسـيس الثالث كان من أشهر الملوك أرباب الغزو الذين أرهبوا الامم بحروبهم وقد يوجد فى دهليزه مقاصير أو حجرات تستحق الفرجة لان بها مناظر متنوعة جدا وسفنا ومنقولات منزلية وأوانى وخودا ومغافر وقسى ونشابا وحرابا وفى بعض مقاصيره صورة الالاتية تضرب على الجنك فلذا سمى بقبر الالاتية ومتى دخل المرء ومشى فيـه قليلا علم ان فى مبدأ تصميمه عيبا ظاهرا لان دهليزه ينعطف الى اليمين بدل أن يسـتقيم فى سـيره فيعلم من ذلك خطأ المهنـدس المعمارى الذى كلفه الملك بنجاز عمله لانه بعد ما نحت به مسـافة بدا له قبر آخر بجواره فحاد عنه الى اليمين واستنكف أن يتركه و يصنع غيره فبقى مزورّا على ما تراه وكان فى رواقه الاصلى تابوت من الجرانيت الوردى مصـنوع على هيئة الخرطوش أخذه المعلم سلت وهو الآن بمتحف لوفر بفرنسـا أما غطاؤه فنقل الى متحف كمبريدج (Cambridge) ببلاد الانكليز

وبهذا القبر خطوط يونانية قديمة ليس لها علاقة به لكنها دلت على انه كان مفتوحا أيام دولة البطالسـة وان الناس كانت تأتى للفرجة عليه ويكتبون أسماءهم به أما جثة الملك صاحبه فوجدت فى الدير البحرى مع الملوك التى عثر عليها محمد أحمد عبد الرسول وهى الآن بالمتحف المصرى وطول هذا القبر يبلغ أربعمائة قدم

(ثالثها نمرة ٢) وهى مقبرة رمسـيس الرابع وتختلف عن باقى المقابر الملوكية باتساعها وارتفاع سقفها وقلة ميل دهليزها حتى ان الانسـان يتيسر له رؤية جميع ما بها وهو راكب على ظهر جواده وتابوتها الجسيم باق الى الآن فى آخرها متخذ من الجرانيت وليس بهـذه المقبرة شئ غريب يستحق ما يستحقه قبر سيتى الاول من النظر والتفكر وبه كثير من خطوط قدماء اليونان دلت على انها كانت مفتوحة أيضا أيام دولة البطالسة

(رابعها نمرة ٩) وهى مقبرة رمسيس السادس وكانت تعرف عند اليونان باسم ممنون بدليل كتابتهم الموجودة الآن به ولا نعلم السبب لهذه التسمية وهى مشهورة بمناظرها الفلكية المرسومة على سقفها ويوجد فى آخرها تابوت الملك وهو متخذ من حجر الجرانيت ضخم جدا غير أنه مفتوح

أما نقوش هذه المقبرة فدينية تحدثنا باعتقادهم فيما تعانيه الروح فى الدار الآخرة ويبتدئ الرسم من باب القبر من الجهة اليسرى ويدور رقيه على جدره وينتهى بالباب من الجهة اليمنى أعنى على يمين الداخل حيث يرى على يساره بالقرب من الباب صورة الارواح مكتوفة الايدى فى حالة يرثى لها يسوقها أحد المعبودات بعصاه الى الحساب والعقاب وقد وقع أمامه كل مجرمة أثقلتها ذنوبها ثم صفوفا من المعبودات لها مناظر مختلفة وهيئات متباينة ويأخذ الرسم فى التدريج على حسب ما تكابده الروح الى أن تقف فى الموقف الاكبر بين يدى الآلهة ويرى فى الفجوة التى فى نهاية القبر على اليسار رؤسا بلا أبدان وأبدانا بلا رؤس وكلها فى السجن والمعبودة بشت (رأس الاسد) تشد الوثاق من كل مجرمة والجلاد بيده السيف يرمى به الرؤس وكأن لسان حاله يقول

أضاعوا العمر فى طلب المعاصى * فويل يوم يؤخذ بالنـــواصى

وبالجملة يرى الانسان صورة الارواح وهى فى الطامة الكبرى والصاخة العظمى ما بين قائمة على قدميها ومنكبة على وجهها وراقدة على جنبها ومنكسة بلا رأس أو بها والمعلقة من يديها ورأسها مائلة الى خلفها لها منظر تخفق منه القلوب والمعلقة باحدى رجليها بعدما قطعت رأسها التشوى فى نار جهنم وتصلى شواظها وفى السقف صورة المعبودة نوت (أى السماء) لها شكل مزدوج قد تحلقت بالملكوت والآلهة صفوف فى هباتهم المتنوعة التى تقشعر منها الابدان منهم من له رأس أسد ومن له رأس طائر ومن له شكل ثعبان جاف وغير ذلك مما هو مشاهد هنالك فاذا دار الانسان مع الرسم وتحول الى الجهة اليمنى من المقبرة رأى فجوة مثل الفجوة الاولى مقابلة لها بها صورة الارواح منها المقرن فى الاصفاد ليصلى العذاب ومنها المعلقة والمقطوعة الرأس والجاثية على ركبتها بلا رأس مكتوفة الايدى من خلفها وترى الروح التصقت بالجعل (الجعران المدعو خبر) يشيرون بذلك الى أنها على وشك العودة الى الحياة ثم تراها تحولت الى صورة طائر وقدمت لها سبب أى حبل فتمسكت به

أمام سفينة المعبودات أو الشمس ثم صورة وقوفها وهى ضاوية متضئلة لدى الثعبان خفير أحد المنازل السماوية ثم الجعل وقد خرج من الشمس اشارة الى تجديد الحياة وغير ذلك مما يطول ذكره

ويظهر أنهم جعلوا فى الفجوة التى جهة اليسار صورة الحكم والتنفيذ وجعلوا فى التى على اليمين صورة العذاب ثم انتقال الروح من حالة الى أخرى فاذا اتبعنا هذا الجدار وسرنا نحو الباب رأينا تقلب الارواح فى جملة أحوال وصورة المعبودات الى أن نرى بالقرب من الباب هيئة الارواح الخبيثة قد طردت من الرحمة فخرجت وهى مكتوفة بلا رأس ولسان حالها يقول

اعمل لمعادك يا رجل * فالناس لدنياهم عملوا

وادخر لمسيرك زادتقى * فالقوم بلا زاد رحلوا

وبالجملة فهذا القبر يقرب برسمه ومناظره من قبر سيتى نمرة ١٧ والله أعلم

(خامسها نمرة ٦) وهى مقبرة رمسيس التاسع ويظهر من حالتها أن العمال الذين كانوا يباشرون نقشها وزينتها اصرفوا فيها أياما طويلة لان نقشها دقيق جدا غير أن جميع ما بها من تلك النقوش والزينة دينى اذ هو عبارة عما يعترى الروح بعد الموت وما آل اليه بعد مفارقتها جسم صاحبها حسب اعتقادهم وان أبديتها موعودبها

وأقدم جميع هذه المقابر هو قبر رمسيس الاول أبى سيتى الاول وكان اكتشفه المعلم (بلزونى) مع باقى المقابر التى تيسر له فحصها والى هنا انتهى وصف أهم المقابر الملوكية التى فى بيبان الملوك فاذا أردنا العودة من هذا المكان الى الاقصر فلنا ثلاثة طرق أقربها وأسهلها هو أن نعود من حيث أتينا والآن نعبر سبيل الجبل وصعدنا فوقه وهنالك نرى طريقين أحدهما يتجه الى الشرق والثانى الى الجنوب غير أن الصعود على الجبل والنزول منه صعب جدا لشدة الانحدار ولا يقدر الانسان على الركوب فيهما فيتجشم المشاق والطريق الذى يتجه الى الشرق يصل الى الدير البحرى ثم العصاصيف أو العساسيف والطريق الذى يتجه الى الجنوب يسلك فى الجبل وينعطف طويلا ثم يصل أخيرا الى ما خلف مدينة أبو غير أن هذا الطريق الاخير يسمح للزائرين أن يروا مرة ثانية معبد الرمسيوم ومعبد القرنة الملحوظة — قد جرت عادة السائحين أنهم متى وصلوا الى الاقصر صرفوا فيه يوما لرؤية معبده وباقى معابد الكرنك وفى اليوم الثانى يقطعون النيل ويقصدون زيارة معبد القرنة

ثم بيبان الملوك ويصعدون الجبل ويسلكون طريق الدير البحري ثم يعودون الى الاقصر وفي اليوم الثالث يعودون لرؤية صنمي ممنون ومعبدي الرمسيوم وأمونوف وباقي الآثار التي هناك ثم معبد رمسيس الثالث بمدينة أبو ويعودون قبيل المساء وهذا هو أحسن طريق لرؤية الآثار الواقعة على الشاطئ الغربي للنيل

وهنا آنست من نفسي الملل فامسكت عن وصف باقي الطلل وانتهى التحرير وجف المداد وخلع القلم ثوب السواد وانبرى الى الراحة وغادر البنان والراحة

تتمة

في معبودات المصريين ووظيفة كل واحد منها اقتطفناها من كتاب المعلم يدبكر النمساوي وهي هدية للترجمين وتحفة للخبرين وكل من يصحب السائحين

كنت عزمت على أن أنزه سائغ فرات كتابي من مرارة ذكر هؤلاء الارجاس وأكتفي بما فاح من نشر طيبه بين الناس لكن التمس مني أهل الصعيد القريب والبعيد أن أختم هذا الكتاب ببيان تلك الارباب وقالوا انها لكثرتها وعظيم شهرتها جديرة بان تكون لدروسك أساسا ولتاجها نبراسا فأجبتهم بلا وتلوت لاحول ولا فقالوا انها بيت قصيد الآثار وواسطة عقد الاخبار ولولاها ما تأسست تلك المعابد ولا كان بها ناسك ولا عابد فقلت لهم سماعك بالمعيدي كأني غسلت من دناسة ذكرهم الايدي ثم توجهت بعد هذا اللجاج الى الاقصر أبي الحجاج وتقابلت مع الخبراء والمترجمين ومن يصحب السائحين فطلبوا مني أسماء المعبودات وما لكل واحد من الصفات وقالوا قد اشتبهت علينا أشكالها واستفحل أمر اشكالها فاصنع معنا الجميل يا صاحب كتاب الاثر الجليل وأوضح لنا جميع معناها وأطلعنا على شكلها ومسماها وبينما انا كاره للاخبار اذ قال أحد خبراء الآثار كان العلامة فلان هنا وسألته عن معبود لا هناك ولا هنا فرأيته ازور ووجهه اغبر وأظهر لي الانفه ولم يفدني بنت شفه غير أنه همهم ودمدم وتمتم وبرطم فتغافلت عن هذه الافعال وأعدت عليه نفس السؤال فقام وقعد وبرق ورعد وكشر عن أنيابه الصفر وحملق لي عيونه الخضر وأسمعني الملامة وقال لا غرب ولا كرامة فندمت في الحال على خيبة الآمال وانقبضت من ألفاظه الشنيعة وتلوت قول كليب بن ربيعة

خلا لك الجو فبيضي واصفري * ونقري ماشئت أن تنقري

فلما سمعت من الخبير هذه القصة هاجت بي لواعج الغصة فبريت الاقلام وانبريت أبث الكلام وشرعت في التعريب وتأهيل كل غريب بعد أن لعنت أوزيريس وجنود ابليس وقلت اللهم انك غوث كل غائث واني أعوذ بك من الخبث والخبائث وها هي بناتها وسافل صفاتها

(أولها) المعبود فتاح وهو أقدم جميع المعبودات وكان يعبد بمدينة منفيس وما حولها من البلاد ويعتقدون انه هو الذى أعطى المعبود (رع) عناصر ايجاد الخلقة والواضع لقوانين الولادة وأحكامها فلذا كانوا يسمونه رب الحقيقة ويرسمونه على هيئة انسان محنط مقط ويقولون ان بديه تتحركان كيف يشاء وهو قابض بهما على ثلاث علامات وهى الحياة والازلية وقضيب الملك وكلها مشبوكة فى بعضها كما تراها فى شكله وفى قفاه زينة مدلاة بين كتفيه وعلى رأسه قلنسوة وأحيانا كانوا يجعلون رأسه على هيئة المعبود (خبر) أى الجعل أو الجعران ويسمونه (فتاح سكر أوزيرس) وذلك متى قصدوا معنى الازلية أو الدار الآخرة لان هذا المعبود الاخير رمز على غروب الشمس وشروقها اللذين هما عبارة عن الموت والحياة مرة ثانية وربما رسموا بجواره المعبودة (سخت) وابنه (إم حوتب)


فتاح

وله من الحيوانات المقدسة العجل ابيس وكانوا يعرفونه بالعلامات الآتية وهى أن يكون جلده اسود وفى جبهته غرة أو صوانة بيضاء مثلثة الشكل وعلى ظهره بقعة أو لطخة بيضاء تماثل هيئة النسر وتحت لسانه نتو بارز كالجعل ويشترط أن تكون أمه بيضاء لا شية فيها وأن تكون حملت به من شعاع القمر ومتى نفق بالموت حنطوه وقطوه ووضعوه فى تابوته ودفنوه فى المكان الذى أعدوه له وكانوا يرمزون به على القدرة الالهية الازلية الفاعلة فى الاشياء ويقولون ان له علاقة بالقمر ومدة الدور القمرى المنسوب لهذا العجل ثلاثمائة وتسعة اجتماعات قمرية أو خمس وعشرون سنة قبطية

(ثانيها) المعبود رع (الشمس) وكان يعبد فى مدينة (آن) المطرية ويزعمون أنه ملك المعبودات والناس معا وله الرتبة الثانية فى الربوبية وان الدنيا تضىء من نور عينه وهو الحامل للضوء والباعث على الحياة ومتى أشرق سناه على الكون أطلقوا عليه اسم الشاب (هرماخيس) أى الشمس المشرقة ثم (رع) أى شمس الضحى ثم (توم) أى شمس الطفل أو الغروب وزعموا ان هذا الاخير مع شيخوخته وهرمه يهزم أعداء رع الذين يقفون له بالمرصاد ليأخذوا عليه الطريق ويعوقونه عن السير تحت الارض بعد الغروب

ومتى سلك فى طريقه الاسفل كان له جسم انسان برأس كبش يعرف عندهم باسم خنوم وهو الواسطة بين توم وهرماخيس أى بين المساء والصباح ولما كان الانسان لابد له من الموت ثم الحساب وقطع العقبات ومعاناة الشدائد كذلك الشمس لابد لها على زعمهم من الموت عند الغروب ثم تركب سفينتها وتقطع دورتها السفلية وتقاسى الشدائد وتجاهد الاعداء وهى سابحة يتقدمها الثعبان أبيب ليدفع عنها جميع المهالك وبالجملة متى ظهر رع فى الافق جهة المشرق صار مولودا جديدا وطفلا ومتى سار فى المغرب صار هرما ومات فهو يموت كل يوم ويولد ثانيا بعدما يتربى فى بطن الطبيعة وقالوا ان المعبودة هاتور هى الكافلة لتربيته السفلية وكانوا يصورونها على هيئة بقرة أو امرأة لها رأس بقرة فتربى ذلك المولود بلبنها وكانوا يرسمون أحيانا اثنى عشر انسانا وعلى رؤسهم قرص الشمس أو صورة كوكب آخر دلالة على عدد ساعات النهار أو الليل


رع (الشمس) وهرماخيس (الشمس المشرقة)

وكانوا يقدسون لمعبودهم (رع) النسر أو الباشق ثم الثور (منيفى) بكسر الميم والنون الذى صار فيما بعد خاصا بالمعبود (أمون رع) وقد جعلوا تمثال هذا الثور على هيئة أسد ونصبوه فى معبد الشمس بمدينة عين شمس أو المطرية ورمزوا له بطير الفنكس المدعو عندهم (بنو) بفتح الموحدة وتشديد النون (لعله طير السمندل) وقد زعموا أنه متى اعتراه الكبر أتى بالخشب الزكى الرائحة واضرم فيه النار واصطلاها فيحترق ويصير رمادا فيخرج من ذلك الرماد طير صغير ولا يأتى طير الفنكس الى المعبد المذكور الا مرة واحدة كل خمسمائة سنة وكانوا يزعمون أنه روح أوزيرس

ومتى أرادوا رسم المعبود (رع) صوروه على شكل انسان له رأس باشق أو نسر ورسموا فى احدى يديه صورة الحياة وفى الاخرى قضيب الملك وجعلوا على رأسه صورة قرص الشمس وثعبان قد التف به وكان الخواص من كبار الكهنة يشيرون بهذا الاسم الى الله الخالق لكل شىء ويصونون مكنون معناه عن جميع الناس وهو المعروف عند اليهود باسم (أدوناى) بهمزة مفتوحة ثم دال مضمومة ثم نون مفتوحة ثم ياء ساكنة وقد سبق ذكر ذلك فى الرحلة

بتل العمارنه أما باقى المعبودات فكانت عنـدهم عبارة عن التجليات الخاصة بالذات العلية وهو غير مذهب العوام

(ثالثها) المعبود توم بضم فسكون وهو أحد تجليات الذات العلية أو (رع عند العامة) وكان يعبد فى أقاليم الوجه البحرى ثم خصصوا عبادته بمدينة الشمس (المطريه) ولهذا المعبود بنيت مدينة (باتوم) أى أرض المعبود توم وقد بناها العبرانيون وذكرت فى التوراة باسم پيتوم ومكانها الآن تل المسخوطة ثم عبده أهل الصعيد وهو أحد المعبودات القديمة وكانت العامة تزعم انه الشمس عند الغروب وبظهوره جهة الغرب تبتدئ الرطوبة فى الجو وتلطف الهواء ثم تتلاشى الحرارة فلذا نسبوا اليه ريح الشمال المحبوب وزعموا أنه يقاتل عسكر الظلام التى تتعرض لسفينة الشمس كى تعوقها وقد مر ذكر ذلك وكانوا


توم أو أتوم

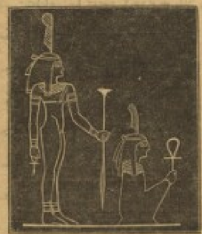
يصورونه على شكل انسان له لحيـة مرسلة وفوق رأسه تاجا الصعيد والبحيرة داخلان فى بعضهما أو قرص الشمس وهو قابض باحدى يديه على الحياة وبالاخرى على قضيب الملك والا رسموا رأسه على هيئة المعبود (خبر) أى الجعل أو الجعران متى عنوا به صفة الخالق أو جعلوا له رأس أسد متى عنوا به المعبود (نفرتوم) أو جعلوا له رأس باشق متوج بزهر البشنين يقبض بيـده على صورة عين انسان وكلها اشارة الى نزول الشمس تحت الافق وملاحظة حركة سيرها أما الباشق فرمز على احياء الشمس أو ولادتها بعـد الموت مرة ثانية

(رابعها) المعبود خنوم بسكون وضم وسكون وهو من أقدم معبودات مصر ويعرف بالعلامات الخاصة به منها انهم كانوا يرسمونه باللون الاخضر على شكل انسان له رأس كبش وبيده قضيب الملك الخاص بالمعبود (رع) لانهم كانوا يزعمون انه يجلس مكانه وقت سيره ليلا تحت الارض فتارة يرسمونه جالسا على تخت ملكه وتارة قائما وعلى رأسه تاج خاص به وربما جعلوه قابضا على علامة الحياة وبالاخرى على قضيب الملك وبوسطه محزم نازل

من خلفـه الى عقبيه كالذيل وكأنه ملتف بحزام أو ثوب ينزل الى ركبتيه أو الى سيقانه وكانوا يعبدونه جهـة الغرب أى فى واحة سيوى بصحراء ليبيا أو برقة بدعوى ان حكمه يبتدئ من غروب الشمس ويبقى الى شروقها كما كانوا يعبـدونه فى جزيرة اسوان لداعى انه هو الواسطة بين الرطوبة والحرارة أى بين ندى الليـل ويبوسة النهار ولا يخفى ان جزيرة اسوان هى الحد الوسط الواقع بين سهول السودان وفيافيها القحلة وبين أرض مصر اليانعـة الخضرة لان من هـذه الجزيرة يبتدئ توزيع مياه النيل الحاملة للرطوبة والخصوبة بمصر كما لا يخفى


خنـــوم

(خامسها) المعبودة ما وكانوا يزعمون انها ربة العـدل والحق وهى اخت (رع) وتعرف بعلامتها الخاصة وهى ريشة نعامة مغروسة فوق تاجها وباحدى يديها علامة الحياة وبالاخرى قضيب من الازهار


ما أو معت

(سادسها) ثالوث (أوزيرس) وزوجته (ايزس) وابنهما (هوروس) أما أوزيرس وايزس فهما أولاد (نوت) أى الجو وسب (أى الارض) وكانوا يرمزون بهما على التجديد والبقاء أى على الزمن وتعاقب الايام وعدم انقضائها وقالوا انهما متى كانا فى بطن أمهما غشيا

بعضهما فحملت ايزيس من أخيها أوزيريس بابنها هوروس كما أن (تيفون) وزوجته (نفتيس) هما أيضاً أبناء نوت وسب



ثالوث (أوزيريس) و (ايزيس) وابنهما (هوروس)

وكان أوزيريس وايزيس يحكمان معاجميع مصر وقاما بسياسة الملك أحسن قيام وأغدقا عليه الخيرات والبركات وبالجملة كانت أيامهما أسعد الايام وأهناها فشق ذلك على تيفون أخيهما لما عاين من حسن عدلهما فأضمر لاوزيريس السوء ونصب له فخ الحيلة والهلاك فدعاه ذات يوم الى منزله وأجلسه فوق صندوق ثم احتال عليه حتى أدخله فيه وساعده رفقاؤه الاثنان وسبعون وبعد أن أحكم غلقه عليه ألقاه فى النيل فجره الماء معه حتى أدخله فى الفرع التانيتكى (راجع مكانه فى الدرس الاول من هذا الكتاب) فسار فيه حتى وصل الى البحر الملح وحملته المياه معها جهة الشرق الى أن أتى على بلاد فنقيا وألقاه اليم بالساحل بالقرب من مدينة بيلوس (بكسر وسكون فضم وسكون) وكان أوزيريس قدمات فى صندوقه اما زوجته ايزيس فانها انتظرت عودته حسب عادته فلم يعد اليها وهنالك استولى عليها القلق وجزعت عليه فخرجت هائمة تبحث عنه فى جميع أرجاء المملكة بلا فائدة ثم سافرت الى جهة فنقيا وانتهى أمرها بأن عثرت على الصندوق ففتحته وعرفت جثة أخيها فأخذتها بالصندوق وقصدت ابنها هوروس الذى كان بمدينة (بوتو) من أرض مصر وقبل أن تصل اليه وارت الجثة فى غابة منقطعة عن الناس ولما وصلت الى ابنها وأعلمته بالخبر خرجا فى طلب الجثة أما تيفون فانه خرج ذات يوم الى القنص ودخل تلك

الغابة فرأى جثة خصمه فقطعها أربع عشرة قطعة وفرقها فى وادى مصر وذهب لشأنه ولما عادت ايزيس لاخذ جثة زوجها أو أخيها لم تجدها فبحثت عنها فوجدت بعض أعضائه متفرقة فعلمت بما جرى عليها واهتمت بدفن تلك الاعضاء فكانت كلما تجد عضواً تدفنه حيث هو فمن ثم صار لاوزيريس جملة مقابر بمصر غير أن أوزيريس لم يمت فى الحقيقة بل عاد حياً وسكن الدار الآخرة وتسلطن بها وحكم فيها وقالوا انه بعدما دفن عاد الى ابنه هوروس وعلمه الرماية ودربه على الحرب والكفاح وجهزه بكل ما يلزم له ثم اختبره وبعد أن رضى بخبرته غادره الى محل حكمه فقام ابنه المذكور لاخذ الثار من تيفون القاتل لابيه وساجله الحرب والتحم معه فى القتال فانتصر عليه وحصره حصاراً وقتياً لكن لم يتمكن من قتله وكانت تزعم الناس أن أوزيريس هو عنصر النور أو الخير وتيفون عنصر الظلام أو الشر فيتغلب على النور فى هذه الحياة الدنيا ثم يتغلب فى الدار الآخرة ويسود النور على الظلام وهذا هو مذهب المانوية وهم طائفة من المجوس كانوا يقولون باله النور واله الظلمة أى الخير والشر وربما انتحلوا مذهبهم من هذا الاعتقاد الذى كان بمصر وقال الشاعر فى تكذيبهم

زار الحبيب بليلة * وأزال عنا كل بوس
وبدا الصباح فراعنا * لاشك فى كذب المجوس

أما كهنة مصر فكانوا يرمزون باوزيريس الى رطوبة النيل (هابى) أى الى رى الارض ويرمزون بتيفون ورفقائه الاثنين وسبعين الى أيام القيظ أو الى الصحراء وحولتها أو الى مدة تحريق النيل حيث لا يكون بمصر العليا عود أخضر وذلك انهم شبهوا ماء النيل المخصب وجريانه من الجنوب الى الشمال بجثة أوزيريس التى عامت فيه من الجنوب الى الشمال وشبهوا أرض مصر الخصبة واشتياقها لماء النيل المنتج بزوجته ايزيس التى كانت تبحث عنه بعد موته وشبهوا هوروس ابنه وحربه مع تيفون ونصرته عليه بالخصوبة التى تحدث من الارض والنيل فانهما تتغلب على القحولة وتطردها من أرض مصر فتنحصر فى البرارى والقفار بمعنى انها تنحصر فى مدة معينة ثم تعود ثانيا
وبالجملة فأوزيريس عبارة عن الخصوبة والحياة وايزيس موضع لذلك أو هى الطبيعة المنتجة وتيفون هو الموت أو العدم وهوروس الحياة ثانيا أما عبارة الآثار فتفيد أن أوزيريس

الملقب (أون نفر) بضم الهمزة وسكون النون ثم فتح وكسر وسكون معناه الوجود الكامل أو الجودة المتضمنة معنى الاتقان والحسن أما تيفون فمعناه ضد ذلك أى عبارة عن عدم الوجود أو عدم الاستحسان أو عدم الموافقة والالفة فى هذه الحياة الدنيا وان كل كائن ما وجد الا ليترقى فى معارج الكمال ويلبس ثوب الالفة وتتوفر فيه محسن الصفات ومتى انعدم ذلك الكائن عبرت نفسه الى الدار الآخرة بواسطة هوروس وزعموا أن أوزيرس هو حاكم تلك الدار وسلطانها ورئيس قضاة الارواح وان كل نفس طاهرة لابد من امتزاجها به فتصير أزلية نورانية وقد سبق هذا الكلام غير مرة فى هذا الكتاب

(سابعها) أوزيرس وكانوا يصورونه على شكل جثة ملك محنط وهو قائم أو جالس على عرش ملكه وفى احدى يديه درة (بكسر الدال وتشديد الراء وهى سوط له يد وبه جلة سيور من جلد) وفى يده الاخرى صولجان برأس منحنى كالمحجن وعلى رأسه تاج الصعيد مزين من كلتا ناحيتيه بريش النعام وهو رمز على العدل وكانوا فى أول أمرهم يرسمون بجواره قضيبا أو حربة بنصاب على هيئة ساق شجر الكرم وعليه جلد نمر فلذا كان جلد النمر من شعار كبار كهنته يتوشحون به عند أداء وظائفهم الدينية ولما رأى اليونان ذلك سموه (ديونيزوس) أى باكوس الذى هو عندهم علم على اله الخمر أو السكر



اوزيرس ملك الازليه

(ثامنها وتاسعها) تيفون ونفتيس أما تيفون فاسم يونانى جعلوه علما على اله الشر المعروف عند المصريين باسم (ست) بفتح السين وسكون التاء أو (سوتخ) وكانوا يصورونه

على شكل حيوان خرافى وربما اكتفوا برسم رأسه فقط أو بصورة حمار كانوا يقدسونه له وربما اقتصروا على رأس ذلك الحمار وكان اسم هذا المعبود شائعا فى أعصرهم الاولية والظاهر أنهم اتخذوه فى مبدأ أمرهم رمزا على اله الحرب أو على معبود البلاد الاجنبية وكانوا يسمونه أخا هوروس أو التوأم المتعادى وكثيرا ما أدخلوا اسمه فى تركيب ألقاب فراعنتهم وكتبوه فى خاتم الملوكية ضمن أسماء ملوكهم وقد سبق الكلام عليه بما فيه الكفاية أما (نفتيس) أو (نبت ها) فهى زوجة تيفون أو (ست) السالف ذكره وسميها قدماء اليونان (أفروديت) أى المنصورة لانها زوجة اله الحرب كما سلف ومملكتها فى الدار الآخرة وكانوا يرسمونها على هيئة مرضعة هوروس الشاب ويدخلونها فى رسم أدعية جنائزهم ويصورونها مع ايزيس بجوار جثة أوزيرس المحنطة لانهم زعموا أنها كانت تحبه حتى انه كان يختلى بها فى الظلام بدل ايزيس زوجته فتوافيه فى هيئة أم (أنوبيس) النائحة التى كانت تنوح وتضرب جبهتها بيدها وكانت نفتيس المذكورة تدخل أحيانا فى تربيع الثلاثة معبودات السالف ذكرها أى أوزيرس وايزيس وهوروس وهى تمتاز بتاجها الخاص الذى ينطق (نبت ها) وهو اسمها أيضا عندهم وكانت تجعل تحت ذلك التاج عصابة من ريش النسر وفى احدى يديها قضيب من الازهار وفى الاخرى علامة الحياة



تيفون وزوجته نفتيس
أو نبت ها

(عاشرها) المعبود (أنوبيس) بفتح الهمزة وتشديد النون وكسر الموحدة وسكون السين وكانوا يزعمون أنه خفير الاموات ودليلهم فى الدار الآخرة ومدير الدفن وحارس مملكة الغرب وكانوا يرسمونه على هيئة انسان له رأس ابن آوى



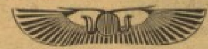
انوبيس

(الحادى عشر) هوروس (راجع شكله فى ثالوث أوزيرس) وكانوا يجعلونه فى هيآت

مختلفة أعمها ماهو مرسوم هنا وسبب ذلك كثرة الصفات التى جعلوها ملازمة له أو المعانى التى نسبوها اليـه كقولهم انه كناية عن الجهة المشرقة بالانوار أو الولادة ثانيا أو الحياة بعـد الموت أو تغلب الخير على الشر أو الحياة على الموت أو النور على الظـلام أو الحق على الباطل وكثيرا ما كانوا يطلقون عليـه اسم المنتقم لابيـه وقد يوجد الآن بعض لوحات من عهد البطالســة تشتمل على وقائعه الحربية حيث تراه فيها مرسوما على هيئـة قرص الشمس وقد نشرت جناحيها لقتال تيفون وحولها ثعبانان يساعدانها على حربه



هوروس



حور حوده مصور فى هيئة قرص الشمس مجناحين

ومن أمعن النظر والفكر أيقن أن (هرماخيس) أى الشمس المشرقة صباحا ليس شيأ آخر غير هوروس يسير فى السماء فى زى المعبود رع (شمس الضحى) ويعبرون به عن حياة النور أو تجليه ثانيا أو خروجه من الظلام وتارة كانوا يصورونه بشكل غلام صغير عارى الجسد لشعر رأسـه حلقات تزينه وربما كتفوا برسم زهر البشنين وهورمز عندهم على ماذكر أورسموه على شكل نسر قد نشر جناحيه وتحلق فى الجو ويعرف عندهم باسم (هورهوبت) وكأنه رمى على الارض تيفون مع جميع رفقائه انتقاما للمعبود (رع هرماخيس) الحامل للنور صاحب اليـد البيضاء الذى يعرف عنـد اليونان باسم هليوس أما هوروس وهورهوبت فيعرف عندهم باسم (أبولو) وكثيرا ما كانت الكهنة تصوره فى شكل باشق قد ضم جناحيـه وفى ظهره درة بكسر الدال وتشـديد الراء (أنظر شكله مع المعبود توت) ويقـدسون له طير الباشق ومتى نفق بالموت حنطوه ودفنوه مع من مات قبله من البواشق ويوجد الى الآن بالصعيد كثير من هذا الطير محنطا فى مقابرهم

(الثانى عشر) (توت) المعـروف عنـدهم باسم تحوتى وعنـد اليونان باسم هرمس وكان عنـدهم أى المصريين رمزا على القمر ولما كان حسابهـم فى غير ما يخص الزراعة تابعا لاوجهه أى أوجه القمر جعلوه قياسا للزمن واعتبروا ذلك أول المقاييس عنـدهم

واتخذوه مبدا لجميع القواعد الحسابية وبناء على ذلك اتخذوا توت المذكور أصلا لجميع العلوم وقالوا انه كان واسطة لترقى النوع البشرى الى درجة الذكاء والفهم وهو رب الكتابة والانشاء والقوانين وكل المعارف التى تتشرف بها حياة الانسان وهو الموكل بقيـد وزن قلب المرء بعـد الموت كأنه يقدم تقارير أعماله الى قضاة الاموات ويرشد الارواح الى العودة فى العالم النورانى وهو الواضع لعلم المنطق المسمى بعلم الميزان أو علم الفلسفة وهو الذى ألهـم الناس القوة العقلية المنتجة والذكاء النورانى وكانوا يرسمونه بجوار أوزيرس أو منفردا على شكل الطائر (ايبس) بكسر الهمزة والموحدة وسكون السين وهو واقف

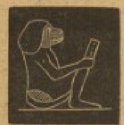


توت

على نحو بيرق والغالب أنهم كانوا يرسمونه على شكل انسان له رأس الطائر المذكور حاملا فوق رأسه صورة قرص القمر وريشـة نعامة دلالة على العدل ومن علاماته الخاصة به أن يكون فى يمينـه القلم وفى الاخرى لوحة الكتابة أو لوحة بها ألوان الرسم وربما رسموا على رأسه التاج وفى يده قضيب الملك لكنهم لم يصوروه قط برأس انسان ومن حيواناته المقدسة الطير أيبس (أبو قردان أو طير عبائله) وحيوان السينوسيفال (أنظر شكله) راجع ما قلناه فى هرمس وتوت



سفخ أو سفاك



سينوسيفال

(الثالث عشر) المعبودة سفخ بفتح السـين وكسر الفاء وضم الخاء أو الكاف وهى ترى مرسومة بجوار معبودهم توت واسمها الاصلى مجهول الى الآن أما لفظة سفخ فلقب لها ويشاهـد على رأسها قرنان قد التويا فوق جبهتها ووظيفتها أنها امينة على الكـتب والاوراق والخطوط

المقدسة والرسم والتواريخ و بيدها اليسرى جريدة نخل بها سعف كثير يدل على عدد السنين أو الاحقاب التى مضت و بيدها اليمنى قلم تكتب به فى ثمرة أو فى ورق الشجر المعروف باسم شجر الابوكاتو كأنها تقيد فيه الاسماء الخالدة الذكر (هذا الشجر يوجد الآن بجزائر أنتيلة بامريكا وغيره مثل الكمثرى لذيذ الطعم ولعله كان موجودا بمصر فى ذلك الزمن)

(الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر) موت وايزس وهاتور وهؤلاء الثلاث معبودات يمتزن عن بعضهن بعلاماتهن الخاصة بكل واحدة منهن أما المعبودة (موت) ومعناها عندهم الام فلها شكل باشق أو صورة انسان برأس باشق وهى الام الولادة ومن وظائفها نشر جناحيها للتظليل أوزيرس أو فراعنة مصر فى سيرهم ثم خفارة مهد النيل الذى احتاط بنبوعه تنين عظيم أى ثعبان هائل ليكلأه ويحرسه كما هو مبين فى الرسم أما ايزس فهى المنتجة لكل ما على وجه الارض من خير وبر ولطف وتمتاز بعصابتها المصنوعة من ريش النسور وبقرنيها المحصور بينهما قرص القمر أو الشمس أو كرسى الملك وقد أكثروا من ألقابها حسب المعانى التى أضافوها لها منها (أيزس سلك) وكانوا يرسمونها على شكل امرأة تحمل فوق رأسها عقربا ومنها (ايزس نيت) وتحمل فوق رأسها مكوك الحياكة وينطق نيت (أنظر صورته فى المقاطع الصوتية المذكورة فى أسماء الفراعنة) ومنها (ايزس سوتيس) ولها صورة امرأة جالسة فى سفينة وهى رمز على كوكب الشعرى اليمانية وربما رسموها فى شكل شابة وفى حجرها ابنها هوروس فى هيئة طفل ترضعه ومن حيواناتها المقدسة البقر لانهم كانوا يرمزون به على ايزس هاتور وأصل لفظة هاتور (هات هور) ومعناها عندهم بيت هور أى هوروس لانه لما رضع ثديها تجددت حياته وعلى كل حال فهى الهة الحب والعشق والام الكبرى وهى المدافعة عن الوالدات الصارفة عنهن السوء الحامية عن الرقص والغناء وكل سرور مادى وأدبى حتى السكر وشرب الخمر وقد اعتبرها أهل القرون الاخيرة من المصريين بالدرجة التى اعتبر بها قدماء اليونان بنات الشعر عندهم [1] حتى انهم كانوا يرسمونها أحيانا و بيدها دف وحبل

(١) كان قدماء اليونان يعتقدون أن بنات الشعر تسع من الحور العين عارسن جميع المعارف أو الصنائع المسلية للخاطر مثل الموسيقى وفن الرسم وقرض الشعر وتفردن بجميعها ولهم اخبار فيهن تطول حذفناها هنا

اشارة الى انها هى الرابطة للحب أو العشق والسرور أو الحظ وربما رسموها فى هيئة شابة كاعب برأس بقرة وقرص الشمس بين قرنيها وكانوا يسمونها أحيانا (مرسخت) بفتح الميم وسكون المهملة وفتح السين وكسر الخاء وسكون التاء ومعناها هاتور الحاكمة فى الدار الآخرة



موت الحافظة لينبوع النيل



ايزيس وابنها هوروس



ايزيس سوتيس



ايزس هاتور



هاتور



هاتور

(السابع عشر) المعبودة (سخت) بفتح وكسر فسكون وكانوا يصورونها على شكل امرأة برأس لبوة أو برأس هرة تحمل قرص الشمس وعليه ثعبان ليمثلوها بالنار المحرقة الموجودة فى جرم الشمس وكانوا يطلقون عليها جملة أسماء منها بشت وبست ويزعمون انها اخت المعبود (رع) وزوجة (فتاح) وقد كانوا يرسمونها فى هيئة نار مضرمة لمن حق عليهم العذاب وكانوا يزعمون انها تقاتل فى الدار الآخرة الثعبان أبيب وأنها يوم الحساب تظهر للمجرمين فى هيئة انسان له رأس لبوة وتقطعهم اربا وكانوا يرسمونها بهذه الهيئة متى كان المقام مقام وعيد وتهديد ومتى كان المقام وداعة وملاطفة رسموها برأس هرة وسموها بست ومن هذا العنوان أتى اسم تل بسطة الذى هو علم على الاطلال الواقعة بجوار بندر الزقازيق لانهم



سخت أو بست
وهى محبوبة فتاح وسيدة
السماء وأميرة الدنيا

كانوا يعبدون فيه الهرة واسم سخت يوجد بكثرة فى جزيرة فليا (جزيرة أنس الوجود) وكانوا يقدسون لهذه المعبودة الهرة ومتى نفقت بالموت حنطت ودفنت فى مقابر القطاط

(الثامن عشر) المعبود سبك بفتح السين والموحدة وسكون الكاف وكانوا يرسمونه على شكل انسان برأس تمساح وهو عندهم رمز على الوهية النيل وكانوا يعبدونه جهة الشلال وجبل السلسلة وكوم امبو والفيوم وبعض جهات أخرى وكان فى كوم امبو يدخل فى تثليث المعبودين الآتيين وهما هاتور وخنسو ويجعلون فى تاجه ريشتين بينهما قرص الشمس يحيط بهما ثعبانان يحملان قرص الشمس أيضا وكانوا يرسمون هذا المعبود باللون الاخضر ويجعلون فى احدى يديه علامة الحياة وفى الاخرى قضيب الملك ويقدسون له التمساح بعد صيده من النيل يربونه فى بركة ماؤها رائق وقد عدوا هذا المعبود ضمن آلهة الشر كتيفون وكثيرا ما كان يدخل شكله فى شكل المعبود



سبك

(رع) فيصيران واحدا يسمى سبك رع وقد سبق الكلام على التمساح بما فيه الكفاية

(التاسع عشر) المعبود (أمون رع) وكانت عبادته شائعة بأرض مصر مدة ملوك الطبقة الثالثة التاريخية ودخلت عبادته فى عبادة أوزيرس وغيره من المعبودات ويستفاد من كتابة الاعصر الاخيرة انه ملك الالهة وقال بعضهم انه ابن المعبود (فتاح) وله أن يحكم فى الارض متى كان المعبود رع مشتغلا بالحكم فى عالم الارواح ومعنى أمون عندهم المكنون أو الخفى أو الباطن ولم يكن هذا المعبود فى مبدأ الامر بالمتداول العظيم الشان ثم أخذت عبادته فى الظهور حتى ملأت حافتى النيل وسبب ذلك أنه كان معبودا عند أهل طيبة خاصة ولما تيسر لهم اجلاء العمالقة أو الرعاة عن مصر تيمنوا به ولما حكمت ملوك هذه المدينة على ماسواها من المدن



أمون قم

كمنفيس وجميع الوجه البحرى أدخلوا عبادته فى جميع أنحاء المملكة وما كفاهم ذلك حتى جعلوه ملكا على معبودات البلاد وأقاموا له الهياكل وكتبوا اسمه فى أغلب معابدهم القديمة ومن ثم صارت عبادته عامة عندهم ومنه اشتق المعبود (أمون قم) بفتح القاف وسكون الميم وكانوا يرسمونه على شكل انسان محنط قائم على قدميه باحليل منعظ ممتد أمامه ومدلوله عندهم القوة الكامنة فى عنصر الماء وخصوا اثبات القوة المنتصبة باحليله القائم وهو كثير الوجود فى المعابد المصرية بمدينة طيبة وغيرها وقال بعضهم ان احليله المنتصب رمز على أيام الربيع حيث تكون الارض فى شدة خصوبتها والازهار يانعة والفرق بين القولين ضعيف (أنظر شكله)

ومن وظائف أمون المذكور أنه يتلقى كل انسان تمت خلقته على يد (نوم) ويودع فيه بسره الخفى من اللطف والوداعة ودماثة الطباع وحسن الخلق والخلق ما يجعله وجيها طلق المحيا مقبولا عند الناس مجلا لديهم معظما فى أعينهم والا جعله قبيحا مذموما مشؤم الطلعة منحوس الطالع مشوه الوجه عابسه مبغوضا لدى الناس ثم يقدر درجته فى الهيئة الاجتماعية ويعين كل ما يلاقيه من خير أو شر وهو الذى يجازى كل امرئ بما كسبت يداه ان خيرا فخير وان شرا فشر ولما كان هذا شأنه فى العالم خضعت له جباه باقى

المعبودات كما أن كل معبود منها اتصف بصفة من صفاته بحيث ان مجموعها صار عبارة عن صفات الذات العلية تعالى الله عما يشركون وكانوا متى أرادوا اظهار جميع صفاته رسموا بجواره باقى المعبودات وصورته شائعة فى أغلب المعابد كما قدمنا وكانوا يرسمونه باللون الازرق أو الاسود إما جالسا على تخت عرشه أو قائما على قدميه وفوق رأسه تاج عليه أربع ريش طوال وربما جعلوا بدل هذا التاج تاج الصعيد فقط أو تاج الصعيد والبحيرة داخلين فى بعضهما أو جعلوا على رأسه مغفرا أو قلنسوة أو تاجا آخر حسب المعانى والصفات التى كانوا يريدون أن ينعتوه بها ويجعلون فى يده الدرة بكسر الدال وتشديد الراء أو القضيب أو الصولجان الاعوج الرأس أى المحجن أو علامة الحياة أو كل هذه العلامات أو بعضها حسب ما يقتضيه المقام وربما رسموه برأس كبش ويعرف عندهم باسم (أمون خنوم) وهو الذى تسميه اليونان (خنوفيس) وهذا المعبود أى أمون رأس ثالوث مدينة طيبة أى أول ثلاثة معبودات يتركب منهم ثالوث هذه المدينة وهم أمون وموت أى الام الولادة وخنسو أى تجلى الروح اللدنية وكانوا يقولون انه له القدرة على اعدام جميع الاعداء وانه يهلكم عن بكرة أبيهم متى شاء وهو الذى أعطى كل انسان الصبر على مقاومة غصص الايام ومكابدة مرها وهو الشافى للامراض بأنواعها



أمون رع ملك المعبودات

ملحوظة ـ قد نرى أن بعض هؤلاء المعبودات اتصف بصفات وأفعال غيره والجواب

عن ذلك هو انه لما كان لكل قسم من أقسام مصر معبودات وكهنة خاصة به تغالى كل فريق فى أوصاف معبوداته حتى نسب اليها بعض ما نسبه الآخر لمعبوداته فمن ذلك حصل الاشتراك فى الصفات والافعال وقد سبق ذكرها هنا فراجعه متى شئت فى هذا الكتاب

(أسماء المعبودات المصرية مرتبة على الاحرف الابجدية)

إبيس	خنس أو خنسو
أبيس	سفك أو سفخ
أبيب (الثعبان)	سات
أم حوتب	سب
أمون	سبك
أوزيرس	ست أو تيفون
ايزس	سخم نفر
« نيت	سخت
« سلك	سكر أوزيرس
« سوتيس	ما ـ معت
بست	مرسخت
توت	موت
توم	نبت ها ـ أو نفتيس
تيفون	نفرتوم
خبر الجعران	نوت
خنوبس أو كنوفيس أو خنوم	

الفصل الرابع عشر وهو الاخير

(الرحلة العلمية من الاقصر الى جزيرة أنس الوجود أو جزيرة فليا)

كيلومتر	
١٤	من الاقصر الى ارمنت
٤٢	من ارمنت الى اسنا
٧٥٦	من بولاق الى اسنا

ثم نغادر الاقصر ونتجه الى الجنوب وبعدما نقطع ستة وخمسين كيلومترا نصل الى بندر اسنا وبها من الآثار القديمة معبد مطمور بالاتربة واقع في أصقع جهاتها عليه جملة دور ومنازل للاهالي لم يرمنه غير ايوان الاعمدة المقابل للباب العام فينزل له الانسان بجملة درجات ووجهته وأساطينه من بناء الرومان حيث يرى عليها اسم كل من الامبراطور (قلوديوس) و (دوميسيانوس) و (قومودوس) و (سيتيم سواريوس) و (كراكلا) و (جاتا) أما داخل الايوان فبنى من زمن اليونان أى أيام دولة البطالســة وقد حقق بعضهم أن بطليموس (فيلوماطور) أى محب أمه (سمى بهذا الاسم للتهكم والسخرية لبغضه اياها) في جانبا منه وجميع كتابة هذا الايوان قبيحة واشاؤها ردىء يتخللها ألفاظ قد تلاعب الكاتب بمعانيها واستعملها في غير ما وضعت له ثم جناسات دخلها الغرابة والتعقيد ثم أحرف مقطعية قد زاغت معانيها عن الحقيقة وكل ذلك يوجب حيرة القارئ ولا يقوى على حل معانيها الا فحول العلماء ومن له قدم راسخ في علم الآثار لان المعاني مختفية تحت هذا التنافر وركاكة الاختراع وعلى الحيطان والعمد صورة بعض المعبودات ونوع السمك المعروف الآن باسم لاطس اللذيذ اللحم ولعله كان مقدسا في ذلك الاقليم بدليل أنه وجد في هذه السنين الاخيرة على نحو الساعتين من بلدة اسنا فساقى مملوءة برمم السمك المحنط واذا تأملنا الى السقف رأيناه وتيجان الاساطين الحاملة له محجوبا بالعثان (الهباب الاسود) لكن نلمح من خلال ذلك السواد صنعة دقيقة متقنة النقش وحلاوة ظاهرة في الرسم تكاد أن تكون معدومة في مباني ذلك العصر وذلك ان النقش والحفر لم يكونا فنا كالعمارة المصرية التي اضمحلت بعصر مدة اليونان والرومان وللاساطين المذكورة منظر بديع

لانها قائمة بالهندام فوقها تيجان تحمل ذلك السقف وكلها من الحجر الجافي والمسافة التي بين العمد ضيقة وتيجانها في غاية البهجة مصنوعة على هيئة باقة من البشنين (الاقحوان الذابل) ولعل الرومان اتخذت هذه الهيئة من معبد جزيرة فليا الذى صنع اليونان أساطينه على شاكلة أساطين معبد مدينة أبو ومعبد الكرنك ويظهر أن هذا الانموذج القديم أحيته اليونان بعد موانه واندراس استعماله وذكر بعض علماء الآثار أن شمبليون الشاب نظر الى داخل المعبد المردوم فرأى محله الاقدس وقرأ عليه اسم الملك طوطوميس الثالث وقال ماريت باشا ان هذه الرواية تحتاج الى الاثبات والتحقيق اذ لا يمكننا الآن أن ندخلها في دائرة العلم بأن نعزى بناء المردوم منه الى الملك المذكور لانه من المستحيل الآن أن يرى الانسان شيأ منه غير الرحبة العظيمة الداخلة وكلها مطمورة بالاتربة اهـ

وفي سنة ١٨٩٢ أخبرني بعض الاهالي أن كثيرا من المنازل والدور مبنى فوق المعبد المردوم ثم أشار الى منزل منها وقال لي كان لصاحبه جاموسة فدخلت في بعض الايام مساء الى مكانها حسب عادتها فانشقت الارض وغارت فيها الى أسفل المعبد وما قدر أحد على اخراجها فماتت تحت الارض وهي باقية الى الآن وكان ذلك من نحو أربع سنين ثم ان الرجل أخذني الى حارة ضيقة فوجدت بعض جدرها مبنيا بالحجر النحت المكتوب بالقلم القديم وفتح لي بعض الحوانيت وأطلعني على بعض الجدر المكتوبة ورأيت بالمنازل مباني قديمة تشهد أنها من المعبد فعلمت صحة قوله وأن المعبد كان كبيرا ثم خابرت مصلحة الآثار أن تشترى جميع المنازل التي فوقه وتزيلها لتظهره لكنها لم تفعل بعد

كيلومتر	
٢٨	من اسنا الى الكاب
٢٢	من الكاب الى ادفو
٨٠٦	من بولاق الى ادفو

ثم نسير الى الجنوب فاذا قطعنا ثمانية وعشرين كيلومترا بلغنا قرية الكاب الواقعة على الضفة الشرقية للنيل وهي مشهورة بمغاراتها وهيكلها الصغير المبنى في زمن العائلة الثامنة عشرة الواقع على نحو أربع كيلومترات من النيل وكانت هذه القرية من قديم الزمان معسكرا حربيا لمنع اغارة أمة الهيروشا المعروفة الآن باسم أمة البشارية وقد دلت

الكتابة المنقوشة هنالك على أن هذه الامة كانت تهدد مصر فى كل حين بالاغارة وتتوعدها بالقدوم ويرى بهذا المكان الآن أثر قلعة حربية قديمة وسورها مبنى باللبن (الطوب النى) وربما كان بناؤها لمدة الطبقة الاولى المصرية وقد رأيت عرضه يزيد عن ثلاثة أمتار ورأيت بالقرب من جبلها معبدا صغيرا مهدوما لاحد البطالسة وفى هذه السنين الاخيرة أجرت مصلحة الآثار الحفر بالقرب من هذه القلعة فوجدت صنما هائلا مكسورا مصنوعا من الحجر الجيرى يظهر من حالته أنه من عمل دولة العمالقة فاذا تحقق ذلك كانت فائدة تاريخية مهمة وهى امتداد حكم العمالقة الى الصعيد الاقصى لكن ذلك لم يتحقق بعد

ورأيت فى الجبل الغربى أمام قرية البصيلية مغارات وكهوفا بعضها مكتوب وبعضها غفل وبلغنى أنه يوجد فى الجبل على بعد ساعة جهة الشمال الغربى من هذه المغارات عين ماء يقصدها المرضى ليغتسلوا ويشربوا منها فقصدتها وقت الظهر وكان الحر يشوى الوجوه فاذا هى حفرة صغيرة طبيعية بوسط الجبل وحولها أوانى من الفخار لاخذ الماء بها وهو لا يكاد يبلغ الثلاث قرب يمكن الانسان أن يشرب منه بيديه لقربه فأمرت من كان معى من الخفراء بنزحها ففعلوا ونظرت الى قاعها فرأيت سلسالا من الماء الصافى الضعيف ينبجس من الصخر فانتظرته ريثما اجتمع فشربت منه فاذا هو معدنى بارد له طعم الماء المعروف بماء فيشى المستعمل فى الطب فأكثرت من شربه لاقف على مفعوله وغسلت وجهى منه فاستشعرت بألم فى عينى واسهال خفيف وادرار البول ولما عدت الى السفينة أمرت أحد الناس فملأ لى منها قدرا كبيرا وجعلته فى زجاجات وكنت آخذ منه كل يوم مع الاكل فكان يحدث معى ماذكر ويساعد على الهضم غير أنه بعد ثلاثة أيام تغير طعمه وصار آسنا فاهملته ولا أدرى ان كان له فائدة طبية غير ماذكر ولعل حكومتنا السنية وأطباءنا يكشفون لنا عن فائدة هذا الماء وقال لى بعض الاهالى انه يوجد بقرية الكاب أى فى الجانب الشرقى للنيل عين أخرى على سمت هذه يأخذ منها الاهالى للطبخ والعجن

فاذا يممنا الجنوب وصلنا بعد ساعتين تقريبا الى معبد ادفو ذى الابراج الشاهقة التى يراها السائح من بعد كالقلاع أو الجبال الشاهقة اذ ليس لعلوها مثيل فى جميع أبراج المعابد

المصرية لانها تبلغ ٣٥،١٠ مترا وبها مائتان وستة وأربعون درجة ولوضع المعبد مشابهة بمعبد دندره الذى سبق ذكره ورسمه فى هذا الكتاب وهو محاط من جهته الغربية والجنوبية بتلال من الاتربة تحاكى آكام الجبال وقال ماريت باشا ان معبد ادفو كان مطمورا بالاتربة وسافيها حتى تساوى بما حوله من الآكام فتطرقت الناس اليه بالبناء وجعلوا فوق صحنه المردوم بالتراب وعلى سطحه منازل وغرفا ودورا واسطبلات للماشية ومخازن (يعنى كعبداننا الآن) فاهتمت الحكومة بشأنه وأزالت جميع ما عليه وما به والفضل فى ذلك لوالى مصر أعنى (حضرة اسماعيل باشا) ومن دخل فيه الآن وعلم أنه كان مدفونا تحت التراب علم مقدار ما قاساه الناس فى كشفه وتالله انها لخدمة جليلة للعلم وذويه اه

وفى سنة ٩٢ رأيت حوله الاتربة التى كانت به مكومة كالجبال ورأيت الجدار الغربى من حوش البواكى قد مال الى الشرق قليلا وأمال معه العمد وباكيتها فتشوه منظر الحوش وأخبرنى مفتش المعبد أنهم لما أجروا تنظيفه لم يفتكروا أن يرفعوا الاتربة التى حوله من الخارج حتى كانت تحصل الموازنة فتدافعت الاتربة من الجهة الغربية فاختل مركز ثقل الجدار فمال وأمال معه الباكية والعمد الى الجهة الشرقية كما ذكر

أما بناء المعبد ففى زمن بطليموس الرابع المسمى فيلوباطور (أى محب أبيه) (تسمى بذلك تهكما وسخرية لانه كان يبغضه) وهو الذى بنى محله الاقدس وجميع الاروقة التى حوله كما بنى جميع أماكنه المهمة ولبطليموس السادس المدعو فيلوماطور (أى محب أمه) زينة ونقوش فى بعض قصعاته أما الحوش أو رحبة البواكى التى خلف الابراج فمن بناء بطليموس التاسع المدعو أويرجيطه الثانى أى الرحيم (تسمى بذلك تهكما أيضا لقساوته) ويرى على أحد جانبى الدهليز الخارج اسم بطليموس أويرجيطه المذكور وعلى الجانب الآخر اسم بطليموس الحادى عشر المدعو اسكندر أما الابراج فقد زينها بطليموس الثالث عشر المدعو ديونيزوس أى النباذ أو الخمار (سمى بهذا الاسم لتولعه بشرب الخمر) وكتابة النقوش العجيبة الموجودة على جلسة جدر المعبد من الخارج تستحق التأمل وعلى كل رواق اسمه (أى اسم الرواق) بحيث انه يمكن الآن بكل سهولة رسم هذا المعبد وبيان جميع أماكنه باللغة البربائية حسب ماهو مبين به ومن العجب أنه مبين بكل رواق مقدار طوله

وعرضه بالأذرع المعمارية القديمة مع كسورها فاذا مسحنا أحد هذه الاروقة وعرفنا مقدار ذرعه أمكننا استخراج مقدار الذراع المعماري الذى كان مستعملا بمصر فى زمن دولة البطالسة وقد علمنا من النصوص التى عليه أن بناءه ابتدئ فى زمن بطليموس فيلوباطور (محب أبيه) وانتهى فى زمن بطليموس أوريجيطه الثانى (الرحيم) وهذه المدة عبارة عن نحو خمس وتسعين سنة والسبب فى عدم انجاز بنائه فى زمن قريب هو كثرة الحروب والفتن الداخلية والخارجية التى كانت تقع بين ملوك البطالسة وبعضها أو بينها وبين ملوك الشام فاذا أضفنا الى ذلك مدة زينته التى انتهت فى زمن بطليموس الخامر آخر ملوك البطالسة لكان جميع مدة عمارته وزينته مائة وسبعين سنة تقريبا ويرى فى أحد أركان قدس اقداسه ناووس أو محراب قطعة واحدة من حجر الجرانيت الرمادى الارقط (المنقط) يجذب النظر اليه لدقة صنعته عليه كتابة تخبر عن أصله وتاريخه يعلم منها أنه من عمل نقطنبو الاول (من العائلة الثلاثين) جعله ناووسا لمعبد آخر كان محل هذا المعبد قبل بنائه وكان معدا لحفظ الرمز السرى الذى هو تمثال المعبد

وعرض جميع هذا المعبد بعد طرح سمك سوره وأبراجه ٤٠ مترا وطوله ٧١٫٨٥ مترا فاذا أضفنا اليه الابراج بلغ عرض الوجهة ٧٥ مترا وطوله ١٣٧٫٦٠ متر

ومن زار معبدى ادفو ودندره علم أنهما أخوان توأمان لان أصل تصميمهما والغرض منهما واحد بدليل الكتابة المنقوشة على معبد ادفو وأن القسس كانت تجتمع فى كلا المعبدين بالرحبة الثانية أو الحوش الثانى وتجهز الزفاف السنوى فى المقصورة المعدة لذلك وتجعل القرابين فى أروقتها الخاصة لها أما الابراج فلم يعلم أنها كانت مختصة بشئ دينى وقد سبق القول عند ذكر معبد الاقصر أن فائدتها اشهار المعبد كالمئذنة وأبراج الكنيسة اذ لادخل لها فى الديانة

وعلى ظاهر أبراج هذا المعبد أخاديد رأسية داخلة فى الحائط منشورية الشكل كانت القسس تثبت فيها يوم أعيادهم صوارى من الخشب الطويل جدا يعلوها بيارق وأعلام تخفق فوق الابراج وقد علم أن طول هؤلاء الصوارى ما كان ينقص عن خمسة وأربعين مترا فكانت تثبت فى الابراج بواسطة كلاليب تنفذ من الشبابيك المربعة التى ترى من الخارج

مصنوعة فى طول تلك الاخاديد ثم تتصل تلك الكلاليب بجهاز مثبت فى الاروقة التى بها تلك الشبابيك

كيلومتر
٤٢ من ادفو الى جبل السلسلة
٨٤٨ من بولاق الى جبل السلسلة

ثم تتحول من بندر ادفو الى الجنوب وبعد أن نقطع اثنين وأربعين كيلومترا نصل الى جبل السلسلة الشهير بحجره الرملى العجيب الذى بنيت منه أغلب المعابد وكانت مقاطعه أهم جميع المقاطع المصرية لاسباب منها صلابة معدن حجره وقربه من النيل وسهولة المرسى بالسفن وحجر الجبل الشرقى أهم وأعظم من حجر الجبل الغربى وكان أغلب مقاطعهما مكشوفة بعضها فى شاهق منه على حافة النيل يبلغ ارتفاعه من خمسة عشر مترا الى عشرين مترا وبعضها على هيئة مدرج عظيم فيرى الزائر هناك الطريقة التى كان يستعملها القوم فى قطع تلك الاحجار من مقالعها والاعتناء الذى كانوا يحرصون عليه فى العمل حيث كانوا يجعلونها أقساما كبيرة منتظمة كنجار ماهر نشر كتلة من خشب ذى قيمة جعلها ألواحا متساوية الاطراف منتظمة الطول والعرض ولاندرى بأى آلة كانوا يباشرون هذا العمل ويتحصلون على ذلك الغرض سيما وأن هذا الحجر يبرى الحديد وياكله لحراشة ملمسه ومشابهته لحجر المسن وقد دققت البحث فى تلك المقالع وغيرها فلم أر أدنى أثر للبارود واللغم المستعمل الآن فى هذا العصر عند جميع الامم

ومقاطع الجبل الغربى صعبة الارتقاء وليست ممتدة كمقاطع الجبل الشرقى غير أن به كثيرا من المغارات والكهوف الصناعية مكتوبة وخالية بعضها مقابر للاموات وسبب اتخاذ هذه المغارات فى تلك الجهة هو أنهم كانوا يعتقدون قداسة النيل وألوهيته ولما كان هذان الجبلان مطلين عليه وحاصرانه بينهما اعتقدوا طهارتهما لمجاورة فصنع بعض الملوك وغيرهم فى الجبل الغربى تلك المغارات ونقشوا اسمهم فيها تبركا أو تذكارا على أنهم مروا به أو قطعوا منه أحجارا لمعابدهم كما أنهم كانوا يكتبون أسماءهم على بعض الصخور والجبال التى كانوا يمرون عليها فى غزواتهم وهى التى أنارت مصباح تاريخهم
وقد يوجد على بعض صخور هذا الجبل قصائد فى مدح النيل المبارك أما المغارات الموجودة

هنالك فأهمها ما يعرف باسم اسطبل عنتر وتعرف عند علماء الآثار باسم إسبيو (Spéos) منحوتة على هيئة اسطبل خيل طويل عند بابه من أوله الى آخره تقريبا وبه أربعة عمد ضخمة تحمل الجبل من فوقها كل من رآها من بعد ظنها خمسة حوانيت بالجبل وتعزى بناءة عمل هذا المكان الى فرعون هوروس أو (هورمحب) آخر فراعنة العائلة الثامنة عشرة وقد تقدم ذكره غير مرة في هذا الكتاب ولبعض الملوك والامراء زيادة فيه بدليل وجود أسمائهم على جدره وكله مزين بالنقوش الملونة وبصور المعبودات واذا أردنا وصفه طال بنا المقال وأهم ما به لوحتان مرسومتان في زاويته الجنوبية الغربية اذ يشاهد في الجهة الجنوبية صورة معبودة تحمل في حجرها الملك هوروس المذكور وهو طفل وترضعه ثديها ونقش هذا المكان من أجل النقوشات الفاخرة التي تبتهج النفوس عند رؤيتها وتنشرح الخواطر لمشاهدتها لانها جمعت بين اللطافة والدقة والحسن أما اللوحة الثانية المرسومة على منعطف جدار الجانب الغربي فتعرف عند علماء الآثار باسم نصرة هوروس اذ تراه جالسا على تختة فوق محفة يحملها اثنا عشر ضابطا من رجال جيشه ثم ضابطان آخران يحملان فوق رأسه مظلتين لهما أيادي طويلة وأمام الموكب عساكر مصرية عابسة الوجوه يلوح عليهم الغضب والحماس تمشي حاملة سلاحها تسوق أسارى أتت بهم من بلاد السودان فيعلم من ذلك أن هذا الموكب انعقد للملك المذكور لما عاد الى مصر سالما من غزوة غزاها لامة الكوش ببلاد السودان ولكل أيام دولة ورجال أنظر موكب هذا الملك في صحيفة ١٥٧ من هذا الكتاب فانه يقرب جدا مما ذكرناه

ورأيت في سنة ٩٢ على الجبل الشرقي صخرة منفصلة عنه منحوتة على هيئة برج المعبد مكتوبة بالقلم القديم ولها شكل ظريف للغاية وهي شكل هرم ناقص مربع القاعدة والاضلاع ينتهي كل سطح منه بافريز لطيف وفوقه رفرف يعلوه رفرف آخر وكلها في غاية الحسن عليها اسم الملك امنحتب الثالث (من العائلة الثامنة عشرة) فأخذت قياسه وكعبته فعلمت أن ثقله لا يتجاوز المائة قنطار فارسلت الى المصلحة بنقله الى المتحف المصري لكنها لم تفعل ويغلب على ظني أنه لم يصل أحد من الافرنج الى هذا المكان ولا يعرف ذلك الاثر لان مسلكه وعر بعيد عن الاماكن التي اعتاد السائحون زيارتها سيما وانه مختف خلف منعطف لوهدة من الجبل وعلى بعد نحو المائتي متر منه الى الجنوب مقصورة أو خزانة صغيرة

منفصلة عن الجبل كأنها مقصورة الديدبان (خفير العسكر) التي تكون في كل نقطة عسكرية ليأوي اليها الديدبان وقت المطر وغيره وعلى نحو مائتي متر حائط منفصل عن الجبل أيضا قائم كالجدار عليه كتابة مصرية واسم الملك صاحبه ولم أتذكر الآن اسمه

ورأيت على الشاطئ الغربي للنيل على بعد ثلاث ساعات من جبل السلسلة جهة الشمال واد بين جبلين يعرف عند سكان تلك الجهة باسم وادي الحمام يتجه الى الغرب فسلكت فيه وشاهدت على حائط منحوت في الجبل صورة أحد الملوك وخلفه زوجته وأمامه أولاده فتركته وداومت على السير في الوادي فلاحت لي فجوة على اليسار فدخلتها فرأيت لوحة مربعة منحوتة في الجبل بهندام لطيف عليها اسم الملك طوطوميس الثالث وأخته الملكة حتزو وكتابة بربائية فتركتها واتبعت الوادي حتى أتيت على آخره فرأيته ينتهي بطريق قديم يبلغ اتساعه نحو الثلاثة أمتار ليس به حجر ولا مدر محفوف بالحجارة والصوان فخامر عقلي أنه طريق للعربات الحربية صنعته الفراعنة في هذه الجهة ثم رأيت على اليمين واليسار حجارة عليها اسم هذا الملك فأيقنت أنه هو الذي صنعه وسير فيه جيوشه ليستولي على بلاد ليبيا وأخبرني الدليل أنه يصل الى الواح ويمر بمقابر قديمة ومباني فرعونية وأن أناسا أرادوا الحفر فيها فهبت عليهم ريح عاصف فخافوا وعادوا وظنوا أنها أرض مسكونة ولما كذبته فيما ادعاه قال لي انه كان من جملتهم وعاد خائبا ثم سألته عن طول الطريق فقال نحو الثلاثة أيام للراكب المجد ولما سمعت منه ذلك عدت بعد أن مشيت فيه وفي الوادي نحو الساعتين وربع فكان جملة ما مشيته على قدمي في ذلك اليوم نحو أربع ساعات ونصف

كيلومتر
٢٤ من جبل السلسلة الى كوم أمبو
٤٤ من كوم أمبو الى اسوان
٩١٦ من بولاق الى اسوان

ثم نتجه الى الجنوب الى اسوان ونشاهد في طريقنا معبد امبوس المعروف باسم كوم امبو الواقع على ضفة النيل الشرقية في شمال قرية دراو وقد تسلطت عليه جيوش النيل في كل سنة فهزمت جموع محاسنه وشتتت رونق لطائفه وأبادت بهجة مناظره ولم تبق منه الا بعض جدر قد انحنت أمام سلطان فيضه وهو من بناء دولة البطالسة كمعبد ادفو ودندرة وغيرهما

ويرى عليه اسم كل من بطليموس فيلوماطور (محب أمه) وبطليموس أورجيطه الثانى (الرحيم) وبطليموس ديونيزوس (الخمار) وهو مركب من معبدين مرصدين على معبودين متضادين على طرفى نقيض وهما هوروس إله النور والخير وسبك بفتح السين والباء وسكون الكاف أى التمساح إله الظلمة والشر وأعمده هيئة يونانية مصرية تخالف طريقة العمد الفرعونية وكان له ايوان وحوش جار عليهما سلطان النيل ولم يبق لهما الآن أثر ولا عين ولبعض أحجار سقفه شكل خاص على هيئة متوازى المستطيلات وكلها جافية الحجم منها ما يبلغ طوله نحو الاربعة أمتار وفى سنة ١٨٩٢ اهتمت مصلحة الآثار فى بناء رصيف له ليقى ما بقى منه من غائلة النيل ورممت شعث ما كان منه على وشك السقوط وأزالت منه بعض الاتربة وصرفت على ذلك المبالغ الباهظة وهى لم تزل الى الآن مصرة على نجاز ما شرعت فيه

وفى سنة ٩٢ أخبرنى بعض أهالى تلك الجهة أن بقرية الكيبانية الواقعة فى سفح الجبل الغربى رجلا يعرف معبدا عظيما لم يطلع عليه أحد فتوجهت الى القرية المذكورة وأحضرت ذلك الرجل فاذا هو شيخ فان فسألته عن صحة هذا الخبر فقال لى اعلم أنى كنت فى مدة نزيل الجنان محمد على باشا شابا فى شرخ الشباب وعنفوان الصبا وكان لى أخ أصغر منى خرجت عليه قرعة العسكرية ففررت معه الى الجبال خوفا عليه وهمنا فى أوديتها وكنا نقطع المهامه ونعتسف السير ونجوب السبسب والصحصح ومازلنا كذلك طول يوم حتى أتينا قبيل المساء عمارة واسعة رحبة الارجاء على بابها عمودان من حجر الصوّان وبجوار كل واحد أسد رابض من الحجر الاسود فدخلناها فرأينا أماكن وأروقة ومبانى شتى مكتوبة بالقلم القديم وألوانها نضرة ليس بها مكان مهدوم ولا متخرب وأرضها مبلطة بالحجر فطاب لنا المقام فيها مدة ثلاثة أيام حتى فرغ ماؤنا فأحوجتنا الضرورة الى الخروج والعودة الى قريتنا فدخلناها ليلا وقضينا ما نحتاج اليه من ماء وزاد وعدنا بالثانى فلم نهتد اليها ثم بعد ذلك بعدة أعوام خرجنا فى طلبه وبذلنا الجهد فى البحث فلم نعرفه وعدنا بالخيبة وكنت من وقت الى آخر أذهب الى الجبال وأستأنف البحث ولم أجد ثمرة وذهبت أتعابى طى الرياح وقبل الآن بثلاثة أعوام حل بقريتنا رجل افرنكى من تجار الانتيكة وكان بلغه الخبر فاحضر الزاد والراحلة وخرجنا فى أهبة عظيمة وطفنا الجبال وتوغلنا فى معاميها

وقطعنا أقاصيها وادانيها وبقينا على ذلك مدة ثمانية أيام فما بلغنا الآمال ولا رأينا الطيف خيال ثم عدنا بصفقة المغبون بعد أن كاد يتربص بنا ريب المنون فلما سمعت منه هذا الكلام هزتنى أريحة البطل المقدام وعزمت على أن أدلى دلوى لعلى أبلغ بلة أو أشفى غلة وأنال المرام وأقول يابشرى هذا غلام لكن الحر كان يشوى الجلود ويذيب الجلمود فأخذت على نفسى العهود بأنى أعود وأفرغ فى البحث المجهود وقلت لعل الزمان يجود ويتيح لى العود وأكون أنا الموعود ثم انطلقت الى اسوان ولم أدر أن الزمان قد مان اذ رأيت بها رقعة تقول لى الرجعة الرجعة ثم السرعة السرعة فعدت وما قضيت وطرا ولا حققت خبرا لكن العود أحمد وصاحب الجد يحمد وفى الصباح يحمد القوم السرى (رجع) فاذا اتجهنا الى الجنوب ودنونا من بندر اسوان رأينا على يميننا أكمة عالية جدا متصلة بالجبل الغربى تعرف عند سكان تلك الجهة بقبة الهواء لوجود قبة عليها وطريقها صعب الارتقاء لانحداره وكثرة الرمل الثائر به فيقطعه الانسان فى نحو الاربع عشرة دقيقة وبها نحو ٣٦ قبرا وأول من اكتشفها هو مصطفى افندى شاكر وكيل أشغال دولة بريطانيا العظمى فى بندر اسوان ففتح بعضها فى سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٦ ثم جاء من بعده السير غرانفيل رئيس الجنود المصرية بالحدود وفتح باقيها ان تسلط عليها العساكر المصرية فكشفوها فى أمد يسير فصارت مفتوحة معلقة بوسط الجبل كل من رآها من بعد ظنها منازل فى طوابى أو قلاعا حربية أو حوانيت بالجبل خلت من سكانها وان شئت قلت يظنها أفواها مفتوحة تستغيث الى ربها وتطلب الرحمة لساكنيها وتقذف لعنا على من عبث بها يد الدمار

وأول ما يدنو اليها الانسان بسفينة يرى على النيل بقايا رصيف قديم كان مبنيا بالحجر يصعد منه سلم منحوت بالجبل يبلغ طوله نحو ٤٨ مترا يحيط به جداران أحدث عهدا منه وهو يتشعب الى ثلاثة مسالك تفضى الى بعض تلك المقابر والظاهر أنهم جعلوا تلك المسالك مجازات لمرور نواويس موتاهم اليها وفى نهاية السلم وعن يمينه ويساره قبور لبعض رجال العائلة السادسة والعائلة الثانية عشرة المصرية وبها بعض نصوص بربائية اعتنى بترجمتها كثير من علماء الآثار وذكروها فى مؤلفاتهم

ومن أشهرها باب القبر نمرة ٢٦ الذى يرى الانسان فى نحو ثلثه بابا آخر وهو لاحد الاعيان

المدعو سابن بفتح السين وكسر الموحدة وسكون النون وكان فى أيام الملك (نفر فارع ببى الثانى) أحد ملوك العائلة السادسة لانه باشر تشييد هرم هذا الملك الذى سبق ذكره بسقارة أما القبر فيشتمل على رحبة يبلغ طولها ٢١ مترا وعرضها ٨ متر بها أربعة عشر عمودا مربعة الاضلاع مخلقة من الجبل بمعنى أنها والسقف والارض قطعة واحدة وعلى أول عمود منها جهة اليمين صورة سابن المذكور مرسومة بلون أحمر وله شعر أسود وعلى الجدار المقابل لهذا العمود تراه مرسوما واقفا فى سفينة يصطاد سمكا وبجواره خادم أو رفيق له يقنص طيرا جاثما أى واقفا على نبات البردى النابت بوسط الماء وعلى اليسار مسلك يفضى الى سرداب متعرج كان فى نهايته جثة صاحب القبر المذكور وعلى يسار هذا القبر قبر آخر متصل به بلا فاصل يعرف بنمرة ٢٥ وهو لرجل يدعى (ميخو) بكسر الميم وضم الخاء أو ميكو وبه ثمانية عشر عمودا مرتبة على ثلاثة صفوف مخلقة من الجبل أيضا لها مشابهة قوية بالعمد التى فى قرية بنى حسن وبين الصفين الاولين حجر مربع ظن علماء الآثار أنه كان محرابا وعلى يمين الباب بعض نقوش لطيفة بها صورة ميخو المذكور مصورا فى هيئة رجل وسيم المحيا تلوح عليه وسمة الشهامة مع أنه سقيم أعرج بالرجل اليمنى يتوكأ على عصاه وله ابن يدعى ميخو أيضا وزوجة تدعى أبا بفتح الهمزة والموحدة وكانت قسيسة للمعبودة هاتور ثم ترى صورة تقديم القرابين وصاحب القبر قائم يقطع حيوانا للقربان ثم تراه فى جهة أخرى يحرث الارض بثيرانه ويحصد القمح من غيطه وبازاء ذلك صورة حمر أى حمير مصفوفة لها شكل لطيف ولهذا القبر مجاز يفضى الى سرداب ينتهى بمخدع أو مقصورة مربعة الاضلاع

فاذا غادرنا هذا المكان وصعدنا قليلا وملنا الى جهة اليمين رأينا جملة مقابر أغلبها خال من النقش وأهمها قبر رجل يدعى (رع نب قو نخت) ويظهر من اسمه انه كان من أعظم رجال الدولة الفرعونية أيام الملك أمنمعت الثانى أحد ملوك العائلة الثانية عشرة ويفهم من بعض نصوصه أنه كان رئيسا على عساكر الامدادية التى كانت على الحدود المصرية جهة الجنوب وفى هذا المكان طريق ضيق يتصل بفسحة بها ستة عمد مربعة الاضلاع مخلقة من الجبل ثم دهليز مستطيل فى كل ناحية منه ثلاث مقاصير وفى الاولى جهة اليسار صورة المعبود أوزيرس وله لحية مرسلة ثم دهليز يفضى الى فسحة صغيرة بها أربعة عمد وعلى اليمين مجاز يتصل بأربعة مدافن

فاذا خرجنا من هذا المكان وعلونا الجبل قليلا رأينا القبر نمرة ٣٢ وبه بعض نقوش وكتابة قد أخنت عليها الايام وهو لرجل يدعى (س رمبوت) وتراه جالسا على كرسيه تلوح عليه الوجاهة وكان أيام الملك أوزرتس الاول آخر ملوك العائلة الحادية عشرة وفى الفسحة الاولى منه سبعة عمد مخلقة من الجبل على أحدها جهة اليمين صورة تجريدة مصرية كانت توجهت لقمع أمة (كاش) التى كانت تمردت وشقت عصا الطاعة وفى مدخل المجاز الموصل للمدفن كتابة محتها الايام أيضا نلمح منها ما كان لصاحب هذا القبر من المراتب السامية وأنه ساق العساكر لفتح بلاد الكوش (بالسودان) وعلى اليسار صورة صيد السمك وقنص الطير ثم سرب من الثيران أما القبر فيشتمل على فسحة صغيرة بها أربعة عمد ثم مجاز يتصل بفسحة أخرى بها أربعة عمد أيضا وكلها مخلقة من الجبل والى هذا القبر تنتهى فرجة السائحين من هذا المكان وبالجملة لا يتيسر للانسان رؤية جميع ما بها الا اذا كان معه ما يستصبح به اه

ثم نصعد من هذه الربوة ونركب الزورق ونتجه الى الجنوب فنرى جزيرة خضراء نضرة يحيط بها النيل وتحيط به الجبال من الجنوب والغرب عليها صخور قد شمخت بانفها الى السماء كأنها قلاع أو معاقل لها منظر موحش قد شوتها الشمس بحرارتها حتى صيرتها داكنة اللون وكلها من الحجر الجرانيت الصلب فاذا نظرنا الى الجنوب رأينا النيل كأنه انتهى هنالك لانه يروغ خلف تعاريج تلك الجبال الصخرية أما الجزيرة فكانت تعرف قديما باسم جزيرة الفنتين وتسمى الآن جزيرة اسوان وأغلب سكانها برابرة فى غاية الفقر والمسكنة لعدم توفر وسائل المعيشة عندهم وكل من دخل فيها ظن نفسه فى بلاد النوبة لانه لا يسمع غير رطانهم وبربرتهم السودانية وكان بها معبدان قد هدم الشمالى منهما ولم يبق به الا نحو نصفه وصار كخرابة ليس به فائدة تاريخية أما الجنوبى فتخرب أيضا لكن عليه اسم الملك أموفيس الثالث (امنحتب الثالث من العائلة الثامنة عشرة) وكان هذا المعبد جميل المنظر ومتناسب الاجزاء وبابه الباقى الى الآن معقود من حجر الجرانيت عليه اسم اسكندر الثانى وله رصيف لطيف مشيد على النيل لمنع تعدى مياهه عليه وقت الفيض وهو من بناء الرومان بنوه بأنقاض المبانى القديمة الفرعونية وبوسط المنازل هنالك تمثال للمعبود أوزيرس يبلغ طوله نحو المترين قد لعبت به الايام ومحت محاسنه عليه اسم الملك منفطه (من العائلة العشرين) لكن لا يقرأ الا بغاية المشقة لزوال بعض أحرفه

ولاشك أنه كان له تمثال اغنى يد الضباع كانوا نصبوهما أمام وجهة معبد الملك أمونوفيس المذكور أما سبب خراب هذين المعبدين فهو أنه فى سنة ١٨٢٢ مسيحية قامت الحكومة والناس فهدموا منهما ماشاء الله وأخذوا احجارتهما المكتوبة حولوا بعضها الى جير وبنوا بالباقى ماأرادوا بناءه

وكانت هذه الجزيرة دار اقامة لبعض ملوك العائلة السادسة ثم صارت معسكرا حربيا لرد مهاجمة أهل اتيوبيا عن مصر وبنى بها بعض الفراعنة مقياسا للنيل كانت أخفته الايام عن العيون جملة أحقاب وقرون الى أن اكتشفه الفرنسيس مدة الحملة الفرنساوية بمصر وذلك فى نحو سنة ١٨٠١ مسيحية لكن صار بعد ذلك مهجورا الى أن جدده خديو مصر اسماعيل باشا على يد المرحوم محمود باشا الفلكى ومن وقتها صار مستعملا فى حساب زيادة النيل كمقياس الروضة بمصر وللانكليز به الآن تحصينات مهمة

وعلى الشاطئ الشرقى للنيل قبالة تلك الجزيرة بندر اسوان وسكانه اخلاط من الناس مابين مصرى وتركى وافرنجى وبربرى وبشارى وفلاح وعربى بحيث ان الزائر الغريب يتعجب من كثرة هؤلاء الاجناس واختلاف لغتهم وتبلبل ألسنتهم فيتذكر من هذه الهيئة وذلك الاجتماع أيام النمرود وبناء صرح بابل وتبلبل الالسنة ويرى عرب البشارية حفاة الاقدام عراة الاجسام لهم شعر مرسل على أكتافهم كأنه فروة شاة قد تلبد صوفها بعد ماطال أو كجلد عنز جعلوه على رؤسهم فصار لهم به هيئة خاصة ولجسمهم لمعة من الدهان لكن وجوههم صبيحة لطيفة جدا وتقاطيع سيمة بعضهم فى أعلى جاذبية الحسن فيهم عنف وشهامة عربية لاتكاد توجد فى غيرهم فهم كما قال الشاعر

جمال الوجه مع قبح النفوس * كقنديل على قبر المجوس

وهذه المدينة صارت الآن من أعظم المدن المصرية التى بالصعيد وانتظم بعض منازلها وبنيت بها الخانات والفنادق وجعلت فيها الميادين والطرق الواسعة سيما الجهة الغربية منها المطلة على النيل وهى الآن عامرة آهلة بالتجارة والتجار ومن ضمن متجرها الفاخورة اللطيفة التى تضارع فاخورة أسيوط ثم البلط والحراب والدرق والكرابيج وجلود الحيوانات المفترسة وغير ذلك من وارد السودان ولم يظهر بأسوان لغاية الآن آثار تاريخية

تستحق الذكر فى هذا الكتاب غير معبد صغير فى جهتها الجنوبية وهو الآن محاط بالاتربة والقاذورات غير معتنى بشأنه لقلة أهميته وبناؤه كان فى مدة البطالسة

وعلى بعد كيلومتر منه الى الجنوب مسلة عظيمة جدا خالية من الكتابة متخذة من حجر الجرانيت الصلب الارقط الذى لايؤثر فيه الحديد الافى الزمن المديد وهى منحوتة ومصقولة من ثلاث جهاتها أما الجهة الرابعة فمتصلة بالجبل لم تفصل منه ولفخامتها وهندامها صارت أعجوبة لمن رآها تفصح بلسان حالها عن قوة القوم وعدم اكتراثهم بصعاب الامور ويرى فيها وفى غيرها من الاحجار التى بجوارها أثر الاسافين والآلات التى كانوا يستعملونها للتفصيل وقطع تلك الاحجار الصلبة وهذه المسلة راقدة فى مقطعها الممتد نحو مسافة نصف ساعة الى الجنوب ويقال انه كان بالقرب من قرية اسوان القديمة بئر يرى فيها قرص الشمس وقت الزوال متى حلت الشمس فى مدار السرطان ولايعلم الآن مكان هذه البئر

كيلومتر

٨ من اسوان الى جزيرة فليا المعروفة عند العوام باسم جزيرة أنس الوجود

٩٢٤ من بولاق الى جزيرة فليا

ثم نركب وابور البر ونقصد الجنوب ونسير فى صحارى قفراء وجبال غبراء وآكام من الجرانيت يضل فيها الخبير الخريت وبعد أن نقطع ثمانية كيلومترات نصل الى ورشة الوابورات التى أمام تلك الجزيرة فنركب الزوارق ونقطع فرع النيل الشرقى فنصل اليها وكانت تعرف عند قدماء اليونان باسم جزيرة فليا وتسمى الآن جزيرة أنس الوجود وهى تسمية على غير أساس لان الانسان لايرى وهو بها غير ما يحسبه راكدا كالبحيرة مع أنه جار بطىء تكتنفه جبال جرانيتية داكنة اللون تميل الى الحمرة قد شوتها الشمس بلهيب أشعتها وللجزيرة والنيل والجبال منظر موحش جدا وهيئة فريدة فى بابها سيما رؤية الجبال وما عليها من الصخور التى ألقتها يد القدرة على بعضها بلا ترتيب لايسمع بها همس حيوان ولا صوت انسان فيتخيل الزائر أنه فى مساكن الجان أو استهوته يد الشيطان ويرى الجبال حفت الماء من كل مكان حتى صار أشبه ببركة صغيرة وكأن الجبال اتصلت ببعضها لان النيل يزوغ من عين الرائى خلف تلك الجبال المتعرجة وقد يعجز القلم عن

بيان جميع مايعترى الانسان من الوحشة والغرابة التى مارأى مثلها فى حياته سيما اذا كان منفردا ولم تسبق له رؤية هذه المناظر

ومن تتبع الصخور المتفرقة مابين أسوان وهذه الجزيرة رأى عليها أسماء كثير من الفراعنة وأمراء العسكر وقواد الجيش ووجوه الناس كتبوها لتكون تذكارا لخدمتهم الوطنية ورحلتهم الى بلاد السودان ووقائعهم الحربية وتسخيرهم لاعدائهم وعلى بعضها صورة المسافرين وقيامهم بعبادة إله الشلال وصيغة الدعوات التى كانوا يتلونها قبل سيرهم وبذلك صار لهذه الصخور أهمية كبرى عند علماء التاريخ والآثار اذ يستفاد منها كثير من الفوائد التاريخية التى منها ما الى التجريدات المصرية والفتوحات الاهلية ومنها أن جميع تلك الاقاليم كانت خاضعة لدولة مصر من قديم ومنها ما كان للسودان من القوة والانفة حيث كانت تخلع أطواق الطاعة وتكافح سيدتها التى تضطر بان ترسل اليها البعوث وتعبى لها الجنود فى كل زمان ومنها اشتباك الطرفين فى الحروب المستمرة ومنها ما كان لمصر من القوة وعظيم البأس وأن أخبارها حملتها الصخور على العين والرأس

وبازاء هذه الجزيرة جزيرة أخرى تعرف باسم جزيرة الساحل بها كثير من تلك الصخور العلمية لكنها قفراء

وأعظم آثار جزيرة فليا هو المعبد الكبير الشهير بقصر أنس الوجود وهو من بناء بطليموس (فيلودلفيس) أى محب أخيه (سمى بذلك للسخرية لانه اتهم بقتل أخيه بالسم وهذا الملك هو بطليموس العالم الفلكى صاحب كتاب المجسطى المشهور) وعلى المعبد أسماء كثير من البطالسة والرومان يستفاد منها أن لهم به مبانى وتجديدات مهمة وأن الناس كانت تؤمه للزيارة والفرجة

ومتى دنا الانسان منه رأى رحبة واسعة بها أساطين تحمل البواكى حوله ثم برجين شاهقين يبلغ ارتفاعهما نحو ٢٢ مترا لهما مشابهة بأبراج معبد ادفو غير أنهما أقل ارتفاعا منها ويوسطهما باب يفضى الى ايوان به أساطين كانت تحمل العرش ولتيجانها منظر بهيج وعلى بسيطها نقوش دينية ثم يرى داخله جملة أبواب تفضى الى غرف ومقاصير أغلبها ظلام دامس لقلة منافذ الضوء بها ويرى فى ضوء المصابيح نقوشها الزاهية البديعة ثم أسماء الملوك من البطالسة والمعبودات واذا صعد الانسان على السطح رأى نفسه على طودة

حولها أطواد من الصخور الوحشية المنظر ويسمع على بعد عندما يسكن هيجان الريح هدير الشلال يدوى فى الجبال فيعترى الانسان وحشة الغربة

وبجوار هذا المعبد معابد أخرى صغيرة قد أتت عليها الايام حتى كادت تؤدى بها الى العدم وكلها من عمل دولة البطالسة

ومن أقدم مبانى هذه الجزيرة الباب الكبير الواقع بين الابراج العظيمة التى هناك ثم المعبد العتيق الكائن فى نهاية الجزيرة من جهة الجنوب الغربى وكلاهما من بناء فرعون المدعو (نقطنبو الثانى) لان عليهما اسمه وهذا الملك المنكود البخت هو آخر من حكم مصر من أهلها ولم يقم لمصر من بعده تخت أهلى الى الآن كما أنه آخر ملوك العائلة المتممة للثلاثين وهذا المعبد لم يبق به الآن غير اثنى عشر عمودا وبعض جدر قد تطوحت بها الايام

أما تاريخ هذه الجزيرة فمختصر جدا لانه يؤخذ من عمر أقدم مبانيها أنها لم تعتبر قداستها الا أيام الملك نقطنبو المذكور أعنى قبل اغارة الاسكندر الرومى ببضع سنين ثم اعتمد اليونان والرومان صحة قداستها فبنوا بها تلك المعابد وزخرفوها بقدر طاقتهم وبالغوا فى احترامها وجعلوا لها الكهنة والقسس وتمسك أهل تلك الجهة بحبل احترامها حتى ان أوامر القيصر (تيودوز) أو (تيودوسيس) القاضية بابطال دين الجاهلية من مصر لم تؤثر على أهلها حيث أصروا على اقامة شعائرهم الدينية واظهار عقائدهم الوثنية ومكثوا على ذلك نحو ستين سنة وهم يعبدون أوزيريس وزوجته ايزيس حتى بعد برهة من استيلاء القيصر (مرسيانوس) سنة ٤٥٣ بعد ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

وليعلم القارئ أن هذه الجزيرة هى آخر شوط جوادى ونهاية مضمار اجتهادى ومابقى علينا الآن الا العودة الى الاوطان بعد ماترى الشلال وماحوله من الجبال

ولاجل ذلك نركب الزورق ونعطى ظهرنا الى الجزيرة وننحدر مع النيل فنمر بين جبال متنوعة المناظر تركبت من صخور جرانيتية محزنة الهيئة قد تكومت على بعضها بلا انتظام فوقع شطر منها فى الماء وعلى ساحليه فصارت تحاكى منازل خاوية مشوهة البناء حالكة اللون وتراها على بعد قد أخرجت قممها السودا من الماء كأنها رؤس الشياطين أو جنود ابليس أجمعين وكأنها والنيل ثعبان أرقط قد سار ذات اليمين وذات اليسار أو سوار به رقط كالنمش قد احتاط بمعصم الحبش وللساحل أشكال مالها مثال فتراه تكيف

بالكاف والنون حتى صار كالعرجون أو الحاجب المقرون ثم انقبض على نفسه وانبسط ورسم شيناونقط ومتى جن الليل وسجى وطارد البدر جيش الدجى صار النيل شكل ناب فيل طار عليه بعض المداد فنمقه بالسواد أو سيف مسلول بحده فلول أو لجين كالبساط المفروش تدب عليه سود الوحوش

وكلما قدم الانسان الى جهة الشلال ظن نفسه أنه فى بركة راكدة ليس لها مصدر حصرتها الجبال من كل ناحية فاذا سار الى الامام رآها انفرجت له عن بركة ثانية ويزيد دوى الشلال وهدير الماء فترددها الجبال حتى يصير صوته يصم السمع ويسمع الصم ومتى دنونا منه خرجنا من الزورق الى الساحل فترى النيل قد تشعب هنالك الى نحو سبع مجار يفصلها عن بعضها جزر صغيرة جرانيتية وأعظم تلك المجارى ما كان موازيا للجبل حيث فيه تتسابق كتائب الماء وتنقض هاجمة على جند الجنادل بالشلال فتقرعه بشدة بأسها ثم تفر مهزومة منه الى جهة الغرب والشمال وتسكب من فيض دمعها المدرار ما يفيض منه الترع والانهار

ولاهالى قرية الشلال عادة وهى أنهم متى رأوا الزائرين وصلوا الى هذا المكان أتوا مسرعين حفاة عراة وينقضون فى الماء من أعالى القيوف وشواهق الجروف وارتفاعها نحو الثلاثة أمتار ونصف فيغوصون فى الماء ويجذبهم عاتى تياره ويجرهم معه ثم يلفظهم على الساحل فيعودون وينقضون ثانيا وهكذا غير أن كل من يراهم يحسبهم لسواد أجسامهم وسرعة حركتهم أنهم تماسيح أو دراقيل تتقلب فى ذلك الماء الهادر وتسبح فيه ثم يخرجون ويتكففون الصدقات بالحاح والحاف وهذه المناظر الغريبة لا تحدث بالشلال الا وقت تحريق النيل أما زمن الفيض فتعم المياه جميع تلك الجزر وتصيرها واحدا قليل اللغط

ومتى انقضت الفرجة وأردنا العودة فلنا ثلاثة طرق أقربها وأحسنها هو أن نعود الى جزيرة أنس الوجود ثم نركب الوابور ونحن فى أمان الى بلدة أسوان الطريقة الثانية هى أن نركب الحمير ونسير الطريقة الثالثة وهى أصعبها هى أن نكترى زورقا بنحو المائة قرش وننحدر به مع التيار ونمر بين تلك الجنادل والاحجار حتى نصل اسوان بعد ما نقاسى المخاوف والاشجان

والى هنا انتهت الرحلة العلمية والدروس الاثرية وانى أسأله التوبة
فى السفر والاوبة ثم الصلاة والسلام على سيد الانام
ما فاح مسك ختام ولاح بدر تمام

فهرست

كتاب الاثر الجليل لقدماء وادى النيل

ويليها

فهرست الاعلام المندرجة بالكتاب المذكور
مرتبة على حروف الهجاء

(فهرست كتاب الاثر الجليل لقدماء وادى النيل)

(تابع فهرست كتاب الاثر الجليل لقدماء وادى النيل)

(تابع فهرست كتاب الاثر الجليل لقدماء وادى النيل)

(تمت الفهرست)

(فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

صحيفة

(حرف الالف)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(تابع فهرست الاعلام المندرجة بكتاب الاثر الجليل مرتبة على حروف الهجاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

(تمت الفهرست)

